جيفري أرشير

مكتبة

JEFFREY ARCHER

ياسمين

القلم أمضى من السيف

MIGHTIER THAN THE SWORD

الجزء الخامس

على الأمة أكثر الكتب مبيعا بيع منه أكثر من 280 مليون نسخة

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة ياسمين

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

جيفري أرشير
JEFFREY ARCHER
القلم أمضى
من السيف
MIGHTIER THAN THE SWORD
رواية
ترجمة
زينة البارودي
مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة
الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2021 م - 1442 هـ
ردمك 978-614-02-3993-7
تصميم الغلاف: علي القهوجي

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

القلم أمضى من السيف

آل بارينغتون

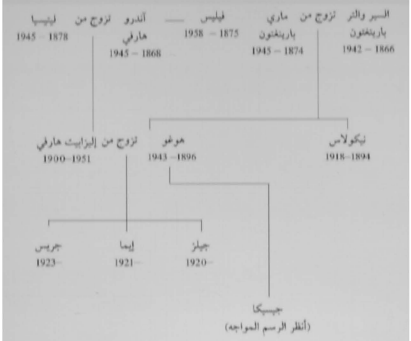

آل كليفتون

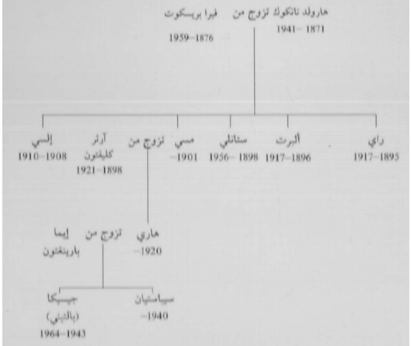

مكتبة ياسين

تقديم

تشرين الأول 1964

لم يطرق بريندن باب الغرفة بل أدار مقبض الباب فقط، وانسلَ إلى الداخل ونظر خلفه ليتأكّد من أن أحداً لم يشاهده، لأنه لم يرد أن يشرح لأي كان، ما الذي يفعله رجل يافع في مقصورة الدرجة المتوسطة في غرفة راكب ذي شأن، في ذلك الوقت من المساء، ولكن هذا لم يعن أن أحداً كان سيعلّق على الأمر.

سأل بريندن عندما أغلق الباب: "أيحتمل أن تتمّ مقاطعتنا؟".

"لن يقاطعنا أحد قبل الساعة السابعة من صباح يوم الغد، وبحلول ذلك الوقت لن يبقى هناك شيء لمقاطعته".

جثا بريندن على ركبتيه وقال: "حسناً"، وفكّ قفل الصندوق الضخم ثم فتح غطاءه، وتفحّص القطع المعقدة للآلية التي استغرق إنشاؤها أكثر من شهر.

لقد قضى نصف الساعة التالية وهو يتفحّص إن كان هناك أسلاك فالتة، وأن كل رقم في موضعه الصحيح، وأن الساعة ستعمل بمجرد نقره على الزر، ولم ينهض إلا عندما شعر بأن كل شيء على أكمل وجه، ثم قال: "إنها جاهزة، متى تريد تشغيلها؟".

قال زميله الأكبر منه: "في تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وسأحتاج إلى ثلاثين دقيقة لإزالة كل هذا"، ثم أضاف، وهو يتلمّس لُغده: "وإذا كان لديّ الوقت سأذهب إلى غرفتي الأخرى".

عاد بريندن إلى الصندوق، وجهّز المؤقّت على الساعة الثالثة، وقال: "كل ما عليك فعله هو الضغط على هذا الزر قبل أن تغادر، وتتحقّق مجدداً ما إذا

مكتبة ياسين

كان عقرب الثواني يتحرّك، وعندها سيكون لديك دقيقة".

"ما الخطأ الذي يمكنه أن يحدث؟".

"إذا كانت أزهار الليلي لا تزال موجودة في غرفة السيدة كليفتون فلن يحدث أي خطأ، ولن يكون لأي أحد يقيم في هذا الطابق أو في الطابق السفلي أمل في النجاة، فهناك ستة أرطال من الديناميت مدفونة في التربة تحت هذه الأزهار، وهذه كمية تفوق حاجتنا، ولكننا على الأقل نستطيع من خلال هذه الكمية أن نضمن الحصول على أموالنا".

"هل لديك مفتاح الغرفة؟".

قال بريندن: "أجل، وستجد جواز سفرك الجديد، وتذكرة سفرك تحت الوسادة في الغرفة 706".

"هل من داعٍ للقلق بخصوص أي أمر آخر؟".

"لا، تأكّد فقط من أن عقرب الثواني يتحرّك قبل مغادرتك".

قال دوهيرتي مبتسماً: "أراك في بيلفاست".

***

فتح هاري باب الغرفة، وتنحّى جانباً ليدع إيما تدخل أولاً.

انحنت إيما لتستنشق عبق أزهار الليلي التي أرسلتها الملكة الأم بمناسبة تدشين سفينة باكينغهام لنقل البضائع، ثم قالت، وهي تستقيم في وقفتها: "إنني مرهقة، ولا أعلم كيف تستطيع الملكة الأم تدبّر الأمور يوماً بعد يوم".

"هذا هو عملها، وهي تتقنه، ولكنني واثق من أن العمل كان سينهكها لو كانت مديرة بارينغتون".

قالت إيما وهي تخلع فستانها، وتعلّقه في الخزانة قبل أن تذهب إلى الحمام: "ومع ذلك إنني أفضّل

مكتبة ياسمين

عملي على عملها".

قرأ هاري بطاقة جلالة الملكة إليزابيث الأم مجدداً، ويا لها من رسالة خاصة! كانت إيما قد قزرت بالفعل، عندما عادا من بريستول، أن تضع المزهرية على مكتبها، وتملأها بأزهار الليلي صباح كل يوم اثنين. ابتسم هاري، ولم لا يبتسم؟ ثم دخل ليستحمّ بعد أن أنهت إيما حمامها، وأغلق الباب وراءه، بينما كانت إيما قد خلعت ثوب الحمام، واستلقت على سريرها، فكانت تعبة لدرجة أنها لم تقو على قراءة بضع صفحات من رواية *الجاسوس الذي احتمى من البرد* للكاتب الجديد الذي اقترحه هاري، ثم أطفأت المصباح، وقالت لهاري: "تصبح على خير يا عزيزي"، على الرغم من معرفتها بأنه لن يتمكّن من سماعها.

عندما خرج هاري من الحمام، كانت إيما تغطّ في نوم عميق فغطّاها وكأنها طفلة صغيرة، ثم قبّل جبينها، وهمس لها: "تصبحين على خير يا عزيزتي"، ثم استلقى إلى جانبها مستمتعاً بغطيطها الناعم. هو لن يستطيع يوماً أن يخبرها بأنها تشخر.

جلس وقد امتنع عليه النوم، فكان فخوراً بإيما جداً، ومرتاحاً لأن تدشين سفنها الناقلة الجديدة ما كان ليجري على نحو أفضل مما جرى، ثم استلقى على فراشه معتقداً أنه سيغفو خلال لحظات، ولكن على الرغم من أن التعب أثقل عينيه، وكان يشعر بالإرهاق، إلا أنه لم يستطع أن يغفو، فهناك شيء غير اعتيادي.

***

لم يكن هاري الوحيد الذي أرق تلك الليلة، بل كان هناك رجل آخر يعاني من الأرق بعد أن عاد آمناً إلى غرفته في الدرجة المتوسطة، وعلى الرغم من أن الساعة كانت الثالثة بعد منتصف الليل، وكان عمله

قد انتهى، لم يحاول النوم، لأنه كان على وشك الذهاب إلى عمله الفعلي.

لطالما شعر بالخوف عندما توجَب عليه الانتظار، فهو يخشى أن يترك أي دلائل قد تقود إليه، وربما ارتكب خطأ قد يُفشل العملية، ما يجعله أضحوكة بين صحبه، وهو لن يسترخي قبل أن يصعد على متن قارب النجاة، وربما يكون القول قبل أن يركب سفينة أخرى متجهة إلى ميناء آخر، هو القول الأدق.

خمس دقائق، وأربع عشرة ثانية.

كان يعلم أن جنود وطنه وشركاءه في العملية نفسها سيتوثرون مثله تماماً.

كان الانتظار دائماً أسوأ جزء من العملية، حيث تخرج الأمور عن سيطرتك تماماً، ولا يعود بمقدورك أن تفعل أي شيء.

خمس دقائق، وإحدى عشرة ثانية.

إن الوضع أكثر سوءاً من التقدم بهدف مقابل لا شيء في مباراة كرة قدم، وأنت تعلم أن الفريق الآخر قوي، وقادر على قلب النتيجة لصالحه في الوقت الضائع، فاسترجع تعليمات قائد منطقته: "احرصوا على أن تكونوا أول من يصعد إلى سطح السفينة، ويركب قوارب النجاة، لأنهم فوراً سيبدأون بالبحث عن كل شاب دون سن الخامسة والثلاثين، ولكنته إيرلندية، لذلك أطبقوا أفواهكم أيها الفتيان".

ثلاث دقائق، وأربعون ثانية... وتسع وثلاثون...

حدَق إلى باب غرفته، وبدأ يتخيّل أسوأ ما يمكن أن يحدث؛ ألَا تنفجر القنبلة، وينخلع الباب، فيندفع عشرات رجال الشرطة وربما أكثر، وتنهال عليه

هراواتهم ضرباً في كل اتجاه غير مهتمين بعدد الضربات، ولكنه حتى الآن لم يسمع سوى هدير المحرك المتواتر لسفينة باكينغهام التي تواصل الحراك في مسارها الثابت على سطح المحيط الأطلسي شاقة طريقها إلى نيويورك، هذه المدينة التي لن تصل إليها أبداً.

دقيقتان، وأربع وثلاثون ثانية... ثلاث وثلاثون...

لقد بدأ يتخيل كيف سيكون الوضع عندما يعود إلى فولز رود، فيمرّ في الشارع أمام شبان يافعين يرتدون بناطيل قصيرة، فيتطلّعون إلى أن يصبحوا مثله عندما يكبرون، لأنه سيكون البطل الذي فجر سفينة باكينغهام بعد مرور أسابيع قليلة من إطلاق الملكة الأم عليها اسمها، ومن دون ذكر سفك دماء وإزهاق أرواح الأبرياء، إذ لا أرواح بريئة عندما تؤمن بقضيتك، وفي الواقع لم يقابل أي راكب من الطبقة العليا.

ولكنه سيعرف عنهم كل شيء عبر صحف اليوم التالي، وإذا كان قد أتمّ عمله على أحسن وجه، فلن يُذكر اسمه فيها.

دقيقة، واثنتان وعشرون ثانية... إحدى وعشرون...

ما الخطأ الذي يمكن أن يحدث في هذه الأثناء؟ هل كان الجهاز الذي صنعه في غرفة عليا في مقاطعة دانغانون سيخذله؟ هل سيعاني من صمت الفشل؟ ستون ثانية...

لقد شرع في همس كل رقم: "تسع وخمسون، ثمانٍ وخمسون، سبع وخمسون، ست وخمسون...".

هل كان الرجل الثمل المستلقي على كرسي في البهو يراقبه كل هذا الوقت؟ هل هم في طريقهم إلى غرفته خلال هذه الأثناء؟ "تسع وأربعون، ثمانٍ

مكتبة ياسين

وأربعون، سبع وأربعون، ست وأربعون...".

هل استبدلت أزهار الليلي أو ألقيت بعيداً أو أخذت إلى مكان آخر؟ لعل السيدة كليفتون لديها حساسية تجاه غبار الطلع؟ "تسع وثلاثون، ثمانٍ وثلاثون، سبع وثلاثون، ست وثلاثون...".

هل فتحوا غرفة اللورد، ووجدوا الصندوق المفتوح؟ "تسع وعشرون، ثمانٍ وعشرون، سبع وعشرون، ست وعشرون...".

هل شرعوا فعلاً في البحث عن الرجل الذي انسلَ من الحمام في بهو الدرجة الأولى؟ "تسع عشرة، ثماني عشرة، سبع عشرة، ست عشرة...".

هل قاموا...؟ لقد أمسك بحافة السرير، وبدأ يعدّ بصوتٍ عالٍ: "تسع، ثماني، سبع، ست، خمس، أربع، ثلاث، ثانيتان، ثانية...".

توقّف عن العد، وفتح عينيه، لا شيء سوى الصمت المطبق الذي يتبع الفشل، فأحنى رأسه، ودعا إلهاً لم يكن يؤمن به. تبع ذلك في الحال حدوث انفجار قوي جداً لدرجة أنه اهتزّ في أرجاء الغرفة، وكأنه ورقة في خضم عاصفة. وقف على قدميه، وابتسم عندما سمع صراخاً، ولم يستطع سوى تخيّل عدد الركاب الذين نجوا من هذا الانفجار في الطوابق العليا.

مكتبة ياسين

هاري، وإيما
1965- 1964
1

تمتم هاري، وهو يستفيق من نوم خفيف ولا يزال نعساً: "جلالتك".

ثم تيقّظ فجأة، وأنار المصباح بجانبه. نهض من سريره، ومشى مسرعاً باتجاه مزهرية الزنبق، وقرأ رسالة الملكة الأم مرة ثانية: *شكراً لذاك اليوم المشهود في بريستول. أتمنى لبلدي الثاني أن يحظى ببداية موفقة*. التوقيع: "صاحبة السمو الملكي *الجلالة الملكة إليزابيث الأم*".

قال هاري: "كيف استطعت أن أغفل عن مثل هذا الخطأ الخطير؟" ثم تناول معطفه، وأنار مصابيح الغرفة، فتساءل صوت ناعس: "هل حان وقت الاستيقاظ؟".

أجاب هاري: "نعم، لدينا مشكلة كبيرة".

التفتت إيما إلى الساعة إلى جانبها، واعترضت قائلة لزوجها الذي لا يزال يحدّق إلى الزنبق: "لكنها لا تزال الثالثة! ما تلك المشكلة؟".

"إن لقب صاحبة السمو الملكي ليس لقب الملكة الأم".

قالت إيما بينما كانت لا تزال شبه نائمة: "الكل يعلمون ذلك".

"الكل ما عدا من أرسل هذه الزهور، فلم لا يعرف أن العبارة الصحيحة للتوجه إلى الملكة الأم هي *جلالتها*، وليس *صاحبة السمو الملكي*، فهذا اللقب خاص بالأميرات".

نهضت إيما من سريرها على مضض، وانضمت إلى

مكتبة ياسمين

زوجها، وتفحّصت الرسالة بنفسها.

قال هاري: "اطلبي من القبطان الانضمام إلينا حالاً"، وأضاف قبل أن يجثو على ركبتيه: "علينا اكتشاف ما في داخل هذه المزهرية".

قالت إيما وهي تحاول تناولها: "ربما هو الماء، وحسب".

أمسك هاري بمعصمها، وقال: "ركّزي أكثر يا عزيزتي، فالمزهرية كبيرة جداً بالنسبة إلى باقة من الزنبق"، ثم ردّد بإلحاح أكبر: "استدعي القبطان".

"قد يكون منسق الزهور ارتكب خطأ".

قال هاري، وهو يمشي باتجاه الباب: "أتمنّى ذلك، ولكن ليس لدينا مجال للمخاطرة".

سألت إيما بينما كانت ترفع الهاتف: "إلى أين أنت ذاهب؟".

"لإيقاظ جايلز، فهو لديه خبرة بالمتفجرات أكثر مني، وقد أمضى سنتين من عمره، وهو يزرعها تحت أقدام الألمان الغزاة".

عندما وصل هاري إلى الرواق تفاجأ برؤية رجل مسنّ متّجه نحو الدرج الكبير، ثم توارى عن الأنظار، ومن وجهة نظره كان يبتعد عنه بسرعة كبيرة مقارنة برجل مسنّ، وعندما طرق بإلحاح على باب غرفة جايلز، استغرق ردّه وقتاً طويلاً، فتطلّب الأمر طرقة ثانية قوية حتى أجابه صوت ناعس: "من الطارق؟".

"أنا هاري".

التوتر البادي في صوته جعل جايلز ينهض من سريره بسرعة، ويفتح الباب وهو يسأله: "ما المشكلة؟".

أجاب هاري من دون أن يشرح له: "تعال معي".

مكتبة ياسين

سحب جايلز رداءه، وتبع صهره عبر الرواق إلى داخل القاعة الرئيسة.

قال لإيما: "صباح الخير يا أختي"، بينما كان هاري في تلك الأثناء يناوله البطاقة قائلاً: "صاحبة السمو الملكي".

أجاب جايلز بعدما تفحص الرسالة: "فهمت الأمر، ليست الملكة الأم من أرسلت هذه الرسالة، ولكن إن لم تكن هي فمن عساه يرسلها؟"، ثم انحنى، وعاين المزهرية، وقال: "أياً كان من أرسلها، فيمكنه أن يحزم فيها كماً كبيراً من متفجرات السمتكس".

قالت إيما: "أو كمية كبيرة من الماء، هل أنتما متأكدان من أنكما لستما قلقين من لا شيء؟".

سألها جايلز: "إذا كان ما فيها مجرد كمية من الماء، فلماذا تبدو الزهور وهي على وشك أن تذبل؟".

في تلك الأثناء كان القبطان تيرنبل قد طرق على الباب قبل دخوله إلى الغرفة، وقال: "حضرة المديرة لقد طلبت أن تريني".

شرعت إيما في شرح أسباب جثو زوجها، وأخيها على ركبهما.

قال القبطان مقاطعاً المديرة: "هناك أربعة جنود من القوات الجوية الخاصة على متن السفينة، ولا بد أن أحدهم قادر على الإجابة عن أي سؤال يمكن أن يدور في بال السيد كليفتون.

قال جايلز: "أعتقد أن وجودهم على متن السفينة ليس صدفة، ولا أستطيع التصديق بأنهم جميعاً قرّروا قضاء العطلة في نيويورك في الوقت نفسه".

أجاب القبطان: "إنهم على متن السفينة بأمر من أمين سر المقصورة، ولكن السيد الان ريدماين أكد لي أنه مجرد تدبير احترازي".

قال هاري: "كالعادة، إنه يعرف شيئاً لا نعرفه، وربما حان الوقت لاكتشافه".

خرج القبطان من الغرفة، وأسرع الخطى في الرواق، ولم يتوقّف حتى وصل إلى الغرفة رقم 19، فكانت استجابة سكوت هوبكنز للطرق على الباب أسرع من استجابة جايلز منذ دقائق فقط، وقال: "هل لديك خبير تفكيك قنابل في فريقك؟".

أجابه سكوت: "الرقيب روبرتس، وهو أحد أفراد فرقة القنابل في فلسطين".

"أريده حالاً في غرفة المديرة".

لم يضيّع الكولونيل وقتاً في السؤال عن السبب، بل جرى في الرواق، وخرج من الدرج الكبير ليجد القبطان هارتلي مندفعاً باتجاهه.

"لمحت للتو ليام دوهيرتي خارجاً من المغسلة في مطعم الدرجة الأولى".

"هل أنت متأكد؟".

"أجل، دخل بصفته نبيل المملكة، وخرج بعد عشرين دقيقة بصفته ليام دوهيرتي، وتوجّه نزولاً إلى غرف الدرجة المتوسطة".

قال سكوت هوبكنز، وهو يكمل نزوله على الدرج برفقة هارتلي: "قد يفسّر هذا كل شيء"، ثم سأله، وهما في طريقهما: "ما رقم غرفة روبرتس؟".

أجاب هارتلي، وهما يجتازان السلسلة الحمراء إلى الدرج الضيق: "سبعة. أربعة. اثنان" ولم يتوقّفا حتى وصلا إلى السطح حيث ظهر كوربورال كران أمامهما فجأة.

"هل مرّ بك دوهيرتي خلال الدقائق القليلة الماضية؟".

قال كران: "اللعنة، أظنّ أنني رأيت هذا المأفون

مكتبة ياسين

يترنح في مشيته على طريق فولز رود، ثم دخل الغرفة سبعة. صفر. ستة".

قال الكولونيل بينما كان يتابع سيره في الرواق: "هارتلي، عليك أنت وكران أن تراقبا دوهيرتي بشكل متواصل، وتأكدا من أنه لن يغادر غرفته، وإذا فعل اعتقلاه فوراً".

قرع الكولونيل باب الغرفة 742، ولم يحتج إلى الطرق على الباب أكثر من ثانية حتى فتحه الرقيب روبرتس، وحيّا الكولونيل سكوت هوبكنز قائلاً: "صباح الخير سيدي"، وكأن رئيسه يوقظه عادة في منتصف الليل، وهو يرتدي ملابس النوم، فقال الكولونيل، وهو يستعدّ لمغادرة المكان: "احزم عدتك يا روبرتس، واتبعني، فليس لدينا لحظة لتضييعها".

احتاج روبرتس إلى ثلاث قفزات على الدرج فقط ليلحق برئيسه، ويصل في الوقت المناسب إلى رواق غرفة المديرة. لقد عرف روبرتس أياً من مهاراته الخاصة كان يحتاج إليها الكولونيل، فدخل مسرعاً إلى غرفة المديرة، وحدّق للحظة إلى المزهرية بتمعّن قبل أن يتحسّسها.

أخيراً قال: "إذا كانت قنبلة فهي كبيرة جداً، ولا أستطيع البدء بتخمين عدد الأرواح التي ستزهقها إن لم نبطل مفعولها".

سأل القبطان بهدوء تام: "هل تستطيع فعل ذلك؟ لأنك إذا لم تتمكّن من القيام بذلك فإن مسؤوليتي الأولى ستكون حماية أرواح المسافرين على متن سفينتي، فلا أريد لهذه الرحلة أن تُقارن برحلة كارثية أخرى".

قال روبرتس: "لا أستطيع فعل أي شيء إن لم أستطع أن أصل إلى لوحة التحكم، فلا بد من أنها

مكتبة ياسين

في مكان ما على هذه السفينة، وربما في مكان قريب جداً من هنا".

قال الكولونيل: "ستكون في غرفة القيادة على ما أظنّ، وعلمنا الآن أن عميل الجيش الجمهوري الإيرلندي الذي يسمى ليام دوهيرتي هو الذي شغّلها".

سأل القبطان: "هل يعلم أحدكم في أية غرفة يقيم؟".

قال هاري مستذكراً الرجل المسنّ الذي كان يتحزك بسرعة كبيرة: "الغرفة رقم 3 التي تقع في نهاية الرواق تماماً".

ركض القبطان والرقيب بسرعة خارج الغرفة إلى الرواق، ولحق بهما سكوت هوبكنز وهاري وجايلز، ففتح القبطان باب الغرفة بالمفتاح الإضافي، وتنحّى جانباً ليفسح المجال لروبرتس للدخول. مشى الرقيب بسرعة باتجاه صندوق كبير في وسط الغرفة ثم رفع الغطاء بحذر، واستطلع ما في داخله.

"يا إلهي! إنها معدّة لتنفجر بعد ثماني دقائق، وتسع وثلاثين ثانية".

قال القبطان تيرنبل مشيراً إلى عدة أسلاك متعددة الألوان: "أليس في إمكانك أن تقطع أحد هذه الأسلاك؟".

قال روبرتس من دون أن ينظر إلى القادة، وهو يفزق بعناية الأسلاك الحمراء والسوداء والزرقاء والصفراء: "أجل، ولكن أي سلك منها؟ لقد سبق وتعاملت مع هذا النوع من القنابل، وهناك دائماً فرصة واحدة من أربع لتحقيق النجاح، وهذه مخاطرة لا أريد أن أخوضها. فمن الممكن أن أفكّر فيها لو كنت بمفردي في وسط صحراء. لا على متن سفينة تحمل مئات الناس المعرضة حياتهم للخطر

مكتبة ياسمين

في وسط المحيط".

اقترح القبطان تيرنبل: "لنجلب دوهيرتي إلى هنا فهو يعرف أي سلك سيقطع".

قال روبرتس: "أشك في ذلك، فلا أعتقد أن دوهيرتي هو المنفذ، فلديهم أخصائي على ظهر السفينة للقيام بهذا العمل، والله وحده يعلم مكانه".

ذكّرهم الكولونيل، وهو يحدّق إلى عقرب الثواني الذي كان يتقدّم بلا هوادة: "إن الوقت ينفد منا، ولدينا سبع دقائق وثلاث ثوان، وثانيتان، وثانية...".

سأل القبطان بهدوء: "ما الذي تقترحه إذاً يا روبرتس؟".

"لن تفضَل هذا الحل يا سيدي، ولكن لم يتبقَّ لدينا سوى شيء واحد يمكننا أن نقوم به في مثل هذه الظروف، ولكن حتى هذا الحل يتطلّب مخاطرة كبيرة إذ لا نملك من الوقت سوى أقل من سبع دقائق".

قال الكولونيل بانفعال: "انطق إذاً بهذا الحل يا رجل!".

"احمل هذه القنبلة، وألقِ بها خارج السفينة، وصلْ".

عاد هاري وجايلز بسرعة إلى غرفة المديرة، واحتلّا موضعين بجانب المزهرية، فكانت هناك عدة أسئلة تدور في بال إيما التي كانت قد ارتدت ملابسها، ولكنها عرفت متى يستحسن أن تظلَ صامتة كأي مديرة رزينة.

قال روبرتس: "ارفعاها برفق، وعاملاها كوعاء مملوء بماء مغلي".

انحنى هاري، وجايلز مثل أي رافعي أثقال، وحملا المزهرية الثقيلة بروية ورفعاها عن الطاولة إلى أن

وقفا باستقامة، وحالما تأكّدا من أنهما أحكما حملها سارا بشكل جانبي في الغرفة متجهين نحو الباب المفتوح، فأزال كل من سكوت هوبكنز وروبرتس كل الحواجز التي اعترضت طريقهما.

قال القبطان ما إن خطا الرجلان في الرواق، وسلكا طريقهما ببطء إلى بيت الدرج الكبير: "اتبعاني".

لم يستطع هاري أن يصدّق مدى ثقل المزهرية، ثم تذكّر الرجل الضخم الذي جلبها إلى الغرفة.

لا عجب في أنه لم ينتظر أن يتلقّى إكرامية، ولا بد أنه في طريقه إلى بيلفاست في هذه الأثناء، أو أنه جالس بجانب الراديو في مكان ما، وهو ينتظر سماع مصير سفينة باكينغهام المروع، وعدد الراكبين الذين فقدوا حياتهم.

عندما وصلوا إلى أسفل السلالم بدأ هاري بالعد بصوت عالٍ، وهما يصعدان درجة تلو الأخرى.

لقد توقّف ليلتقط أنفاسه بعد ست عشرة درجة، بينما كان القبطان والكولونيل يشرّعان الأبواب التي تؤدي إلى مصدر فخر وبهجة إيما، إلى شرفة السفينة.

قال القبطان: "علينا أن نلقيها من أقرب مسافة ممكنة من القسم الخلفي للسفينة، لأن ذلك سيمكّننا من تفادي حدوث ضرر كبير قد يلحق بهيكل السفينة".

لم يبذ هاري مقتنعاً، ثم تابع القبطان: "لا تقلق، لسنا بعيدين جداً عن القسم الخلفي من السفينة".

تساءل هاري عن مقدار المسافة التي ليست بعيدة حيث كان مستعداً أن يلقي المزهرية بكامل الرضا من على جانب السفينة مباشرة، ولكنه لم يقل شيئاً،

وهما يقتربان إنشاً تلو إنش من مؤخرة السفينة.

قال جايلز، وهو يقرأ أفكار صهره: "أعلم تماماً ما تُفكّر فيه".

لقد تابعا مشيهما البطيء الذي يشبه مشي الحلزونة وهما يعبران المسبح، وملعب كرة المضرب، وكراسي الشمس المصفوفة بترتيب لاستقبال الضيوف لاحقاً في ذلك النهار، وقد حاول هاري ألا يفكّر في الوقت المتبقي قبل...

قال الرقيب روبرتس من دون أن يكون لذلك أي فائدة، وهو ينظر إلى ساعته: "دقيقتان".

استطاع هاري أن يرى بطرف عينه السور في مؤخرة السفينة، فأدرك أنه كان على بعد خطوات قليلة، ولكن الوصول إليه كان كتسلّق قمة أفرست، إذ تيقّن من أن الخطوات الأخيرة ستكون الأبطأ.

قال روبرتس عندما توقفوا عند السياج الذي يصل ارتفاعه إلى الخصر: "خمسون ثانية".

قال جايلز: "هل تتذكّر عندما ألقينا فيشر في النهر في نهاية الفصل؟".

"وهل أستطيع أن أنسى؟".

قال جايلز: "إذاً، بعد العدّ حتى ثلاثة نلقيها في المحيط، لنتخلّص من هذه اللعينة إلى الأبد".

"واحد...". أرجع الرجلان أذرعهما إلى الوراء، ولكنهما لم يستطيعا إبعاد المزهرية سوى إنشات قليلة: "اثنان...". ربما تمكّنا من إبعادها أكثر: "ثلاثة...". أبعداها بقدر ما استطاعا، ثم ألقياها في الهواء، وفوق السياج الخلفي بكل الطاقة التي كانت قد تبقت في جسديهما، فتوقّع هاري أنها ستحط على متن السفينة أو ترتطم بالسياج في أحسن الأحوال، ولكنها تجاوزته ببضعة إنشات، وسقطت

في المحيط وقد تناثر رذاذ خفيف، فرفع جايلز يديه منتصراً، وصرخ: "الحمد لله!"، وانفجرت القنبلة بعد ذلك بلحظات، فدفعت بهما نحو مقدمة السفينة.

مكتبة ياسين

2

كان كيفن رافيرتي قد وضع إشارة "للإيجار" عندما رأى مارتينيز يعدو خارج منزله في إيتون سكوير، ولا يمكن أن تكون أوامره أوضح من ذلك: إذا أقدم العميل على الهرب، فإن عليه أن يعتبر أن لا نية لديه على دفع القسط الثاني المستحق لعملية تفجير باكينغهام، وعليه أن يعاقب وفقاً لذلك.

تمّ وضع المخطط الأول بواسطة قائد المنطقة العسكرية للجيش الإيرلندي الجمهوري في بيلفاست، وكان التعديل الوحيد الذي وافق عليه القائد هو السماح لكيفن بأن يختار من سيقتل من ابني دون بيدرو مارتينيز. ولكن بعد أن هرّب كلا من دييغو، ولويس إلى الأرجنتين من دون التفكير بالعودة إلى إنكلترا، فإن دون بيدرو بذاته كان المرشح الوحيد لنسخة السائق الحصرية من لعبة الروليت الروسية.

قال مارتينيز عندما ركب التاكسي: "إلى هيثرو"، فقاد رافيرتي خارج إيتون سكوير، واتجه إلى شارع سولين في طريقه إلى جسر باتريشيا متجاهلاً الاحتجاجات المزعجة التي كانت تتردّد وراءه. وفي الساعة الرابعة صباحاً، ومع استمرار هطول المطر، كان قد مرّ بعشرات السيارات قبل أن يعبر الجسر.

توقّف بعد دقائق قليلة عند مستودع مهجور في لامبيث، حالما تأكّد من عدم وجود أحد في الجوار، وترجّل من التاكسي. وأسرع في فتح القفل الصدئ للباب الخارجي للمبنى، وقاد السيارة إلى الداخل، وركنها بشكل يسهل له الفرار عندما ينهي عمله.

أغلق رافيرتي الباب، وأنار مصباحاً أعزل مغطى بالغبار يتدلّى من عارضة في وسط الغرفة، وأخرج مسدساً من جيبه الداخلي قبل أن يعود إلى

مكتبة ياسين

التاكسي، وعلى الرغم من أن عمره يعادل نصف عمر مارتينيز، وأنه أكثر رشاقة منه بكثير، إلا أنه لم يرد أن يواجه أية مخاطرة.

حين يشعر الرجل بأنه سيموت، يبدأ ضخ الأدرينالين في جسمه، ما يمكّنه من التحوّل إلى إنسان خارق في محاولة أخيرة من أجل النجاة.

وعلاوة على ذلك فقد توقّع رافيرتي أن هذه ليست المرة الأولى التي يواجه فيها مارتينيز الموت، ولكن موته هذه المرة لم يعد مجرد احتمال.

فتح باب المقعد الخلفي للسيارة، وصوّب المسدس نحو مارتينيز مشيراً إليه أن يترجّل، فألح مارتينيز، وهو يشير إلى الحقيبة قائلاً: "هذا هو المال الذي كنت سأجلبه لك".

إذا كان هذا هو المبلغ المرجوّ، فرافيرتي يعلم أنه لا يملك خياراً سوى العفو عنه، وقال: "كنت تتأمّل لقائي في هيثرو أليس كذلك؟ أهو مئتان وخمسون ألف جنيه؟".

"لا، ولكن هناك أكثر من اثنين وعشرين ألفاً، دفعة أولية فقط كما تعلم، والباقي في المنزل لذلك إذا عدنا..."، كان السائق يعلم أن منزله في إيتون سكوير بالإضافة إلى ممتلكاته الأخرى قد استحوذ عليها البنك.

أمل مارتينيز فعلاً أن يصل إلى المطار قبل أن يكتشف الجيش الجمهوري الإيرلندي بأن لا نية لديه في إتمام ما يتوجب عليه من الصفقة.

أمسك رافيرتي بالحقيبة، وألقاها على المقعد الخلفي للتاكسي، وكان قد عزم على تأخير قتل مارتينيز أكثر مما هو متفق عليه، فلم يكن لديه أي شيء ليقوم به خلال الساعة التالية.

صوَب المسدس باتجاه كرسي خشبي وُضع أسفل المصباح مباشرة، وكان ملطخاً بدماء جافة بسبب عمليات قتل سابقة، ودفع الضحية إليه بقوة لا بأس بها. وقبل أن يتسنى لدون بيدرو القيام بأي رد فعل ربط رافيرتي يديه خلف ظهره وهو الذي سبق له أن قام بهذا العمل عدة مرات في السابق، وأخيراً ربط ساقي مارتينيز، ووقف يتأمل تحفته.

كل ما تبقى لرافيرتي أن يقرَر المدة المسموح للضحية بأن تعيشها، وكان العائق الوحيد أن عليه التواجد في هيثرو في الوقت المناسب ليلحق بطائرة الصباح إلى بيلفاست.

تفحَص ساعته، فهو لطالما استمتع برؤية تلك النظرة في عيون ضحاياه عندما كانوا يعتقدون أن لديهم فرصة في النجاة.

لقد عاد إلى التاكسي، وفتح حقيبة مارتينيز، وعدَ رزم الخمسة جنيهات الورقية الهشة، فقد صدق مارتينيز في قول الحقيقة على الأقل، على الرغم من أنه لا يزال مديناً له بستة وعشرين ألف جنيه.

أغلق الحقيبة مجدداً، ووضعها في صندوق السيارة إذ لم يعد بمقدور مارتينيز أن يستفيد منها بعد الآن.

كانت أوامر القائد واضحة، وهي أن عليه ما إن ينجز العمل أن يترك الجثة في المستودع ليتخلَص منها شخص آخر، كما كان الشيء الوحيد المطلوب من رافيرتي هو إجراء اتصال هاتفي، وإيصال الرسالة التالية: "الطرد جاهز للاستلام"، وبعد ذلك كان عليه التوجه إلى المطار، وترك التاكسي والمال في أعلى طابق من مرأب السيارات، حيث سيتولَى شخص آخر جلبها، وتوزيع الأموال.

عاد إلى دون بيدرو الذي لم يزحزح عينيه عن

رافيرتي، فإذا كان القرار متروكاً للسائق فإنه كان ليطلق النار عليه في معدته، ثم ينتظر عدة دقائق إلى أن يتلاشى صوت الصراخ، وبعدها يُطلق رصاصة ثانية في حوضه، ثم يدخل فوهة المسدس في فم الضحية، ويحدّق إلى عينيه لثوان قبل أن يضغط على الزناد فجأة، ولكن كانت هذه الطريقة ستتطلّب ثلاث طلقات، ولربما ستمرّ الأولى بسلام، ولكن الطلقتين الأخريين ستلفتان الانتباه من دون شك في منتصف الليل، لذلك كان سيتقيّد بأوامر قائده التي نصّت على استخدامه رصاصة واحدة من دون صراخ.

ابتسم السائق لدون بيدرو الذي نظر إليه متأملاً إلى أن رأى المسدس يتوجّه نحو فمه.

قال رافيرتي، وكأنه طبيب أسنان لطيف يهدّئ من روع طفل ممتعض: "افتح فمك".

كان هناك عامل مشترك بين كل ضحاياه، وهو اصطكاك أسنانهم.

قاومه مارتينيز، فانكسرت إحدى أسنانه الأمامية في أثناء هذا النزاع غير المتكافئ، فبدأ يتصبّب عرقاً، وينساب على ثنايا جلد وجهه، فكان على رافيرتي الانتظار لثوانٍ قبل أن يضغط على الزناد، ولكنه لم يسمع سوى صوت مطرقة المسدس.

كان بعضهم يغمى عليهم، وآخرون يذهلون، ويتقيأ البقية بشدة عندما يلاحظون أنهم لا يزالون على قيد الحياة، وقد كره رافيرتي الذين يُغمى عليهم حيث توجّب عليه حينها الانتظار إلى أن يستعيدوا وعيهم تماماً قبل أن يعيد العملية برمتها مجدداً، ولكن مارتينيز المطواع ظل صاحياً.

كثيراً ما ابتسم الضحايا عندما أخرج رافيرتي المسدس من فمهم لظنهم أن القسم الأسوأ قد مر

مكتبة ياسين

بالفعل، ولكن كانت تلك فكرته عن المداعبة الفموية، وعندما أدار رافيرتي الأسطوانة مجدداً تيقّن دون بيدرو من أنه كان سيموت، وأن المسألة مسألة وقت فحسب إذ إن المكان والطريقة قد تحدّدا بالفعل.

يخيب أمل رافيرتي في كل مرة ينجح فيها في الإصابة من الطلقة الأولى، وقد كان رقمه القياسي هو تسعة، ولكن معدله الوسطي كان أربعة أو خمسة، وهذا لم يعن أنه كان يأبه بالإحصائيات، لقد أدخل فوهة المسدس مجدداً في فم مارتينيز، وتراجع خطوة عنه لأنه لم يرد أن يتلوّث برذاذ الدم، فكان الأرجنتيني مغفلاً إلى درجة أنه حاول مجدداً المقاومة، وبالنتيجة خسر سناً أخرى، وكانت سناً ذهبية، فاحتفظ رافيرتي بها في جيبه، وشدّ على الزناد مرة أخرى، ولكنه لم يتلقّ شيئاً سوى صوت ضغط آخر للمطرقة، فانتزع الفوهة على أمل أن يزيل سناً أخرى، أو في الحقيقة نصف سن.

قال رافيرتي وهو يدخل الماسورة مجدداً في فم مارتينيز، ويضغط على الزناد: "الثالثة ثابتة".

بدأ صبر السائق ينفد، وأمل في أن ينهي عمله الصباحي عند المحاولة الرابعة، فدوّر الأسطوانة بعزم أكبر هذه المرة، ولكن عندما نظر إلى مارتينيز وجده مُغمى عليه، يا له من حظ عاثر!

فهو يُفضّل أن يكون ضحاياه متيقظين عندما تخترق الرصاصة دماغ كل واحد منهم، على الرغم من كونهم قد عاشوا لثانية إضافية فحسب، فكانت هذه التجربة طقساً يستمتع به، فأمسك بشعر مارتينيز، وفتح فمه عنوة، وأقحم فوهة المسدس فيه مرة أخرى.

كان على وشك أن يضغط على الزناد للمرة الرابعة عندما بدأ الهاتف الموجود في زاوية الغرفة بالرنين،

وقد فوجئ رافيرتي بصدى داخل المستودع وسط هواء الليل البارد، فلم يكن يعلم أن ذلك الهاتف كان يستقبل المكالمات، فهو قد سبق له أن استعمله وطلب رقماً هاتفياً، ليبلّغ رسالة مكونة من أربع كلمات.

سحب المسدس من فم مارتينيز على مضض، وائجه نحو الهاتف، وأمسك بالسماعة، وأنصت فقط من دون أن يتكلم.

أصدر الصوت الذي تحدّث بفوقية توجيهاته باختصار: "باءت المهمة بالفشل، وليس عليك أن تجمع القسط الثاني من المبلغ".

سمع صوت نقرة، ثم صوت طنين الهاتف.

أغلق رافيرتي السماعة، فربما كان سيدير الأسطوانة مرة أخرى، وإذا نجح في ذلك، يبلغ أن مارتينيز كان قد مات بحلول الوقت الذي رنّ فيه الهاتف.

لم يسبق له أن كذب على القائد سوى مرة واحدة، وقد خسر إصبعاً من يده اليسرى نتيجة ذلك، وكان قد أخبر كل من سأله عنه، بأن ضابطاً بريطانياً قد قطعها خلال أحد الاستجوابات، ولكن لم يصدّق ذلك إلا القليل من الأشخاص.

أعاد المسدس إلى جيبه على مضض، ومشى باتجاه مارتينيز ببطء، فكان الأخير متهاوياً على الكرسي، ورأسه بين قدميه، فانحنى رافيرتي، وفك الرباط حول معصميه، وكاحليه، فسقط مارتينيز على الأرض، وجسده مشلول تماماً.

أمسكه السائق بشعره، وحمله فوق كتفه، وكأنه كيس بطاطا، ثم ألقاه على المقعد الخلفي للتاكسي، وتأمل للحظة أن يحاول مقاومته... ولكن لا أمل في ذلك.

لقد غادر المستودع، وأقفل الباب، واتّجه نحو هيثرو لينضمّ إلى مجموعة سائقي التاكسي في ذلك الصباح.

كانا على بعد بضعة أميال من المطار عندما عاد مارتينيز إلى هذا العالم، وليس الآخر، فراقب السائق من خلال مرآة الرؤية الخلفية راكبه وهو يستعيد وعيه.

طرفت عينا مارتينيز عدة مرات، قبل أن يحدّق خارج النافذة إلى صفوف البيوت المتوالية، وعندما بدأ باستيعاب الأمر انحنى وتقيأ على المقعد الخلفي، ولن يسرّ زميل رافيرتي بهذا الخبر.

أخيراً تمكّن دون بيدرو من الجلوس باستقامة بعد إجبار جسده المخدر على ذلك، وأسند نفسه إلى المقعد بيديه الاثنتين، وحدّق إلى الذي يفترض به أن يكون قاتله.

لماذا غيّر رأيه؟ أم أنه لم يغيّره.

ربما الذي تغيّر هو المكان، فتقدّم دون بيدرو إلى الأمام محاولاً أن يمهّد طريقه آملاً في أن يحظى بفرصة للهروب، ولكنه أدرك لسوء الحظ أن عينيّ رافيرتي المترقبتين كانتا تتفحّصان مرآة الرؤية الخلفية كل بضع ثوانٍ.

غادر رافيرتي الطريق العام، وتبع الإشارات التي تقود إلى مرأب سيارات، وقاد إلى الطابق العلوي، وركن السيارة في أبعد زاوية، ثم ترجّل منها، وفتح صندوقها، وفكّ حزام الحقيبة، فسُرّ مجدداً بمنظر رزم الخمسة جنيهات الورقية المرتبة، وكان هناك في تلك الأثناء عدد كبير من الحراس يراقبون كل رحلة طيران إلى بيلفاست.

أخرج جواز سفر أرجنتينياً من الحقيبة، بالإضافة

إلى تذكرة ذهاب من دون عودة في الدرجة الأولى إلى بوينس آيرس، وعشرة جنيهات نقداً، ثم ألقى بمسدسه في الحقيبة، فهو لا يريد أن يثير انتباه أحد إلى المسدس الذي يحمله، وأقفل صندوق السيارة، وفتح باب السائق، ووضع المفاتيح، وتذكرة ركن السيارة تحت المقعد ليقوم زميله بتولّي هذا الأمر لاحقاً ذلك الصباح.

ثم فتح الباب الخلفي، وتنحّى جانباً ليسمح لمارتينيز بأن يترجّل من السيارة، ولكنه لم يتحرّك، هل كان سيلوذ بالفرار؟ في النهاية لم يكن ليفعل ذلك إذا كان يقدّر قيمة حياته، فهو لا يعلم أن السائق قد تخلّص من مسدسه.

أمسك رافيرتي بمارتينيز من مرفقه بإحكام، وأخرجه من السيارة، ثم رافقه إلى أقرب مخرج.

مرّا برجلين كانا يشقّان طريقهما إلى الطابق الأرضي، فلم يعرهما رافيرتي أي انتباه، كما لم يتكلم الرجلان معهما، وتابعا طريقهما إلى مبنى المطار، وعندما وصلا إلى البهو الرئيسي أعطى رافيرتي مارتينيز جواز سفره، وتذكرته وعشرة جنيهات.

زمجر مارتينيز حين قال: "والباقي؟ يبدو أن زملاءك فشلوا في إغراق سفينة باكينغهام".

قال رافيرتي: "اعتبر نفسك محظوظاً لأنك لا تزال حياً"، ثم ابتعد مسرعاً، واختفى وسط الحشد.

فكّر دون بيدرو لوهلة في أن يعود إلى التاكسي، ويسترجع ماله، ولكن كان ذلك لوهلة فقط، وعوضاً عن ذلك اتجه نحو مكتب الخطوط الجوية البريطانية-الأميركية الجنوبية، وسلم الموظفة تذكرته.

قالت: "صباح الخير سيد مارتينيز، أتمنى أنك

مكتبة ياسين

حظيت بإقامة مريحة في إنكلترا".

مكتبة ياسمين

3

في وقت لاحق من هذا الصباح، سأل سيبستيان عندما انضمّ إلى عائلته لتناول الفطور في مطعم باكينغهام: "كيف حصلت على هذه الكدمة حول عينك يا أبي؟".

أجاب هاري: "لكمتني أمك عندما تجرّأت على أن أقول لها إنها تشخر".

قالت إيما، وهي تدهن قطعة من الخبز المحمص بالزبدة: "أنا لا أشخر".

سألها هاري: "كيف لك أن تعرفي إن كنت تشخرين أم لا، وأنت نائمة؟".

سأل سيب: "وماذا عنك يا خالي جايلز؟ هل كسرت أمي ذراعك عندما قلت لها إنها تشخر؟".

رددت إيما: "أنا لا أشخر!".

قالت سامانثا بحزم: "عليك ألا تسأل أحداً أسئلة تعلم أنه لا يريد الإجابة عنها يا سيب".

قال جايلز، وهو يبتسم لحبيبة سيب: "تتكلّمين بصفتك ابنة ديبلوماسي".

فردّ سيب عليه قائلاً: "وأنت تتكلّم بصفتك سياسياً لا يريد أن يجيب عن سؤالي، ولكنني مصرّ على أن أكتشف السبب...".

أعلن صوت تبعه طقطقة عبر مكبر الصوت: "صباح الخير، معكم القبطان، ونحن نبحر الآن بسرعة اثنتين وعشرين عقدة في الساعة، ودرجة الحرارة هي تسع وستون فهرنهايت، ولا نترقّب أي تغيير في الجو خلال الأربع وعشرين ساعة المقبلة، وأتمنى لكم يوماً سعيداً، واحرصوا على تجربة كل النشاطات الرائعة التي تقدّمها باكينغهام، وعلى وجه الخصوص نقاط جذب هذه السفينة التي هي

كراسي الشمس والمسبح على السطح العلوي".

ثم صمت طويلاً قبل أن يكمل كلامه قائلاً: "لقد سألني بعض الركاب عن مصدر صوت قوي أيقظهم في منتصف الليل، ويبدو أن الأسطول البريطاني الرئيسي كان يجري تدريبات ليلية في المحيط الأطلسي قرابة الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، وعلى الرغم من أنه كان على بعد مسافة عدة أميال بحرية، فقد بدت أصوات التدريبات وكأنها قريبة جداً في تلك الليلة الصافية، وأنا أعتذر بالنيابة عنهم إلى كل من أيقظه صوت دويّ المدافع، وبما أنني خدمت في الأسطول الملكي سابقاً، فأنا أعلم أن التدريبات الليلية لا بد منها، وأياً يكن الأمر فأنا أؤكّد للركاب أننا لم نتعرّض للخطر أبداً، وشكراً لحسن إصغائكم، وأرجو أن تستمتعوا بيومكم".

لقد بدا الأمر لسيباستيان، وكأن القبطان كان يقرأ نصاً مكتوباً، وعندما نظر إلى أمه التي جلست إلى الطاولة قبالته لم يكن لديه شك في أنها من كتبه، ثم قال: "أتمنى لو أنني عضو في إدارة السفينة".

سألته إيما: "لماذا؟".

قال، وهو ينظر إليها مباشرة: "لأنني بهذه الطريقة يمكنني أن أعرف ما حدث تماماً ليلة البارحة".

بقي الرجال العشرة واقفين ريثما احتلّت إيما مقعدها على رأس الطاولة التي لم تكن الطاولة المعتادة، إذ لم تكن صالة الاحتفالات في سفينة باكينغهام قد صمّمت لعقد اجتماع مجلس إدارة طارئ.

لم تر أياً من زملائها مبتسماً عندما نظرت إلى وجوههم، فقد واجه معظمهم الكثير من الأزمات، ولكنها لم تكن بهذه الخطورة لدرجة أن تجعل شفتي الأدميرال سامرز مطبقتين. فتحت إيما

مكتبة ياسمين

أمامها الإضبارة الزرقاء الجلدية التي كانت هدية من هاري عندما غينت مديرة، واسترجعت الأحداث، فقد كان هاري الذي نبهها إلى المشكلة، وحلها في الحال.

قالت إيما: "لا داعي لأن أطلب منكم أن يبقى كل ما نناقشه اليوم طيّ الكتمان، فأنا لا أبالغ عندما أقول لكم إن مستقبل سفينة باكينغهام، وأمان كل ركابها على المحك".

نظرت إيما إلى الخطة التي وضعها أمين سر الشركة فيليب ويبستر قبل أن يبحروا من أفونماوث بيوم، ولكن هذه الخطة قد أصبحت قديمة بالفعل، ولم يبقَ سوى بند واحد منها، وهو بالتأكيد الموضوع الذي كانت ستتمّ مناقشته في ذلك اليوم.

قالت إيما: "سأبدأ باسترجاع كل ما حدث خلال ساعات الصباح الأولى وذلك بعيداً عن المخطط، وعندها علينا أن نقرّر ما هو الإجراء الذي علينا اتخاذه، فقد أيقظني زوجي قرابة الساعة الثالثة...". بعد ذلك بعشرين دقيقة، تحقّقت إيما من ملاحظاتها، وشعرت بأنها سلّطت الضوء على كل ما حدث في الماضي، ولكنها تقبلت حقيقة تعذر التنبؤ بالمستقبل.

سأل الأدميرال عندما فتحت إيما مجالاً للأسئلة: "هل نجونا من الأمر؟".

قلبت إيما صفحة في إضبارتها، وأجابته: "لقد تقبل معظم الركاب تبرير القبطان من دون تشكيك فيه، ولكن ثلاثة وأربعين راكباً تذمّروا حتى الآن، وجميعهم قبلوا بالقيام برحلة مجانية على متن سفينة باكينغهام في المستقبل تعويضاً لهم عما واجهوه باستثناء واحد".

قال بوب بينغهام، وفظاظته الريفية دائماً تخالف السلوك الهادئ الذي يبديه الأعضاء الأكبر سناً في المجلس: "تأكدي من ازدياد عدد الركاب المتذمّرين".

سألته إيما: "ما الذي يجعلك تقول ذلك؟".

"حالما يكتشف الركاب الآخرون أن كل ما عليهم فعله هو كتابة رسالة شكوى للحصول على رحلة مجانية، فإن معظمهم سيتوجّهون مباشرة إلى غرفهم، ويشرعون في كتابتها".

اقترح الأدميرال قائلاً: "ربما لا يفكّر الجميع مثلك".

قال بينغهام من دون تردد: "لذلك أنا موجود هنا".

قال جيم نولز: "قلت لنا أيتها المديرة إن الجميع باستثناء واحد كانوا راضين بالرحلة المجانية".

قالت إيما: "أجل، فمع الأسف هناك راكب أميركي يهدّد بمقاضاة الشركة، وقد قال إنه كان على سطح السفينة عند الفجر، ولم يكن هناك أي أثر للأسطول الرئيسي، ومع ذلك فقط انتهى به الأمر إلى كاحل مكسور".

وفجأة تكلّم كل أعضاء المجلس في آن واحد.

انتظرت إيما إلى أن يهدأوا، وقالت: "لدي اجتماع مع السيد..." تفحّصت ملفها، ثم قالت: "السيد هايدن رانكن عند الساعة الثانية عشرة".

سأل بينغهام: "ما عدد الركاب الأميركيين الآخرين؟".

"حوالي مئة راكب، لماذا تسأل يا بوب؟".

"لنأمل ألا يكون الكثير منهم من المحامين الذين يلقون اتهامات الإضرار البحري المتعمد، وإلا سوف نواجه طوال حياتنا العديد من الدعاوى القضائية".

تعالت قهقهات مضطربة في الغرفة، ثم تابع كلامه

قائلاً: "أكذي لي فقط يا إيما أن السيد رانكن ليس محامياً".

"إنه أسوأ من ذلك، إنه سياسي، ويمثل ولاية لويزيانا".

قال عضو في المجلس اسمه دوبز، ونادراً ما كان يقدم رأيه: "دودة محظوظة وجدت نفسها في وعاء تفاح ناضج".

قال كلايف أنسكوت من الجهة الأخرى للطاولة: "أنا لا أفهمك يا صاح".

"سياسي محلي يظنّ أنه وجد فرصة ليصنع اسماً لنفسه على المستوى الوطني".

قال نولز: "هذا كل ما نحتاج إليه".

ظل المجلس صامتاً لفترة إلى أن قال بوب بينغهام بصراحة: "علينا أن نسكته، ولكن يبقى السؤال من سيضغط على الزناد".

قال جايلز: "عليّ أن أضغط عليه، فأنا الدودة الأخرى الوحيدة في هذا الوعاء، وسأحاول أن ألتقي به قبل اجتماعه بك أيتها المديرة، وأرى إن كنت أستطيع تسوية الأمر. ولنأمل أن يكون ديمقراطياً"، عندها احمرّ دوبز خجلاً.

قالت إيما التي لم تكن قد اعتادت بعد أن يناديها شقيقها بالمديرة: "شكراً لك يا جايلز".

سأل بيتر مايناردِ الذي لم يكن قد تكلم بعد: "ما الأضرار التي تعرّضت لها السفينة خلال الانفجار؟".

قال القبطان، وهو ينهض عن مقعده: "ليس بالقدر الذي كنت متخوفاً منه، فقد تضرّرت إحدى المراوح الرئيسة الأربع خلال الانفجار، ولن أستطيع تبديلها حتى نرجع إلى أفونماوث. كما تضرّر هيكل السفينة أيضاً، ولكن بشكل سطحي جداً".

مكتبة ياسين

قال مايكل كاريك: "هل سيبطئ ذلك الضرر من تحزكنا؟".

"ليس بالقدر الذي يسمح للجميع بملاحظة أننا نسير بسرعة اثنتين وعشرين عقدة بدلاً من أربع وعشرين عقدة حيث إن المراوح الثلاث المتبقية تعمل بشكل جيد، وكما كنت قد خطّطت في البداية للوصول إلى نيويورك في الساعات الأولى من اليوم الرابع فإن الركاب الدقيقي الملاحظة فقط سيدركون أننا سنكون متأخرين عن الجدول ساعات قليلة".

قال نولز من دون تردّد: "أراهن على أن الممثل رانكن سيلاحظ ذلك".

"وكيف تمكّنت من شرح الأضرار للطاقم؟".

"لم أشرح لهم شيئاً، فلا يُدفع لهم كي يستفسروا عن أي شيء".

سأل دوبز: "ولكن ماذا عن رحلة العودة إلى أفونماوث؟ هل نأمل في أن نصل إلى هناك في الوقت المحدد؟".

"سيعمل مهندسونا مباشرة وبكدّ على مؤخرة السفينة المتضررة خلال الست وثلاثين ساعة التي سنرسو فيها في نيويورك، وبحلول الوقت الذي سنبحر فيه ستكون السفينة على أحسن وجه وسترجع كسفن بريستول تماماً".

قال الأدميرال: "عرض مغرٍ".

قال أنسكوت: "ولكن هذه أقل مشاكلنا أهمية، فلا تنسوا أن لدينا خلية من عناصر الجيش الجمهوري الإيرلندي على متن السفينة، والله وحده يعلم ما الذي خطّطوا له لبقية الرحلة".

قال القبطان: "لقد اعتقلنا ثلاثة منهم بالفعل،

مكتبة ياسين

وقيدناهم، وسنسلّمهم للسلطات ما إن نصل إلى نيويورك".

سأل الأدميرال: "ألا يمكن أن يكون هناك المزيد من أفراد الجيش الجمهوري الإيرلندي؟".

"وفقاً للكولونيل سكوت هوبكنز فإن خلية الجيش الجمهوري الإيرلندي تتكوّن من أربعة إلى خمسة أفراد، لذلك يمكن أن يكون هناك رجال آخرون طليقون، ولكنهم سيتخفّون جيداً على الأرجح بعد أن اعتقلنا ثلاثة منهم، فمن الواضح أن مهمتهم فشلت، وهذا شيء لا يودّون تذكير أحد به في بيلفاست. ويمكنني أن أجزم أن الرجل الذي سلّم الزهور للمديرة لم يكن موجوداً على متن السفينة، فلا بد من أنه ترجّل منها قبل أن نبحر، وأعتقد أنه في حال وجود آخرين فإنهم لن ينضمّوا إلينا خلال رحلة العودة".

قال جايلز بصفته عضواً في بريستول دوكلاندز والمسؤول السياسي المخضرم بعد أن أثار انتباه مجلس المملكة المتحدة: "أستطيع أن أفكّر في خطورة الجيش الجمهوري الإيرلندي".

سألت إيما وهي تنظر إلى أخيها: "ما الذي يشغل تفكيرك؟".

"السلطة الرابعة، لا تنسي أنك قد دعوت الصحفيين لينضمّوا إلينا في هذه الرحلة على أمل أن نحصل على تغطية جيدة، والآن أصبح لديهم أخبار حصرية".

"صحيح ذلك، ولكن لا أحد خارج هذه الغرفة يعلم ما الذي حدث تماماً ليلة البارحة، وأياً يكن الأمر فلم يقبل سوى ثلاثة صحفيين دعوتنا: من صحيفة *التليغراف*، و*الميل*، و*الإكسبرس*".

قال نولز: "ثلاثة صحفيين عدد كبير".

مكتبة ياسمين

قالت إيما: "إن الرجل من *الإكسبرس* هو مراسل السفر، ومن النادر أن يصحو وقت الغداء، لذلك حرصت دائماً على تواجد زجاجتين من جوني ووكر وجوردان في مقصورته، وقد رعت صحيفة الميل اثنتي عشرة جولة على هذه الرحلة، ولذلك من غير المرجّح أنه يهتمّ بانتقادها، لكن ديريك هارت صاحب *التليغراف* بدأ سلفاً بالتقصّي، وتوجيه الأسئلة".

قال جايلز: "إنه بارد وبلا قلب كما هو معروف عنه في الوسط الصحفي، وسوف أخبره بقصة أهمّ لأشغله بها".

"ما القصة الأهم من احتمال إغراق الجيش الجمهوري الإيرلندي سفينة باكينغهام في رحلتها الأولى؟".

"غرق بريطانيا بواسطة حكومة العمال، إننا على وشك إعلان استخدام قرض قيمته 1. 5 مليار جنيه من صندوق النقد الدولي للقيام برفع قيمة الجنيه الإسترليني، ومحرّر *التليغراف* سيملأ بسعادة صفحات عديدة حول هذه الأخبار".

قال نولز: "حتى لو فعل ذلك، ففي ظلّ هذه الخطورة الكبيرة يا سيدتي أظنّ أن علينا تجهيز أنفسنا لأسوأ نتيجة محتملة، وفي النهاية إذا قرّر السياسي الأميركي الظهور أمام العامة، أو إذا علم السيد هارت صاحب *التليغراف* بالحقيقة، أو إذا كان للجيش الإيرلندي الجمهوري خطط أخرى- لا سمح الله- فمن الممكن أن تكون هذه أول وآخر رحلة لباكينغهام".

خيّم صمت طويل آخر قبل أن يقول دوبز: "حسناً، لقد وعدنا مسافرينا بأنها ستكون عطلة لن ينسوها".

لم يضحك أحد!

مكتبة ياسين

قالت إيما: "السيد نولز مُحق، إذا حدث أي من تلك النتائج فحتى الرحلات المجانية وزجاجات الشراب لن تنقذنا، وستهبط أسعار أسهمنا بين ليلة وضحاها، وستنقطع احتياطات الشركة، وستنعدم الحجوزات إذا ظنَّ المسافرون الجدد أن هناك احتمالاً وإن كان ضئيلاً بوجود أحد أعضاء الجيش الجمهوري الإيرلندي وفي حوزته قنبلة في الغرفة المجاورة. إن سلامة مسافرينا هي أولويتنا، وإذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار، فإنني أقترح أن تقضوا بقية النهار بالبحث عن أي معلومة تستطيعون الحصول عليها، وفي الوقت ذاته تؤكّدون للمسافرين أن كل شيء على ما يرام، وسأكون في غرفتي، وإذا توصّلتم إلى أي شيء فأنتم تعرفون أين تجدونني".

قال جايلز بحزم: "إنها ليست فكرة صائبة"، نظرت إليه إيما بتعجب، ثم أكمل كلامه قائلاً: "على المديرة أن تتواجد على ظهر السفينة، وهي تتشمّس وتستمتع بوقتها، فهذا سيقنع المسافرين بأنه ما من شيء يستدعي القلق".

قال الأدميرال: "تفكير عملي".

أومأت إيما إليه برأسها، وكانت على وشك الوقوف مشيرة إلى انتهاء الاجتماع، إلا أن فيليب ويبستر أمين سر الشركة تمتم سائلاً: "هل من شيء آخر؟".

قالت إيما بعد أن وقفت: "لا أظنّ ذلك".

قال جايلز: "ثمة أمر واحد آخر سيدتي المديرة".

عاودت إيما الجلوس، ثم تابع جايلز: "أنا الآن عضو في الحكومة، وليس أمامي خيار آخر إلا أن أستقيل من عملي بصفتي مديراً للشركة بما أنه لا يسمح لي بالحصول على مدخول آخر في الوقت الذي أخدم فيه جلالتها، وأعلم بأن الأمر يبدو أنانياً بعض الشيء، ولكن هذا ما يوقّع عليه كل عضو جديد،

مكتبة ياسمين

وأياً يكن الأمر فإنني انضممت إلى المجلس لأضمن فقط ألا يصبح الرائد فيشر مديراً".

قال الأدميرال: "أشكر الله أنه لم يعد موجوداً على متن السفينة".

"لكان العالم بأسره يعلم بما حدث الآن".

اقترح جايلز قائلاً: "وربما لهذا السبب لم يكن على متن السفينة".

"إذا كان ذلك هو السبب فسيبقى متكتماً على الأمر إلا إذا كان يريد أن يُعتقل بتهمة مساعدته الإرهابيين".

ارتعدت إيما، فهي غير راغبة في تصديق أن فيشر يمكن أن ينحطّ إلى هذه الدرجة، ولكن بفضل تجارب جايلز في المدرسة، وفي الجيش لم تكن لتستغرب بأنه حالما بدأ فيشر العمل لدى السيدة فيرجينيا لم يجتمعا معاً لدعم قضيتها. استدارت إلى الخلف ناظرة إلى أخيها ثم قالت وهي تجول بعينها على الجالسين إلى الطاولة: "أريد أن أشكر جايلز على عمله مديراً للشركة في وقت عصيب كهذا، وعلى كل حال فإن استقالته ستؤدّي إلى ترك منصبين شاغرين على السفينة حيث إن أختي الدكتورة غريس بارينغتون قد استقالت أيضاً، فهل لكم أن ترشحوا شخصاً مناسباً للحلول مكانهما؟".

قال الأدميرال: "إذا سمح لي بأن أقدّم اقتراحاً"، نظر الجميع إلى البحار المخضرم، ثم تابع الأدميرال قائلاً: "إن بارينغتون شركة من غرب إنكلترا ذات علاقات محلية ثابتة جيدة، ومديرتنا هي من آل بارينغتون، وربما حان الوقت للتركيز على الجيل الثاني، ودعوة سيباستيان كليفتون للانضمام إلى مجلس السفينة متيحين فرصة الاستمرار بأسلوب العائلة التقليدي".

اعترضت إيما قائلة: "لكنه لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره".

قال الأدميرال: "ليس أصغر بكثير من سنّ ملكتنا المحبوبة عندما اعتلت العرش".

تدخّل بوب بينغهام محدّقاً إلى إيما: "إن ذلك العجوز اللئيم سيدريك هاردكاسل اعتبر سيباستيان ملائماً لأن يكون مساعده الشخصي في بنك فارذنغز، وقد علمت بأنه ترقّى مؤخراً، وقد احتلّ منصب الرجل الثاني في قسم عقارات البنك".

قال جايلز: "وأنا أستطيع القول بثقة إنني عندما التحقت بالحكومة لم أتردّد في تسليم سيباستيان مسؤولية حصيلة أسهم شركة العائلة".

قال الأدميرال: "إذاً كل ما بقي عليّ فعله هو أن أعرض على سيباستيان الانضمام إلى طاقم سفينة بارينغتون".

قال بينغهام: "وسأكون سعيداً بأن أصدّق على ذلك".

قالت إيما: "أعترف بأنني محرجة".

قال جايلز محاولاً تلطيف الأجواء: "ستكون سابقة".

سأل ويبستر: "هل أدعو إلى التصويت سيدتي المديرة".

أومأت إيما إليه موافقة، وأسندت ظهرها إلى كرسيها.

تابع أمين سر الشركة كلامه: "اقترح الأدميرال سامرز، وأكّد السيد بينغهام أن السيد سيباستيان كليفتون مدعو إلى الانضمام إلى فريق بارينغتون"، وصمت أمين السر للحظة قبل أن يسأل: "من يوافق؟".

مكتبة ياسين

كل الأيادي ارتفعت ما عدا يد إيما، ويد جايلز.

"من يعترض؟".

لم ترتفع أي يد، فتبع ذلك جولة من التصفيق التي جعلت إيما تشعر بفخر كبير.

"أعلن بدوري أن السيد سيباستيان كليفتون قد غُيّن عضواً في فريق بارينغتون"، وبعد أن أعلن أمين سر الشركة انتهاء الاجتماع همست إلى أخيها: "دعنا ندغ الله أن يكون هناك سفينة لينضمّ إليها سيباستيان".

***

"كنت أعتبر دائماً أنه كان هناك مع لينكولن، وجيفرسون".

نظر رجل متوسط العمر إلى الأعلى من دون أن يطبق كتابه. كان يرتدي قميصاً ذا ياقة مفتوحة وسترة رياضية، وقد صفف الخصل القليلة المتبقية من شعره الناعم بعناية محاولاً إخفاء صلعه المبكر، وكان عكّازه مركوناً إلى كرسيه.

قال جايلز: "أعتذر، فلم أقصد مقاطعتك".

قال الرجل بلهجة جنوبية واضحة ومن دون أن يطبق كتابه أيضاً: "لا بأس، في الحقيقة إنني أشعر بالحرج دائماً لمعرفتنا القليلة بتاريخ بلدك، بينما تبدو أنت متمكّناً تماماً من تاريخ بلدنا".

قال جايلز: "هذا لأننا لم نعد نحكم نصف العالم، ويبدو عليك أنك على وشك تحقيق ذلك"، ثم أضاف وهو ينظر إلى كتاب الرجل: "عذراً منك، ولكنني أتعجّب كيف يمكن لرجل على كرسي ذي عجلات أن يُنتخب رئيساً في النصف الثاني من القرن العشرين".

قال الرجل الأميركي متنهداً: "أشك في ذلك، فقد

مكتبة ياسمين

هزم كينيدي نيكسون خلال مناظرة تلفزيونية، ولو استمعت إليها عبر الراديو لكنت عرفت بأن نيكسون قد فاز".

"لن يراك أحد عبر الراديو، وأنت تتصبّب عرقاً".

رفع الأميركي حاجبيه، وقال: "كيف أصبحت عارفاً تماماً بالسياسة الأميركية؟".

"إنني عضو في البرلمان، وأنت؟".

"أنا ممثل ولاية من باتون روج".

"أفترض أنك تطمح إلى واشنطن بما أن عمرك لا يمكن أن يتعدّى الأربعين؟".

ابتسم رانكن، ولكنه لم يفصح عن شيء، بل قال: "حان دوري لأسألك الآن، ما اسم زوجتي؟".

كان جايلز يُدرك تماماً عندما يُهزم، وقال: "روزماري".

"بعد أن اتفقنا الآن على أن هذا الاجتماع ليس صدفة يا سيد جايلز، أخبرني إذاً كيف يمكنني أن أساعدك؟".

"عليّ التحدث إليك عن حادثة البارحة".

"لست متفاجئاً بذلك، فليس لديّ شك في أنك من أعضاء مجلس الإدارة الذين يعرفون حقاً ما الذي جرى فجر اليوم".

تفحّص جايلز محيطه، واطمأن إلى عدم وجود أحد يتنصّت عليهما، ثم قال: "كانت السفينة هدفاً لاعتداء إرهابي، ولكننا تمكّنا لحسن الحظ من...".

لوّح الأميركي بيده رافضاً أن يسمع بقية الكلام، وقال: "لا أحتاج إلى معرفة التفاصيل، أخبرني فقط كيف يمكنني تقديم المساعدة".

"حاول إقناع أبناء بلدك الموجودين على متن السفينة بأن الأسطول الرئيسي كان حقاً المسؤول

مكتبة ياسين

عن الصوت القوي الذي صدر تلك الليلة، وإن استطعت فعل ذلك فأنا أعرف شخصاً سيكون ممتناً لك إلى الأبد".

"هل هي أختك؟".

هزّ جايلز برأسه موافقاً، فهو لم يعد متفاجئاً.

"أدركت أن هناك مشكلة خطيرة عندما رأيتها جالسة في الصباح على سطح السفينة، وتبدو وكأن ليس لديها ما يشغلها في هذا العالم، وهذا ليس من شيم مديرة معتدة بنفسها، والتي أظنّ أنها لا تهتمّ كثيراً بحمام شمسي".

"هذا خطئي، ولكننا نواجه...".

قال رانكن: "كما قلت لك اعفِني من التفاصيل"، ثم تابع وهو يشير إلى صورة على غلاف كتابه: "حيث إنني مثله لا أهتمّ بأخبار المستقبل، فأنا سأظل أعمل في الحقل السياسي لمدى بعيد، لذلك سألبي لك طلبك، ولكن هذا يعني أنك تدين لي بواحدة"، وأضاف قبل أن يستكمل قراءة كتاب *حياة روزفلت*: "وتأكّد من حلول يوم سوف أسترِدّ فيه ديني".

***

قال سيباستيان حين انضمّ وسامانثا إلى أهله لتناول الإفطار: "هل رسونا بالفعل؟".

أجابت إيما: "منذ أكثر من ساعة، ومعظم الركاب غادروا السفينة".

قالت سام وهي تجلس بجانب سيب: "بما أنها زيارتك الأولى إلى نيويورك، وبما أن لدينا ستاً وثلاثين ساعة قبل أن نعود إلى إنكلترا فليس لدينا لحظة لنضيّعها".

سأل سيب: "لماذا ستبقى السفينة راسية في الميناء ست وثلاثين ساعة فقط؟".

مكتبة ياسين

"لا يمكنك الحصول على المال إلا وأنت تبحر، بالإضافة إلى كون رسم الرسوّ باهظاً جداً".

سألت سامانثا: "هل تتذكّر رحلتك الأولى إلى نيويورك يا سيد كليفتون؟".

قال هاري وقد استرجع ذكريات مريرة: "بالطبع أتذكّر، فقد اعتُقلت بتهمة جريمة قتل لم أرتكبها، وقضيت ستة أشهر في السجن الأميركي".

قالت سامانثا، وهي تسترجع القصة التي سبق وأخبرها بها سيب: "يا إلهي! أنا آسفة، كان تصرفاً غير لائق مني أن أذكّرك بتلك الحادثة المروّعة".

"لا عليكِ، واحرصي فقط على ألا يتمّ اعتقال سيب خلال هذه الزيارة حيث لا نرغب في أن يكون ذلك تقليداً عائلياً آخر".

قالت سامانثا: "هذا مستحيل، لقد سبق وأن خطّطت للقيام برحلات إلى الميتروبوليتان، وسنترال بارك، ومطعم ساريديز، ومتحف الفريك".

قالت إيما: "إنه متحف جيسيكا المفضّل".

عقّب سيب: "على الرغم من أنها لم تتمكّن من زيارته".

قالت إيما: "لا يمرّ يوم ولا أشتاق فيه إليها".

قالت سام: "أتمنى فقط لو عرفتها جيداً".

قال سيب: "كنت واثقاً من أنني كنت سأموت قبل أختي الصغيرة"، مرّت فترة طويلة من الصمت قبل أن يسأل سيب بهدف تغيير الموضوع: "إذاً لن نذهب إلى أية ملاهٍ ليلية".

أجابت سامانثا: "لا وقت لذاك النوع من اللهو، ولكن قد أمّن لي والدي بطاقتي دخول إلى المسرح".

سألت إيما: "ما الذي ستشاهدانه؟".

مكتبة ياسين

"مرحباً يا دولي".

قال هاري: "وهذا لا تعدّينه لهوأ؟".

أوضح سيب قائلاً: "تعتبر سلسلة الخاتم لفاغنر عصرية زيادة عن اللزوم، أين خالي جايلز؟".

أجابت إيما عندما كان يصبّ لها النادل فنجان قهوة آخر: "كان من أول من غادروا السفينة، فقد استدعاه سفيرنا إلى الأمم المتحدة لمراجعة خطابه قبل جلسة بعد الظهر".

اقترحت سام قائلة: "لعلنا نخصّص وقتاً للذهاب إلى الأمم المتحدة أيضاً؟".

أجاب سيب: "لا أعتقد ذلك، فآخر مرة حضرت فيها خطاباً لخالي أُصيب قبل إلقائه بقليل بنوبة قلبية، وفشل في أن يصبح رئيس حزب العمال".

"لم تذكر لي ذلك الأمر من قبل!".

قال سيب مؤكّداً: "هناك أمور كثيرة لا تعرفينها عن عائلتي".

قال هاري: "هذا يذكّرني بأن الفرصة لم تتسنّ لي لأهنئك بانضمامك إلى المجلس".

"شكراً يا أبي، لا يسعني الانتظار لأن..." نظر سيب إلى أمه القلقة ثم أكمل كلامه قائلاً: "أقابل زملائي في المجلس، وبالأخص الأدميرال".

قالت إيما: "لمرة واحدة"، على الرغم من أنها ما زالت تتساءل إن كان اجتماع مجلس الإدارة التالي سيكون آخر اجتماع لها، لأنه إذا ظهرت الحقيقة فلن يكون لديها خيار آخر سوى أن تستقيل، ومع ذلك عندما بدأت ذكريات أحداث ذلك الصباح تتلاشى استرخت، وشعرت في تلك الأثناء بأنها أكثر ثقة بنفسها، وبالأخص بعد أن رست سفينة باكينغهام في نيويورك، ونظرت خارج النافذة.

مكتبة ياسمين

وبقدر ما استطاعت أن ترى لم تجد الصحفيين اللحوحين في أسفل سلم السفينة وهم يصرخون، ويتهافتون بينما كانت مصابيح آلات التصوير تومض، فربما كانوا مهتمين بنتيجة الانتخابات الرئاسية أكثر، ولكنها ما كانت لترتاح تماماً إلا عندما تنطلق سفينة باكينغهام في رحلة عودتها إلى أفونماوث.

سأل سيب مقاطعاً أحلام يقظة أمه: "كيف تودّ تمضية يومك إذاً يا والدي؟".

"سألتقي بناشر كتبي هارولد غوينزبورغ في مكتبه، وسأتناول برفقته طعام الغداء، ولا شك في أنني سأكتشف ما الذي يخطّطه لكتابي الجديد، وما رأيه فيه".

قالت سامانثا: "هل هناك أمل في أن أحصل على نسخة في وقت مبكر من أجل أمي؟ إنها من أشد المعجبين بك".

قال هاري: "بالطبع".

مدّ سيب يده وقال: "حسابك تسعة دولارات، وتسعة وتسعون سنتاً" فوضعت سام بيضة مسلوقة فيها قبل أن يسأل سيب مجدداً: "وماذا عنك يا أمي؟ هل لديك خطط لطلاء هيكل السفينة؟".

قال هاري من دون أن يبتسم: "لا تحثّها على فعل ذلك".

"سأكون آخر من ينزل عن متن السفينة، وأول من سيصعد إليها، ولكنني أريد زيارة قريبي ألستير، وأعتذر إليه عن عدم حضوري جنازة عمتي الكبرى فيليس".

ذكّرها هاري قائلاً: "كان سيب في المستشفى وقتها".

مكتبة ياسين

سأل سيب، وهو يطوي منديله: "من أين سنبدأ إذاً؟".

نظرت سام خارج النافذة لتتفحص الطقس، وقالت: "سنستقلّ سيارة أجرة إلى سنترال بارك، ونتنزّه في ممراته قبل أن نزور متحف الميتروبوليتان".

قال سيب وهو ينهض عن كرسيه: "حسناً، من الأفضل أن نتحرّك، طاب يومكما يا والديّ العزيزين".

ابتسمت إيما عندما غادرا غرفة الطعام يداً بيد، وقالت: "يا ليتني علمت أنهما يقيمان مع بعضهما في الغرفة نفسها".

"إيما، إنه النصف الثاني من القرن العشرين، ولنكن واقعيين نحن لا يسعنا...".

قالت إيما: "إنني لا ألقي مواعظ، كل ما في الأمر أنه كان في وسعي أن أستفيد من الغرفة الإضافية".

مكتبة ياسين

4

قال السير ألان ريدماين، وكأن لديه خياراً آخر: "لقد تكرّمت علينا بالزيارة خلال هذه الفترة القصيرة حضرة الكولونيل".

كان قائد القوات الجوية الخاصة قد استلم برقية لحظة مغادرته سفينة باكينغهام في نيويورك، فأوصلته سيارة إلى مطار جون إف كينيدي حيث استقلّ أول طائرة عائدة إلى لندن، وكان ينتظره السائق في سيارة أخرى أسفل درج الطائرة في هيثرو.

كل ما قاله السائق قبل أن ينطلق إلى وايتهول: "لقد ظنّ مدير المكتب أنك قد ترغب في قراءة صحف اليوم".

كان الخبر الرئيسي في صحيفة *التليغراف*: لقد علمتِ في قرارة نفسك أنه كان سيخسر، وقلّب الكولونيل صفحات *التليغراف* بتأنٍ، فلم يرد على صفحاتها أي خبر يشير إلى سفينة *باكينغهام* أو مقال كتبه ديريك هارت، وإلا لكان هذا المقال تصدّر الصفحة الأولى بالتأكيد، على الرغم من انتصار ليندون جونسون الساحق على باري غولدواتر.

وبالفعل تصدّرت سفينة باكينغهام صحيفة *ديلي إكسبرس*، وقد *تناول* تقرير لافت لمراسل سفرهم وصف متعة عبور الأطلسي بواسطة أحدث سفينة ترفيهية.

كان *للديلي ميل* صور للمسافرين الاثني عشر المحظوظين، وهم يقفون إلى جانب تمثال الحرية، والذين غرضت عليهم اثنتا عشرة بطاقة مجانية لرحلات مستقبلية لضمان ألا يُشيروا إلى مضايقات الأسطول الرئيسي.

مكتبة ياسين

بعد ساعة، ومن دون أن تتسنى له الفرصة حتى لتغيير ملابسه وحلاقة ذقنه، كان الكولونيل سكوت هوبكنز يجلس مقابل مدير المكتب في 10داونيغ ستريت.

بدأ الكولونيل باستجواب مفصل قبل الإجابة عن أسئلة السير آلان.

قال السير آلان، وهو يسحب حقيبة جلدية من تحت مقعده واضعاً إياها على سطح الطاولة: "حسناً، على الأقل هناك شيء جيد نتج عن ذلك، وكل الشكر لجهود زملائك في القوات الجوية الخاصة، فبفضل مساعدتهم استطعنا تحديد موقع مستودع تابع للجيش الإيرلندي الجمهوري، واستعدنا أكثر من 23 ألف جنيه نقداً من سيارة تاكسي كانت قد أقلّت مارتينيز إلى هيثرو، وأظنّ أن كيفن رافيرتي ذا الأربع أصابع سوف يُعرف قريباً بذي الثلاث أصابع إن لم يستطع أن يشرح لقائده مصير المال".

"وأين مارتينيز الآن؟".

"أكّد لي سفيرنا في بوينس آيرس أنه يقصد أماكنه المعتادة، ولا أظنّ أننا سنراه ثانية، ولا حتى ولديه فهما في ويمبلدون أو أسكوت".

"ماذا عن دوهيرتي وجماعته؟".

"إنهم في طريق العودة إلى إيرلندا الشمالية، ولكن ليس عبر الخطوط الجوية هذه المرة، بل عبر سفينة بحرية ملكية، وحالما يرسون في بيلفاست سيُنقلون مباشرة إلى أقرب سجن".

"بأية تهمة؟".

قال السير آلان: "هذا لم يُحدد بعد".

"حذّرتني السيدة كليفتون من أن الصحفي

مكتبة ياسين

المبعوث من صحيفة *التليغراف* يحوم لمعرفة الخفايا، فهو يسأل مستقصياً عن كل شيء".

"ديريك هارت، ذلك الملعون تجاهل قصة ديون صندوق النقد الدولي الذي زوّده بها جايلز، وذهب مباشرة ليكتب مقالاً عن حادثة الأسطول الرئيسي في اللحظة التي وطأت فيها قدمه أرض نيويورك. وأياً يكن الأمر، فقد وردت شكوك وتبريرات في التقرير، ولكن لم يصعب عليه إقناع المحرر بأن يتبنّاها، ولا سيما أنه كان مهتماً أكثر بكيفية تمكّن ليونيد بريجينيف الذي يعدّ متعصباً قديماً من الحلول محل خروتشوف في انقلاب مفاجئ".

سأل الكولونيل: "وكيف استطاع ذلك؟".

"أقترح أن تقرأ نسخة الغد من *التليغراف*".

"وهارت؟".

"علمت أنه في طريقه إلى جوهانسبورغ محاولاً الحصول على مقابلة مع إرهابي يُدعى نيلسون مانديلا، وهذا أمر صعب على ما يبدو حيث إن الرجل في السجن منذ أكثر من سنتين، ولم يسمح لأي صحفيين آخرين بالاقتراب منه".

"هل هذا يعني أن فريقي في إمكانه أن يُعفى من حماية عائلة كليفتون؟".

قال السيد آلان: "ليس بعد، فإن الجيش الجمهوري الإيرلندي سيهمل على الأغلب عائلتي بارينغتون وكليفتون الآن، حيث إن السيد بيدرو مارتينيز لم يعد هنا لدفع الفواتير، وأياً يكن الأمر لا يزال عليّ العمل على إقناع هاري كليفتون بمساعدتي في أمر آخر".

رفع الكولونيل حاجبيه، أما مدير المكتب فهزّ كتفيه ببساطة، وصافح قائد القوات الجوية

مكتبة ياسين

الخاصة، وكل ما قاله له: "سأبقى على تواصل معك".

***

سأل سيب بينما كانا يمرّان بجانب مقهى بوتهاوس في الجهة الشرقية من سنترال بارك: "هل توصّلت إلى قرار؟".

أجابته سامانثا بعد أن أفلتت يده: "أجل".

استدار سيب ليواجهها، وانتظر بقلق ثم أكملت سامانثا: "سبق وأن راسلت جامعة كينغ، لأخبرهم بأنني راغبة في الموافقة على عرضهم لاستكمال الدكتوراه في جامعة لندن".

قفز سيب بسرور بالغ، وصرخ بأعلى صوته: "أين هي الألعاب النارية؟!".

لم يعره أحد اهتماماً، فهما في نيويورك وهذا أمر طبيعي.

أضاف سيب قبل أن تكمل كلامها: "هل هذا يعني أنك ستنتقلين إلى الإقامة في شقتي".

سألت سامانثا بهدوء: "هل أنت متأكّد من أن هذا حقاً ما تريده؟".

قال سيب، وهو يحضنها: "لست واثقاً من أي شيء أكثر من ذلك، وبما أنك ستقيمين في السترانـد، وأنا سأعمل في المدينة، فعلينا أن نبحث عن مكان قريب، ما رأيك في إزلينغتون؟".

رددت سام: "هل أنت متأكد؟".

"أجل، مثل تأكدي بأن بريستول روفرز لن يفوز بالكأس".

"من هم بريستول روفرز هؤلاء؟".

قال سيب، وهما يغادران الحديقة: "نحن لا نعرف بعضنا حق المعرفة لدرجة أن أشغلك بمشاكلهم"،

مكتبة ياسمين

ثم أضاف عندما وصلا إلى فيفث أفينيو: "قد أروي لك مع مرور الوقت قصة أحد عشر لاعباً كانوا دائماً يفسدون عليّ مساء السبت".

***

عندما وصل هاري إلى مكاتب دار نشر فايكنغ التقى بامرأة تعرّف إليها سابقاً تنتظر في مكتب الاستقبال.

قالت سكرتيرة هارولد غوينزبورغ، وهي تستقبله: "صباح الخير سيد كليفتون، السيد غوينزبورغ ينتظرك"، ولم يسعه سوى أن يتساءل عن عدد الكتّاب الذين حظوا بمثل هذه المعاملة.

قال هاري: "شكراً لك يا كريستي"، رافقته السكرتيرة عبر مكتب الناشر المكسوّ بخشب السنديان، والمزخرف بصور لكتّاب من الماضي والحاضر ومنهم هيمنغواي، وشاو، وفاغنر، فتساءل هاري إن كان على الكاتب أن يموت قبل أن تضاف صورته إلى مجموعة غوينزبورغ.

نهض غوينزبورغ بسرعة عن مكتبه لحظة دخول هاري من الباب، على الرغم من أنه تجاوز السبعين عاماً، فاضطرّ هاري إلى أن يبتسم له، لقد بدا غوينزبورغ إنكليزياً أكثر من كونه أميركياً، وهو يرتدي بذلة من ثلاث قطع، ويُعلّق ساعة جيب ذات سلسلة ذهبية.

"كيف حال كاتبي المفضّل؟".

ضحك هاري، وهما يتصافحان ثم سأله، وهو يجلس قبالة ناشره على الكرسي الجلدي المرتفع الذي له ظهر ذو أزرار: "كم مرة تقول للكتّاب مثل هذه الكلمات خلال الأسبوع؟".

قال غوينزبورغ: "خلال الأسبوع؟ اجعلها ثلاث

مرات في اليوم وربما أكثر، ولا سيما عندما لا أستطيع تذكّر أسمائهم".

ابتسم هاري، وقال: "أياً يكن الأمر أستطيع إثبات أن ذلك صحيح في حالتك، فقد قزرت بعد قراءتك *لويليام وورويك*، *والقس المصروف* أن تكون الطبعة الأولى بحدود ثمانية آلاف نسخة".

فتح هاري فمه ليتابع كلامه، ولكنه لم يفعل ذلك، فقد بيعت 72000 نسخة من روايته الأخيرة لويليام وورويك، إذاً كان يدرك تماماً نوع التعهّد الذي كان يلتزم به ناشره.

"دعنا نأمل ألا يكون هناك إعادات كثيرة".

قال غوينزبورغ: "تستدعي الشروط الأولية أن يتمّ بيع أكثر من ثمانية آلاف نسخة، ولكن اعذرني، أخبرني أولاً كيف حال إيما؟ وهل كانت الرحلة الأولى ناجحة؟ لم أقرأ عنها شيء على الرغم من تصفّحي جريدة *النيويورك تايمز* هذا الصباح".

"إيما بأفضل حال، وهي ترسل لك تحياتها، ولن أتفاجأ إن كانت في هذه الأثناء تطلي مقصورة القيادة وتهتمّ بديكورها، وبالنسبة إلى الرحلة الأولى فأظنّ أنها سترتاح تماماً إن لم يتمّ ذكرها في صحيفة *النيويورك تايمز*، على الرغم من أن هذه التجربة قد أعطتني غالباً فكرة لروايتي الجديدة".

"كلي آذان صاغية".

أجاب هاري: "لا تأمل في ذلك الآن، عليك أن تصبر مع أنني أعرف أن ذلك ليس من شيمك".

"حسناً، دعنا نأمل ألا تتعارض مسؤولياتك الجديدة مع برنامج كتابتك، وتهاني الحارة لك".

"شكراً لك، ولكنني ترشّحت للمنصب لأكون رئيس جمعية القلم الإنكليزية المهنية لسبب واحد".

مكتبة ياسمين

رفع غوينزبورغ حاجبيه.

"أريد أن يتمّ إطلاق سراح رجل روسي اسمه أناتولي باباكوف من السجن فوراً".

سأل غوينزبورغ: "لماذا أنت متعاطف إلى هذه الدرجة مع باباكوف؟".

"لو اعتقلت بسبب جريمة لم ترتكبها يا هارولد، فثق بأنك ستتصرّف مثلي، ولا تنسَ أنك كنت في سجن أميركي، وهو بمثابة مكان مرفّه مقارنة بمعتقل سيبيريا".

"لا أستطيع حتى أن أتذكّر ما الذي اتهم به باباكوف".

"كتب كتاباً".

"هل هذه جريمة في روسيا؟".

"إنها كذلك إذا أردت فضح رئيسك في العمل من خلاله، وخاصة إذا كان جوزيف ستالين".

قال غوينزبورغ: *العم* جو، نعم أتذكّره، لكن الكتاب لم يُنشر أبداً".

"لقد نشر، ولكن باباكوف اعتقل لمدة طويلة قبل أن تصل نسخة من الكتاب إلى رفوف الكتب! وبعد محاكمة علنية حكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً من دون أي حق للاستئناف".

"هذا ما يجعل المرء يتساءل حول ما كان في ذاك الكتاب حتى جعل السوفيات مصممين على ألا يقرأه أحد في هذا العالم".

قال هاري: "ليست لديّ أية فكرة، لكنني أعلم بأن كل نسخ *العم* جو أزيلت من المكتبات بعد مرور ساعات على توزيعها، وقد أغلقت الدار التي نشرت الكتاب، واعتقل باباكوف، ولم يظهر بعد ذلك منذ محاكمته، ولو بقيت نسخة واحدة فأنا عازم على

مكتبة ياسين

إيجادها عندما سأذهب إلى المؤتمر العالمي للكتاب في موسكو في أيار".

"إذا وضعت يدك على النسخة فأنا أودّ ترجمتها، ونشرها هنا، ويمكنني أن أضمن أنه لن يكون الكتاب الأكثر مبيعاً فحسب بل سيظهر ستالين رجلاً شريراً تماماً كحال هتلر، ولكن عليك أن تعلم أن روسيا عبارة عن كومة قش كبيرة جداً للبحث فيها عن تلك الإبرة بالتحديد".

"هذا صحيح، لكنني عزمت على أن أكتشف ما أراد باباكوف إيصاله، ولا تنسَ أنه كان مترجم ستالين الخاص على مدى ثلاثين سنة، وقليلون جداً الذين يعرفون مثله عن النظام في الداخل... ومع ذلك حتى هو لم يتوقّع كيف سيكون ردّ فعل لجنة أمن الدولة عندما قرّر نشر كتابه حول ما شهده في المرحلة الأولى".

"والآن وبما أن حلفاء ستالين القدماء قد أزاحوا خروتشوف، وعادوا إلى السلطة من جديد فلا شك في أن بعضهم يملكون الأسرار التي يفضّلون أن تبقى مخفية".

قال هاري: "كحقيقة موت ستالين".

قال غوينزبورغ: "لم أزك يوماً مشغولاً بشيء لدرجة كبيرة، لكنني لا أظنّ أنه من الحكمة أن تلوّح بعصا إلى ذلك الدب الكبير، إن النظام المتشدّد الجديد يبدي اهتماماً ثانوياً بحقوق الإنسان مهما كانت الدولة التي تنتمي إليها".

"ما المغزى من أن أكون رئيس جمعية القلم إذا لم أكن قادراً على التعبير عن أفكاري؟".

دقّت ساعة المكتب الموضوعة على رف الكتب خلف غوينزبورغ مشيرة إلى الثانية عشرة.

مكتبة ياسين

"لم لا نذهب ونتناول الغداء في النادي، وهناك نناقش أموراً أقل جدلية مثل خطط سيباستيان".

"أظنّ أنه على وشك عرض الزواج على فتاة أميركية".

"كنت أعلم دائماً أن هذا الشاب ذكي".

***

بينما كان سيب وسامانثا يشاهدان واجهات محلات الجادة الخامسة بإعجاب، وهاري يستمتع بتناول الأضلاع المشوية في نادي هارفرد برفقة ناشره، توقفت سيارة تاكسي مقابل وحدة سكنية عند تقاطع شارعي 64 وبارك.

خرجت إيما حاملة علبة أحذية كُتب على غطائها تروكيت أند جونز، وفي داخلها حذاء بقياس 9 مصنوع على طراز أحذية البروغ السوداء، وقد عرفت تماماً أنه يناسب قريبها آلستير لأنه كان يشتري أحذيته من شارع جيرمن دائماً.

نظرت إيما إلى المطرقة النحاسية اللامعة على الباب الأمامي، فاسترجعت المرة الأولى التي صعدت هذه الدرجات وهي لا تزال امرأة شابة في بداية عقدها الثاني، وترتجف كورقة خريفية وقد أرادت يومها أن تلوذ بالفرار، لكنها أنفقت كل أموالها لتأتي إلى أميركا، ولم تكن تعرف أحداً آخر تلجأ إليه، أملة في أن تتمكّن من أن تجد هاري الذي احتجز في أحد السجون الأميركية بسبب جريمة لم يرتكبها.

التقت بالعمة فيليس، ولم تعد إلى إنكلترا لأكثر من سنة إلى أن علمت أن هاري لم يعد في أميركا.

صعدت إيما السلالم بثقة هذه المرة، وقرعت بقوة بالمطرقة النحاسية.

مكتبة ياسين

وقفت مستندة إلى الخلف وانتظرت قليلاً، فهي لم تطلب موعداً من قريبها لأنها كانت متأكدة من أنه يبقى في مسكنه حتى في عطلة نهاية الأسبوع، كان أصل آلستير من نيويورك وقد ولد في هذا المنزل، وهو بلا شك لا يغادر مكان مرقده.

بعد دقائق فتح الباب، فتفاجأت إيما برؤية رجل عرفته على الفور على الرغم من مرور أكثر من عشرين سنة على آخر مرة رأته فيها. كان يرتدي معطفاً صباحياً أسود، وبنطالاً أسود مخططاً، وقميصاً أبيض، وربطة عنق رمادية، فبعض الأشياء لا تتغير، قال لها وكأنه يراها كل يوم: "كم أنا سعيد بلقائك سيدة كليفتون".

شعرت إيما بالحرج، وحاولت جاهدة أن تتذكّر اسمه، وهي تعلم بأن هاري لم يكن لينساه أبداً، فتجرّأت وقالت: "إنها مناسبة لطيفة أن أراك، أتمنى كثيراً أن ألتقي بقريبي آلستير إن كان في المنزل".

قال كبير الخدم: "السيد ستيوارت ليس هنا يا سيدتي، إنه يحضر جنازة بينجامين راتليدج شريكه الأول في الشركة، ولا أظنّه سيعود من كونيكتيكت قبل مساء الغد".

لم تستطع إيما إخفاء خيبة أملها.

"ربما ترغبين في الدخول، بإمكاني صنع فنجان من الشاي المعطر المفضّل لديك، إن كان ما أذكره صحيحاً".

قالت إيما: "إنه لطف كبير منك، لكن يتوجّب عليّ العودة إلى السفينة".

"طبعاً، أرجو أن تكون رحلة باكينغهام الأولى قد حقّقت نجاحاً".

اعترفت قائلة: "تمنّيت أن أجده، هل تتكرّم علي

وتبلغه أصدق تحياتي، وأن تقول له كم أنا آسفة لعدم لقائه".

قال كبير الخدم، وهو ينحني قليلاً قبل أن يغلق الباب خلفها: "سأكون مسروراً بإبلاغه ذلك، يا سيدة كليفتون".

عادت إيما أدراجها، وما إن بدأت بالبحث عن تاكسي حتى اكتشفت فجأة أنها لا تزال ممسكة بعلبة الحذاء، فشعرت بالحرج، وصعدت الدرجات مرة أخرى ثم قرعت الباب بالمطرقة النحاسية بحذر أكبر مما سبق، وبعد لحظات انفتح الباب للمرة الثانية، وظهر كبير الخدم بابتسامته الدافئة قائلاً: "سيدتي؟".

"إنني آسفة لكنني نسيت تماماً أن أعطيك هذه الهدية لآلستير".

قال كبير الخدم بينما كانت إيما تناوله العلبة: "هذا لطف منك أن تتذكّري متجر أحذية السيد ستيوارت المفضّل، إنني متأكد تماماً من أنه سيقدّر لطفك".

وقفت إيما هناك تحاول استذكار اسمه من دون جدوى.

"أرجو بصدق سيدة كليفتون أن تكون رحلة العودة إلى أفونماوث سعيدة".

انحنى مجدداً، وأغلق الباب بهدوء خلفه، وهي تقول: "شكراً لك يا باركر".

مكتبة ياسين

5

عندما انتهى بوب من ارتداء ملابسه تفحّص مظهره أمام المرآة الطويلة الملصقة بباب الخزانة. كانت سترته الرسمية مزدوجة الصدرية، ولها طية عريضة، وهي، إلى حد ما، غير متماشية مع الأزياء الحديثة كما تذكّره زوجته دائماً، وبالمقابل يؤكّد لها أن هذه السترة كانت مناسبة تماماً لوالده عندما كان رئيساً لبينغهام فيش بيست، واستناداً إلى ذلك فهي من دون شك تناسبه تماماً. ولكن بريسلا لا توافقه الرأي، فهما لم يتفقا على الكثير من الأمور، فلا يزال بوب يلوم صديقتها السيدة فيرجينيا فينويك على وفاة الآنسة جيسيكا كليفتون المبكرة، وحقيقة أن ابنهما كلايف الذي كان قد خطب جيسيكا في وقت ما، لم يعد إلى مابلتروب قد هوّل منذ ذلك اليوم المأساوي.

كانت زوجته ساذجة، وخائفة عندما تعرّفت إلى فيرجينيا، وفي النهاية ظلّ يأمل في أن تعود بريسلا إلى رشدها، وترى السيدة الملعونة على حقيقتها، ما سيتيح لهما فرصة أن يعودا معاً كعائلة موحّدة مرة أخرى، ولكنه يخشى أن ذلك لن يحصل قبل وقت طويل. وأياً يكن الأمر فبوب مشغول في هذه الأثناء بمشاكل أكثر إلحاحاً. وفي تلك الليلة كانا سيظهران أمام العامة بصفتهما ضيفين على طاولة الرئيس، ولم يكن واثقاً تماماً من أن بريسلا قادرة على إبقاء تصرّفاتها رصينة لأكثر من دقائق، فتمنّى فقط أن يعودا إلى غرفتهما سالمين.

كان بوب معجباً بإيما "بوديسيا بريستول" كما هي معروفة من قبل العدو والصديق على حد سواء، وظنّ أنها إن لم تكن ملفة بلقبها فستتّخذه وسام شرف، وكانت قد أسقطت بطاقة تذكير تحت باب

غرفتهما في وقت مبكر من ذاك اليوم باللقاء في الكوينز لونج عند السابعة والنصف تقريباً.

قبل الذهاب إلى العشاء تفقّد بوب ساعته التي أشارت إلى الثامنة إلا عشر دقائق، ولم يكن هناك أي أثر لزوجته حتى ذلك الوقت على الرغم من أنه سمع صوت جريان ماء انبعث من الحمام، وبدأ يتحرّك جيئة وذهاباً في أرجاء الغرفة، وبالكاد استطاع إخفاء غضبه، فقد كان بوب متأكّداً تماماً من أن السيدة فيرجينيا بدأت التشهير بالمديرة، وذلك لا يمكن نسيانه إذ كان يجلس تماماً خلفها عندما حدث ذلك. وفي أثناء وقت المساءلة في الاجتماع السنوي العام لهذه السنة سألت السيدة فيرجينيا عما إن كان ما سمعته بأن أحد مدراء بارينغتون قد باع أسهمه كلها بهدف انهيار الشركة، وبالطبع كانت تقصد محاولة سيدريك هاردكاسل الصغيرة لإنقاذ الشركة من استيلاء عدائي من قبل الدون بيدرو مارتينيز.

لقد أجابت إيما بحزم على مذكرة السيدة فيرجينيا، موضحة أن ممثلها في المجلس الرائد فيشر هو الذي باع أسهمها، ثم استعادها بعد أسبوعين بهدف تشويه سمعة الشركة حتى يجني أرباحاً طائلة من عميله.

ولكن فيرجينيا اكتفت بالتعليق على الأمر بالقول: "ستسمعين من محاميّ"، وبعد أسبوع حدث ذلك فعلاً، لم يكن لبوب أي شك في الطرف الذي كانت ستدعمه زوجته إذا ما انتقلت الأمور إلى المحكمة، وإن استطاعت بريسلا أن تجمع بعض المعلومات في أثناء تناول العشاء فمن الممكن أن تدعم قضية صديقتها، كما كان بوب متأكداً من أن هذه المعلومات ستسرّب إلى فريق فيرجينيا القضائي

خلال ثوان من دخولهم أفونماوث، وكلا الطرفين كانا يعرفان أن خسارة إيما القضية لن تشوّه سمعتها فحسب، بل سيكون عليها التنحّي عن منصب مديرة بارينغتون من دون شك.

لم يذكر شيئاً لبريسلا عن الجيش الجمهوري الإيرلندي، أو ما جرى مناقشته خلال اجتماع مجلس الإدارة الطارئ في الصباح الأول من الرحلة عدا قصة الأسطول الرئيسي، وقد بدا جلياً أنها لم تصدّقه، إلا أنها لا تعلم غير أن سيباستيان قد عيّن في مجلس الإدارة.

وبعد يوم تسوّق في نيويورك كان سيكلّف بوب شراء عدة صناديق من معجون السمك، لم تذكر بريسلا الموضوع أبداً، وأياً يكن الأمر فقد كان بوب متخوفاً من أن تفتح الموضوع مع إيما على العشاء، ولكنها إذا فعلت ذلك فسيتوجّب عليه أن يغيّر الموضوع بسلاسة. حمداً لله أن السيدة فيرجينيا لم تنفّذ تهديدها، بالانضمام إليهم على متن هذه السفينة، لأنها لو نفّذته لما كان هدأ لها بال إلا إذا عرفت ما حصل تماماً فجر الليلة الأولى.

أخيراً، خرجت بريسلا من الحمام، ولكن ليس قبل الساعة الثامنة إلا عشر دقائق.

***

اقترحت إيما قائلة: "ربما علينا أن نبدأ بتناول العشاء".

قال هاري: "ولكن أليس من المفترض أن تنضمّ إلينا عائلة بينغهام؟".

قالت إيما متفحّصة ساعتها: "أجل، ولكن ذلك كان منذ أكثر من نصف ساعة".

قال هاري بحزم: "لا تنفعلي يا عزيزتي، أنت مديرة

مكتبة ياسين

الشركة، ولا تدعي بريسلا تشعر بأنها أزعجتك، لأن ذلك ما تسعى إليه".

كانت إيما على وشك أن تعترض على كلامه عندما أضاف: "واحرصي على ألا تقولي شيئاً في أثناء العشاء، لأنه من الممكن أن تستفيد منه فيرجينيا في المحكمة، لأن الجميع يعرفون إلى جانب من تقف بريسلا بينغهام".

في خضم كل المشاكل التي تعرّضت لها إيما على مدى الأسبوع الماضي كانت قد أبعدت عن بالها أمر المحكمة المحتملة، لدرجة أنها بدأت بالاعتقاد أن فيرجينيا تنازلت عن القضية بتكتم حيث لم تسمع من فريقها القضائي أي خبر طيلة أشهر، لأن فيرجينيا ما كانت لتفعل شيئاً بتكتم.

كانت إيما على وشك أن تطلب من النادل تقديم الطعام، عندما وقف هاري.

قالت بريسلا: "أنا آسفة لأنني جعلتكما تنتظران، ولكنني لم أنتبه إلى الوقت".

قال هاري، وهو يسحب لها كرسيها، وينتظر أن تجلس: "لا عليك".

قالت إيما، وهي تسعى بوضوح أن تظهر لضيفتها مدى تأخيرها: "ربما يجدر بنا أن نطلب الطعام".

أخذت بريسلا وقتها في تفحص لائحة الطعام الجلدية، وغيّرت رأيها عدة مرات قبل أن تستقرّ على اختيار وجبة، وحالما أخذ النادل طلباتهم، سألها هاري إن كانت قد استمتعت بيومها في نيويورك.

"أجل كثيراً فهناك متاجر عدة في الجادة الخامسة تعرض الكثير من البضائع، أكثر من متاجر لندن، ولكنني وجدت التجربة بالمجمل مرهقة، في الواقع

مكتبة ياسمين

عندما عدت إلى السفينة ارتميت على السرير ببساطة، وخلدت إلى النوم، وماذا عنك يا سيد كليفتون، هل تمكّنت من التسوق؟".

"لا، كان لديّ موعد مع ناشري بينما ذهبت إيما لزيارة قريبها الذي لم تره منذ وقت طويل".

قالت بريسلا في الوقت الذي كان فيه النادل يضع طبقاً من حساء الطماطم المغلي: "بالطبع، لقد نسيت تماما أنك من تكتب الروايات، فأنا فقط لا يتسنّى لي الوقت أن أقرأ"، ثم قالت للنادل: "أنا لم أطلب حساء، لقد طلبت سمك السلمون المدخّن".

قال النادل، وهو يأخذ الحساء: "أنا آسف سيدتي".

قالت بريسلا، والنادل لا يزال قريباً منها: "أفترض أنه من الصعب أن تعيّني طاقماً متمرّساً في سفينة سياحية".

قالت إيما، وهي تتناول ملعقة لتناول حسائها: "أتمنى ألا تمانعي إذا بدأنا".

سأل بوب: "هل تبادلت وقريبك الأخبار؟".

"للأسف لا، إنه في كونيكتيكت لذلك انضممت إلى هاري لاحقاً، وكنا محظوظين بشراء تذكرتين لحضور حفلة موسيقية في مركز لينكولن بعد الظهر".

سأل بوب عندما كان يوضع صحن سمك السلمون المدخّن أمام بريسلا: "من كان يؤدّي في الحفل؟".

"ليونارد بيرنيشتاين الذي كان يعزف بداية مقطوعته *كانديد* قبل أن يعزف كونشيرتو على البيانو لحناً لموزارت".

قالت بريسلا وهي تقضم لقمة من وجبتها: "أنا لا أعرف كيف يتسنّى لكما الوقت أن تقوما بهذا".

أوشكت إيما أن تقول إنها لم تقض حياتها في

التسوق، ولكنها عندما نظرت إلى هاري، كان متجهم الوجه.

"لقد حضرت بيرنيشتاين مرة، وهو يدير أوركسترا لندن في قاعة الاحتفالات الملكية، وقد عزفوا لبرامز، فكان الأمر ساحراً".

سألت إيما: "وهل رافقت بريسلا في رحلة التسوق المرهقة في الجادة الخامسة؟".

"لا لقد جلت حي لوير إيست ساید لأرى إن كان هناك جدوى من محاولة اقتحام السوق الأميركي".

سأله هاري: "وإلى ماذا توصلت؟".

"إن الأميركيين ليسوا مستعدين بعد لشراء معجون السمك الخاص ببينغهام".

سأله هاري: "ما هي البلدان المستعدة لها إذاً؟".

"في الحقيقة، فقط روسيا والهند، ويرافق ذلك مشاكل أيضاً".

سألته إيما، وقد بدت في غاية الاهتمام: "مثل ماذا؟".

"الروس لا يدفعون الفواتير التي عليهم، والهنود لا يستطيعون الدفع في أغلب الأحيان".

اقترحت إيما قائلة: "لعلك تواجه مشكلة لأنك تبيع منتجاً واحداً؟".

"لقد فكّرت في تنويع منتجاتي، ولكن...".

قالت بريسلا: "هل يمكنكم التحدث عن شيء آخر غير معجون السمك؟ في النهاية نحن نمضي عطلة".

قال هاري: "بالطبع، كيف كلايف؟"، ثم ندم على السؤال مباشرة.

أجاب بوب بسرعة: "إنه بخير شكراً لك، وأنتما بالتأكيد فخوران بانضمام سيباستيان إلى مجلس الإدارة".

مكتبة ياسين

ابتسمت إيما.

قالت بريسلا: "هذا ليس أمراً مفاجئاً، ولنكن واقعيين، إن كانت أمك مديرة الشركة، ولعائلتك الحصة الأكبر من الأسهم، يمكنك أن تعيّن كلب كوكر إسبانياً في المجلس، والأعضاء سيقبلون مطيعين".

ظنّ هاري أن إيما ستنفجر، ولكن لحسن الحظ كان فمها ممتلئاً بالطعام، لذلك تبع كلام بريسلا صمت طويل.

سألت بريسلا عندما وُضع أمامها طبق من الستيك: "هل هذا الستيك غير ناضج؟".

تفحّص النادل طلبها، وقال: "لا يا سيدتي إنه نصف مشوي".

"لقد طلبته غير ناضج، لم أكن لأستطيع أن أوضح لك الأمر أكثر من ذلك، أبعده، وحاول إحضار طبق آخر".

أبعد النادل الطبق بخفة، ومن دون أي تعليق، ثم التفتت بريسلا إلى هاري: "هل تستطيع جني المال من الكتابة؟".

اعترف هاري قائلاً: "الأمر صعب، ولا سيما أن هنالك العديد من الكتّاب المميزين، ولكن...".

"أنت متزوج من امرأة ثرية، لذلك لا يعني لك الأمر شيئاً كثيراً أليس كذلك؟".

أسكت كلامها هاري، وليس إيما التي قالت لها: "أخيراً، وجدنا شيئاً يجمعنا يا بريسلا".

قالت بريسلا من دون تردد: "أوافقك على ذلك، ولكنني تقليدية في تفكيري، فقد تربّيت على أن الوضع الطبيعي هو إعالة الرجل المرأة، وأعتقد أن عكس ذلك لا يبدو صحيحاً"، أخذت رشفة من

مكتبة ياسين

النبيذ، وعندما كانت إيما تجيبها أضافت: "أظنّ أنك ستلاحظين أن النبيذ له طعم فلين".

قال بوب: "لقد وجدته ممتازاً".

"لا يزال عزيزي روبرت لا يعرف الفرق بين نبيذ الكلاريت، والبورغندي، وعندما كنا نقيم الحفلات كان اختيار النبيذ يرجع إليّ"، ثم أضافت، وهي تنظر إلى النادل: "أيها النادل! نحتاج إلى زجاجة أخرى من الميرلوت".

"حالاً يا سيدتي".

قال بوب: "أعتقد أنك لا تذهبين إلى شمال إنكلترا كثيراً".

أجابت إيما: "ليس كثيراً، ولكن ينحدر قسم من عائلتي من الهايلاندز".

قالت بريسلا: "وعائلتي كذلك، لقد ولدت على أنني من أسرة كامبل".

تدخلت إيما، بينما كان هاري ينكزها من تحت الطاولة: "أظنّ أنك ستكتشفين أن هذه من اللولاندز".

قالت بريسلا: "أنا متأكدة من أنك على صواب كما هو الحال دوماً، لذلك أنا أعرف أنك لن تمانعي أن أسألك سؤالاً".

نحى بوب سكينه، وشوكته جانباً، ونظر بتوتر إلى زوجته.

"ما الذي حدث حقاً ليلة الرحلة؟ لأنني أعرف أن الأسطول الرئيسي لم يظهر له أي أثر".

سأل بوب: "كيف لك أن تعرفي، فأنت كنت نائمة بعمق في ذلك الوقت؟".

قالت إيما مستعينة بنهج معين اعتاد أخوها أن يستخدمه عندما لم يكن يريد الإجابة عن السؤال:

مكتبة ياسين

"ما الذي تعتقدين أنه حدث يا بريسلا؟".

"بعض الركاب يقولون إن إحدى العنفات انفجرت".

قالت إيما: "في الواقع إن غرفة المحرك مفتوحة للجميع، وإن أراد الركاب يمكنهم معاينتها في أي وقت، وأظنّ أنه كان هناك جولة حاشدة في المكان هذا الصباح".

تجرّأت بريسلا، وقالت: "سمعت أيضاً أن قنبلة قد انفجرت في غرفتك".

"أنتِ مرحب بك، ويمكنك أن تزوري غرفتنا في أي وقت تريدينه لتصححي معلومات ناشر الشائعات والذي نشر ذلك الأمر".

قالت بريسلا متابعة: "وقال لي شخص آخر إن هناك مجموعة من الإيرلنديين الإرهابيين صعدوا على متن السفينة في منتصف الليل تقريباً...".

"فقط ليجدوا أن السفينة كانت محجوزة بالكامل، ولا مكان شاغر لدرجة أنهم اضطرّوا إلى السير على لوح السفينة، والسباحة إلى بيلفاست؟".

قال هاري في الوقت الذي عاد فيه النادل ومعه شرائح لحم مشوية غير ناضجة: "وهل سمعت تلك الشائعة عن المريخيين الذين أتوا من الفضاء الخارجي ليحطّوا على أحد أقماع السفينة؟".

لم تعره بريسلا إلا ثانية من وقتها قبل أن تقف، وتقول ملقية بمنديلها على الطاولة: "أنتم جميعاً تخفون شيئاً، وأنا عازمة على اكتشافه قبل أن نصل إلى أفونماوث".

راقبها ثلاثتهم، وهي تمشي بهوادة إلى خارج قاعة الطعام.

قال بوب: "أنا أسف، كان هذا أسوأ مما تخيلت".

قال هاري: "لا عليك، إن زوجتي تشخر".

مكتبة ياسين

قالت إيما عندما انفجر كلاهما بالضحك: "أنا لا أشخرا!".

"أنا مستعدّ لدفع نصف ثروتي كي أحظى بمثل علاقتكما".

قال هاري: "سأقبل بعرضك"، وهذه المرة جاء دور إيما لتركل رجل زوجها تحت الطاولة.

قالت إيما بنبرتها التي تنم عن شخصيتها القيادية: "أنا ممتنة لشيء واحد يا بوب؛ من الواضح أن زوجتك ليست لديها أية فكرة عن الذي حدث في أول ليلة لنا وسط المحيط، ولكن إذا اكتشفت ما حدث يوماً ما...".

***

"أريد أن أبدأ هذا الاجتماع بالترحيب بابني سيباستيان كليفتون الذي انضمّ إلينا حديثاً".

صدحت الهتافات في قاعة الاحتفالات.

"على الرغم من أنني فخورة إلى حد لا يوصف بإنجازه هذا وهو في سنّ مبكرة، فأنا أشعر بأن عليّ أن أحذّر السيد كليفتون بأن باقي أعضاء المجلس سيراقبون تصرفاته بعناية فائقة".

قال سيباستيان: "شكراً لك أيتها المديرة لاستقبالك لي بحفاوة، ولنصيحتك المفيدة".

جعلت كلمات سيب عدة أعضاء من المجلس يبتسمون، فهو يمتلك ثقة أمه، وسحر أبيه.

قالت المديرة: "لنتابع اجتماعنا، ولكن اسمحوا لي أولاً أن أطلعكم على آخر المستجدات المتعلقة بالحادثة التي سمّيت بحادثة الأسطول الرئيسي، فعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نطمئنّ إلى هذا الوضع، إلا أنه من المؤكد أن أعظم مخاوفنا لم تتحقّق، فلم تصل أي معلومات ذات قيمة إلى

الإعلام على ضفتي المحيط الأطلسي، وذلك بفضل المساعدة الصغيرة التي قدمها إلينا مكتب 10 داونغ ستريت. فالإيرلنديون الثلاثة الذين اعتقلوا منذ الليلة الأولى من إبحارنا في المحيط، لم يبقوا على السفينة بل نقلوا بسرية تامة إلى بارجة تابعة للأسطول الملكي، توجّهت إلى بيلفاست فور رسوّنا ومغادرة الركاب السفينة. وقد تضرّرت إحدى المراوح، ومع أنها لم تعد تعمل بأقصى طاقتها إلا أنها لا تزال تعمل بنسبة ستين في المئة، وستستبدل فور وصولنا إلى أفونماوث، وقد عمل فريق صيانتنا ليل نهار على إصلاح الهيكل عندما رسونا في نيويورك، فبذلوا جهداً جباراً لإنجاز عمل متقن، ولا يستطيع أحد غير البحارة المخضرمين اكتشاف إصلاح هيكل السفينة، وسيُستأنف إصلاح الهيكل عندما نصل إلى أفونماوث، وأتوقّع أنه بحلول الوقت الذي تنطلق فيه سفينة باكينغهام في رحلتها الثانية إلى نيويورك خلال ثمانية أيام، لن يعرف أحد أن مشكلة ما قد واجهتنا، وأياً يكن الأمر أظنّ أنه من الحكمة ألا نناقش هذا الأمر خارج غرفة الاجتماعات، وإذا سُئلتم عن الحادثة فتمسّكوا بقصة الأسطول الرئيسي".

سألها نولز: "هل نطالب بتعويض بموجب وثيقة تأميننا؟".

قالت إيما بحزم: "لا، فهذا بالتأكيد سيفتح مجالاً لطرح أسئلة لا نريد الإجابة عنها".

قال دوبز: "مفهوم سيدتي، ولكن كم كلّفتنا قصة الأسطول الرئيسي هذه؟".

"ليس لديّ رقم دقيق بعد لأقدّمه إلى الإدارة، ولكن قيل لي إنه بحدود السبعة الاف جنيه".

أضاف بينغهام: "إنه مبلغ زهيد مقارنة بما كنا

مكتبة ياسين

سنتكبّده".

"أوافقك الرأي، على كل حال لن يتمّ ذكر أي شيء يتعلّق بحادثة الأسطول الرئيسي في محضر هذا الاجتماع، كما لن نبلغ شركاءنا بها".

قال أمين سر الشركة: "سيدتي المديرة، عليّ أن أدوّن بعض الأحداث التي جرت".

"إذاً التزم بقصة الأسطول الرئيسي، ولا تدوّن شيئاً آخر من دون موافقتي".

"كما تريدين يا سيدتي".

قلبت إيما صفحة من ملفها: "دعونا ننتقل إلى أخبار أكثر إيجابية، لقد حقّقت سفينة باكينغهام نسبة إشغال بلغت مئة في المئة لرحلة العودة إلى أفونماوث، ونسبة اثنتين وسبعين في المئة للرحلة الثانية إلى نيويورك".

قال بينغهام: "إنها بالفعل أخبار جيدة، ولكن علينا ألا ننسى أن الغرف المجانية المئة وأربع وثمانين التي عرضناها كتعويض ستشغل يوماً ما".

"ما يهمّنا أنها ستكون في يومٍ ما، يا سيد بينغهام، وإن وزّعت على السنتين المقبلتين فسيكون تأثيرها طفيفاً على إيراداتنا".

"أخشى أن هناك شيئاً آخر من الممكن أن يؤثر على إيراداتنا، وتكمن المشكلة في أننا لا نستطيع التحكّم به".

سألته إيما: "ما الذي تشير إليه يا سيد أنسكوت".

"لقد حظيت بحوار شيّق مع أخيك في طريق مغادرتنا، فوجدته متفائلاً حقاً بعواقب اقتراض الدولة مليار ونصف من صندوق النقد الدولي من أجل إنقاذ الجنيه، كما ذكر أيضاً احتمال أن تفرض الحكومة ضريبة شركات بنسبة سبعين في المئة

على جميع الشركات، بالإضافة إلى فرض ضريبة دخل بنسبة تسعين في المئة على كل من يجني أكثر من ثلاثين جنيهاً في السنة".

قال الأدميرال: "يا إلهي! هل سيكون في مقدوري تحمّل كلفة عزائي؟".

تابع أنسكوت: "فكرة المستشار الأخيرة التي أجدها غير منطقية أبداً، والتي تنصّ على منع أي رجل أعمال أو سائح من مغادرة البلاد، وهو يحمل أكثر من خمسين جنيهاً".

قال دوبز بمرارة: "ذلك لن يغري الناس بالسفر".

قال سيباستيان: "أعتقد أن لدي حلاً لهذا".

توجّهت أنظار أعضاء المجلس إلى العضو الجديد.

ثم أكمل سيباستيان: "لقد أجريت بحثاً صغيراً حول ما يخطّط له منافسونا، ويبدو أن مالكي سفينة إس إس *نيويورك*، وإس إس *فرنسا* قد ابتدعوا خطة ليعالجوا مشكلة الضرائب".

استحوذ سيب على اهتمام الأعضاء، وتابع كلامه قائلاً: "لم تعد سفينة إس إس *نيويورك* مسجلة على أن شركة أميركية تملكها على الرغم من أن مركز قيادتها لا يزال في مانهاتن بالإضافة إلى أن معظم موظّفيها ينتمون إليها، ولمعالجة موضوع الضرائب سجّلت الشركة في بنما، وفي الواقع إذا تمعّنتم في هذه الصورة"- عرض سيب صورة كبيرة لسفينة إس إس *نيويورك أمامهم* وسط الطاولة- واستأنف كلامه قائلاً: "سترون علماً بنمياً يرفرف في مؤخرة السفينة على الرغم من كون كل ما على متنها مدموغاً بعلم الولايات المتحدة الأميركية من الصحون في غرفة الطعام إلى السجادات في الأجنحة".

سأل نولز: "وهل يفعل الفرنسيون الشيء ذاته؟".

"بالطبع، ولكنهم يقومون بذلك بطابع فرنسي حصري".

أكمل سيباستيان قائلاً: "إنهم يرفعون علم الجزائر في مؤخرة سفينة إس إس *فرانس*، وأظنّ أن ذلك ليس سوى معيار تشغيل داخلي سياسي".

غرضت صورة أخرى على زملاء سيب، وهذه المرة كانت تظهر السفينة الفرنسية العظيمة.

سأل دوبز: "هل هذا قانوني؟".

قال سيب: "لا تستطيع حكومتا البلدين أن تفعلا شيئاً بخصوص ذلك، فكلتا السفينتان تمخران عباب البحر لمدة ثلاثمئة يوم في السنة، أما بالنسبة إلى الركاب فلم يتغيّر الوضع".

قال الأدميرال: "لا يعجبني هذا الاقتراح، ولا أجده مناسباً".

ذكّر بوب زملاءه قائلاً: "يجب أن تكون أولى مهماتنا بمشاركة شركائنا، لذلك أقترح على كليفتون أن يقدّم تقريراً يتناول تفاصيل هذا الاقتراح كي نستطيع مناقشته أكثر في اجتماع مجلس الإدارة التالي، ما رأيكم في ذلك؟".

قال دوبز: "إنها فكرة جيدة".

قالت إيما: "أنا لا أعارض هذه الفكرة، ولكن مديرنا في الشؤون المالية قد ابتكر حلاً بديلاً من الممكن أن يثير اهتمام بعضكم"، هزّت إيما رأسها مشيرة إلى مايكل كاريك.

"شكراً لك سيدتي المديرة، إنه أمر بسيط جداً، إذا شرعنا في بناء سفينة ثانية، واستغللنا خيار الطلب المعاد مع هارولد وولف ضمن المدة المحددة في العقد، فسوف نتجنّب دفع أي ضريبة شركات

مكتبة ياسمين

للسنوات الأربع القادمة".

قال نولز: "قد يكون لذلك مضاعفات خطيرة".

أجابت إيما: "لا أعتقد ذلك، لأنه يمكن لأية شركة أن تطالب بإعفاءات ضريبية في أثناء تنفيذ مشروع تشييد رأسمالي، طالما تقيدت بالمبلغ المدون في العقد الأصلي".

سأل ماينارد: "ولماذا قد تقبل الحكومة بذلك ما دامت تعليماتها المقترحة الأخرى شديدة القسوة؟".

"لأن ذلك سيساعد في تقليل نسبة العاطلين عن العمل، وهو ما وعد به حزب العمال في بيانه الأخير".

قال دوبز: "إذاً أنا أفضّل هذا الحل، ولكن كم لدينا من الوقت حتى نقرّر القبول بعرض هارلاند وولف أم رفضه؟".

أجاب كاريك: "قرابة خمسة أشهر فقط".

قال ماينارد: "هذا وقت أكثر من كافٍ للتوصّل إلى قرار".

اعترض أنسكوت: "ولكن هذا الاقتراح لا يحلّ مشكلة ركابنا المتعلقة بحمل خمسين جنيهاً".

لم يستطع سيب أن يكبح ابتسامته، وهو يقول: "لقد أخبرني خالي جايلز بأنه لا يوجد ما يمنع راكباً من صرف صك وهو على متن السفينة".

ذكّره دوبز قائلاً: "ولكن ليس لدينا أي مرفق تابع للبنك على متن سفينة باكينغهام".

قال سيب: "بنك مارذنغز سوف يسرّه أن يفتح مرفقاً على متن سفينتنا".

أضاف أنسكوت: "أنا أقترح أن يتضمّن تقرير السيد كليفتون هذا الاقتراح أيضاً، كما يجب أن تُعرض أية اقتراحات أخرى على كل أعضاء المجلس قبل

مكتبة ياسين

الاجتماع التالي".

تدخلت إيما: "أوافقك الرأي، حسناً كل ما علينا أن نحدّده الآن هو موعد الاجتماع التالي".

وكالعادة مرّ وقت طويل قبل تحديد موعد يناسب جميع الأعضاء.

قالت إيما: "دعونا نأمل أنه بحلول موعد اجتماعنا التالي، سوف تكون حادثة الأسطول الرئيسي مجرد حكاية من الماضي"، ثم تابعت كلامها وهي تجول ببصرها حول الطاولة: "هل لا يزال لديكم مسائل أخرى للمناقشة؟".

قال نولز: "أجل يا سيدتي، لقد طلبت منا أن نرشّح أحداً لمنصب الوظيفة الشاغرة في المجلس".

"من الذي في بالك؟".

"ديزموند ميلور".

"أهو من أنشأ شركة باصات بريستول؟".

"إنه بعينه، ولكنه باع شركته إلى شركة النقل المحلية العام المنصرم، وجنى أرباحاً وفيرة، وهو الآن متفرّغ".

ثم أضاف أنسكوت انسجاماً مع رأي نولز: "ولديه معرفة قوية في أعمال النقل".

قالت أيما قبل أن يتمكّن الرجلان من طرح الأمر للتصويت: "لماذا لا أدعو السيد ميلور لمقابلتي في وقت لاحق خلال الأسبوع القادم".

وافق نولز على مضض.

عندما انفضّ الاجتماع، شعرت إيما بالفخر لدى رؤية عدد كبير من الأعضاء يرحبّون بسيباستيان في المجلس لدرجة أنه مرّ وقت طويل قبل أن تسنح لها فرصة التكلّم مع ابنها على انفراد.

همست إليه قائلة: "لقد سارت خطتك على نحو

مكتبة ياسمين

جيد".

"أجل، ولكن كان من الواضح أن فكرتك ستكون مقبولة لدى معظم أعضاء المجلس أكثر من فكرتي، ولكنني لا أزال غير مقتنع يا أمي بأن علينا أن نخاطر بدفع هذه النفقات الضخمة من أجل بناء سفينة أخرى، وإذا كانت التوقعات المالية في بريطانيا سيئة كما وصفها خالي جايلز، فسنكون قد جنينا على أنفسنا، وفي هذه الحالة سيقع اللوم على مجلس إدارة شركة بارينغتون".

مكتبة ياسين

6

قال مدير المكتب مشيراً إلى هاري أن يجلس على الكرسي خلف الطاولة البيضاوية الشكل التي وضعت في وسط الغرفة: "كم هو لطيف منك أن تخصّص وقتاً لمقابلتي يا سيد كليفتون، وخاصة أنني أدرك كم أنت مشغول".

كاد هاري أن يضحك لو لم يكن يجلس في 10 داونغ ستريت مع أحد أكثر الرجال انشغالاً في البلاد.

دخل السكرتير إلى المكتب، ووضع كوباً من الشاي أمامه، فبدا وكأنه زبون دائم في مقهى محلي.

"أتمنى أن تكون زوجتك وابنك بخير؟".

"إنهما بخير، شكراً لك سير آلان"، كان في وسع هاري أن يستفسر عن عائلة مدير المكتب، لو لم يكن يجهل ما إذا كان لديه أسرة في الأساس، لذلك قرّر أن يدخل في صلب الموضوع فوراً، ويتجرّأ على أن يقول له بعد أن ارتشف رشفة من الشاي: "هل كان مارتينيز وراء التفجير؟".

"أجل بالضبط، ولكنه الآن في بوينس آيرس، ويعرف تماماً أنه ما إن تطأ قدماه أرض إنكلترا حتى يُعتقل فوراً، ولا أعتقد أنه سيزعجكم مجدداً والأمر نفسه يسري عل ولديه".

"وما مصير أصدقائه الإيرلنديين؟".

"لم يكونوا يوماً أصدقاءه، بل كانوا مهتمّين بأمواله فقط، وعندما جفّت أصبحوا مستعدين للتخلّص منه، وبما أن قائد مجموعتهم واثنين من معاونيه باتوا خلف القضبان الان، أظنّ أننا لن نسمع خبراً عنهم لفترة طويلة".

"هل تحقّقت من عدم وجود أي عضو اخر من

مكتبة ياسين

الجيش الإيرلندي الجمهوري على متن السفينة؟".

"لقد علمنا بوجود اثنين، ولكن لم تتمّ مشاهدتهما منذ ذلك الوقت، ومعلومات الاستخبارات تفيد أنهما اختبآ في مكان ما في نيويورك، ولا نتوقّع أن يعودا إلى بيلفاست في المستقبل القريب".

قال هاري بعد أن قَر انتهاء الاجتماع: "أنا ممتن لك يا سير آلان".

أومأ مدير المكتب إليه برأسه، ولكن عندما أوشك هاري أن يقف، قال مدير المكتب: "عليّ أن أعترف يا سيد كليفتون بأن ذلك لم يكن السبب الوحيد الذي أردت مقابلتك بشأنه".

عدَل هاري جلوسه مجدداً، وبدأ يركّز على كلامه، لأنه إذا أراد طلب أمر ما فعليه أن يكون متيقظاً له.

"لقد أخبرني نسيبك أمراً لم أستطع تصديقه، ولعلك تتكرم عليّ، وتجاريني فيه كي أتبيّن أكان يبالغ فيه أم لا".

"إن السياسيين يميلون إلى المبالغة".

لم يجبه السير آلان بل فتح ملفاً، وأخرج منه ورقة وحيدة، ومَررها عبر الطاولة، وقال: "هل يمكنك أن تقرأها ببطء؟".

نظر هاري إلى مذكرة مؤلفة من حوالي ثلاثمئة ورقة، تحتوي على أسماء أماكن وتفاصيل تحركات قوات في المقاطعات الرئيسية التي تحدّ لندن، ورتب كبار الضباط، وقد قرأ الفقرات السبع كما طلب منه، وعندما انتهى من قراءتها نظر إلى الأعلى وأومأ إليه برأسه.

استعاد مدير المكتب الورقة، ووضعها على الطاولة بجانب ورقة بيضاء وقلم حبر.

"هل يمكنك الان أن تكتب ما قرأته؟".

قرّر هاري أن يجاريه في اللعبة، فأمسك بالقلم، وشرع يكتب، وعندما انهى الكتابة مرّر الورقة إلى مدير المكتب الذي قارنها بالورقة الأصلية.

بعد برهة قال له: "هذا صحيح، إنك من هؤلاء الأشخاص النادرين الذين يملكون ذاكرة بصرية، ولكنك ارتكبت خطأ واحداً".

قال هاري: "غودالمينغ وليس غودمانشستر؟ كان قصدي التأكد من قوة ملاحظتك".

الرجل الذي ما كان يتأثر سوف يتأثر بذلك.

ثم أضاف متسائلاً: "هل ترغب في أن تجنّدني في فريق الاستطلاع الخاص بك؟".

لم يبتسم السير آلان، بل قال بحزم: "أخشى أن يكون الأمر أكثر جدية من ذلك سيد كليفتون، فأنت سوف تسافر إلى موسكو في أيار بصفتك رئيس رابطة القلم الإنكليزية، وقد جاءنا السير هيمفري تريفليين سفيرنا هناك بملف حساس جداً لدرجة أنه لم يخاطر بإرساله عبر الحقيبة الديبلوماسية".

"هل لي أن أسأل عن فحواه؟".

"إنها قائمة شاملة تضمّ اسم ومكان كل جاسوس روسي يعمل في المملكة المتحدة، ولم يطلع السيد هيمفري أحداً عليها حتى نائبه، وإذا استطعت أن تحفظها في ذهنك سنتمكّن من تفكيك كل شبكات الجاسوسية الروسية في هذه البلاد، وإن لم يكن في حوزتك ملفات بهذا الخصوص فلن تكون في دائرة الخطر مطلقاً".

قال هاري بلا تردد: "أنا مستعدّ تماماً لفعل ذلك، ولكنني أتوقّع الحصول على مقابل".

"سأفعل كل ما في وسعي".

"أريد من أمين الشؤون الخارجية أن يفتح تحقيقاً

مكتبة ياسمين

رسمياً بخصوص حجز أناتولي باباكوف".

"المترجم الخاص بستالين؟ ألم يؤلّف كتاباً تمّ منع نشره؟! ماذا كان عنوانه؟".

قال هاري: "*العم جو*".

"حسناً، سأفعل ما في وسعي لكنني لا أضمن لك شيئاً".

"كما عليه أيضاً أن يدلي بتصريح رسمي لوكالات الصحافة المحلية، والأجنبية في اليوم الذي يسبق سفري إلى روسيا".

"لا أستطيع أن أعدك بذلك، لكن تأكّد من أنني سأوصي بأن يدعم أمين الشؤون الخارجية حملتك لتحرير السيد باباكوف".

"أنا متأكد تماماً من أنك ستقوم بذلك سيد آلان، ولكن إن لم تستطع مساعدتي في أزمة باباكوف..."، توقّف قليلاً ثم تابع قائلاً: "فسيكون عليك أن تجد شخصاً آخر ليكون رسولك".

كان لكلمات هاري التأثير الذي أراده تماماً، فلم ينبس مدير المكتب ببنت شفة.

نظرت إيما إلى الأعلى فكان سكرتيرها يدخل برفقة شخص عرفت أنها لن تستطلطفه ما إن تصافحا، ثم قادت السيد ميلور باتجاه كرسيين مريحين قرب الموقد.

قال لها: "إنه من دواعي سروري أن ألتقي بك أخيراً سيدة كليفتون، فقد سمعت الكثير عنك على مدى السنوات الماضية".

قالت إيما، وهي تتفزس في ملامح وجه الرجل الذي يجلس أمامها.

"وأنا كذلك، فقد قرأت الكثير عنك مؤخراً يا سيد ميلور".

لقد قرأت مقالاً حديثاً في الفايننشل تايمز كشف أن ديزموند ميلور قد ترك المدرسة وهو في سنّ السادسة عشرة، وبدأ حياته العملية موظّف حجوزات في كوكسترافيل، وفي سنّ الثالثة والعشرين أسّس شركته الخاصة التي باعها مؤخّراً بما يقارب المليوني جنيه، وقد مرّ بأزمات عدة خلال مسيرته المهنية، ولكن إيما كانت تعرف تماماً أن ذلك معروف بين المقاولين، كما أنها قد تحضّرت لمواجهة سحره، ولكنها تفاجأت بأنه يبدو أصغر من ثمانية وأربعين عاماً.

كان رشيق القامة، ويخلو جسمه من الدهون الملحوظة، وقد أيّدت سكرتيرها في أنه رجل حسن المظهر حتى لو لم تتماشَ ثيابه مع مكاسبه المادية.

قال وهو يضحك ضحكة ساخرة: "ليس سيئاً تماماً".

"إذا عددنا استحواذك الأخير على الشركة، فأنت بالتأكيد لا تؤمن بالاستيلاء على أسرى".

"إن الظروف قاسية في الخارج في الوقت الحالي، وأنا متأكّد من أنك تلمسين ذلك يا سيدة كليفتون، لذلك عليك أن تحمي ظهرك من الطعن إذا سمحت لي بهذا التعبير".

تردّدت إيما في إنهاء الاجتماع بسرعة من خلال تقديم عذر ما إليه، علماً أنها نبّهت سكرتيرها إلى ألا يقاطعهما قبل مرور ثلاثين دقيقة.

قال ميلور: "كنت أتابع نشاطات زوجك بخصوص باباكوف"، وأضاف بابتسامة فاترة قائلاً: "ويبدو أنه هو الاخر يحمي ظهره".

"هاري يتعاطف مع أزمة السيد باباكوف".

"كلنا كذلك بالتأكيد، ولكن علي أن أسأل ما إذا

مكتبة ياسمين

كانت القضية تستحقّ هذه المخاطرة، فلم يَبد أولئك الروس أي اهتمام بحقوق الإنسان".

"ذلك لن يمنع هاري من الدفاع عن قضية يؤمن بها".

"هل مواقفه كلها ثابتة دائماً؟".

قالت إيما من دون أن تبدي أية إشارة إلى استغرابها تغيّر الموضوع المفاجئ: "ليس إلى هذه الدرجة، إنها رحلة مفاجئة لحضور مؤتمر الكتاب، ولكن عندما تترأس مؤسسة عامة قد يكون ذلك نعمة وهمية".

قال ميلور وهو يقترب من إيما: "أعرف تماماً ما تشعرين به، فزوجتي تفضّل أن تعيش في القرية، وهذا ما يجعلني أبقى في بريستول طوال الأسبوع".

سألته إيما: "هل لديك أبناء؟".

"ابنة واحدة من زواجي الأول تعمل سكرتيرة في لندن، وابنة أخرى من زواجي الثاني".

"وكم عمرها؟".

"كيلي عمرها أربع سنوات، وأنا أعرف ابنك سيباستيان الذي انضمّ إلى طاقم بارينغتون مؤخراً".

ابتسمت إيما، وقالت: "حسناً، أيمكنني أن أسألك يا سيد ميلور عن سبب رغبتك في الانضمام إلينا على متن السفينة؟".

"ديز من فضلك، كل أصدقائي ينادونني ديز. إن خبرتي كما تعلمين في مجال النقل في المقام الأول، ومع أنني بعت شركتي، فأنا بدأت أتعامل بصك الملكية الفردية، ولكنني مع الوقت أجد نفسي متفزغاً عن العمل، فقلت لنفسي ربما يكون من

مكتبة ياسين

الممتع أن أعمل تحت سلطة سيدة".

تجاهلت إيما هذا التعليق، وقالت: "إذا أردت أن تصبح عضواً في مجلس إدارة السفينة كيف كنت ستتصرّف إن تمّ عرض شراء علني مجحف".

"في البداية أدّعي أنني لست مهتماً، وبعدها أرى كم يمكنني الاستحواذ عليه، فالسر يكمن في الصبر".

"أليس هناك أية ضوابط تدفعك إلى التمسك بالشركة؟".

"كلا، إذا كان المبلغ جيداً".

"ولكن عندما بعت شركة النقل القومي ألم تقلق بشأن مصير طاقمك؟".

"لو كان أفراد طاقمي واعين كفاية لعرفوا أن هذا كان سيحدث منذ سنوات، أما بالنسبة إليّ فلم أكن سأحظى بفرصة أخرى كهذه".

"إذا وثقنا بجريدة الفايننشل تايمز فإن نصف أفراد طاقمك، وخلال شهر من البيع أصبحوا بلا عمل، ومعظمهم كانوا قد عملوا معك منذ عشرين سنة".

"حصلوا على مكافأة ستة أشهر، كما أن بعضهم لم يجد صعوبة في الحصول على وظيفة في مكان آخر، وواحد أو اثنان منهم انضما إلى بارينغتون".

"ولكن خلال الشهر الثاني، سقطت رئاسة شركة النقل القومي، وانهارت مع إسقاطها سمعتك التي بنيتها على مدى أعوام طويلة".

"وكذلك أنت انهار اسمك عندما تزوجت، لكن هذا لم يمنعك من أن تصبحي مديرة بارينغتون".

"لم يكن لديّ خيار آخر كما أنني توقّعت أن يتغير ذلك في المستقبل".

"دعينا نكن واقعيين، عندما تصل الأمور إلى خط

مكتبة ياسمين

النهاية لن تستطيعي أن تكتفي بكونك عاطفية".

"ليس من الصعب اكتشاف كيف أصبحت رجل أعمال ناجحاً يا ديز، وأسباب الثقة التامة بأنك ستكون مديراً مثالياً كذلك".

"إنني سعيد لأنك تقدَرين ذلك".

"لكنني بحاجة إلى أن أتباحث وزملائي في المسألة للتأكد من موافقتهم، وعندما أحصل على الجواب سأتصل بك ثانية".

"أنا أتطلّع إلى ذلك يا إيما".

مكتبة ياسين

7

وصل سيباستيان إلى الباب الخارجي للسفارة الأميركية في جادة غروزفينر قبل الساعة التاسعة في اليوم المحدّد للقاء *رئيس البعثة الدبلوماسية*.

بعد أن أبلغ المكتب الرئيسي الاستعلامات رافقه رقيب من القوات البحرية إلى الطابق الثاني، فقرع باباً في نهاية الرواق، وقد أذهل سيب أن السيد سوليفان فتح الباب بنفسه.

"إنني مسرور برؤيتك يا سيب، تفضّل بالدخول".

دخل سيب غرفة مطلة على حدائق غروزفينر، ولكنه لم يتمكّن من أن يتأمّل المنظر.

"هل ترغب في فنجان من القهوة؟".

قال سيب الذي كان متوتراً جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يفكّر في شيء سوى بجملته الاستفتاحية: "لا، شكراً يا سيدي".

سأل رئيس البعثة الدبلوماسية، وهو يجلس خلف مكتبه: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

ظلّ سيب واقفاً، ثم قال: "أريد أن أطلب يد ابنتك لو سمحت بذلك، يا سيدي".

قال السيد سوليفان: "يا لها من طريقة تقليدية مؤثرة! أنا متأثر جداً لأنك كلّفت نفسك عناء سؤالي يا سيب، وإن كانت سامانثا موافقة فلا مانع لديّ".

اعترف سيب قائلاً: "لا أعرف رأيها، فلم أسألها بعد".

"إذاً أتمنى لك حظاً سعيداً، وتأكّد أن لا شيء سيسعدنا أنا وأمها أكثر من ارتباطكما".

قال سيب: "إن هذا الموقف يبعث الراحة في نفسي".

مكتبة ياسين

"هل أخبرت والديك؟".

"ليلة البارحة يا سيدي".

"وما رأيهما؟".

"لقد غمرت أمي سعادة عارمة، ولكن أبي علّق قائلاً إن سام إذا كان تفكيرها منطقياً فسترفض عرضي بالتأكيد".

ابتسم سوليفان، وقال: "ولكن إن قبلت بعرضك فهل ستقبل بطريقة عيش لم تعتد عليها؟ فهي تطمح إلى أن تكون أستاذة جامعية، والأساتذة لا يتقاضون أجراً كافياً".

"أنا أعمل على ذلك يا سيدي، لقد ترقّيت للتو في البنك، واحتللت المركز الثاني في قسم الملكيات، وأعتقد أنك تعلم بأنني انضممت مؤخراً إلى مجلس إدارة بارينغتون".

"هذا يبدو واعداً يا سيب، وقد تساءلت ماريون عن سبب تأخرك في الإقدام على هذه الخطوة".

"هل هذا يعني أنني حظيت بموافقتك؟".

"أجل بالتأكيد، ولكن لا تنسَ أن سامانثا لها معاييرها الخاصة مثل أمك، وقد نجد نحن الأشخاص العاديون أنه يصعب التعامل معها، إلا إذا أرشدتنا البوصلة الأخلاقية كوالدك، إذاً وبعد أن انتهينا من مناقشة هذا الموضوع هل ترغب في أن تمضي برفقتي وقتاً أطول؟".

عندما عاد سيباستيان إلى السيتي بنك في وقت لاحق من ذلك الصباح، وجد رسالة من أدريان سلون يدعوه فيها إلى التوجه إلى مكتبه حالما يصل.

قطّب سيباستيان حاجبيه، فالانحدار العرضي الوحيد الذي كان على شاشته خلال الأشهر القليلة السابقة يعود إلى رئيسه المباشر، فلم يتمكن من

مكتبة ياسمين

إرضاء سلون منذ اللحظة التي عينه فيها سيدريك هاردكاسل مشرفاً على قسم الملكيات. كان سلون يترك دائماً انطباعاً بأنه متمرّس في عمله، والحقيقة كانت أن المراجعات وأرباح القسم الشهرية ملفتة للغاية، وأياً يكن الأمر، فهو لم يثق بسيب لسبب ما، كما أنه لم يحاول أن يوليه ثقته أبداً. وفي الواقع، كان يتكبّد عناء إخراجه من حلقة العمل، وقد عرف سيب من أحد زملائه أنه عندما كان يُذكر اسمه في الاجتماعات ما كان يتردّد في التقليل من شأنه.

وقد فكّر سيب في أن يطرح المشكلة على سيدريك، ولكن أمه نصحته ألا يفعل ذلك كي لا يصل الخبر إلى سلون فيجعله ذلك أكثر عدوانية تجاهه.

أضافت إيما: "أياً يكن الأمر، عليك أن تتعلّم الاعتماد على نفسك، ولا تتوقّع أن يساندك سيدريك في كل مشكلة تواجهك".

قال سيب" حسناً، لكن ما ينبغي لي فعله؟".

قالت أيما: "تابع عملك، وأنجزه على أكمل وجه، لأن ذلك كل ما يهمّ سيدريك".

أكّد سيب كلامها قائلاً: "ولكن هذا ما أفعله بالضبط، ولا أدري لماذا يعاملني سلون بهذه الطريقة".

قالت إيما: "يمكنني تفسير السبب بكلمة واحدة، وهي الغيرة، عليك أن تعتاد على ذلك إن كنت تريد الاستمرار في النجاح والترقّي".

"ولكن هذه المشكلة لم تواجهني أبداً عندما كنت أعمل لدى السيد سيدريك".

"بالطبع لا، لأنه لم يعتبرك يوماً تشكّل تهديداً له".

"أيعتقد سلون أنني أشكّل تهديداً له؟".

مكتبة ياسين

"أجل، إنه يعتقد أنك تسعى إلى الحلول مكانه، وهذا يجعله أكثر تكتماً وغموضاً، أو يجعله غير واثق منك ومرتاباً بك، سمّها ما شئت، وسأستخدم أكثر عبارات ديز ميلور شهرة وهي: احرص فقط على أن تحمي ظهرك من الطعن".

***

عندما ذهب سيب إلى مكتب سلون دخل رئيسه مباشرة في الموضوع، ولم يبذ مكترثاً لكون سكرتيرته تسمع كل كلمة نطق بها.

"بما أنك لم تكن في مكتبك عندما جئت هذا الصباح، أعتقد أنك كنت تزور زبوناً".

"لا، كنت في السفارة الأميركية أُنجز عملاً خاصاً".

هذا الجواب جعل سلون يصمت برهة، وبعدها قال له: "حسناً، ولكن عندما تريد أن تنجز أعمالاً شخصية في المستقبل افعل ذلك في وقت فراغك، لا في أوقات العمل في الشركة، فنحن ندير بنكاً، وليس نادياً اجتماعياً".

صرّ سيب على أسنانه، وقال: "سأتذكّر ذلك في المستقبل يا أدريان".

"أفضّل أن تناديني سيد سلون خلال ساعات العمل".

سأله سيب: "أتريد شيئاً آخر... يا سيد سلون؟".

"لا ليس الآن، ولكنني أتوقّع أن أرى تقريرك الشهري على مكتبي عند انتهاء دوام العمل في المساء".

عاد سيب إلى مكتبه مرتاح البال لأنه متقدم خطوة على سلون، فقد سبق وحضّر تقريره الشهري خلال العطلة الأسبوعية، كانت مؤشرات بياناته مرتفعة أيضاً للشهر العاشر على التوالي، على الرغم

من أنه أصبح جلياً أن سلون كان يضيف بيانات سيب إلى بياناته، ليحصد المجد وحده.

إذا أمل سلون في أن خططه هذه ستسحق سيب، وتجبره على أن يستقيل، فليس عليه أن يحبس أنفاسه، فهو لن يخاف منه، طالما أنه يستمرّ بتقديم نتائج مرضية، كما أنه يثق بأن منصبه آمن طالما أن سيدريك هو رئيس البنك، لأن المدير يتقن قراءة ما بين السطور.

عند الساعة الواحدة اشترى سيب شطيرة لحم من مطعم قريب، وأكلها وهو يسير على قدميه، وهذا ما لم تكن لتقبل به أمه التي كانت تقول تناول طعامك وأنت على مكتبك إن كنت مضطراً إلى فعل ذلك، ولا تتناوله وأنت تمشي.

عندما كان ينتظر سيارة أجرة، فكّر في بعض الدروس التي لقّنه إياها سيدريك حول كيفية ختم صفقة، فكان بعضها أساسياً، وبعضها الآخر حذقاً، ولكن معظمها كان أفكاراً عامة قديمة الطراز.

قال سيدريك له: "اعرف قدرتك على التحمل، ولكن إياك أن تتحمّل فوق طاقتك أبداً، وضع في ذهنك أن الطرف الآخر يريد الانتفاع أيضاً. وأبرم عقوداً ناجحة، لأنها ستكون قارب نجاتك في أوقات الشدّة، والشيء الوحيد الأكيد في العمل في مجال المصارف هو أنك ستعاني من أوقات صعبة". وأضاف: "وبالمناسبة لا تتعامل قط بالتجزئة".

وعندما سأله سيب: "من الذي علّمك كل ذلك؟".

قال له: "جاك بيني".

لقد قزر أن يشتري خاتم الخطوبة متسلّحاً بنصائح كل من سيدريك هاردكاسل وجاك بيني، وكان صديق طفولته فيكتور كوفمان الذي يعمل في مكتب العملات الأجنبية في بنك والده الذي يقع

مكتبة ياسين

على مسافة قريبة من فارذنغز هو من اقترح عليه اسم الجواهرجي، فقد نصحه بأن يزور شخصاً يُدعى آلان غارد في هاتون غاردين، قائلاً له: "سوف يؤمّن لك حجراً كريماً كبيراً بنصف السعر الذي يمكن أن يعطيك إياه أي صانع مجوهرات في الشارع الرئيسي".

تناول سيب طعامه وهو يمشي على قدميه، ثم استقلّ سيارة أجرة لأنه كان واعياً ضرورة أن يعود إلى عمله خلال ساعة كي يتجنّب الاصطدام بأدريان سلون مجدداً، فركنت السيارة أمام باب أخضر كان سيب سيتجاوزه لو لم يكن الرقم 47 مرسوماً بوضوح، ولم يكن هناك ما يشير إلى أن المجوهرات في داخله، ما جعله يدرك أنه سيتعامل مع رجل غامض وحذر.

قرع الجرس، وبعد لحظة رحّب به رجل يعتمر قلنسوة وذو جدائل طويلة.

عندما أخبره سيب بأنه صديق فيكتور كوفمان اقتاده مباشرة إلى معتكف السيد غارد.

نهض رجل نحيل من وراء مكتبه، لا يتجاوز طوله خمسة أقدام، يرتدي سترة بلا ربطة عنق، وابتسم لعميله المحتمل.

"إن كنت صديقاً لفيكتور كوفمان فأنت بالتأكيد ستشتري ألماس كوه نور بخمسة جنيهات".

قال سيب: "بل أربعة".

"أنت لست يهودياً؟".

قال سيب: "لا، ولكنني تدرّبت على يدي رجل من يوركشاير".

"هذا يفسّر كل شيء، حسناً، كيف لي أن أساعدك أيها الشاب؟".

مكتبة ياسين

"أنا أبحث عن خاتم خطوبة".

"ومن هي الفتاة المحظوظة؟".

"فتاة أميركية اسمها سام".

"إذاً علينا أن نجد لسام شيئاً مميزاً، أليس كذلك؟".

فتح السيد غارد درجه، وأخرج حلقة مفاتيح كبيرة، وانتقى منها مفتاحاً، ومشى باتجاه خزنة مثبتة في الحائط، وفتح الباب الثقيل مظهراً عشرات العلب المرتبة بعناية، وبعد أن تردّد قليلاً اختار العلبة الثالثة من الأسفل، وسحبها إلى الخارج، ووضع محتواها على المكتب.

تلألأت عدة ماسات أمام سيب، فتفحّصها لبرهة، ثم هزّ برأسه رافضاً، فلم يعلّق الجواهرجي على ذلك، بل أرجع العلبة إلى الخزنة، وأخرج العلبة التي فوقها.

أخذ سيب وقتاً وهو يعاين الأحجار الكبيرة نسبياً، والتي كانت تلمع أمامه، ولكنها لم تلفت انتباهه مجدداً.

فسأله الجواهرجي، وهو يخرج العلبة الثالثة من الأعلى: "هل أنت متأكد من أنك ستتحمّل كلفة هذه؟".

لمعت عينا سيب عندما رأى حجر ياقوت محاطاً بعدة ماسات صغيرة متموضعاً في مركز قطعة القماش ذات المخمل الأسود.

قال من دون تردد: "أريد هذا الخاتم".

أخرج غارد مكبراً من جيبه، وعاين الخاتم عن كثب، ثم قال: "أتى هذا الحجر الجميل من سيلون، وعياره قيراط ونصف، أما مجموعة الماسات الثماني الباقية فهي نصف قيراط، وقد اشتريته حديثاً من الهند".

مكتبة ياسين

"ما سعره؟".

صمت غارد فترة وجيزة، ولكنه قال أخيراً: "يراودني شعور بأنك ستصبح زبوناً دائماً، لذلك أميل إلى أن أدعك تشتري هذا الخاتم الرائع بسعر أولي، هل لنا أن نقول مئة جنيه؟".

"يمكنك قول ما شئت، ولكنني لا أملك مئة جنيه".

"تعامل مع الأمر، وكأنه استثمار".

"لصالح من؟".

قال غارد، وهو يعود إلى مكتبه، ويفتح دفتر سجلات كبيراً: "سأقول لك ما الذي سأفعله".

قلّب عدة صفحات، ثم حزك إصبعه فوق قائمة من الأشكال، وأضاف: "كي أثبت لك كم أنا واثق من أنك ستصبح زبوناً دائماً، سأدعك تحصل على الخاتم بالسعر الذي اشتريته به، وهو ستون جنيهاً".

قال سيب على مضض: "علينا بالعودة إلى الرف الأخير".

رفع غارد يديه في الهواء، وقال: "كيف يمكن لرجل بسيط أن ينتفع، عندما يجبر على التعامل مع شخص حذق مثلك؟ إن سعري الأدنى هو..." صمت لحظات، ثم قال: "خمسون جنيهاً".

"ولكنني أملك قرابة ثلاثين جنيهاً في حسابي المصرفي".

شرد ذهن غارد لحظات، ثم قال: "إذاً دعنا نتّفق على دفع عربون قيمته عشرة جنيهات، وخمسة جنيهات في الشهر لمدة سنة".

"ولكنك بهذه الطريقة تعيد سعره إلى سبعين جنيهاً!".

"أحد عشر شهراً".

"بل عشرة".

مكتبة ياسين

أضاف وهو يصافح يد سيب: "اتفقنا أيها اليافع، وأتمنى أن يكون بداية عدة اتفاقات لاحقة".

بينما كان سيب يكتب شيكاً بقيمة عشرة جنيهات، اختار السيد غارد صندوقاً صغيراً ذا جلد أحمر ووضع فيه الخاتم.

"إنه من دواعي سروري أن أتعامل معك يا سيد كليفتون".

"لديّ سؤال يا سيد غارد، متى أستطيع رؤية الرف العلوي؟".

"ليس قبل أن تصبح رئيس البنك".

مكتبة ياسين

8

قبل أن يسافر هاري إلى موسكو بيوم، استدعى مايكل ستيوارت أمين الشؤون الخارجية في بريطانيا السفير الروسي إلى مكتبه في الوايتهول، ونيابة عن حكومة جلالة الملكة الأم اعترض بأشدّ العبارات الممكنة على المعاملة السيئة التي يتلقّاها أناتولي باباكوف، وقد استمرّ بالتصعيد لدرجة أنه دعا إلى إطلاق سراح باباكوف من السجن، ورفع الحظر عن كتابه فوراً!

احتلّ خطاب السيد ستيوارت اللاحق الصفحات الأولى في كل الصحف المهمة في البلد، بالإضافة إلى دعم رئيس التايمز والغارديان الحملة التي يقودها الكاتب المشهور هاري كليفتون.

في فترة بعد الظهر، في أثناء مساءلة رئيس الوزراء عبر دوغلاس هيوم زعيم المعارضة الأكثر ولاء لجلالة الملكة عن مدى اهتمامه بأزمة باباكوف، طلب منه أن يلغي رئيس الوزراء المحادثات الثنائية التي كان مقرراً لها أن تجرى مع الزعيم السوفياتي ليونيد بريجينيف في لينينغراد لاحقاً في ذلك الشهر. وفي اليوم التالي كانت صور باباكوف بالإضافة إلى صور زوجته يلينا تظهر في عدة صحف، وقد وصفت الديلي ميرور كتابه بالقنبلة الموقوتة، والذي إن نُشر فسيفجّر النظام السوفياتي.

تعجّب هاري من مدى تيقُن المعنيين من شدّة تأثير هذا الكتاب، على الرغم من أنهم لم يتمكّنوا من قراءته، لكنه شعر بأن السير آلان لم يستطع القيام بأكثر من ذلك ليسانده، وأنه يتحتم عليه أن يكون إلى جانبه في الحملة. في ليلة سفره إلى موسكو، راجع هاري خطابه الذي سيلقيه في المؤتمر مرة بعد

مكتبة ياسين

مرة، وفي الوقت الذي حطّت فيه طائرة بي أو إي سي في مطار شيريميتييف شعر بالثقة بأن حملته قد حصدت تأييداً كبيراً، وأنه سيدلي بخطاب يجعل جايلز فخوراً به.

استغرق ساعة بل أكثر لعبور الجمارك لأن المسؤولين فتّشوا حقيبته، وأعادوا تفتيشها مرتين، فبدا جلياً أنه ضيف غير مرحّب به، وعندما خرج مع بعض المندوبين المرافقين نُقلوا في باص مدرسة قديم إلى مركز المدينة، وأوصلهم الأخير إلى الباب الخارجي لفندق ماجيستيك بعد خمسين دقيقة، فوصل هاري وقد أنهكه التعب.

أكّدت له مشرفة الاستقبال أنه بصفته قائداً للوفد البريطاني قد خُصّصت له واحدة من أفضل غرف الفندق، وأعطته المفتاح. وبما أن المصعد كان معطلاً، ولم يكن هناك حمالون متوفّرون، فقد حمل هاري حقيبته إلى الطابق السابع، وفتح الباب ليدخل إلى إحدى أفضل الغرف في الفندق. فكانت الغرفة مفروشة بأثاث بسيط، جعله يعود بالذاكرة إلى أيام الدراسة في سانت بيدز، فكان فيها سرير فراشه رقيق ومتكتل، وطاولة عليها ندوب من رماد السجائر وملطخة بدوائر كؤوس البيرة، وكل ما فيها رثّ، وفي الزاوية مغسلة لها صنبور يسيل منه ماء بارد بشكل متواصل، إذا فتحه أو أغلقه، ومتى أراد الاستحمام يتقيّد بإرشادات مدوّنة على ورقة تشير إلى أن الحمام في نهاية الممشى: *تذكّر أن تأخذ معك منشفة، وأن عليك ألا تبقى في الحمام لأكثر من عشر دقائق، ولا تترك مياه الصنبور تجري.* لقد ذكّره كل ذلك بمدرسته القديمة، وخيّل إليه أنه إذا طرق أحدهم على الباب لن يستغرب رؤية المديرة قادمة لتكشف على أظافره.

مكتبة ياسين

وبما أنه لا يوجد بار صغير أو حتى القليل من قطع الحلوى، نزل هاري ثانية لينضمّ إلى زملائه ويتناول معهم طعام العشاء، وبعد وجبة واحدة من الخدمة الذاتية، بدأ هاري باستيعاب سبب اعتبار معجون السمك الخاص ببينغهام رفاهية في الاتحاد السوفياتي.

قرّر أن ينام باكراً لأنه في برنامج اليوم الأول يتعيّن عليه أن يتوجّه إلى المؤتمر عند الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي بصفته المتحدث الرئيسي.

ربما كان قد أوى إلى فراشه باكراً، ولكن ساعات طويلة مرّت من دون أن يغمض له جفن، ليس بسبب الفراش المتكتل فقط بل بسبب الغطاء الرقيق جداً، وإضاءة النيون المسلّطة عليه، بالإضافة إلى النور الذي تسلّل من الستائر المصنوعة من النايلون إلى كلّ زاوية من زوايا الغرفة، والتي لم يكن طرفاها مغلقين تماماً، ولكن مع مرور الوقت نام عندما أصبحت الساعة الحادية عشرة في بريستول والثانية بعد منتصف الليل في موسكو.

استيقظ هاري في صباح اليوم التالي، وقرّر أن يتجوّل في الساحة الحمراء، فكان مستحيلاً إغفال ضريح لينين الذي احتلّ المساحة كلها، فقد اعتبر المعلم الثابت لمؤسسة الدولة السوفياتية.

كان الكرملين محروساً بمدفع برونزي هائل، وهو رمز إضافي للانتصار على عدو آخر. وعلى الرغم من أنه كان يرتدي المعطف الذي اختارته إيما، وقد رفع الياقة، فقد احمرّت أذناه وأنفه بسرعة كبيرة بسبب البرد القارس، وفي تلك الأثناء أدرك سبب ارتداء الروس تلك القبعات المصنوعة من الفرو المرفقة بأوشحة، والمعاطف الطويلة. لقد مرّ أمامه عدد من

مكتبة ياسين

السكان المحليين، وهم يتوجّهون إلى أعمالهم، ولكن لم ينظر إليه إلا عدد قليل منهم، على الرغم من أنه كان فخوراً بنفسه.

عاد هاري إلى الفندق أبكر من الوقت الذي حدّده لجولته، فسلّمه البواب رسالة يتمنّى من خلالها بيير بوشارد رئيس المؤتمر أن ينضمّ إليه في صالة الطعام.

قال بوشارد عندما استسلم تماماً لبيضة مخفوقة لا يمكن أن تكون بيضة دجاجة أبداً: "لقد حدّدت لك موعد الحادية عشرة صباحاً، إنها الساعة المناسبة لحضور المؤتمرات، وسأبدأ بالمداولات عند الساعة العاشرة والنصف، وسيحضر مندوبون من اثنتين وسبعين دولة"، وقد أضاف باعتداد فرنسي بالنفس: "وهو رقم قياسي، وستعرف أنني وصلت إلى نهاية خطابي عندما سأذكّر المندوبين بأن هناك شيئاً يتقنه الروس أكثر من أي أحد آخر على سطح الأرض"، وعندما رفع هاري حاجبيه، تابع بوشارد كلامه قائلاً: "الباليه، ونحن محظوظون جداً لأننا سنحضر *بحيرة البجع* في البولشوي هذا المساء، وبعد أن أعلن ذلك أمام المندوبين، فسوف أدعوك إلى المسرح كي تلقي خطاب الافتتاح".

قال هاري: "يا له من إطراء أعتدّ به! لذا عليّ أن أشحذ انتباهي".

قال بوشارد: "ليس عليك القيام بذلك، فالمجلس قد أجمع عليك لتكون المتحدث الرئيسي، ونحن نقدّر جميعاً الحملة التي تخطّط لها من أجل أناتولي باباكوف، كما أن الصحافة العامة تظهر اهتماماً ملحوظاً بها، وسيفرحك أن لجنة أمن الدولة السوفياتية طلبت الاطلاع على نسخة حصرية مسبقة لخطابك".

مكتبة ياسين

وثرت كلمات بوشارد هاري للحظة، حتى ذلك الوقت لم يلحظ كم كانت حملته تلقى رواجاً عالمياً، وكم كان متوقعاً منه تحقيق الإنجازات من خلالها، فنظر إلى ساعته متمنياً أن يكون لديه الوقت الكافي ليراجع خطابه، فأنهى قهوته، واعتذر من بوشارد، وتوجّه مسرعاً إلى غرفته. كان مريحاً أن المصعد قد عاد إلى العمل، فلم يحتج إلى أحد ليذكّره بأنه قد لا يحظى بفرصة كهذه مجدداً لعرض قضية باباكوف، وعلى الأخص في حديقة روسيا الخلفية.

توجّه بسرعة إلى غرفته، وفتح درج طاولته الجانبية حيث كان قد وضع خطابه، فلم يجده، وبعد أن فتّش في غرفته أدرك أن لجنة أمن الدولة السوفياتية كانت تستحوذ على النسخة التي كانوا يستميتون في الحصول عليها.

نظر إلى ساعته، ولاحظ أن لديه أربعين دقيقة فقط لبدء افتتاح المؤتمر الذي كان عليه أن يلقي خطاباً خلاله، وقد عمل منذ شهر على تحضيره، ولكن نسخة الخطاب لم تعد في حوزته.

عندما قرعت الأجراس في الساحة الحمراء كان هاري يرتعد كطالب في المدرسة ولديه موعد لمناقشة بحثه أمام أستاذه وهو محفوظ في عقله فقط، فلم يتبقَّ له خيار سوى أن يختبر مدى قوة ذاكرته.

نزل الدرج ببطء، وهو يختبر شعور الممثل المبتدئ قبل لحظات من فتح الستارة، وانضمّ إلى مجموعة من الأعضاء يشقّون طريقهم إلى مركز المؤتمر.

عندما دخل إلى قاعة الاجتماعات كان يودّ العودة إلى غرفته وحجز نفسه في داخلها، وقد صادف

مجموعات من الكتّاب المثرثرين الذين كان أكثر إزعاجاً من الألمان المحتلين.

كان هناك عدد من الأعضاء يبحثون عن مقاعد في غرفة مزدحمة، ولكنه توجّه إلى المقدمة كما طلب منه بوشارد، واحتلّ مكانه في نهاية الصف الثاني، وعندما بدأ يتفحّص القاعة الواسعة، حطّت عيناه على رجال خلت وجوههم من أي تعابير، وقد كانوا ذوي بنية قوية، ويرتدون معاطف سوداء طويلة، ويقفون وهم يسندون ظهورهم إلى الحائط، ومنهم من كانت عيناه تجولان في الفراغ، وكان القاسم المشترك بينهم، أنهم جميعاً بدوا وكأنهم لم يقرأوا كتاباً واحداً في حياتهم.

كان بوشارد على وشك أن يختم خطابه الاستفتاحي عندما رأى هاري، فابتسم له ابتسامة ودودة.

قال بوشارد: "والآن نصل إلى للحظة التي تنتظرونها جميعكم، وهي سماع خطاب زميل مميز لنا من إنكلترا، وكاتب تسع روايات ناجحة تتناول جرائم مثيرة من بطولة الرقيب المحقّق ويليام وورويك، وكنت أتمنى لو كان نظيره الفرنسي المفتش بينوا يمتلك نصف شعبيته فقط، ولربما سنكتشف سبب هذه الشعبية الآن؟".

عندما خفت صوت الضحكات تابع بوشارد كلامه قائلاً: "إنه لشرف كبير لي أن أدعو هاري كليفتون رئيس رابطة القلم الإنكليزية إلى المنبر ليلقي خطاب افتتاح المؤتمر".

توجّه هاري ببطء إلى المنصة متفاجئاً بوميض كاميرات ساطع من المصورين المحيطين بالمسرح، بينما كانت كل خطوة من خطواته تتعثر ببعثة تلفزيونية راصدة.

مكتبة ياسمين

صافح بوشارد، ثم أخذ مكانه خلف المنبر، فتنفّس بعمق، ثم نظر إلى الجمهور المتقد حماسة مباشرة.

بدأ كلامه قائلاً: "سيدي الرئيس، اسمح لي أن أبدأ بشكرك على كلماتك اللطيفة، ولكن علي أن أحذّرك بأني لن أتحدّث اليوم عن المحقق ويليام وورويك أو المفتش بينوا بل سأحدثكم عن شخصية ليست خيالية بل هي شخصية من دم ولحم مثل أي شخص موجود بيننا في هذه القاعة، إنه رجل لا يستطيع أن يحضر هذا المؤتمر اليوم لأنه محتجز بعيداً في المعتقل السيبيري، ولكن ما جريمته؟ إنها تأليف الكتب، وأنا أشير بالطبع إلى ذلك الشهيد، وأنا أتعمّد استخدام هذه الكلمة تحديداً لوصف حالة أناتولي باباكوف بدقة".

كان هاري متفاجئاً بالهتاف الذي تبع كلامه، فمؤتمرات الكتاب يحضرها قلة قليلة من الأكاديميين الرصينين الذين يصفّقون بشكل هادئ عندما ينهى المتحدث خطابه، ولكن هذه المقاطعة سمحت له بأن يستجمع أفكاره على الأقل.

استأنف كلامه قائلاً: "كم واحد منا في هذه القاعة قد قرأ كتباً عن هتلر أو تشرشل أو روزفلت؟ هؤلاء الرجال الثلاثة من أصل أربعة قد رسموا نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكن حتى وقت قريب كان التسجيل الداخلي الوحيد عن جوزيف ستالين هو كتيب رسمي صادر عن هيئة من لجنة أمن الدولة، وكما تعرفون جميعاً فالشخص الذي ترجم هذا الكتيب إلى الإنكليزية كان خائب الأمل لدرجة أنه كتب سيرة ذاتية غير مرخّص لها، وهذا كان سيطلعنا على جانب آخر من شخصية رجل نعرفه كلنا بالعم جو، ولكن سرعان ما تدمّرت كل النسخ فور نشرها، وأغلقت دار النشر، وإثر محاكمة علنية

اختفى الكاتب عن وجه الأرض، وأنا لا أتحدّث عن ألمانيا هتلر، ولكن عن روسيا اليوم، لعل اثنين أو ثلاثة منكم لديهم الفضول ليعرفوا ما الذي كتبه أناتولي باباكوف ليجعل السلطات تتصرّف بهذا الشكل التعسفي، وأنا لديّ الفضول نفسه لمعرفة ذلك، وبعد كل ما جرى، فإن السوفيات لا ينفكّون عن ذكر معالم أمتهم الفاضلة، ويؤكّدون لنا أنها ليست فقط مثالاً يحتذي به باقي دول العالم بل سيأتي اليوم الذي لن يكون لدى هذه الدول خيار سوى تقليدها. إن كانت هذه هي الحال يا سيدي الرئيس لم لا نتقبّل وجهة نظر مناقضة، ونستقرّ على موقف محدّد؟ دعونا لا ننسى أن الرجل الذي كتب ذلك الكتاب قد وقف وراء ستالين لمدة ثلاث عشرة سنة، وكان حافظاً أفكاره الدفينة، وشاهداً على روتين حياته، ولكن عندما قرّر باباكوف أن يكتب نسخته الخاصة عن الأحداث التي شهدها، لم يُسمح لأحد وحتى الشعب السوفياتي بأن يشاركه أفكاره، وأتساءل، ما السبب؟ فلن تجدوا نسخة لكتاب *العم جو* في أية مكتبة في إنكلترا أو أميركا أو أستراليا أو أفريقيا أو أميركا الجنوبية، وبالتأكيد لن تجدوا نسخة في الاتحاد السوفياتي، ولربما كان الكتاب مكتوباً بأسلوب ضعيف وممل، ومضمونه بلا جدوى، وقد لا يستحقّ هدر وقتنا، ومصيره الفشل، ولكن على الأقل دعونا نحكم بأنفسنا".

عمّ الهتاف القاعة مجدداً، فكان على هاري أن يظهر ابتسامة متكلّفة عندما رأى أن رجلين من الذين كانوا يرتدون معاطف سوداء طويلة، قد وضعا أيديهما في جيوبهما، من دون أن يتغيّر تعبير وجهيهما عندما ألقى كلماته.

انتظر الهتاف كي يخفت ثم تابع خطابه: "إن الذين

مكتبة ياسين

يحضرون هذا المؤتمر اليوم هم مؤرخون وكتّاب سير ذاتية وعلماء وروائيون، وكل واحد منهم يثق بأن كتبه ستنشر مهما كان انتقاد حكومته أو قادته أو حتى نظام بلده السياسي لاذعاً، لماذا؟ لأنكم تنتمون إلى بلدان تتحمل النقد والتهكم وحتى الاستخفاف، ويعهد إلى سكان هذه البلدان بأن يقدّروا مدى جودة الكتاب، ولكن الكتب في الاتحاد السوفياتي لا تنشر إلا إذ وافقت عليها الحكومة. كم واحد منكم كان يمكن أن يكون قابعاً في السجن لو أنكم تنتمون إلى روسيا؟ وأنا اليوم أنادي حكام هذه الدولة العظيمة، لأسألهم، لماذا لا تسمحون لشعبكم بأن ينعم بالامتيازات التي نعتبرها في الغرب من المسلمات؟ ويمكنكم البدء بتطبيق هذه الامتيازات عبر إطلاق سراح أناتولي باباكوف، والسماح له بنشر كتابه، هذا إن لم تكونوا خائفين من انطلاق شعلة الحرية. وأنا أعدكم بأنني لن أرتاح قبل أن أتمكّن من شراء نسخة من *العم جو* في هاتشاردز في بيكاديلي، ودابلدي في الفيفث آفينيو، وديموكسين في سيدني ومكتبة جورج في بارك ستريت في بريستول، ولكن قبل ذلك أريد أن أراها تزيّن رفوف مكتبة لينين في شارع فودفيزينكا الواقعة على بعد مئة ياردة من هذه القاعة تقريباً".

على الرغم من صخب الهتاف ظلّ هاري على المنبر لأنه لم يلق فقرته الأخيرة بعد، وانتظر حتى يعم الصمت، ثم نظر إلى الأعلى وأضاف: "سيدي الرئيس، بالنيابة عن الوفد البريطاني الذي منحني الصلاحية فأنا أدعو السيد أناتولي باباكوف إلى أن يكون المتحدث الرسمي في مؤتمرنا العالمي في لندن في السنة التالية".

وقف كل من لم يكن يرتدي معطفاً أسود، وصفق

مكتبة ياسين

لهاري تصفيقاً حاداً، فهمس ضابط في لجنة أمن الدولة كان يجلس في كبينة في آخر الصالة إلى رئيسه قائلاً: "ألقى الخطاب حرفاً حرفاً، لا بد من أنه كان هنالك نسخة إضافية له لم نعلم بشأنها".

***

"السيد نولز على الخط سيدتي المديرة".

ضغطت إيما زراً على هاتفها، وقالت: "مساء الخير يا جيم".

"مساء الخير يا إيما، فكّرت في أن أتصل بك لأن ديزموند ميلور قال لي إنه قابلك، وأن الاجتماع جرى بشكل سلس".

قالت إيما: "بالطبع قال لك ذلك، وعليّ أن أعترف بأن بالسيد ميلور أذهلني، فهو من دون شك رجل متمرس في إدارة الأعمال، ولديه خبرة واسعة في مجال عمله".

قال نولز: "أوافقك الرأي، حسناً، هل لي أن أفترض أنك ستقترحين انضمامه إلى المجلس؟".

"لا أستطيع ذلك يا جيم، فلدى السيد ميلور العديد من الصفات المثيرة للإعجاب، ولكن لديه سيئة طاغية أيضاً".

"ما هي؟".

"إنه مهتم بشخص واحد فقط، وهو نفسه، ومصطلح "الوفاء" مكروه بالنسبة إليه، فعندما استمعت إلى السيد ميلور ذكّرني بأبي، وأنا أريد رجالاً في المجلس يذكروننني بجدي فقط".

"هذا يضعني في موقف محرج جداً".

"ولماذا الشعور بالإحراج يا جيم؟".

"أنا الذي رشّحت ميلور للمنصب في المجلس في المقام الأول، وقد زعزع قرارك موقفي".

مكتبة ياسمين

قالت إيما: "أنا آسفة لأنك تشعر بذلك يا جيم"، ثم صمتت قبل أن تضيف قائلة: "سأتفهّم بالطبع إن كنت تريد أن تستقيل من منصبك".

قضى هاري ما تبقى من يومه يصافح أناساً لم يسبق له أن التقى بهم، وقد وعده عدد منهم أن يدعموا قضية باباكوف في بلدانهم. إن التملق كان شيئاً يفعله سياسي كجايلز بتلقائية، ولكن هاري يجد هذا الأمر مرهقاً، وعلى أية حال كان مسروراً لأنه كان قد مشى في شوارع بريستول إلى جانب نسيبه خلال الحملات الانتخابية السابقة، والتي لم يلحظ خلالها كم استفاد منها حتى هذا الوقت.

بحلول الوقت الذي استقلّ فيه هاري الحافلة التي كانت ستنقل أعضاء الوفود إلى مسرح البولشوي كان يشعر بنعاس شديد لدرجة أنه أحسّ بأنه سيغطّ في نوم عميق خلال العرض، ولكن عندما رفعت الستارة كان متحمّساً لدرجة أنه جلس على حافة مقعده، وهو مأسور بحركات الراقصين الرشيقة والحرفية وبراعتهم في فن الرقص، وطاقاتهم الكبيرة التي سلبت العقول وأثارت الإعجاب حتى كاد ألا يزحزح عينيه عن المنصة، وعندما أسدلت الستارة لم يكن لديه أي شك في كون الاتحاد السوفياتي رائداً في هذا المجال.

عندما عاد إلى فندقه، سلّمته موظفة الاستقبال ملاحظة تؤكّد أن سيارة من السفارة ستقلّه في صباح اليوم التالي عند الساعة الثامنة إلا عشر دقائق لكي ينضمّ إلى السفير، ويتناول معه طعام الفطور، ما سيمنحه وقتاً كافياً ليلحق برحلته إلى لندن عند الساعة الثانية عشرة.

جلس الرجلان بسكون في زاوية الردهة يراقبان كل تحركاته، فعرف هاري أنهما قرا رسالة السفير

قبل أن يقرأها هو بوقت طويل، فأمسك بمفتاحه، وابتسم لهما بلطف، وتمنى لهما ليلة سعيدة قبل أن يستقلَ المصعد إلى الطابق السابع.

حالما خلع هاري ملابسه وجلس على سريره، استسلم لنوم عميق.

مكتبة ياسين

9

"إنها ليست بحركة جيدة يا أمي".

قالت إيما: "لم لا؟ لم يكن جيم نولز يوماً داعماً لنا، وأنا في الواقع سعيدة لأنني تخلّصت منه".

"هل تتذكّرين ما قاله ليندون جونسون عن جي إدغار هوفر؟ أنا أفضّل أن يتلاعب وهو في الداخل على أن يتلاعب وهو في الخارج".

"يستطيع المرء أن يتساءل عن سبب إنفاقنا أنا وأبوك أموالاً طائلة من أجل تعليمك، ولكن ما الأذى الذي يمكن أن يحدثه نولز؟".

"لديه معلومة يمكن أن تسبّب انهيار الشركة".

"لن يتجرّأ على أن يفضح قضية الأسطول الرئيسي، لأنه إذا فعل فلن يحصل على أي عمل آخر في المدينة".

"لا يحتاج إلى فعل ذلك بشكل علني، فكل ما عليه فعله هو تناول طعام الغداء في جو هادئ في النادي مع أليكس فيشر الذي سيعلم الليدي فيرجينيا بتفاصيل ما جرى في تلك الليلة بعد نصف ساعة فقط، وتأكّدي من أنها ستخبّئ أكثر التفاصيل حساسية لتعرضها على منصة الشهود، لأن ذلك لن يتسبّب في سقوطك وحسب بل في سقوط الشركة أيضاً. لا، أنا أخشى يا أمي أنك ستضطرّين إلى أن تتواضعي قليلاً إن كنت لا تريدين أن تقضي كل يوم وأنت تتساءلين عن موعد انفجار القنبلة".

"لكن نولز وضّح لي بالفعل أنه في حال لم يتمّ تعيين ميلور عضواً في المجلس فسيستقيل منه".

"حسناً، يجب توفير مكان للسيد ميلور في المجلس".

"على جثتي".

مكتبة ياسين

"هذا قرارك يا أمي، وليس قراري".

***

طق طق طق فتح هاري عينيه فجأة، طق طق طق، هل كان يقرع أحدهم الباب؟ أو كانت مجرد ضجة صادرة من الخارج؟ طق طق طق، كان هذا الصوت طرقاً على الباب بالتأكيد، لقد أراد هاري أن يتجاهل الأمر، ولكن الإلحاح يشير إلى أنها لم تكن طرقات عابرة، طق طق طق، وضع قدميه على الأرض المشمعة الباردة على مضض، وارتدى روب نومه، ومشى مترنّحاً نحو الباب.

عندما فتح هاري الباب حاول ألا يظهر أنه تفاجأ.

قال صوت مثير: "مرحباً يا هاري".

حدَق هاري بذهول إلى الفتاة التي وقع في حبها منذ عشرين سنة، فقد وقفت أمامه نسخة كربونية لإيما في أوائل العشرين، وهي ترتدي معطفاً من الفرو، وقد شك في أنها لم ترتدِ شيئاً آخر تحته، وكانت تحمل سيجارة في يد، وزجاجة شامبانيا في اليد الأخرى، وقد دار في خلد هاري أن الروس لا بد من أنهم شديدو الذكاء.

لقد همست إليه، وهي تلمس ذراعه: "اسمي آلينا، وكنت أتطلّع إلى الالتقاء بك".

قال هاري: "أظنّ أنك دخلت الغرفة الخطأ".

قالت آلينا، وهي تحاول أن تتجاوزه، ولكن هاري ظلّ جامداً أمام المدخل حاجباً طريقها: "لا أعتقد ذلك، أنا جائزتك يا هاري لإلقائك هذا الخطاب الرائع، وقد وعدت الرئيس أنني سأمنحك ليلة لن تنساها أبداً".

قال هاري، وهو يتساءل عن الرئيس الذي تعمل لديه آلينا: "لقد حقّقت ذلك بالفعل".

مكتبة ياسين

"هل أنت متأكد من عدم وجود شيء آخر أستطيع تقديمه لك يا هاري؟".

"لا شيء أستطيع أن أفكّر فيه، واشكري رؤساءك، وأخبريهم بأنني لست مهتماً".

بدت آلينا خائبة الأمل.

"لعلك ترغب في الفتيان؟".

"لا شكراً لك".

اقترحت عليه قائلة: "والنقود؟".

"يا له من لطف غامر! ولكن لدي ما يكفيني".

"هل هناك شيء أستطيع إغراءك به؟".

قال هاري: "بما أنك تذكرين ذلك الآن، هناك شيء كنت أرغب فيه دائماً، وإذا استطاع رؤساؤك تحقيق رغبتي فسأصبح تابعاً لهم".

قالت، وقد ظهرت على وجهها ملامح الأمل للمرة الأولى: "وماذا عساه أن يكون يا هاري؟".

"جائزة نوبل للأدب".

بدت آلينا مشوشة، ولم يستطع هاري مقاومة أن يقبل خديها، وكأنها كانت العمة المفضّلة لديه، ثم أغلق الباب بسرعة، وعاد إلى سريره.

قال، وهو يشعر بالأرق: "عليها اللعنة".

***

قالت الفتاة عبر المحوّل الآلي: "هناك سيد يُدعى فوغان على الخط يا سيد كليفتون، ويقول إنه يريد التحدث إلى السيد سلون على عجلة، ولكنه سافر لحضور مؤتمر في نيويورك، ولن يعود قبل يوم الجمعة".

"حوّلي الاتصال إلى سكرتيرته، وأخبريها بأن تتولّى الأمر".

"سارة لا تجيب عبر هاتفها يا سيد كليفتون، ولا أعتقد أنها قد عادت من استراحة الغداء بعد".

قال سيب على مضض: "حسناً صليني به، صباح الخير سيد فوغان، كيف أستطيع مساعدتك؟".

قال فوغان: "أنا كبير المساهمين في شركة سافي للعقارات، ويجب أن أتكلّم مع السيد سلون في أمر ضروري".

"هل يمكن أن يؤجّل ذلك إلى يوم الجمعة؟".

"لا، فلدي عرضان آخران متوفران لمزرعة شيفنال في شروبشاير، والرهن سينتهي يوم الجمعة، لذا أحتاج إلى أن أعرف إن كان السيد سلون مهتماً بهما أم لا".

قال سيب، وهو يمسك بقلم: "يمكنك أن تعطيني التفاصيل، وسوف أبحث في الأمر على الفور".

"هل يمكنك أن تخبر السيد سلون بأن السيد كولينغوود سعيد بقبول عرضه ذي المليون والستمئة ألف، وهذا يعني أنني أحتاج إلى عربون بقيمة 160000 جنيه إسترليني في الساعة الخامسة من يوم الجمعة إن كان يرغب في إتمام الصفقة".

ردّد سيب من دون أن يكون متأكداً من أنه قد سمع الرقم بدقة: "مليون وستمئة ألف؟!".

"أجل، وهذا يشمل بالطبع الألف فدان بالإضافة إلى المنزل".

قال سيب: "بالطبع، سوف أخبر السيد سلون بذلك ما إن يتصل مباشرة".

أغلق سيب السماعة، وقد بدا مذهولاً، فهذا القدر الكبير من المال أكبر بكثير من أية صفقة كان قد أبرمها للحصول على ملكية في لندن، فما بالك إذا

مكتبة ياسين

كانت مزرعة في شروبشاير، لذلك قرّر أن يتحقّق من سكرتيرة سلون، فمشى في الرواق باتجاه مكتبها ليجد سارة تعلّق معطفها.

"صباح الخير يا سيد كليفتون كيف يمكنني أن أساعدك؟".

"أحتاج إلى أن أرى ملف كولينغوود يا سارة كي أستطيع أن أضع السيد سلون في جوّ الصفقة عندما يتّصل".

بدت سارة مشوشة وهي تقول: "ليس لي دراية بهذا العميل، ولكن دعني أتحقّق من الأمر".

فتحت خزانة ملفات مرمّزة من حرف الإي إلى حرف الإتش، وانتقلت مباشرة إلى حرف السي(1)، ثم قالت: "إنه ليس من عملاء السيد سلون، ولا بد أن يكون هناك خطأ ما".

قال سيب: "حاولي أن تبحثي عنه بعنوان مزرعة شيفنال".

حوّلت سارة اهتمامها إلى الأحرف من أس إلى زد، ولكنها هزّت برأسها، وقد بدت الخيبة على وجهها أيضاً.

قال سيب: "ربما كان ذلك خطأ"، ثم قال بعد أن أغلقت خزانة الملفات: "لعله من الأفضل ألا تخبري السيد سلون بذلك"، عاد إلى مكتبه على مهل، وأغلق الباب، وفكّر في محادثته مع السيد فوغان فترة وجيزة قبل أن يرفع السماعة، ويطلب دليل الهاتف.

عندما أجابه صوت من الطرف الآخر، سأله سيب عن مزرعة شيفنال التي تعود ملكيتها إلى السيد كولينغوود في شروبشاير، فمرّت بضع لحظات قبل أن يعود الموظّف إلى الخط.

"لدي رقم السيد د. كولينغوود، شيفنال فارم،

مكتبة ياسمين

شيفنال، هل هذا هو؟".

"لا بد أن يكون هو، هل يمكن أن تعطيني رقمه؟".

"أخشى أنني لا أستطيع فعل ذلك، لأن الرقم ليس متوفراً للعامة".

"ولكنها حالة طارئة".

"وإن كانت الحالة طارئة، فليس من صلاحيتي أن أعطيك هذا الرقم تحت أي ظروف من الظروف"، ثم أنهى المكالمة.

تردّد سيب لوهلة قبل أن يرفع السماعة مجدداً، ويطلب رقماً داخلياً.

قال صوت مألوف: "مكتب المدير".

"أريد مقابلة المدير لخمس عشرة دقيقة، يا ريتشيل".

"يمكنك مقابلته عند الساعة الخامسة وخمس وأربعين دقيقة، ولكن ليس لأكثر من خمس عشرة دقيقة لأن لديه اجتماعاً مع نائب المدير عند الساعة السادسة، والسيد بوشانان لا يتأخّر أبداً".

***

في الصباح الباكر كانت سيارتا السفارة الرولز رويس، وينونيون جاكس، تنتظران في تأهّب خارج فندق ماجيستيك قبل أن يظهر هاري بوقت طويل في الردهة عند الساعة الثامنة إلا عشر دقائق، وكان الرجلان نفساهما جالسين في الزاوية، وهما يتظاهران بأنهما لم يلحظاه.

تساءل هاري إن كانا ينامان أم لا.

عندما سجّل هاري خروجه من الفندق لم يقاوم رغبته في توديع حارسيه بانحناءة بسيطة قبل أن يغادر الفندق الذي لم يكن هناك رابط بين اسمه وحقيقة وضعه المزرية. فتح السائق الباب الخلفي

للرولز رويس كي يسمح لهاري بالدخول، فجلس على المقعد، وبدأ يفكر في السبب الآخر الذي جعله يأتي إلى موسكو.

انطلقت السيارة في شوارع العاصمة المبللة بالمطر متجاوزة كاتدرائية القديس باسيل ذلك البناء الجميل الذي يقع في أحضان جنوب الساحة الحمراء، كما اجتازت الموسكوفا، ثم انعطفت يساراً، وبعد دقائق قليلة انفتحت أبواب السفارة البريطانية شاطرة الرمز الملكي إلى شطرين، فدخل السائق حرم السفارة، وركن أمام الباب الرئيسي، وقد أثار المكان إعجاب هاري، فقد ظهر أمامه منزل فخم يليق بقيصر يذكّره بالإمبراطورية البريطانية السابقة أكثر من حالتها المتدهورة ما بعد الحرب.

كانت المفاجأة الثانية رؤية السفير، وهو ينتظره على درج السفارة ليرحّب به.

قال همفري تريفلين عندما ترجّل هنري من السيارة: "صباح الخير سيد كليفتون".

قال هاري وهو يصافح السفير بكل لياقة: "صباح الخير سعادة السفير"، لقد كان لقاؤهما من أجل إبرام صفقة.

قاده السفير إلى قاعة مستديرة تحتوي على تمثال ضخم للملكة فيكتوريا.

قال تريفلين: "لعلك لم تقرأ جريدة التايمز هذا الصباح، ولكنني أستطيع القول إن خطابك في رابطة القلم كان له التأثير المرجوّ".

قال هاري: "لنتمنّ ذلك، ولكنني لن أقتنع إلا بعد أن يتمّ الإفراج عن باباكوف فقط".

نبّهه السفير قائلاً: "قد يأخذ ذلك وقتاً أطول بقليل، فلم يُعرف عن السوفيات الاندفاع إلى القيام

بأي تصرّف خاصة إذا لم يكونوا أصحاب الفكرة أساساً، وقد يكون من الحكمة أن تجهّز نفسك للعب لمدة أطول، من دون أن يثبط طول الوقت عزيمتك، لأنني أستطيع أن أعلمك بأن بولتبيورو قد دهش من الدعم الذي تلقّيته في المؤتمر، وعلى كل حال فالوجه الاخر لهذه العملة هي أنك تعتبر الآن بيرسونا نون غراتا".

رافق ضيفه في الممشى الرخامي الزاخر بصور الحكام البريطانيين الذين لم يعانوا المصير الذي لقيه أقرباؤهم الروس.

فتح أبواب الممشى المزدوجة والمرتفعة عن الأرض وصولاً إلى السقف حارسان، على الرغم من أن السفير ما زال على بعد أمتار منهما.

ثم دخل مباشرة إلى مقره، واستقرّ في مكانه خلف مكتب فاخر، وأشار إلى هاري أن يجلس أمامه.

قال تريفلين، وهو يختار مفتاحاً من سلسلة مفاتيح، ثم فتح درج مكتبه: "أعطيت تعليماتي بألا يقاطعنا أحد".

أخرج ملفاً، وسحب منه ورقة ناولها لهاري قائلاً: "خذ وقتك يا سيد كليفتون، لست خاضعاً للقيود ذاتها التي فرضها عليك السيد آلان".

بدأ هاري بدراسة قائمة من الأسماء والعناوين وأرقام الهواتف التي بدت وكأنها غير منطقية بالنسبة إليه، وبعد ذلك راجعها مرة ثانية، ثم قال: "أظنّ أنني حفظتها يا سيدي".

أوحت نظرة الاستغراب التي ظهرت على وجه السفير بأنه لم يكن مقتنعاً بكلامه، فقال: "حسناً لنتأكّد من ذلك، هل نبدأ؟!".

أخذ القائمة ووضع بدلاً منها ورقتين من الأوراق

مكتبة ياسين

البيضاء الخاصة بالسفارة، وإلى جانبهما قلم حبر.

تنفَس هاري بعمق، وبدأ بكتابة الأسماء الاثني عشر، والعناوين التسعة، وأرقام الهواتف الواحد والعشرين، وعندما أنهى المهمة أعطى ما توصَل إليه للسفير ليصادق عليه، وبدوره قارن السيد همفري بهدوء ما دوّنه على الورقة بالقائمة الأصلية، ثم قال: "كتبت بينغلي بلام واحدة بدلاً من اثنتين".

فقطَب هاري حاجبيه، ثم قال له السفير، وهو يعدّل جلسته، ويسلّط ضوءاً على عمل هاري الأول: "حبّذا لو تكرّمت، وأعدت العمل يا سيد كليفتون".

أنهى هاري محاولته الثانية بدقة أكبر، وبعد أن دقّقها السفير مرتين قال: "أتمنّى لو كنت فرداً من فريقي، وبما أننا نظنّ أن السوفيات قد قرأوا الورقة التي قد تركتها لك في الفندق، فمن الواجب ألا نخيّب ظنّهم".

ضغط على زر تحت مكتبه، وبعد ثوان قليلة فُتحت الأبواب ثانية، ودخل عنصران من معاونيه وهما يجرّان عربة، ويرتديان سترتين قطنيتين بيضاوين، وسروالين أسودين.

لقد تحدّث الرجلان عن كل شيء في أثناء تناول طعام الفطور المكون من قهوة ساخنة، وتوست بني، ومربى من أوكسفورد، وبيض دجاج، وقد اختلفا حول فرص فوز بريطانيا في جنوب أفريقيا، فاعتقد هاري بأن بريطانيا كانت ستربح بينما السفير لم يكن مقتنعاً بذلك، وبالنسبة إلى إلغاء عقوبة الإعدام شنقاً كان هاري مؤيّداً، أما السفير فكان معارضاً، والشيء الوحيد الذي اتفقا عليه كان انضمام بريطانيا إلى السوق المشتركة، إلا أنهما لم يبحثا أبداً في سبب تناولهما الفطور معاً.

عندما سحبت العربة من أمامهما، بقيا وحدهما

مكتبة ياسمين

مجدداً، فقال تريفلين: "اعذرني لكوني عجوزاً مزعجاً، ولكن هل لك أن تعيد تلك المهمة مرة أخرى؟".

رجع هاري إلى مكتب السفير، وأعاد كتابة القائمة للمرة الثالثة.

"يا له من أمر متقن! الآن فهمت لما اختارك السير آلان".

رافق تريفلين ضيفه إلى الخارج، وقال: "ستقلّك سيارتي إلى المطار، وعلى الرغم من ظني أن لديك متسعاً من الوقت إلا أنه ينتابني شعور بأن موظّفي الجمارك سيعتقدون أنني أعطيتك شيئاً لتعيده إلى بريطانيا، وبالتالي ستكون معرّضاً لتفتيش مطول، ولديهم كل الحق في ذلك، ولكن لحسن الحظ ليس في حوزتك ما يستطيعون وضع أيديهم عليه، ولذلك كل ما يمكن أن أقدّمه لك هو أن أشكرك يا سيد كليفتون، وأعتقد أنك لن تكتب القائمة حتى ترتفع عجلات الطائرة عن أرض المطار، وقد تشعر أيضاً بأنه من الحكمة أن تنتظر حتى تغادر أجواء الاتحاد السوفياتي كلياً، وبالرغم من ذلك من المؤكّد أن هناك من سيراقب حركاتك على متن الطائرة".

رافق السيد همفري ضيفه إلى الباب الخارجي وتصافحا للمرة الثانية قبل ركوب هاري في المقعد الخلفي للرولز رويس، بينما بقي السفير واقفاً في مكانه إلى أن توارت السيارة عن الأنظار.

أوصل السائق هاري إلى مطار شيريميتيف قبل ساعتين من موعد انطلاق طائرته، وتبيّن أن السفير كان محقاً إذ إن هاري أمضى ساعة قبل أن انتهاء الإجراءات الرسمية، إذ إنهم فتشوا حقيبته مرتين قبل أن يتحسّسوا سترته ومعطفه.

عندما لم يجدوا شيئاً مريباً أخذوه إلى غرفة

مكتبة ياسين

صغيرة، وطلبوا منه أن يخلع ثيابه، وعندما فشلت جهودهم مرة أخرى ظهر طبيب، وفتش في مناطق لم تخطر بباله حتى، ولكنه بالتأكيد لن يذكرها بالتفاصيل المملة في كتابه التالي.

وبعد ساعة سلّموه حقيبته على مضض، وهذا كان دليلاً على انتهائهم من تفتيشها، ولكنها لم تظهر في لندن أبداً.

لقد قرّر ألا يعترض على اختفائها، حتى إنهم لم يعيدوا معطفه الذي كان هدية عيد ميلاده من إيما، فكان عليه أن يحصل على واحد مثله من إيدي إي وريفنسكوفت قبل أن يذهب إلى بريستول، لأنه لم يرد أن تعرف زوجته السبب الحقيقي الذي أراد السير آلان مقابلته من أجله.

أخيراً عندما صعد هاري إلى الطائرة، سرّه أنه ترقّى إلى الدرجة الأولى التي حصل عليها في آخر مهمة أرسله فيها مدير المكتب، وقد اكتملت سعادته العارمة عندما لم يشغل أحد المقعد الذي بجانبه، فلم يترك السير آلان شيئاً للصدفة.

لقد انتظر حتى مرّت ساعة في الهواء قبل أن يطلب من النادل عدة أوراق، ولكن عندما وصلت إليه كان قد غيّر رأيه، فقد كان هناك رجلان يجلسان في الطرف الآخر من الممر، ويرنوان إليه.

عدّل ظهر مقعده، وأغمض عينيه، وراجع القائمة في ذهنه عدة مرات، وعندما وصلت الطائرة إلى هيثرو كان مرهقاً جسدياً وعقلياً.

ولكنه كان ممتناً لأن الجاسوسية لم تكن عمله الرئيسي.

كان هاري أول من خرج من الطائرة، ولم يكن متفاجئاً بأن السيد آلان كان ينتظره عند أسفل سلم الطائرة، فانضمّ إليه في السيارة التي غادرت المطار

مكتبة ياسمين

بسرعة من دون أن يعرقل مغادرتهما مفتش المطار.

لم يقل مدير المكتب سوى عبارة مقتضبة: "صباح الخير يا كليفتون" ثم مرّر له الدفتر والقلم.

كتب هاري الأسماء الاثني عشر، والعناوين التسعة، وأرقام الهواتف الواحد والعشرين التي كان يعيدها في رأسه منذ ساعات، وتحقّق من القائمة قبل أن يسلّمها إلى السير آلان.

قال السير آلان: "أنا ممتن لك كثيراً، وأعتقد أنك ستسرّ إذا علمت أنني أضفت عدة فقرات إلى الخطاب الذي سيلقيه وزير الخارجية في الأمم المتحدة الأسبوع القادم، والذي آمل أن يساعدك في قضية السيد باباكوف، وبالمناسبة هل رأيت الحارسين الشخصيين الجالسين في الطرف الآخر من ممرّ الطائرة، واللذين كنت قد عيّنتهما لحمايتك في حال واجهتك أية مشكلة؟".

***

قال سيدريك: "ليس هناك أي صفقة بمليون وستمئة ألف على حدّ علمي، ونادراً ما أنسى شيئاً بهذا الخصوص، ولكن لا بدّ من أن أتساءل حول ما يخطّط له سلون".

قال سيباستيان: "ليست لديّ أدنى فكرة، ولكنني واثق من وجود تفسير بسيط".

"أنت تقول إنه لن يعود قبل يوم الجمعة؟".

"هذا صحيح، فهو يحضر مؤتمراً في نيويورك".

"حسناً، هذا سيمنحنا يومين للتحقيق في المسألة، فأنت محقّ، سيكون هناك تفسير بسيط"، ثم ردّد قائلاً: "إن المليون والستمئة ألف مبلغ كبير! ولكن هل قبل السيد كولينغوود بعرضه؟".

"هذا ما قاله السيد فوغان من شركة سافي".

مكتبة ياسين

"إن رالف فوغان مخضرم، ولا يرتكب مثل هذه الأخطاء"، ظلّ سيدريك صامتاً للحظات قبل أن يضيف: "يجدر بك أن تذهب إلى شيفنال في الصباح الباكر، وتبدأ بتقصّي الحقائق، وابدأ من الحانة المحلية، فصاحب الحانة غالباً ما يعرف ما الذي يجري في القرية، لأن مبلغ المليون وستمئة ألف سيثير اهتمام الناس الذين سيثرثرون وينثرون الأقاويل، وبعد أن تتكلّم معه تحقّق من الوكلاء العقاريين المحليين، ولكن احرص على ألا تقترب من كولينغوود، فإن فعلت ذلك فسيصل الخبر إلى سلون بالتأكيد، وسيعتقد أنك تحاول التفوّق عليه وهزيمته، لذا علينا أن نبقي ذلك الأمر بيننا، كي لا ينقذ نفسه في حال تبيّن أنه مذنب بشكل مؤكّد، وعندما ترجع إلى لندن اذهب مباشرة إلى كادوغان بليس لتخبرني بالمستجدات في أثناء تناولنا طعام العشاء".

قرّر سيب أن الوقت لم يكن مناسباً لإخبار سيدريك بأنه قد حجز طاولة في ميرابيل لتناول العشاء مع سامانثا، وما إن دقّت الساعة الموجودة على الرف معلنة أنها السادسة، تبلّغ أن نائب المدير روس باكنان كان ينتظره في الخارج.

وما إن نهض سيب ليغادر المكتب حتى قال له سيدريك: "حسناً فعلت يا سيب، وأرجو أن يكون هناك تفسيرات لكل ما حدث، ولكن أياً يكن الأمر، فشكراً لأنك أطلعتني على ما يحصل".

أومأ سيب إليه برأسه، وعندما وصل إلى الباب استدار وقال له تصبح على خير، فرآه وهو يتناول حبة دواء، فتظاهر بأنه لم ينتبه إليه وهو يغلق الباب خلفه.

مكتبة ياسين

10

في صباح اليوم التالي استيقظ سيب وارتدى ملابسه، ثم غادر المنزل قبل أن تستيقظ سام.

لم يسافر سيدريك هاردكاسل في الدرجة الأولى أبداً، لكنه كان يسمح دائماً لأفراد إدارته ذوي المناصب الرفيعة بأن يقوموا بذلك عندما تكون الرحلة طويلة وشاقة.

على الرغم من أن سيب تناول نسخة من الفايننشال في أوستن إلا أنه بالكاد قد تطلّع إلى العناوين في أثناء رحلة استغرقت ثلاث ساعات إلى شروبشاير، وكان ذهنه مشغولاً بإيجاد الطريقة المثلى لقضاء وقته عند وصوله إلى شيفنال.

دخل القطار محطة شروزبيري تماماً بعد الحادية عشرة والنصف، ولم يتردّد سيب في أن يستقلّ سيارة أجرة إلى شيفنال مفضّلاً ذلك على الانتظار إلى حين وصول القطار، وذلك لأن الوقت كان من ذهب، فانتظر إلى أن غادرا البلدة قبل أن يطرح على السائق سؤاله الأول: "ما أفضل حانة في شيفنال؟".

"هذا يعتمد على ما تبحث عنه، أتريد الطعام الشهي أو تفضّل الجعة في البلاد؟".

"أظنّ أن المرء دائماً يحكم على الحانات عند معرفة مالكيها".

"حسناً، عليك بشيفنال آرمز التي يملكها فريد وشيلا رامزي، إنهما لا يديران الحانة فحسب بل القرية كلها، ففريد رئيس نادي الكريكيت المحلي، وقد اعتاد أن يفتح مضمار بولنغ العشب للقرية بأكملها، حتى إنه لعب باسم القرية مرتين، وشيلا عضو في مجلس الأبرشية، ولكن انتبه فالطعام لديهم رديء".

مكتبة ياسين

قال سيب: "حسناً، هيا بنا إلى شيفنال أرمز"، ثم اعتدل في جلسته، وأخذ يراجع استراتيجيته، فهو يدرك تماماً أنه لا يجب أن يكتشف سلون سبب تغيّبه عن المكتب.

وصلت سيارة الأجرة إلى باب شيفنال آرمز بعد الساعة الثانية عشرة بدقائق قليلة، فودَ سيب أن يعطي السائق إكرامية، ولكنه لم يشأ أن يتذكّره أو ويميّزه.

مشى سيب إلى داخل الحانة، محاولاً أن يبدو طبيعياً وعادياً، إلا أن ذلك لم يكن سهلاً، وبالأخص عندما تكون الزبون الأول في ذاك اليوم، فتفرّس ملامح الرجل الجالس خلف البار. على الرغم من أن عمره كان فوق الأربعين، فقد كان خدّاه وأنفه يظهران أنه يستمتع بالمنتج الذي يبيعه، بينما توحي قبضته بأنه يفضّل فطائر لحم الخنزير على الطعام الخفيف، ولم يصعب الاقتناع بأن هذا الحجم الضخم من الرجال قد افتتح ذات مرة مركزاً للبولينغ في شيفنال.

قال المالك: "أهلاً بك ماذا أقدمَ لك؟".

قال سيب: "نصف كوب من جعتك المحلية سيناسبني تماماً"، مع أن سيب لا يشرب في أثناء ساعات العمل، ولكنه اليوم لا يعمل، فوضع له صاحب الحانة نصف كوب من ريكن آي بي إي، وقال له: "إنها بشيلينغ، وستة بنسات". كان سيب يدفع نصف السعر في لندن، فارتشف رشفة، وقال وهو يسدّد ضربته الأولى: "ليست سيئة، ولكنها ليست مشروب الويست كينزي، ومع ذلك فهي ليست بذاك السوء...".

قال صاحب الحانة: "أنت لست من هذه النواحي أليس كذلك؟".

مكتبة ياسين

قال سيب قبل أن يرتشف رشفة أخرى: "لا، ولدت ونشأت في غلوسيسترشاير".

"وما الذي أتى بك إلى شيفنال؟".

"افتتحت شركتي فرعاً في شروزبري، ولم توافق زوجتي على الانتقال قبل أن أجد منزلاً مناسباً".

"هل تلعب الكريكيت لسبب أو لاخر؟".

"أنا أفتتح الجولات لسومرست ستراغلز، إلا أنني لست بارعاً في الحركة".

"لدينا فريق من أحد عشر لاعباً محترفاً، ولكننا نبحث دائماً عن مواهب جديدة".

أشار سيب إلى لوحة خلف المشرب، وقال: "هل أنت الذي يرفع الكأس؟".

"أجل عام 1951، كنت أصغر بخمسة عشر عاماً، وأنحف بخمسة عشر رطلاً، وقد ربحنا الكأس تلك السنة للمرة الأولى والأخيرة للأسف، مع أننا وصلنا إلى نصف النهائي في السنة الماضية".

قال سيب وهو يتحيّن الفرصة لتسديد ضربته الثانية على مهل: "لو فكّرت في شراء منزل في المنطقة، فمن سترشّح لي لمساعدتي في اختيار المنزل الملائم؟".

"هناك وكيل عقاري وحيد في البلدة، واسمه تشارلي واتكينز، وهو حارس الويكيت لدي، وستجد مقره في الهاي ستريت، ولن تتيه عنه".

"سوف أذهب إذاً لأتحدّث إلى السيد واتكينز ثم أعود لتناول الغداء".

قال الساقي، وهو يربت على بطنه: "طبق اليوم هو فطيرة الستيك والكلاوي".

قال سيب بعد أن أنهى شرابه: "أراك لاحقاً".

لم يكن من الصعب إيجاد الهاي ستريت أو وكالة

مكتبة ياسين

واتكينز للعقارات التي يتلاعب الهواء بلافتتها.

أخذ سيب وقتاً وهو يقرأ الملكيات المعروضة للبيع عبر النافذة.

كانت الأسعار تتراوح بين سبعمئة جنيه، واثني عشر ألفاً، استناداً إلى ذلك، كيف يمكن أن تحتوي هذه المنطقة على عقار تبلغ قيمته مليوناً وستمئة ألف؟ فتح الباب، فقابله صوت رنين جرس، ثم نظر إليه رجل يافع من مقعده.

سأل سيب: "هل السيد واتكينز موجود؟".

قال الرجل، وقد انفتح الباب ودخل منه رجلان: "إنه يتحدّث إلى زبون الآن، ولا أظنّ أن محادثتهما ستطول".

قال الرجل الأكبر بين الرجلين، وهو يفتح الباب لعميله: "سوف أنهي الأعمال الورقية يوم الاثنين على أبعد تقدير، لذا لو استطعت أن تسوي تأمينك مع كاتب العدل فهذا سيسرّع الأمور غالباً".

قال الرجل اليافع من وراء مكتبه: "يريد هذا الشاب المحترم رؤيتك يا سيد واتكينز".

قال وأتكينز، وهو يمدّ يده للمصافحة: "صباح الخير، رافقني إلى مكتبي" ثم فتح الباب، وأشار إلى الزبون المحتمل كي يدخل.

دخل سيب إلى غرفة فيها مكتب مشترك، وثلاثة كراسيّ، وقد غلّقت على الجدران صور انتصارات سابقة، وكل انتصار منها ظبع بإشارة *تم البيع* الحمراء.

ثبتت عينا سيب على عقار كبير تبلغ مساحته عدة فدادين، وقد أراد واتكينز أن يعلم بأي طرف من السوق كان مهتماً.

"هل هذا هو نوع العقارات الذي تبحث عنه؟".

مكتبة ياسين

قال سيب وهو يجلس أمام واتكينز: "أنا أمل في العثور على بيت ريفي تحيط به أراضٍ زراعية تبلغ مساحتها عدة فدادين".

"أخشى أن هذا النوع من العقارات لا يتوفّر بكثرة في السوق، ولكن قد يكون لدي عقار أو اثنان من الممكن أن يثيرا إعجابك"، انحنى قليلا، وفتح درج خزانة الملفات الوحيدة في مكتبه، وأخرج من الدرج ثلاثة ملفات، ثم قال: "ولكن عليّ أن أحذرك يا سيدي من أن أسعارها قد ارتفعت بشكل كبير منذ أن أقرّت الحكومة الإعفاء الضريبي لأي أحد يستثمر في أراضٍ زراعية".

لم يعلّق سيب عندما كان واتكينز يفتح الملف الأول.

"إن مزرعة أزغارث تقع على الحدود الويلشية، ومساحتها سبعمئة فدان وهي ذات أرض صالحة للزراعة بشكل رئيسي، وتضمّ منزلاً فيكتورياً خلاباً"، ثم قال على مضض: "ولكنها بحاجة إلى بعض الإصلاحات".

"وما سعرها؟".

قال واتكنز: "ثلاثمئة وعشرون ألفاً"، ثم أضاف وهو يمرّر لسيب منشور مواصفات المزرعة: "السعر قابل للتفاوض".

هزّ سيب برأسه قائلاً: "كنت أبحث عن عقار تبلغ مساحته ألف فدان على الأقل".

لمعت عينا واتكينز، وكأنه ربح لعبة البلياردو، وقال: "هناك عقار استثنائي غرض في السوق منذ فترة قصيرة، ولكنني الوسيط فقط، ويجب أن تقدّم عرض الأسعار عند الساعة الخامسة من يوم الجمعة القادم".

مكتبة ياسين

"إن كان هذا هو العقار الملائم، فلن أعدل عن قراري تحت أي ظرف".

فتح واتكنز درج مكتبه، وعرض مزرعة شيفنال للمرة الأولى على زبونه.

قال سيب وهو يتصفّح المنشور: "إنها تبدو أكثر تحفيزاً على امتلاكها، كم يطلبون فيها؟".

تردّد الوكيل العقاري، وكأنه لا يريد الإفصاح عن الرقم، فانتظره سيب بفارغ الصبر.

قال واتكينز: "أنا أعلم برهان يبلغ قدره مليوناً وستمئة ألف لشركة سافي"، كان دور واتكنز أن ينتظر مترقباً أن يرفض العميل في الحال.

"ربما أدرس التفاصيل في أثناء تناول الغداء، ثم أعود بعد الظهر لأناقش العرض معك؟".

"في هذا الوقت، هل لي أن أعدّ لك الترتيبات لرؤية العقار؟".

كان هذا آخر ما يريده سيب، لذا أجاب بسرعة: "سأقرّر ذلك عندما تسنح لي الفرصة بدراسة التفاصيل".

"لكن الوقت يداهمنا يا سيدي".

لقد أدرك سيب أنه محق، ولكنه ردّد بحزم: "سأعلمك بقراري عندما أعود إليك بعد الظهر".

قال واتكينز، وهو ينهض عن كرسيه، ويرافقه إلى الباب، ويصافح يده مرة أخرى: "بالطبع يا سيدي، وأنا أتوق إلى رؤيتك مجدداً".

ذهب سيب إلى الهاي ستريت، وعاد بسرعة إلى الحانة، فكان السيد رامزي يلمّع كأساً وراء المشرب، عندما جلس على مقعد في الجانب المواجه له.

"هل حالفك الحظ؟".

قال سيب، وهو يضع المنشور اللامع على الطاولة

مكتبة ياسمين

كي يلاحظه صاحب الحانة: "على الأرجح، أحضر لي مشروباً آخر لو سمحت، هل تشاركني الشراب؟".

"شكراً لك يا سيدي، هل ستتناول الغداء؟".

قال سيب، وهو يتفحص لائحة الأطعمة المكتوبة بالطبشور على لوح أسود خلف المشرب: "سآخذ فطيرة الستيك، والكلاوي".

لم يبعد رامزي عينيه عن المنشور، حتى وهو يعدّ المشروب.

قال عندما كانت زوجته تخرج من المطبخ: "يمكنني إخبارك بشيء أو شيئين حول هذا العقار".

قال سيب، وهو يسدّد ضربته الثالثة: "أعتقد أن ثمنه مبالغ فيه".

أجاب رامزي: "أستطيع أن أؤكّد لك ذلك، فقد كان سعر هذا العقار منذ خمس سنوات ثلاثمئة ألف فقط، وحتى بذلك السعر لم يتمكّن السيد كولينغوود من بيعه".

"ربما كان السبب هو الإعفاءات الضريبية".

"لكن هذا لن يبرر المبلغ المطلوب".

"ربما سيعطى المالك إذناً للبدء بالبناء على الأرض، ولعله سيكون مكاناً للإسكان أو لمنطقة صناعية من تلك المناطق التي تحرص على بنائها الحكومة".

قالت السيدة رامزي، وهي تنضمّ إليهما: "لا تحلما بذلك، قد لا يملك مجلس الأبرشية أية طاقة، ولكن ذلك العقار في كونتري هول عليه أن يبقينا على علم في حال بنائهم صندوقاً بريدياً أو مرآباً طابقياً، لأن لدينا الحق في الاعتراض، وإيقاف المداولات، ولا يزال ذلك قائماً منذ الماغنا كارتا.

قال سيب ممازحاً: "إذاً لا بد أن يكون هناك نفط أو ذهب أو كنز للفراعنة مدفون تحت هذه الأرض".

مكتبة ياسين

قال رامزي: "لقد سمعت آراء أكثر جموحاً من هذه، ومنها أن كنزاً من عملات رومانية تبلغ قيمتها الملايين، وكنوزاً مدفونة فيها. ولكن القصة الأفضل التي سمعتها تشير إلى أن السيد كولينغوود كان قاطع طريق ولص قطارات، وقد دفن هو وشركاؤه في هذه الأرض غنائمهم".

قالت السيدة رامزي، وهي تجلب معها فطيرة الستيك والكلاوي: "ولا تنس أن السيد سوان يعرف السبب الحقيقي لارتفاع ثمنها المفاجئ، ولكنه لن يخبر أحداً ما لم يتبرّع لمسرحه المدرسي الجديد".

سأل سيب مستفسراً وهو يفلت شوكته وسكينه: "السيد سوان؟".

"اعتاد أن يكون مديراً لمدرسة القواعد المحلية، وتقاعد منذ عدة سنوات، والآن يكرّس نفسه لجمع المال الكافي لإقامة المسرح المدرسي، وأنا أعتقد أنه مهووس جداً بالفكرة".

سأل سيب بعد أن حصل على المعلومات التي يحتاج إليها، ورغب في تلك الأثناء بالتقدّم في بحثه، وتغيير الموضوع: "هل تعتقدان أننا سنتغلّب على الأفارقة الجنوبيين؟".

قال ساقي الحانة: "سوف ينشغل إم جي كي سميث بهذه القضية جداً، ولكن إذا أردت رأيي...".

ارتشف سيب جعته، وهو يختار بعناية أي أقسام من الستيك والكلاوي يمكنه أكله بأمان، واستقرّ بعدها على القشرة المحروقة، وهو يسمع رأي الساقي حول كل شيء بما فيه تقديم وسام الإم بي إي للبيتلز، (هارولد ويلسون بعد تصويت الشباب)، وإمكان أن يحط رجل أميركي على القمر (ولكن ما فائدة ذلك؟).

عندما دخلت مجموعة صاخبة إلى الحانة، تشوش

مكتبة ياسين

رامزي، فوضع سيب نصف كراون على المشرب، وانسلّ خارجاً. وعندما عاد إلى الشارع سأل امرأة تمسك بيد صبي عن مكان مدرسة القواعد.

قالت: "إنها على بعد نصف ميل من هذا الطريق، ولكن لا يمكنك أن تراها من هذا المكان".

شعر سيب وكأن المسافة كانت أكثر من ميل، ولكنه لم يستطع بالتأكيد أن يخطئ في الصرح الفيكتوري القرميدي الكبير الذي كان سيقدّره جون بيتجيمن.

لم يكن على سيب أن يتجاوز بوابات المدرسة قبل أن يعثر على ما يبحث عنه، كان نصف إعلان بارز عن رغبة في تخصيص 10 آلاف جنيه لبناء مسرح جديد للمدرسة، وكان هناك إلى جانب هذا الإعلان رسم كبير لمقياس حرارة، ولكن سيب لاحظ أن الخط الأحمر لم يتعدّ 1766 جنيهاً، الرجاء الاتصال بالسيد موريس سوان الأستاذ في الفنون(أوكسون) في شينفال 2613.

ولمعرفة تفاصيل أكثر عن المشروع كتب سيب رقمين في مذكّرته: 8234 و2613 ثم عاد إلى الهاي ستريت، فلمح كشك هاتف أحمر في الأفق البعيد، وسرّه أن أحداً لم يكن يستخدمه. دخل الكشك، وراجع ما كان سيقوله للحظات قبل أن يتحقّق من الرقم المكتوب في مذكرته، لقد كتب الرقم 2613، وأدخل القروش في مكانها، وانتظر مدة قبل أن يجيبه صوت رجل كبير: "موريس سوان".

"عمت مساء سيد سوان، أنا كليفتون رئيس قسم تبرعات الشركات التابع لبنك فارذنغز، ونحن نبحث في أمر التبرع لصالح بناء مسرحك، وأتساءل إن كان في وسعنا أن نلتقي، وسأسر بالطبع إن كان في

إمكاني أن آتي، وأراك".

قال سوان بحماسة: "لا، أنا أفضّل أن نلتقي في المدرسة، وعندها أستطيع أن أريك ما الذي خططنا له".

قال سيب: "اتفقنا، ولكن مع الأسف لن أظلّ في شينفال سوى اليوم، وسأعود إلى لندن هذا المساء".

"حسناً، سوف آتي إليك في الحال، لم لا أقابلك خارج بوابات المدرسة خلال عشر دقائق؟".

أجاب سيب: "أنا أتوق إلى لقائك". أنهى الاتصال، وعاد إلى مدرسة القواعد، فلم يكن عليه أن ينتظر طويلاً قبل أن يرى رجلاً هرماً نبيلاً يمشي بتؤدة متكئاً على عصاه.

بعد أن عرّف سيب بنفسه، قال سوان: "بما أنه ليس في حوزتك الكثير من الوقت، لمَ لا آخذك مباشرة إلى القاعة التذكارية حيث يمكنني أن أريك المخططات المعمارية للمسرح الجديد، وأجيب عن أية أسئلة قد تراودك".

تبع سيب الرجل العجوز عبر بوابات المدرسة، وتوجّها إلى إحدى القاعات، وهو يسمعه يتكلّم عن أهمية امتلاك الشباب منصّتهم الخاصة، والفرق الذي قد يحدثه هذا الأمر في المجتمع المحلي.

أخذ سيب وقته، وهو يتفحّص أدق التفاصيل المرسومة على المخططات المعمارية التي كانت معلقة على الحائط، بينما كان سوان يسهب في شرح تفاصيل المشروع.

"كما ترى يا سيد كليفتون على الرغم من أننا نملك خشبة مسرح قوسية فسيتبقى لنا فسحة في الكواليس للمعدات، بحيث لا يحدث ازدحام في الكواليس، وإذا تمكّنت من تحصيل المبلغ كاملاً

فسوف يكون للفتيات والفتيان غرف تبديل ثيابهم الخاصة"، ثم خطا بعدها إلى الخلف، واعترف قائلاً: "إن هذا حلم حياتي الذي أريد أن أحققه قبل أن أموت، ولكن هل لي أن أسأل عن السبب الذي جعل البنك مهتماً بمشروع صغير كهذا في شيفنال؟".

"نحن الآن نشتري الأراضي بالنيابة عن العملاء المهتمين بالانتفاع من الحوافز الضريبية الحكومية الجديدة، ونحن نلاحظ أنه ليس من السهل أن تكون مشهوراً في القرية، لذلك قرّرنا أن نساعد بعض المشاريع المحلية".

"وهل ستكون شيفنال فارم إحدى تلك الأراضي؟".

لقد ذهل سيب بسؤال سوان، وتطلّب الأمر منه وقتاً طويلاً قبل أن يجيب بتعثر: "لا لقد بحثنا في ملكية السيد كولينغوود، فوجدنا أنها مكلفة جداً".

"كم طفلاً تعتقد أنني علّمت مدى حياتي يا سيد كليفتون؟".

قال سيب محتاراً بهذا السؤال: "ليست لدي أدنى فكرة".

"حوالى ثلاثة آلاف طالب، لذلك أنا أعلم متى يتلاعب بي الطرف الآخر، ويطلعني على نصف الحقيقة فقط".

"أخشى أنني لا أفهمك يا سيدي".

"لك دراية تامة يا سيد كليفتون، إن الحقيقة هي أنك في رحلة استطلاع معلومات، ولست مهتماً بمسرحي، إن الذي تريد معرفته حقاً هو سبب عزم أحدهم على دفع مليون وستمئة ألف في شينفال فارم، بينما لم يدفع أحد آخر هذا المبلغ من قبل أليس كذلك؟".

اعترف سيب قائلاً: "أجل، وإن علمت جواب هذا

مكتبة ياسين

السؤال فسأحرص في المقابل على تقديم البنك الذي أعمل فيه تعويضاً لمسرحك الجديد".

"عندما تكون رجلاً مسناً يا سيد كليفتون وستكون كذلك يوماً ما ستجد علامة الزمن على يديك خاصة إذا كنت تعيش حياة نشيطة، وتستحقّ التعب، ولذلك عندما يعرض أحدهم مبلغاً مالياً كبيراً لشراء مزرعة شيفنال فإن فضولي يتفوّق عليّ، ويدفعني إلى تخصيص بعض وقت فراغي محاولاً معرفة السبب، وقد بدأت كأي محقق جيد في البحث عن الدلائل، وفي إمكاني إخبارك بالنتيجة بعد ستة أشهر من البحث المضني، وبمتابعة حتى أكثر الاحتمالات بعداً فإنني الآن أعرف تماماً لماذا يرغب شخص في دفع أكثر من المبلغ المطلوب لمزرعة شيفنال".

شعر سيب بأن قلبه يخفق بسرعة.

وتابع سوان قائلاً: "وإذا أردت أن تعرف ما الذي توصّلت إليه فأنت لن تقدّم إلى مسرح المدرسة مجرد تبرع ضخم بل ستموّل المشروع كله".

"ولكن ماذا سيحدث إن كنت مخطئاً؟".

"هذه مجازفة عليك أن تخوضها يا سيد كليفتون، فالدفع سيغلق بعد يومين".

"حسناً، وبدورك عليك أن تقدم على المجازفة، لأنني لن أدفع أكثر من ثمانية آلاف جنيه قبل أن تثبت أنك محق".

"قبل أن أوافق على ذلك حان دوري في سؤالك الآن".

قال سيب: "طبعاً".

"هل أنت قريب هاري كليفتون المؤلف؟".

"أجل، إنه أبي".

مكتبة ياسمين

"أظنّ أنني لاحظت شبهاً كبيراً بينكما مع أنني لم أقرأ أياً من كتبه، ولكني تابعت حملته لدعم قضية أناتولي باباكوف باهتمام بالغ، وإذا كان أباك فهذا وحده شيء جيد وكافٍ بالنسبة إليّ".

قال سيب: "شكراً لك يا سيدي".

"الآن اجلس أيها الشاب لأن الوقت يداهمنا".

اتكأ سيب إلى حافة الخشبة بينما كان سوان يطلعه على البحث الدقيق الذي قام به خلال الشهور الستة الماضية، والذي أوصله إلى نتيجة واحدة فقط لا غير.

لم يستطع سيب أن يجد أي خطأ فيها فقفز عن الخشبة، وقال: "هل لي أن أسألك سؤالاً إضافياً أخيراً يا سيدي؟".

"بالطبع أيها الشاب".

"لم لم تقل لكولينغوود عما اكتشفته؟ بالنتيجة لم يكن ليخسر قرشاً واحداً ما لم تتحيّن فرصة الدفع حتى يثبت بحثك حقيقته".

قال سوان: "عرفت كولينغوود عندما كان في مدرسة القواعد، وحتى عندما كان صبياً كان طماعاً، وغبياً ولم يتطوّر كثيراً منذ ذلك الحين، لكنه لم يكن مهتماً بما سأخبره به، فقد صرفني بعد أن دفع لي إكرامية قدرها خمسة جنيهات، وتمنّى لي حظاً سعيداً!".

قال سيب محاولاً ألا يبدو قلقاً: "إذاً أنت لم تخبر أحداً بهذا البحث أبداً؟".

تردّد الرجل العجوز للحظة ثم قال معترفاً: "أخبرت شخصاً آخر، ولكنني لم أسمع جواباً منه بعد".

لم يسأله سيب عن الاسم.

***

مكتبة ياسين

طرق سيباستيان الباب رقم 37 في كادوغان بليس بعد الثامنة تماماً، فأجاب سيدريك الطارق، ومن دون أن ينبس ببنت شفة، قاد ربيبه اليافع إلى غرفة الاستقبال، وعلى الفور تثبتت عينا سيب على لوحة لديفيد هوكني معلقة فوق الموقد قبل أن يبدي إعجابه بمجسم هنري مور على الطاولة، فلم يشك سيب في أنه لو كان بيكاسو مولوداً في يوركشاير لكانت أعماله أحد مقتنيات سيدريك.

سأل سيدريك: "هل تودّ أن تشاركني كأساً من النبيذ؟ شاتونوف دو باب 1959، وأظنّ من تعابير وجهك أنك تريد ذلك".

قال سيب وهو يجلس على أقرب كرسي: "شكراً لك يا سيدي".

ناوله سيدريك الكأس، وجلس على الكرسي المقابل له، وقال: عندما تستردّ أنفاسك، وترتاح أطلعني على ما حدث معك خلال اليوم بهدوء".

ارتشف سيب رشفة.

لم يكن نبيذاً معتقاً كالذي كان سيقدّمه السيد رامزي في شيفنال أرمز ذلك المساء.

عندما وصل سيب إلى نهاية قصته بعد عشرين دقيقة، علّق سيدريك على كلامه سائلاً سؤالاً مباشراً كان دائماً يسأله إياه عندما كان مساعده الشخصي: "يبدو لي سوان رجلاً محنكاً، ولدي شعور بأنني سأحبه، ولكن ما الذي علمته من الوسيط؟".

"كونه رجلاً واهناً جسدياً لا يعني أنه ليس بكامل قواه العقلية".

"حسناً، أي شيء آخر؟"، ثم ذكّره سيدريك قائلاً: "أهمية السمعة، سمعة والدك في هذه الحالة، إذا لم يكن لديك شيء آخر اليوم، يا سيب، فهذا الدرس

مكتبة ياسين

وحده سيجعل رحلتك إلى شيفنال ذات قيمة كبيرة، وعلى كل حال عليّ الآن أن أعترف بحقيقة أن أحد أهم رؤساء الأقسام لدي قد يكون يعمل بالخفاء عني".

ارتشف سيدريك رشفة من النبيذ وأكمل: "وربما يكون لدى سلون تفسير بسيط، ولكنني أشك في ذلك".

كبت سيب ضحكته، وقال: "ولكن ألا يتوجّب علينا أن نفعل شيئاً حيال العقد؟ فأنت تعرف الآن ما يدور في ذهن الحكومة".

"كل شيء في وقته، بداية يجب أن أتحدّث إلى رالف فوغان، لأنه لن يكون سعيداً عندما سأسحب عرض البنك، وسيكون أكثر غضباً عندما أخبره بسبب انسحابي".

"ولكن ألن يقبل ببساطة أحد العروض الأدنى سعراً؟".

"كلا، إلا إذا كان يظنّ أن هناك فرصة أخرى في الحصول على سعر أعلى في حال علّق الأمر لعدة أيام إضافية".

"والسيد سوان؟".

"إني راغب في إعطائه 8234 جنيهاً مهما حدث، وأظنّ أنه يستحقّها"، ثم ارتشف سيدريك رشفة من النبيذ قبل أن يضيف: "لكن ليس لدينا ما نفعله الليلة يا سيب، وأقترح أن تذهب إلى بيتك. وفي الحقيقة بما أن الأمور ستتخبّط غداً، قد يكون من الحكمة لك أن تأخذ يوم عطلة، وتقيم بعيداً عن المكتب قدر ما تستطيع، ولكن عليك أن توافيني بالأخبار صباح يوم الاثنين، فلدي شعور بأنك ستكون في طريقك إلى شروبشتاير".

مكتبة ياسين

وبينما كانا يغادران الغرفة، ويسيران في الممر باتجاه الباب الخارجي قال سيدريك: "أرجو ألا يكون لديك مواعيد هذا المساء".

دار في خلد سيب أنه لا شيء مميز: *كنت فقط سأدعو سامانثا إلى العشاء، وأطلب منها أن تتزوجني.*

مكتبة ياسين

11

عندما أدرك سيباستيان أنه لا يفترض به أن يكون في المكتب قبل صباح يوم الاثنين، قرّر تحضير مفاجأة لسامانثا، وبدأ بالتخطيط لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، فأمضى صباحه في البحث عن الفنادق لاختيار الفندق الذي سيحجز فيه غرفة مناسبة، وتأكيد حجز تذكرتي السفر، إلى جانب التحقّق من مواعيد افتتاح متحف ريجكس. لقد أراد أن تكون العطلة في أمستردام في غاية الإمتاع، لذلك عندما خرجا من المطار تجاهل إشارات الحافلات والقطارات، وتوجّه مباشرة إلى موقف سيارات الأجرة.

قالت سام عندما ركبت سيارة الأجرة من موقف السيارات: "لا بدّ أن سيدريك مسرور بما كشفته عن نوايا سلون الخبيثة، ولكن ما الذي سيحصل بعد ذلك في رأيك؟".

"أظنّ أن سلون سيُعزل من منصبه في الخامسة تماماً من بعد الظهر".

"لماذا الخامسة بعد الظهر؟".

"هذا التوقيت أراده سلون أن يكون موعد إتمام صفقة شيفنال فارم".

قالت سام: "هناك نوع من التراجيديا الإغريقية في ذلك! ومع القليل من الحظ سيتزامن موعد عزل سلون من منصبه وموعد عودتك إلى العمل يوم الاثنين".

"على الأغلب لأن سيدريك طلب مني أن أوافيه بالأخبار أولاً بأول".

سألت سام بينما كانت سيارة الأجرة تتابع سيرها: "هل تعتقد أنه سيسلّمك عمل سلون؟".

مكتبة ياسين

"من المحتمل، ولكن ربما بشكل مؤقت، ريثما يجد شخصاً لديه خبرة أوسع".

"لكن إن تمكّنت من إفشال صفقة شيفنال نهائياً، قد لا يتعب نفسه في البحث عن شخص آخر".

"هذا محتمل أيضاً، ولكنني لن أستغرب إذا وجدت نفسي في قطار العودة إلى شروزبري يوم الاثنين. هل التفُ السائق يساراً حول الدوار؟".

قالت سام ضاحكة: "لا بل إلى اليمين، لا تنس أننا لا نزال في هذه القارة".

التفتت سام إلى سيب الذي كان يتشبّث بالمقعد الأمامي، ويضع يداً على ساقه، وقالت: "اعذرني، أنا أنسى أحياناً أثر ذلك الحادث المروع في نفسك".

قال سيب: "أنا بخير".

"أعجبتني فكرة السيد سوان، وربما من الحكمة جذبه إلى صفك".

أضاف سيب عند دخولهم أطراف المدينة: "سيدريك يوافقك الرأي، وإن توصّلنا إلى اتفاق، فسينتهي بنا الأمر على الأرجح إلى بناء صالة للحفلات الموسيقية في مدرسته".

قالت سام عندما لاح الفندق الفاخر ذو الخمس نجوم المطل على نهر أمستل أمامهما في الأفق: "أفترض أننا سنقيم في أمستل؟".

"ليس هذه المرة، ولكن سيتوجّب علينا الانتظار حتى أصبح رئيساً للبنك، وسنقيم في بينسيون دي كانال حتى ذلك الحين، وهو بيت ضيافة شهير ذو نجمة واحدة يتردّد إليه سياح الطبقة الوسطى".

ابتسمت سام بينما كانت سيارة الأجرة تركن أمام بيت ضيافة صغير محصور بين بائع خضار ومطعم للمأكولات الإندونيسية.

أعلنت وهما يسيران في الردهة الضيقة: "إنه أفضل بكثير من أمستل"، حمل سيب حقائبهما إلى الطابق العلوي فور تسجيل دخولهما، لأن البينسيون لم يكن فيه لا مصعد ولا حمالون، ثم فتح باب غرفتهما وأنار المصباح.

قالت سام: "إنه فخم".

لم يتوقّع سيب أن تكون الغرفة صغيرةً جداً، لدرجة أنه لم يكن فيها سوى مساحة ضيقة تكفي للوقوف إلى جانب السرير المزدوج فقط، فقال لها: "أنا آسف جداً، أردت أن تكون عطلة نهاية هذا الأسبوع مثالية".

احتضنته سام، وقالت: "أنت سخيف في بعض الأحيان، هذا يعدّ مثالياً حقاً، فأنا أفضّل أن أكون سائحة، وهذا المكان يتيح لنا أن نحقّق ما نتطلّع إليه".

ارتمى سيب مرة أخرى على السرير وقال: "أعرف ما أتطلّع إليه".

اقترحت سام قائلة: "أهو زيارة إلى متحف ريجكس؟".

***

قال سلون وهو يتوجّه إلى مكتب الرئيس: "هل أردت رؤيتي؟"، وجلس على الكرسي من دون أن ينتظر أن يعرض عليه الجلوس.

نظر سيدريك إلى رئيس قسم الملكيات من دون أن يبتسم، وقال: "لقد انتهيت للتو من قراءة تقريرك الشهري".

ذكّره سلون قائلاً: "ارتفعت النسبة اثنتين في المئة عن الشهر الماضي".

"إنه مثيرٌ للإعجاب، إلا أنني أتساءل عما إذا كنت

مكتبة ياسمين

ستنجز عملك بشكلٍ أفضل إذا...".

قال سلون مقاطعاً: "إذا ماذا، سيدي؟".

قال سيدريك، وهو يتناول كتيباً من مكتبه: "إذا أضفت صفقة شيفنال فارم إلى تقريرك".

قال سلون وهو يشدّ عقدة ربطة عنقه بتوتر: "شيفنال فارم؟ أأنت متأكد من أنها صفقتي، وليست صفقة كليفتون؟".

"أنا متأكد تماماً من أنها صفقتك، سلون، ما لا يمكنني التأكد منه ما إذا قدّمتها باسم البنك".

قال سلون مستنكراً اتهامه: "ما الذي ترمي إليه؟".

"عندما اتصلت برالف فوغان الشريك الرئيسي في شركة سافي منذ لحظات، أكّد لي أنك ستقدّم عرضاً بقيمة مليون وستمئة ألف جنيه لإبرام صفقة العقار، وأنك ستستخدم أموال البنك كضمانة لإتمام الصفقة".

تململ سلون في كرسيه بقلق، وقال: "أنت محق تماماً سيدي، ولكن نظراً إلى أن الصفقة لم تكتمل بعد، فلن تكون لديك كل التفاصيل حتى أرسل لك تقرير الشهر المقبل".

"من التفاصيل التي تتطلّب بعض الشرح سبب تسجيل الحساب باسم عميلٍ في زيوريخ".

قال سلون: "آه، نعم، الآن تذكّرت، أنت محق تماماً، لقد كنا نُبرم الصفقات نيابة عن عميل سويسري يفضّل عدم الكشف عن هويته، والبنك يفرض عليه عمولة بنسبة 3 في المئة على كل صفقة نقوم بتنفيذها لهذا العميل بالتحديد".

قال سيدريك وهو يفتش بين رزمة من الأوراق المتناثرة على المكتب أمامه: "ولم يتطلّب الأمر قدراً كبيراً من البحث ليتمّ اكتشاف أن هذا العميل

بالذات قد أنجز ست معاملات أخرى خلال العام الماضي، وجنى أرباحاً كبيرة".

احتجّ سلون وقال: "لكن أليس هذا ما يفترض أن يقوم به قسمي؟ دورنا يقتصر على تحقيق الأرباح لعملائنا، والحصول على عمولة كبيرة للبنك في الوقت نفسه؟".

قال سيدريك محاولاً أن يظلّ هادئاً: "أجل بالطبع، ولكن الأمر المؤسف أن حساب العميل السويسري باسمك".

قال سلون من دون أن يتمكّن من تمالك نفسه: "كيف لك أن تعرف ذلك بينما حساب العملاء في سويسرا معرّف بالأرقام، وليس بالأسماء؟".

"لم أكن أعرف ذلك، ولكنك الآن أكّدت لي أسوأ مخاوفي، وقد حان أوان رحيلك".

نهض سلون من كرسيه، وقال: "لقد حقّقت أرباحاً للبنك بمقدار ثلاث وعشرين بالمئة على مدار الأشهر العشرة الأخيرة!".

واجهه سيدريك قائلاً: "إن كانت حساباتي دقيقة فأنت قد جنيت أرباحاً تعادل واحداً وأربعين بالمئة خلال الفترة نفسها، وأعتقد أن شيفنال فارم كانت على وشك أن تُكسبك أعظم أرباحك".

تهاوى سلون على كرسيه وقد بدا القنوط على وجهه، وقال: "ولكن...".

تابع سيدريك قائلاً: "أنا آسف لأنني سأنقل إليك أخباراً سيئة، وهي أن هذه الصفقة بالذات لن تستطيع أن تنجزها لعميلك السويسري، لأنني قد تكلّمت مع السيد فوغان في سافي منذ دقائق، وأخبرته بأننا سحبنا العرض المقدّم من أجل إتمام صفقة شيفنال فارم".

قال سلون محدّقاً إلى المدير بتحدٍ: "ولكن في وسعنا أن نجني أرباحاً طائلة بسبب هذه الصفقة، وقد تصل إلى حوالي مليون جنيه تقريباً!".

قال سيدريك: "لا أظنك تقصد أن الأرباح ستعود إلى البنك، بل إلى نفسك وحسب، فقد استخدمت مال البنك كضمانة لإتمام الصفقة من دون أن يكون لك حق التصرف بأموال المودعين".

"ولكنك تعرف جزءاً من الحقائق فحسب".

"أستطيع أن أضمن لك أنه بفضل السيد سوان أصبحت لي دراية بكل الحقائق".

نهض سلون بهدوء عن كرسيه، وقال وهو يشدّد على كل حرف ينطق به: "أنت عجوز غبي وتقليدي، وليس في وسعك فهم استراتيجية العمل الحديثة في مجال البنوك، فكلما مهّدت الطريق لرجل أصغر كلما كان ذلك أفضل".

قال سيدريك، وهو ينهض من كرسيه ليواجه خصمه وجهاً لوجه: "لا شك في أنني سأفعل هذا مع مرور الوقت، ولكنني أكيد من شيء واحد الآن، وهو أن هذا الرجل الأصغر لن يكون أنت بعد الآن".

قال سلون، وهو يستند إلى مكتبه، ويحدّق بتحدّ إلى عيني المدير: "ستندم على فعل ذلك".

قال سيدريك، وقد ارتفع صوته: "لا تضيّع وقتك في التهديد يا سلون، لقد حاول رجال أعلى شأناً منك بكثير فعل ذلك وقد أخفقوا جميعاً، ولم يعد أمامك سوى إخلاء مكتبك، والحرص على مغادرتك البنك خلال ثلاثين دقيقة، لأنك إن لم تفعل ذلك فسأحرص شخصياً على وضع أشيائك على الرصيف ليراها كل المارة".

صرخ سلون، وهو يغادر المكتب: "سوف يتعامل

معك محاميّ".

"لا أظنّ ذلك إلا إذا أردت قضاء السنوات الخمس القادمة في السجن، لأن هذا العجوز الغبي في حال أبلغ المجلس الأخلاقي التابع لبنك إنكلترا عن سلوكك المشين، فلن تحصل بعد ذلك على أي فرصة عمل في المدينة مجدداً".

واجه سلون المدير مجدداً، وقد شحب وجهه، وبدا وكأنه مقامر، ولم يعد بيده سوى فيش واحد، وعليه أن يدير العجلة للمرة الأخيرة، قال: "ولكن لا يزال في وسعي أن أجني ثروة للبنك إذا سمحت لي فقط بـ...".

صرخ سيدريك، وهو يحاول أن يتمالك غضبه، ويمسك بحافة المكتب: "لم يبقَ لك سوى تسع وعشرين دقيقة".

لم يتحرّك سلون بينما كان المدير يفتح درجاً، ويخرج علبة حبوب صغيرة، فتعثّر في فتح غطاء علبة الدواء، ولم يتمكّن من الحفاظ على توازنه، فأفلتت قبضته عن المكتب، وسقطت علبة الحبوب على الأرض.

راقباها كلاهما وهي تتدحرج على الأرض، فحاول سيدريك أن يملأ كأساً من الماء، ولكنه لم يمتلك القوة لحمل الكأس.

تلعثم سيدريك، وهو يقول لسلون الذي وقف أمامه يتأمّله بحذر فحسب: "أحتاج إلى مساعدتك".

انتفض سيدريك، ورجع إلى الوراء، ثم سقط أرضاً، وهو يحاول التقاط أنفاسه.

دار سلون حول المكتب، وعيناه لا تفارقان المدير، وهو ممدد على الأرض ينازع من أجل البقاء، فالتقط العلبة، وفتح غطاءها، بينما سيدريك يحدق إليه

مذهولاً وهو يرمي الحبوب بعيداً عنه، ثم يمسح العلبة الفارغة بمنديل أخرجه من جيبه، ويضعها في يده.

انحنى سلون، وقد لاحظ أن المدير بدأ يتنفس بصعوبة، وقد حاول أن يرفع رأسه، ولكنه عجز عن الحراك، ولم يسعه سوى أن يراقب سلون وهو يجمع كل الأوراق التي كان يعمل عليها طوال الساعات الأربع والعشرين الأخيرة، ثم غادر بهدوء من دون أن ينظر خلفه ولو لمرة أخيرة.

فتح الباب، وراقب الممر، فلم يجد فيه أحداً، ثم أغلق الباب بهدوء خلفه، وذهب ليبحث عن سكرتيرة المدير، فلم يجد قبعتها ولا معطفها على العلاقة، لذا تكهّن أنها غادرت ولن تعود قبل نهاية العطلة.

حاول أن يظلَّ هادئاً، وهو يمشي في الممر، ولكن قطرات العرق بدأت تتساقط من جبهته، فشعر بقلبه وهو يخفق بسرعة.

وقف للحظة، وأصغى ككلب صيد يشمّ رائحة الخطر، ثم قرّر أن يخاطر مجدداً، فصرخ قائلاً: "هل من أحد هنا؟".

سمع صدى صوته في الممر ذي السقف العالي، وكأنه في قاعة حفلات موسيقية، ولكنه لم يتلقَّ أي رد، فتحقّق من المكاتب الإدارية واحداً تلو الآخر، ولكنها كانت مقفلة، فليس من المعتاد أن يبقى أحد في الطابق العلوي حتى الساعة السادسة من يوم الجمعة سوى سيدريك، ولكنه كان يعلم بوجود عناصر الطاقم اليافع في المبنى، والذين لا يجرؤون على المغادرة قبل مشرفيهم، كما أنهم لا يجرؤون على إزعاج مديرهم، أما عمال النظافة فلن يعودوا قبل الساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين، وهكذا

مكتبة ياسمين

لا يبقى إلا الحارس الليلي ستانلي فقط، والذي لم يكن ليتزحزح عن كرسيه المريح في المقعد الأمامي إلا إذا كان المبنى يحترق.

استقلّ سلون المصعد إلى الطابق الأرضي، وعبر الردهة، فلاحظ أن ستانلي كان يرقد بهدوء، فلم يزعجه.

***

قالت سام، وهما يدخلان إلى المتحف الهولندي الوطني: "إن متحف الريجكس يحوي إحدى أفضل المجموعات في العالم، فلوحات ريمبراندت فائقة الجمال، ولكن لوحات فيرمير ودويتس وستينز هي من ضمن أجمل نماذج أساتذة الرسم الهولنديين التي يمكن أن تراها عيناك".

شقّا طريقهما يداً بيد بين الحشد في المتحف الكبير، بينما كانت سام تتوقّف للحظات كي تشير إلى تفصيل ما أو تشرح ميزة عمل فني معين من دون أن تنظر ولو لمرة واحدة إلى دليلها.

وكلما التفتت إليهما الرؤوس، وقد حدث ذلك مراراً، أراد سيب أن يصرخ: "وهي لماحة أيضاً!"، في نهاية الجولة في المتحف وقف رهط من الناس يحدّقون إلى عمل فريد.

قالت سام: "إنها لوحة *الحراسة الليلية* الخلابة، ولعلها تحفة ريمبراندت، ولكننا للأسف لن نتمكّن من أن نرى أبداً كيف كان يبدو العمل الأصلي، إذ إن أعضاء مجلس البلدية قد قصّوا جزءاً منها كي تناسب الفراغ بين عمودين في مبنى البلدية".

قال سيب وعيناه لا تفارقان مجموعة أشخاص يحيطون برجل يرتدي ملابس أنيقة، ويحمل مصباحاً: "كان عليهم أن يهدموا هذين العمودين".

مكتبة ياسين

قالت سام، وهما ينتقلان إلى القاعة التالية: "من المؤسف أنك لم تكن عضواً في مجلس البلدية"، وتابعت كلامها بعد أن جذبتها لوحة كبيرة: "وها هي اللوحة التي ستدور حولها رسالتي للدكتوراه، إنه لأمر لا يصدَق أن روبينز كان قد أكمل هذا العمل خلال عطلة نهاية أسبوع واحدة، حيث كان عليه أن يحضر توقيع معاهدة سلام بين الإنكليز والإسبان يوم الاثنين التالي"، ثم قالت قبل أن تتابع طريقها: "ولا يعلم إلا عدد قليل أنه كان رجلاً ديبلوماسياً بالإضافة إلى كونه رساماً".

شعر سيب بأن عليه أن يدوّن الملاحظات، ولكن عقله كان مشغولاً بأمور أخرى.

قالت سام، وهي تقف أمام لوحة *زفاف أرنولفيني*: "هذه إحدى لوحاتي المفضلة".

قال سيب: "لقد سبق أن رأيتها في مكان آخر".

"آه! لقد رأيناها في المتحف الوطني السنة المنصرمة".

"ما الذي تفعله هنا؟".

قالت سام: "على الأرجح أنها مستعارة"، ثم أضافت، وهي تقترب لتقرأ الإشارة التي كانت بجانب اللوحة: "ولكن لشهر فقط. هل تتذكّر ما قلته لك عنها في ذلك الوقت؟".

"أجل، إنها لوحة تظهر حفل زفاف تاجر غني، وقد استدعي فين لتخليد اللحظة".

قالت سام: "لا بأس بك، إذا كان فان إيك يمارس دور مصور الأعراس الآن".

كان سيب على وشك أن يقول شيئاً، ولكن سام أضافت: "انظر إلى فستان العروس، والفرو الذي على ياقة سترة التاجر، فتشعر وكأنك تستطيع

لمسهما".

"تبدو العروس حاملاً بوضوح".

"كم أنت لماح يا سيب! ولكن كان من المتعارف عليه أن يتأكّد الرجل الثري من أن المرأة التي اختارها لتكون زوجته كانت قادرة على إنجاب وريث له".

قال سيب: "كم كان هؤلاء الهولنديون عمليين! ولكن ماذا لو لم يكن الرجل ثرياً؟".

"كان من المتوقّع من الطبقات الدنيا أن تتصرّف بشكل أكثر لباقة".

جثا سيب على ركبة واحدة أمام اللوحة، ونظر إلى سام ثم قال: "سامانثا إيثيل سوليفان، أنا أحبّك، وسأحبّك إلى الأبد، وأودّ أكثر من أي شيء على الأرض أن تكوني زوجتي".

احمرّت وجنتا سام خجلاً، وانحنت إلى الأسفل ثم همست إليه قائلة: "قف أيها المغفل، فالجميع يحدّقون إلينا".

"ليس قبل أن أحصل على جوابك".

توقف عدد قليل من الناس عن النظر إلى اللوحة منتظرين ردها.

قالت سام: "بالطبع سأتزوج بك، لقد وقعت في غرامك منذ اللحظة التي تسبّبت فيها في اعتقالي".

ارتسمت الحيرة على وجوه بعض الناظرين، وهم يحاولون ترجمة كلام سام.

وقف سيب، وأخرج علبة جلدية حمراء صغيرة من جيب سترته، وقدّمها إليها، وعندما فتحت سام العلبة، ورأت الياقوتة المميزة المحاطة بمجموعة من حبيبات الألماس عجزت عن الكلام.

تناولت سام الخاتم، ووضعته في بنصر يدها

مكتبة ياسمين

اليسرى، وعندما انحنى سيب كي يقبل خطيبته علا تصفيق حاد، عندما تابعا سيرهما يداً بيد، نظرت سامانثا مجدداً إلى اللوحة وتساءلت إن كان عليها إخباره.

مكتبة ياسين

12

"هل لي أن أسأل عن وقت مغادرتك المكتب يوم الجمعة يا سيدي".

قال سلون: "قرابة الساعة السادسة تقريباً، حضرة المفتش".

"ومتى كان موعدك مع السيد هاردكاسل؟".

"عند الساعة الخامسة، كنا نجتمع دوماً يوم الجمعة الأخير من كل شهر عند الساعة الخامسة كي نراجع الإحصائيات العائدة إلى القسم الذي أديره".

"هل كان على ما يرام عندما تركته؟".

قال سلون: "لم يكن يوماً أفضل من ذلك اليوم، لأن الأرقام الشهرية التي قدّمتها قد ارتفعت بمقدار اثنتين فاصلة اثنتين بالمئة، كما تمكّنت من إخباره بتفاصيل مشروع جديد كنت أعمل عليه، فتحمّس كثيراً بشأنه".

"إن الطبيب الشرعي قد سجّل وقت الوفاة عند الساعة السادسة من يوم الجمعة، وهذا يجعلك آخر من رآه".

قال سلون: "إن كانت هذه هي القضية، أتمنى لو أن اجتماعنا استمرّ لوقت أطول".

"تماماً، هل تناول السيد هاردكاسل أية حبوب عندما كنت برفقته؟".

"كلا، وعلى الرغم من أننا جميعاً لنا دراية بأن سيدريك كان يعاني من مشاكل في القلب، إلا أنه لم يكن يتناول دواءه أمام طاقم العمل".

"إن تناثر حبات الدواء بشكل عشوائي على الأرض، بينما العلبة الفارغة في يده أمر غريب، فهو لم يستطع أن يصل إلى حبة على الأقل؟".

مكتبة ياسين

لم يعلّق سلون على كلامه.

"أخبرني الحارس الليلي ستانلي ديفس أنك اتصلت صباح يوم السبت لتسأل إن كان قد وصلك طرد".

"أجل لقد فعلت ذلك، فقد احتجت إلى ملف يخصّ اجتماعاً كان مقرراً صباح يوم الاثنين".

"وهل وصلك؟".

"أجل، ولكن ليس قبل صباح اليوم".

"قال لي السيد ديفس إنه ليس من عادتك الاتصال صباح يوم السبت".

لم تنطلِ الخدعة على سلون.

"أصدر الطبيب الشرعي شهادة تفيد أن السيد هاردكاسل مات إثر نوبة قلبية، وهذا أمر سيتأكّد القاضي الجنائي من صحته في جلسة التحقيق".

حافظ سلون على صمته مجدداً.

"هل لي أن أفترض أنك ستكون في الجوار خلال الأيام المقبلة، فربما توجّب عليّ طرح المزيد من الأسئلة عليك؟".

"أجل سأكون موجوداً، مع أنني كنت أخطّط لأن أذهب إلى هادرسفيلد كي أعزي أرملة السيد هاردكاسل، وأرى إن كان في إمكاني المساعدة في ترتيبات الجنازة".

"يا له من تصرّف لطيف! لا يزال هناك شخص أو شخصان يجب أن أقابلهما يا سيد سلون، وبعدها سأمضي في طريقي".

انتظر سلون إلى أن غادر المفتش مكتبه، فأغلق الباب خلفه، ثم أمسك بسماعة الهاتف.

"أريد تلك الوثائق جاهزة للتوقيع عند انتهاء دوام العمل اليوم".

مكتبة ياسمين

"لقد كلّفت فريقاً وهو يعمل عليها منذ الآن يا سيدي".

كان الاتصال الثاني لسلون برالف فوغان في سافي وقد قدَم عزاءه، لكنه لم يناقشه في تفاصيل المحادثة التي أجراها مع سيدريك هاردكاسل يوم الجمعة.

قال سلون: "نحن مثلك نفكّر في سيدريك وعائلته في هذا الوقت، ولكن آخر ما قاله لي مساء يوم الجمعة هو أن نكون حريصين على إنهاء صفقة شيفنال فارم".

"ولكنك تعلم بالتأكيد أنه سحب عرض البنك بعد ظهر يوم الجمعة، وبالمناسبة كان ذلك محرجاً للغاية".

"كان هذا قبل أن أزوّده بكل التفاصيل، وأعلم أنه كان قد قرّر إخبارك بذلك هذا الصباح".

أكّد فوغان قائلاً: "إن كان الأمر كذلك، فأنا راغب في أن أمدّد الوقت لأسبوع آخر لا أكثر".

"هذا تصرف لائق منك يا رالف، وتأكّد من أنك ستحصل على إيداع بقيمة 160 ألفاً خلال اليوم، وليس علينا سوى الانتظار لنرى ما إذا كان سيعرض أحدهم سعراً أعلى من الذي قدّمته".

قال فوغان: "لا أتخيّل أن أحداً سيقدّم عرضاً عليك، ولكن عليّ أن أسألك إن كانت لديك السلطة التي تخوّلك تقديم عرض بمبلغ قدره 1.6 مليون جنيه نيابة عن البنك".

قال سلون قبل أن ينهي المكالمة: "إنني أقوم بواجباتي، كما عليّ أن أنفّذ توصيات سيدريك الأخيرة".

كانت مكالمتا سلون الثالثة والرابعة لاثنين من

مكتبة ياسين

الشركاء الكبار في البنك واللذين تعهّدا بأن يسانداه في حال قبلت السيدة هاردكاسل بعرضه.

أكّد لهما سلون قائلاً: "سأحضر لكما الوثائق وأضعها على مكتبيكما، وستكون جاهزة للتوقيع عند نهاية دوام العمل غداً".

وكانت المكالمة الخامسة لسلون إلى مصرف زوريخ في سويسرا.

***

اتصل سيب بأمه من المكتب في ذلك الصباح، وأخبرها بالنبأ.

قالت إيما: "وا أسفاه! أعلم تماماً كم كنت تقدّر سيدريك".

"لا أستطيع تحمّل فكرة أن أيامي أصبحت معدودة في فارذنغز، خاصة إذا ما تسلّم أدريان سلون منصب سيدريك".

"اكبح جماح أفكارك، وتذكّر أنه من الصعب إقالة أحد يقوم بعمله بإتقان".

"من الواضح أنكِ لم تقابلي سلون، فهو من الممكن أن يقيل ويلنغتون في صباح واقعة واترلو إذا ضمن له ذلك أن يصبح جنرالاً".

"لا تنس أن روس باكنان لا يزال نائب الرئيس، وهو الأقرب إلى أن يرشح لاستلام منصب سيدريك".

"أرجو أن تكوني على صواب".

إنني متأكدة من أن سيدريك قد أعطى فكرة واضحة لروس عن نشاطات سلون، وأرجوك أن تبلغني بموعد ومكان الجنازة، لأحضرها أنا ووالدك".

قال سلون: "أنا آسف جداً لمضايقتك في مثل هذا الوقت يا سيدة هاردكاسل، ولكننا كلانا ندرك أن

مكتبة ياسمين

سيدريك لن يتوقّع مني أقل من ذلك".

لفّت بيرل هاردكاسل نفسها بشالها الصوفي بإحكام، وعدّلت جلستها، وكانت قد اختفت تقريباً في تلك الأريكة الجلدية الضخمة، ثم همست إليه قائلة: "ما الذي تريدني أن أقوم به؟".

قال سلون: "ليس شيئاً مجهداً، فقد أريد توقيع بعض الوثائق، وأعلم بأن القس جونسون ينتظرك كي تقوما بترتيبات الجنازة، لأن ما يشغله هو أن الكنيسة ليست كبيرة بالقدر الكافي لتتسع للمجتمع المحلي إضافة إلى الأصدقاء، وزملاء سيدريك القادمين من لندن يوم الخميس".

قالت بيرل: "ما كان ليريد أن يعطلوا يوم عمل من أجله".

"لم يطاوعني قلبي أن أمنع مشاركتهم".

"إنه لأمر لائق منك".

قال سلون: "هذا ليس إلا ما يستحقّه، ولكن يبقى شيء وحيد يجب الانتهاء منه".

سحب من حقيبته ثلاثة ملفات سميكة من الوثائق، وقال: "أريد توقيعك عليها، ليتمكّن البنك من متابعة عمله اليومي".

سألت بيرل: "ألا يتحمّل توقيع الملفات الانتظار إلى فترة بعد الظهر؟ فإن ابني أرنولد في طريقه من لندن مباشرة، ولعلك تعرف أنه قاضٍ جنائي، وهو عادة يرشدني في الأمور المتعلقة بالبنك".

قال سلون: "أخشى أنه لا يمكننا الانتظار، فعليّ أن استقلّ قطار الساعة الثانية العائد إلى لندن إذا ما أردنا إنجاز الأعمال العالقة، والالتزام بالمواعيد التي حدّدها السيد هاردكاسل، وفي وسعي أن أرسل نسخاً من الملفات إلى غرفة السيد أرنولد عندما

أعود إلى البنك إن تطلَب الأمر ذلك".

ثم أمسك بيدها، وقال: "أريد فقط ثلاثة تواقيع يا سيدة هاردكاسل، وتستطيعين بالتأكيد أن تتفحصي هذه الملفات إن كنت تشكّين في الأمر".

قالت بيرل وقد أخذت القلم الذي سلَمها إياه سلون، ومن دون أن تحاول تفحَص الملفات القليلة ذات المحتوى الكبير بدأت بالتوقيع، ثم غادر الغرفة، وطلب من القس أن ينضمَ إليهما. وبعد ذلك انحنى بجانبها، وفتح آخر صفحة في الملف، وأشار بيده إلى السطر المشار إليه بنقطة، فوقعته بيرل في حضور القس جونسون الذي راقب توقيعها من دون أن يثير ذلك شكوكهما.

قال سلون، وهو ينهض من مكانه: "أتطلَع إلى رؤيتك مجدداً يوم الخميس لنسترجع بتقدير كبير كل منجزات سيدريك في حياته الحافلة بالنجاحات".

ترك السيدة المتقدمة في العمر برفقة القس وغادر.

***

"هل تستطيع أن تخبرني يا سيد كليفتون عن مكان تواجدك يوم الجمعة عند الساعة الخامسة مساء؟".

"كنت في أمستردام برفقة حبيبتي سامانثا في متحف الريجكس".

"متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيد سيدريك هاردكاسل؟".

"ذهبت إلى منزله في كادوغان بليس قرابة الساعة الثامنة مساء يوم الخميس فور رجوعي من شيفنال في شروبشاير".

"هل لي أن أسأل عن سبب رغبة السيد هاردكاسل

في أن تزوره خارج ساعات العمل، مع أنه كان في إمكانك أن تراه في العمل صباح اليوم التالي".

أمضى سيباستيان وقتاً في محاولة صياغة جوابه على الرغم من درايته التامة أنه كان يستطيع القول إن السبب كان مسألة خاصة تتعلّق بالعمل، وكان المفتش ليقبل بهذا الجواب ويتابع أسئلته.

"كنت أتحقّق من صفقة وجد فيها المدير سبباً ليعتقد أن موظفاً مرموقاً كان يعمل من وراء ظهره".

"وهل اكتشفت من كان ذلك الشخص الذي يعمل في الخفاء؟".

"أجل".

"هل كان هذا الموظّف المرموق السيد سلون على سبيل المصادفة؟".

بقي سيب صامتاً.

"ما كانت ردة فعل السيد هاردكاسل عندما قلت له ما اكتشفته؟".

"أخبرني بأنه كان عازماً على صرف الشخص المعني في اليوم التالي، ونصحني بأن أبتعد قدر الإمكان عن المكتب بينما هو يفعل ذلك".

"لأنه كان سيصرف رئيسك؟".

قال سيب متجاهلاً السؤال: "ولهذا السبب كنت في أمستردام مساء يوم الجمعة، وهذا أمر أندم عليه الآن".

"لماذا؟".

"لأنني لو ذهبت إلى المكتب في ذلك اليوم كان في إمكاني أن أنقذ السيد هاردكاسل".

"هل تعتقد أن السيد سلون كان سينقذه في الظروف ذاتها؟".

"إن والدي دائماً يقول: لا يجدر بالشرطي أن يسأل

مكتبة ياسمين

أسئلة فرضية".

"لا نستطيع جميعنا حل كل الجرائم بالسهولة ذاتها التي يتمكّن منها المفتش وورويك".

قال سيب: "هل تعتقد أن سلون قتل السيد هاردكاسل؟".

قال المفتش: "لا أظنّ ذلك على الرغم من أنه كان في وسعه إنقاذه على الأرجح، ولكن هذا أمر يصعب أن يثبته حتى المفتش وورويك".

اعتلى الموقر آشلي تادورث مطران هادرسفيلد الدرجات الست، وصعد المنبر وتابع تلاوة المقطع الأخير من "ابتهل إلى الله أن يكون حاضراً معي".

نظر إلى جمهور المصلين المحتشد، وانتظر حتى استقرّ كل منهم في مكانه، ووقف الذين لم يستطيعوا إيجاد مكان في الممرات بينما احتشد الذين وصلوا متأخرين في القسم الخلفي من الكنيسة، وكان هذا التجمهر دليلاً على أثر الرجل الراحل.

بدأ المطران خطبته قائلاً: "إن الجنائز هي مناسبات حزينة، ولكنها تغدو أكثر حزناً عندما يكون الراحلون قد أمضوا حياة صالحة، ما يجعل تأبينهم مهمة صعبة، ولكن هذه لم تكن مشكلتي عندما جهّزت خطبتي التي تتناول حياة سيديريك سيدريك آرثر هاردكاسل المثالية، وإذا ما شبّهتم حياة سيدريك بعبارة مصرفية فإنه قد غادر هذا العالم تاركاً رصيداً في كل حساب. من أين أبدأ لأخبركم الحكاية الصعبة التصديق لهذا الرجل اليوركشايري المميز، لقد ترك سيدريك مدرسته وهو في الخامسة عشرة، وانضمّ إلى أبيه في بنك فارذينغز، وكان ينادي أباه دائماً بالسيد في العمل والمنزل، وفي الحقيقة تقاعد والده في

مكتبة ياسين

الوقت المناسب الذي لن يضطرَ فيه إلى مناداة ابنه بالسيد!".

علا ضحك خافت من الجمهور.

"بدأ سيدريك حياته العملية متدرباً صغيراً، وبعد سنتين أصبح مقاولاً، وبعد أن تسلَم عملاً في المصرف، ترقّى إلى مساعد مدير ثم مدير فرع، وأخيراً مدير منطقة قبل أن يصبح أصغر مدير في تاريخ المصرف، وصراحة لم يستغرب أحد لدى استلامه رئاسة المصرف وهو في الثانية والأربعين، وهو المنصب الذي شغله منذ الأعوام الثلاثة والعشرين الماضية، وخلال تلك الفترة نقل فارذينغز من مصرف محلي في بلدة يوركشاير إلى إحدى أهم المؤسسات المالية في مدينة لندن، ولكن الشيء الوحيد الذي لم يتغيّر هو عبارته الشهيرة: *إذا حافظت على قروشك فأموالك ستحافظ على نفسها*".

***

سأل سلون بتوتر: "هل تظنّ أننا نجونا؟".

"إن كنت تقصد بذلك أن ما قمت به في الأيام الأربعة الماضية كان قانونياً، وفوق الشبهات، فالإجابة هي نعم".

"هل لدينا نصاب قانوني؟".

قال المستشار القانوني للبنك مالكوم أتكيز: "نعم لدينا"، ثم أضاف: "إن المدير الإداري، ومندوب الشركة، وستة مدراء غير تنفيذيين ينتظرونك في غرفة الاجتماعات، وإنني أذكرك بأنني متشوق لمعرفة ما قلته لهم عندما اقترحوا حضور الجنازة في هادرسفيلد اليوم بدلاً من اجتماع المجلس في لندن".

مكتبة ياسين

"أخبرتهم ببساطة بأن الخيار خيارهم".

ابتسم أتكيز، ونظر إلى ساعته ثم قال: "علينا الانضمام إليهم، إنها العاشرة تقريباً".

غادر الرجلان مكتب سلون، وسارا بصمت عبر الممر الذي تغطيه سجادة سميكة، وعندما دخل سلون إلى غرفة المجلس وقف الجميع له كما كانوا يفعلون مع المدير السابق، فقال سكرتير الشركة عندما جلس الجميع: "أيها السادة لقد تمّ عقد هذا الاجتماع الاستثنائي لهدف وحيد، وهو...".

***

أكمل المطران قائلاً: "كلما فكّرنا في سيدريك هاردكاسل علينا أن نتذكّر شيئاً واحداً إضافة إلى كلّ ما سبق ذكره، وهو أنه كان مثالاً للرجل اليوركاشيري، كما كان لسيدريك قناعة تامة بأن يوركشايرهي دولة، وليست مقاطعة. وفي الحقيقة اعتبر مصرف فارذينغز مصرفاً دولياً ليس عندما افتتح فرعاً في هونغ كونغ بل عندما افتتح فرعاً في مانشستر".

انتظر المطران انتهاء جولة الضحك قبل أن يكمل قائلاً: "لم يكن سيدريك رجلاً مغروراً، لكنه لم يكفّ عن كونه رجلاً فخوراً بذاته، إنه فخور بالمصرف الذي عمل فيه كل يوم، وكان فخوراً أكثر بعدد الزبائن، والكوادر التي عملت وفق إرشاداته، وإدارته. إن الكثيرين منكم اليوم، من أصغر متدرب إلى أعلى رئيس في شركة سوني العالمية، استفادوا من حكمته، واتساع أفقه، ولكن أكثر ما يجب أن نتذكّره هو سمعته النظيفة ونزاهته وحسن سلوكه هذه المعايير التي اتخذها كمسلمات في تعامله مع الآخرين، وقد اعتبر أن الصفقة لا تكون ناجحة إلا عندما يكون كلا طرفيها رابحين، وكان يسعد

مكتبة ياسين

أكثر إذا رفع الطرفان قبعتيهما عندما يلتقيان في الطريق".

***

أكمل سكرتير الشركة: "البند الوحيد على جدول أعمال جلسة اليوم هو انتخاب رئيس جديد للمجلس بعد الوفاة المؤسفة لسيدريك هاردكاسل، وقد ترشّح شخص واحد، وهو السيد أدريان سلون رئيس قسم الملكيات، وقد حصل السيد سلون سلفاً على موافقة قانونية من ستة وستين بالمئة من شركائنا، لكنه شعر بأن تعيينه يجب أن يصدَق عليه أعضاء المجلس".

تقدّم مالكوم أتكيز، وقال: "من دواعي سروري أن أرشح أدريان سلون ليكون الرئيس القادم لمصرف فارذينغز، وأظنّ أن هذا ما أراده سيدريك تماماً".

قال ديزموند ميلور الذي غبَن مؤخراً مديراً غير تنفيذي: "يسعدني أن أؤيّد هذا الإجراء".

سأل سكرتير الشركة: "من يؤيّد هذا القرار؟".

ارتفعت ثماني أيد إلى الأعلى فأردف قائلاً: "لقد أعلن هذا القرار نافذاً بالإجماع".

وقف سلون، وقال: "أيها السادة اسمحوا لي بأن أبدأ بشكركم على ثقتكم التي أظهرتموها بانتخابكم لي ثاني رئيس لمصرف فارذينغز، فليس من السهل أن نسير على خطا هاردكاسل، فأنا أحلّ محل رجل تركنا في ظروف مأساوية. رجل كلنا رغبنا في بقائه، واعتقدنا أنه سيبقى معنا لسنوات عديدة قادمة، رجل لا يمكنني إلا أن أن أعجب به أكثر من إعجابي بأي شخص آخر، رجل لم أعتبره زميلاً وحسب بل الصديق الذي جعلني فخوراً برفع رايته، ونقلها إلى المرحلة الثانية من سباق المصارف. وبكل احترام أرجو أن نقف جميعاً، ونحني رؤوسنا احتراماً لذكرى

مكتبة ياسين

رجل عظيم".

***

أكمل المطران: "لكن بشكل رئيسي سيذكر سيدريك هاردكاسل بصفته ربّ عائلة، فقد أحب بيرل منذ اليوم الذي أعطته فيه ثلثي ليتر إضافيين عندما كانت مسؤولة عن توزيع الحليب في المدرسة الابتدائية في هادرسفيلد، ولم يسعه الفخر عندما أصبح ابنهما أرنولد قاضياً جنائياً، على الرغم من أنه لم يستطع أبداً معرفة سبب اختيار الفتى جامعة أوكسفورد بدلاً من ليدز لإكمال تعليمه. واسمحوا لي أن أختم باختصار التعبير عن مشاعري تجاه أقدم وأعز أصدقائي بكلمات دوق باكينغهام وهو يرثو السيد توماس فيرفاكس:

لم يعرف أين كان الحسد ولا الكره.

كانت روحه مفعمة بالرفعة والصدق، وبشيء آخر إضافي أصبح نادراً في هذه الأيام يدعى التواضع".

***

رفع مالكوم أتكيز كأس الشامبانيا، وقال: "بصحة الرئيس الجديد لفارذينغز".

ارتشف رشفة بينما كان سلون يجلس على كرسي المكتب الخاص بسيدريك للمرة الأولى، وقال: "والآن ما عملك التنفيذي الأول؟".

"أن نتأكّد من إغلاق صفقة شيفنال قبل أن يقول أحدهم إن مبلغ مليون وستمئة ألف زهيد جداً".

سأل ميلور: "وعملك الثاني؟".

"إقالة سيباستيان كليفتون بالإضافة إلى كل واحد كان قريباً من هاردكاسل، ويتوافق وفلسفته البائدة، إن هذا المصرف على وشك أن ينخرط في العالم الواقعي، حيث الأرباح لا الأشخاص هي الأساس

الوحيد، وإذا ما هدّدنا أحد الزبائن بنقل حساباته فلندعه يفعل ذلك خاصة إذا كان من يوركشاير، فمن الآن وصاعداً شعار المصرف هو: *إذا كنت تملك قروشاً فقط، فلا تجهد نفسك في الإيداع لدينا*".

***

أحنى سيباستيان رأسه عندما أنزل حاملو النعش الجثمان إلى داخل القبر لكي لا يلحظ أحد دموعه، ولم يحاول روس باكنان أن يخفي مشاعره، أما إيما وهاري فقد أمسكا بيدي بعضهما، لقد فقدوا جميعاً صديقاً حكيماً وعزيزاً، وبينما كانوا يسيرون ببطء خارج المقبرة انضم إليهم أرنولد هاردكاسل، وأمه فسأل روس: "لم لم يحضر أدريان سلون الجنازة، بالإضافة إلى ستة مدراء آخرين؟!".

قال أرنولد: "لم يكن أبي سيفتقد سلون، فقد كان على وشك أن يقيله قبل وفاته".

قال روس: "هل قال لك ذلك؟".

"أجل، لقد اتصل بي هاتفياً صباح الجمعة ليسأل عن الوضع القانوني في حال أمسك برئيس القسم، وهو يستخدم أموال المصرف لإبرام صفقات خاصة به".

سأل روس: "هل قال أي رئيس قسم يقصد؟".

"لم يكن بحاجة إلى ذلك".

قالت إيما مقاطعة: "هل قلت ستة مدراء؟".

قال روس: "أجل، ولماذا عددهم يهمّ؟".

"إنه يشكل نصاباً قانونياً، لو كان سيدريك على قيد الحياة، لكان اكتشف ما الذي كان يخطّط له سلون".

قالت بيرل: "يا إلهي! أدركت الآن لم أراد مني أن أوقع تلك الملفات، لن يسامحني سيدريك أبداً".

مكتبة ياسين

"إنني مصدوم مثلك يا أماه، ولكن لا تقلقي فأنت لا زلت تملكين نسبة واحد وخمسين بالمئة من البنك".

قال هاري: "هل يمكن لأحد منكم أن يشرح لي باللغة الإنكليزية البسيطة ما الذي تتكلّمون عنه؟".

قال سيباستيان: "لقد عيّن أدريان سلون نفسه مديراً جديداً لفارذنغز، أين هو أقرب هاتف؟".

مكتبة ياسين

13

تحقق سيباستيان من ساعة يده، فهناك متسع من الوقت ليقوم بمكالمة واحدة، فسرّه رؤية كشك الهاتف الوحيد الذي صادفه كان شاغراً، فأدخل الرقم الذي حفظه عن ظهر قلب.

"فيكتور كوفمان".

"فيك، أنا سيب".

"أهلاً يا سيب، تبدو وكأنك تتصل من الجانب الآخر للعالم".

"لست بهذا البعد، أنا في هاردسفيلد، وكنت لتوي في جنازة سيدريك هاردكاسل".

"لقد قرأت نعيه اليوم في جريدة فايننشال تايمز، يا له من رجل، فقد تعاملنا معه!".

"أنت لا تعلم نصف الموضوع، وهذا سبب اتصالي بك، أحتاج إلى أن أتكلّم مع والدك في أقرب وقت".

"اتصل فقط بسكرتيرته، وسأحرص على أن تعطيك موعداً".

"ما أريد التحدث بشأنه أمر مستعجل جداً، وأحتاج إلى أن أرى والدك هذا المساء، وفي أبعد تقدير صباح غد".

"هل أتنبأ بصفقة كبيرة؟".

"أكبر صفقة يمكن إبرامها".

"حسناً، سأتحدّث إليه فوراً، متى ستعود إلى لندن؟".

"يفترض أن أستقلّ قطاراً يصل عند الساعة الرابعة وعشر دقائق".

"اتصل بي من المحطة وسأ..." سمع سيب صفيراً صاخباً فاستدار، ورأى علماً أخضر يرفرف، فأسقط

مكتبة ياسين

السماعة، وذهب إلى المنصة، ثم صعد على متن القطار المتحرك.

جلس في المقصورة الخلفية، وحالما التقط أنفاسه فكّر في المرة الأولى التي قابل فيها فيك في شيبساید، فقد كان يتشارك المكتب معه، ومع برونو مارتينيز، وقد أصبحا صديقيه العزيزين، فالأول كان ابن يهودي مهاجر، أما الثاني فكان ابن تاجر سلاح أرجنتيني، ومع مرور السنوات أصبحوا من أعز الأصدقاء، وتعمّقت هذه الصداقة عندما انتهى الأمر بسيب إلى لكمة على عينه، وهو يدافع عن صديقه اليهودي، ولكن هذا لم يعنِ أنه كان له دراية بكل ملابسات ذلك الأمر، وقد اكتشف بسرعة أنه كان رجلاً أعمى ولا يعرف معنى العنصرية أو التعصب الديني وأن التحيز كان يُقدَم على طاولات الفطور.

لقد حوّل تركيزه إلى النصيحة الحكيمة التي زوّدته بها أمه قبل أن تعود برفقة والده إلى بريستول بعد الجنازة، بعد أن علم أنها كانت على حق.

شغل سيب وقته بكتابة صفحة أولى، ثم صفحة ثانية بعدها، وبحلول الوقت الذي وصل فيه القطار إلى يوستون كان قد أكمل كتابة رسالة أمل في أن تحظى برضى كل من سيدريك، لو كان لا يزال حياً، وأمه.

***

تعزف سلون بسرعة إلى خط اليد، فمزق الظرف، وأخرج رسالة جعلته يستشيط غضباً وهو يقرأ كل كلمة منها.

أيها السيد القدير سلون. لا يسعني أن أصدق أنك تمكّنت من الانحطاط إلى هذه المستوى الحقير، وأقمت اجتماع مجلس إدارة في يوم جنازة

مكتبة ياسين

سيدريك هاردكاسل من أجل تعيين نفسك مديراً.

وعلى خلافي فإن سيدريك ما كان ليتفاجأ بنفاقك.

لعلك تعتقد بأنك قد أفلتَ من الأمر، ولكنك لم تفلت منه أبداً حيث إنني لن أرتاح إلا عندما أفضح حقيقة خبثك، فكلانا ندري أنك آخر شخص قد يرغب سيدريك في أن يرثه.

لن تتفاجأ بالطبع بعد قراءتك هذه الرسالة، أنني لا أودّ أن أعمل لدى دجّال مثلك.

س. كليفتون

قفز سلون عن كرسيه غير قادر على تمالك نفسه.

اقتحم مكتب سكرتيرته، وصرخ قائلاً: "هل لا يزال في المبنى؟!".

سألته ريتشل بعفوية: "من هو؟".

"كليفتون! من غيره!".

"لم أره منذ أن سلّمني الرسالة، وطلب مني أن أضعها على مكتبك".

مشى سلون مسرعاً من مكتبه إلى الممر آملاً في أن يلتقي بكليفتون في مكتبه كي يطرده.

سأل، وهو يقتحم غرفة سيب: "أين كليفتون؟"، نظر مساعد سيب اليافع بوب راشتون إلى مديره الجديد، وكان مرعوباً جداً لدرجة أنه لم يقل شيئاً فتابع سلون: "هل أنت أصم؟ ألم تسمع ما قلته؟ أين كليفتون؟".

قال راشتون: "لقد حزم أغراضه، وغادر منذ عدة دقائق، لقد قال لنا إنه استقال، وإنه لن يعود مجدداً".

قال سلون: "غادر قبل عدة دقائق من أن يطرد"، ثم نظر إلى مساعده، وأضاف: "وأنت مطرود أيضاً،

مكتبة ياسمين

احرص على أن تغادر البنك خلال ساعة، وعلى ألا تترك شيئاً في هذه الغرفة قد يدلّ على وجود كليفتون".

عاد سلون إلى مكتبه غاضباً، وجلس في مقعده.

كانت تنتظره خمسة مغلفات عليه أن يفتحها مكتوب عليها *خاص*.

***

قال سول كوفمان: "لقد قابلت سيدريك هاردكاسل في ست مناسبات، وكانت معظمها اجتماعية، فلم نعمل مع بعض، ولكنني كنت أتمنى لو حصل ذلك لأنه كان من القلائل في المدينة الذين كانوا يعتقدون أن المصافحة تنهي صفقة، وليس عقداً".

قال سيب: "حتى العقد لن ينهي صفقة في ظل المدير الجديد".

"لم أقابل أدريان سلون أبداً، وقد سمعت به، هل هو سبب رغبتك في رؤيتي بشكل طارئ؟".

قال سيب: "أجل يا سيدي، كنت أبحث عن تفاصيل صفقة هائلة يحاول سلون إتمامها، وبعد أن أصيب المدير بنوبة قلبية أصبح ذلك متعذراً".

"أطلعني إذاً على هذه الصفقة على مهل، ولا تغفل أية تفاصيل".

بدأ سيب بإخبار السيد كوفمان بتلقيه مكالمة من رالف فوغان وقد نبهته إلى مآرب سلون، وبذهابه في صباح اليوم التالي بناء على توجيهات سيدريك إلى شيفنال، وكيف انتهى يومه بمقابلته السيد سوان، ومعرفته سبب رغبة سلون في أن يدفع ثمناً أكبر مما تستحقّه المزرعة في شروبشاير.

عندما أوشك سيب أن ينهي قصته، ظهرت ابتسامة غامضة على وجه كوفمان.

مكتبة ياسين

"هل من الممكن للسيد سوان أن يلاحظ شيئاً قد غفلنا عنه جميعاً؟ سنكتشف ذلك قريباً حيث ستعلن الحكومة عما توصّلت إليه في الأسابيع القليلة المقبلة".

"ولكن ليست لدينا أسابيع بل أيام فقط، لا تنس أن إغلاق باب العروضات سيتمّ غداً في تمام الساعة الخامسة".

"إذاً تريد مني أن أعرض سعراً أعلى من سلون، ولكن ربما اكتشف السيد سوان ما تسعى إليه الحكومة؟".

"كان سيدريك مستعداً للقيام بهذه المخاطرة".

"وعلى عكس سلون فقد عرف سيدريك أنه كان رجلاً حذراً".

أطبق كوفمان كفّيه، وكأنه يصلي، وعندما أنهى صلاته أضاف قائلاً: "سأحتاج إلى القيام بعدة اتصالات قبل أن أتوصّل إلى قرار نهائي، لذلك تعالَ غداً إلى مكتبي في الساعة الرابعة وأربعين دقيقة، إن كنت قد اقتنعت فسنذهب من هنا".

"ولكن بحلول ذلك الوقت سيكون قد فات الأوان".

قال كوفمان: "لا أعتقد ذلك".

***

عندما غادر سيب البنك كان منهمكاً في التفكير، ولم يكن مقتنعاً تماماً بأن كوفمان سيقدم على الصفقة، ولكن لم يكن لديه مكان آخر يلتجئ إليه.

لقد عاد مسرعاً إلى المنزل وقد أراد أن يشارك كل ما قد حصل معه مع سامانثا منذ أن غادر الشقة في الصباح.

كانت دائماً تنظر إلى الأمور من منظور آخر، وكانت غالباً تخرج بتفسيرات محلية مستخدمة أحد أفضل

مكتبة ياسمين

تعابيرها الأميركية.

بينما كانت سام تحضّر العشاء أخبرها سيب بأسماء الذين حضروا الجنازة هذا الصباح، والأهم من ذلك أنه أخبرها بأسماء من لم يحضروها، وعما كان يخطّط له سلون وحلفاؤه بينما كان في هادرسفيلد... ولماذا كان يبحث حينها عن وظيفة.

عندما توقّف أخيراً عن التحرك ذهاباً وإياباً في أرجاء المطبخ، وجلس على كرسيه قالت سام: "ولكنك على علم بأن سلون مخادع، لهذا لا يجدر أن يكون عقد مجلس الإدارة بينما كان كل معارضيه خارج البلدة أمراً مفاجئاً لك، كما أستطيع أن أؤكّد على أن أمك قد اكتشفت ذلك الأمر".

"لقد اكتشفته بالفعل، ولكن مع ذلك كان الأوان قد فات، ولكنني أعتقد أنه لا يزال في وسعنا أن نهزم سلون في لعبته".

قالت سام: "ليس في لعبته، حاول أن تفكّر في ما كان سيفعله سيدريك في الظروف ذاتها وليس سلون".

"ولكن إن أردت أن أغلبه يوماً ما فعليّ أن أفكّر مثله".

"من الممكن ذلك، ولكن هذا لا يعني أن تتصرّف مثله".

"إن صفقة شيفنال فارم هي فرصة العمر!".

"إن هذا ليس سبباً كافياً لتنحطّ مثل سلون".

"ولكن يا سام ربما لن يكون في وسعي أن أحظى بفرصة كهذه أبداً!".

"بالطبع ستحظى بواحدة يا سيب، ولكن فكّر في المدى البعيد، وعندها ستتفهّم الفرق بين أدريان سلون، وسيدريك هاردكاسل، وأنا متأكدة من شيء

مكتبة ياسمين

واحد، وهو أن عدداً قليلاً من الناس سيحضرون جنازة سلون".

كان يوم الجمعة أطول يوم في حياة سيباستيان، فهو بالكاد استطاع أن يغمض جفنيه في الليلة المنصرمة، وهو يفكّر في الذي كان يخطّط له كوفمان.

عندما ذهبت سام لتحضر محاضرة في كينغز تجوّل في أرجاء الشقة، وتظاهر بأنه يقرأ جريدة الصباح، ثم أمضى وقتاً طويلاً في غسل أطباق الفطور القليلة، ثم ذهب ليركض في الحديقة، ومع ذلك عندما عاد إلى الشقة كانت الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة بكثير.

استحمّ، وحلق ذقنه ثم فتح علبة من اللحم المقدد.

كان ينظر إلى ساعته باستمرار، ولكن العقرب الثاني لا يتحرك سوى بمقدار ستين ثانية.

بعد انتهائه من تناول طعامه الخفيف دخل إلى غرفته، وأخرج بذلته من الخزانة، وارتدى قميصاً أبيض مكوياً، وربطة عنقه قديمة الطراز، أخيراً، لمّع حذاءه إلى حد كان سيفخر به رقيب أول.

كان يقف في تمام الساعة الرابعة أمام موقف الباصات منتظراً الباص رقم 4 الذي سيأخذه إلى المدينة.

ترجّل في سانتبول، ومع أنه كان يمشي ببطء وصل إلى أمام بنك كوفمان في شيبسايد في الساعة الرابعة وخمس وعشرين دقيقة، فلم يملك خياراً آخر سوى أن يتمشى في الحي، وبينما كان يقطع عدة مؤسسات مألوفة تذكّر كم كان يستمتع بعمله في سكوير مايل، فلم يطق أن يفكّر في أنه سيكون عاطلاً عن العمل لفترة.

مكتبة ياسين

دخل سيب إلى البنك عند الساعة الرابعة وثمانٍ وثلاثين دقيقة، وقال لموظفة الاستقبال: "لديّ موعد مع السيد كوفمان".

سألته مبتسمة: "أي سيد كوفمان منهما؟".

"المدير".

"شكراً لك يا سيدي، إن رغبت يمكنك أن تجلس، وسأعلمه بأنك هنا".

سار سيب ذهاباً وإياباً في الردهة مراقباً الساعة، وقد قاطعت أفكاره لمسة على كتفه، وكلمات تردّد: "إن المدير ينتظرنا في مكتبه، سآخذك إليه".

كان سيب منبهراً بأن فيك لم ينادِه *أبي*، وقد شعر بأن راحتي كفّيه تتعرّقان، وبينما كان يستقل المصعد إلى الطابق العلوي مسحهما بنطاله، وعندما دخلا إلى غرفة المدير وجداه يتكلّم عبر الهاتف.

"عليّ أن أتكلم مع زميلي قبل أن أقرّر يا سيد سلون، وسأتصل بك مجدداً عند الساعة الخامسة"، بدا سيب مذعوراً، ولكن كوفمان وضع يداً على فمه ثم تابع: "إن كان هذا يناسبك".

أنهى سلون المكالمة، ثم أمسك بهاتفه مجدداً، وبسرعة ومن دون أن يطلب من سكرتيرته الاتصال اتصل برقم.

"رالف، أنا سلون".

قال فوغان، وهو يتفحّص ساعته: "اعتقدت أنك المتصل، ستسرّ عندما تعلم بأنه لم يتّصل أحد بشأن شيفنال فارم طوال اليوم، لذا خلال خمس عشرة دقيقة فقط يمكننا أن نفترض أن العقار سيصبح ملكك، وسأتصل بك عند الخامسة عصراً كي نتباحث حول الطريقة التي تحبّذ أن تجري وفقها المستندات".

مكتبة ياسين

قال سلون: "حسناً، ولكن لا تتفاجأ إن كان خطي مشغولاً عندما تتصل بي، لأنني أعمل الآن على إتمام صفقة أكبر حتى من شيفنال فارم".

"ولكن إن أراد أحدهم أن يقدّم عرضاً خلال الفترة الممتدة من الآن وحتى الساعة الخامسة...".

قال سلون: "لن يحدث ذلك، احرص فقط على أن تحوّل العقد إلى فارزينغز صباح يوم الاثنين، وسيكون هناك شيك بانتظارك".

***

قال فيك: "أصبحت الساعة الخامسة إلا عشر دقائق".

قال الرجل المتقدم في العمر: "اصبر يا ولدي، هناك شيء واحد يهمّ، وأنت تنهي صفقة، وهو التوقيت"، ثم انحنى إلى الخلف، وأغمض عينيه مع أنه كان متيقظاً تماماً.

لقد أوصى سكرتيرته بأن لا تقاطعه مهما يكن الأمر بين الساعة الخامسة إلا عشر دقائق، والخامسة وعشر دقائق. بعد ذلك، لم ينطق كل من فيك وسيب بكلمة.

فجأة فتح سلون عينيه، وجلس منتصباً، وتحقّق من أن كلا هاتفيه كانا موجودين حيث أرادهما، عند الساعة الخامسة إلا خمس دقائق تناول الهاتف الأسود، واتصل برقم وكالة عقارات في ميفير، وطلب أن يتحدّث إلى الشريك الأكبر.

قال فوغان: "يا له من شرف غير متوقع يا سيد كوفمان، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"يمكنك البدء بأن تقول لي كم الساعة يا سيد فوغان".

قال له مستغرباً: "إنها الساعة الخامسة إلا خمس

مكتبة ياسمين

دقائق، لماذا تسألني ذلك؟".

"لأنني أردت أن أتأكد من أنكم لا تزالون تفتحون المجال للعروضات عبر شيفنال فارم في شروبشاير".

"بالطبع نحن لا نزال نفسح مجالاً للعروضات، ولكن عليّ أن أنبهك بأن لدينا عرضاً بالفعل بقيمة مليون وستمئة ألف من بنك آخر".

"حسناً، سأراهن بمليون وستمئة وعشرة آلاف".

قال فوغان: "شكراً لك يا سيدي".

"وما الوقت الآن؟".

"الخامسة إلا ثلاث دقائق".

"ابقَ معي يا سيد فوغان فلدي مكالمة عبر الخط الآخر، ولن تستغرق سوى ثوانٍ".

وضع كوفمان سماعة الهاتف الأسود على مكتبه ثم أمسك بسماعة الهاتف الأحمر، واتصل برقم، فأجابه بعد ثلاث رنات صوت يقول: "أدريان سلون".

"إنني أتصل يا سيد سلون بشأن صكوك النفط النيجيري التي يقدّمها مصرفك لمستثمرين منتقين، وكما قلت مسبقاً إنها تبدو وكأنها فرصة لامعة، ما الحد الأقصى الذي ستسمح لمؤسسة ما بأن تستثمره؟".

"مليوني جنيه يا سيد كوفمان، كنت لأعرض عليك مبلغاً أكبر، ولكن معظم الأسهم قد استملكت".

"هل يمكنك أن تنتظرني ريثما استشير أحد زملائي؟".

"بالطبع يا سيد كوفمان".

أرجع سماعة الهاتف الأحمر إلى مكتبه ثم انتشل سماعة الهاتف الأسود، وقال: "أنا آسف لجعلك تنتظر يا سيد فوغان، ولكن عليّ أن أسألك مجدداً

مكتبة ياسين

عن الساعة".

"إنها الخامسة إلا دقيقة".

"ممتاز، من فضلك، هل يمكنك الآن أن تفتح باب مكتبك؟".

وضع كوفمان سماعة الهاتف الأسود على المكتب، وتناول سماعة الهاتف الأحمر، وقال: "كان يسألني زميلي عما إذا كنا سنحتلّ مكاناً في مجلس الشركة الجديدة في حال استثمرنا مليوني جنيه".

قال سلون: "بالطبع! في الحقيقة أستطيع أن أوفّر لكما مكانين حيث سيكون لديكما نسبة عشرة بالمئة من الأسهم".

"اسمح لي بأن أستشير زميلي مجدداً"، وضع سماعة الهاتف الأحمر من يده، وأمسك بسماعة الهاتف الأسود مجدداً.

"ماذا وجدت عندما فتحت الباب يا سيد فوغان؟".

"مبعوثاً سلّمني شيكاً مصرفياً بقيمة مئة وستين ألف جنيه".

"نسبة العشرة بالمئة المطلوبة لإنهاء المعاملة، كم الساعة الآن يا سيد فوغان؟".

"إنها الخامسة ودقيقتان".

"إذاً تمّت الصفقة، ما إن أفي بنسبة التسعين بالمئة المتبقية خلال شهر ستكون شينفال فارم لي".

قال فوغان، وهو لا يريد أن يعترف كم كان متطلّعاً إلى أن يخبر سلون أنه خسر الصفقة: "بالطبع ستكون لك".

قال كوفمان عندما أغلق سماعة الهاتف الأسود: "لعلك تحظى بعطلة أسبوعية جيدة"، ثم عاد إلى الهاتف الأحمر.

تمنّى كوفمان أن يرى ردة فعل سلون، وهو يقول

مكتبة ياسمين

له: "أنا أريد أن أستثمر مليوني جنيه في هذا المشروع المشوق، ولكن مع الأسف لم أستطع أن أقنع زملائي، لذلك مع كل الأسف سوف أسحب عرضي، وبما أنك قد أكّدت لي أن معظم الأسهم قد استملكت بالفعل فلن يشكّل ذلك فارقاً لديك".

مكتبة ياسين

14

لم يخبر سيباستيان سامانثا عن الطرق الذي اتبعها السيد كوفمان ليتمم صفقة شيفنال فارم، لأنه يدرك أنها لن توافق على ذلك الأسلوب حتى ولو كان سلون هو الطرف الخاسر، ولكن ما قاله لها فعلاً هو أن كوفمان قد عرض عليه وظيفة.

سألته: "ولكنني اعتقدت أن ذلك البنك لا يحتوي على قسم ملكيات".

أجاب سيب: "أصبح لديه واحد الآن، وقد قال لي أن أنشئ قسمي الخاص، وأبدأ بمعاملات صغيرة، ولكن من الممكن أن يتوسع إن أثبتُ جدارتي".

قالت سام وهي تعانقه: "يا لها من أخبار سارة!".

"ولن يكون الأمر صعباً أن أعيّن طاقماً مناسباً، فسلون طرد فريقي بالكامل، بالإضافة إلى الذين استقالوا، ومن ضمنهم ريتشل".

"ريتشل؟".

"ريتشل هي سكرتيرة سيدريك، ولكنها لم تعمل سوى أسبوع لدى الإدارة الجديدة، فطلبت منها أن تضم إليّ، وسوف نبدأ يوم الاثنين صفحة بيضاء، ولكن في الحقيقة ليست بيضاء بالكامل حيث إن سلون طرد مساعدي، وطلب منه أن يخلي مكتبي من كل ما يذكره بي، فأتى إليّ في شيبساید وسلّمني كل الملفات التي كنت أعمل عليها".

"هل هذا قانوني؟".

"من يأبه لهذا إن لم يلحظ سلون شيئاً قط؟".

"إن بنك فارذينغز ليس قائماً على سلون فحسب، ولا يزال لديك التزام تجاهه".

"بعد الأسلوب الذي عاملني به سلون؟".

مكتبة ياسين

"لا بعد الأسلوب الذي عاملك به سيدريك".

"ولكن ذلك لا علاقة له بصفقة شيفنال فارم، فقد كان يعمل على إبرامها سلون من وراء ظهر سيدريك".

"والآن أنت تعمل من وراء ظهره".

"بالطبع أنا كذلك إن كان ذلك سيؤمّن لنا شقة في تشيلسيا".

"لا يجدر بنا أن نفكّر في شراء أي شيء قبل أن توفي كل ديونك".

"وعدني السيد كوفمان بمكافأة قدرها أربعون ألف جنيه عندما تعلن الحكومة قرارها، لذلك لن تكون لديّ أية ديون حينها".

قالت سام: *"إن* أعلنت الحكومة شيئاً، فلا تبدأ بصرف الأموال قبل أن تحصل عليها، وحتى لو نجحت الصفقة فأنت لا تزال تدين للسيد سوان بأكثر من ثمانية آلاف جنيه، لذلك يجدر بنا ألا نفكّر في الانتقال حالياً".

قرّر سيب أن يخفي شيئاً آخر لن يخبر به سام.

***

أمضى سيب الأسابيع التالية، وهو يعمل لساعات طويلة كانت لتبهر سيدريك، وبمساعدة ريتشل، وفريق مبيعاته من فارذينغز، عملوا بجدّ ونشاط أكثر من الحد الذي يعدّه السيد كوفمان معقولاً.

ولم يكتف سيب بالتعامل مع زبائنه القدماء بل بدأ يجذب زبائن آخرين كانوا يودعون أموالهم في فارذينغز، مقنعاً نفسه بأن ذلك جزء مما يستحقّه سلون.

بعد مرور ثلاثة أشهر فقط منذ أن بدأ العمل لدى كوفمان استدعاه إلى مكتبه.

مكتبة ياسمين

قال المدير قبل أن يغلق سيب الباب: "هل قرأت صحيفة *الفايننشال تايمز* هذا الصباح؟".

"لقد قرأت الصفحة الأولى، وعمود الملكيات، لماذا؟".

"لأننا سنكتشف الآن إن كانت توقعات السيد سوان صائبة". لم يقاطع سيب استرسال السيد كوفمان في حديثه قائلاً: "يبدو أن وزير النقل سيقوم بإعلان قرار في المجلس عند الساعة الثالثة ظهراً، وربما عليك أنت وفيكتور أن تذهبا، لتسمعا ما لديه، وتخبراني بعدها إن كسبت أو خسرت ثروة".

حالما دخل سيب إلى مكتبه اتصل بخاله جايلز في مجلس العموم، وسأل إن كان في وسعه أن يؤمن له تذكرتين في سترينجرز غاليري(2) عصر ذلك اليوم كي يسمع وصديقه بيان وزير النقل.

قال جايلز: "سأضع التذكرتين في الردهة المركزية".

بعد أن أغلق سماعة الهاتف، تفحّص جايلز تفاصيل برنامج ذلك اليوم، وتساءل عن سبب اهتمام سيب بقرار سيؤثر فقط على قلة قليلة في شروبشاير.

***

جلس سيب، وفيك في الصف الرابع من سترينجرز غاليري قبل أن يقرأ وزير النقل بيانه بوقت طويل.

ابتسم جايلز لهما من مقعده، وهو لا يزال مستغرباً السبب الذي يجعل ابن أخته مهتماً بهذا البيان.

جلس موظفا البنك اليافعان على حافة المقعد الجلدي الأخضر عندما استدعى المتحدث وزير النقل كي يلقي بيانه أمام المجلس.

قال الوزير، بعد أن صعد المنبر: "سيدي المتحدث، أقف هنا اليوم كي أعلم المجلس بالطريق الذي

مكتبة ياسين

تم اختياره لإقامة الطريق السريع المقترح، والذي سيمرّ عبر شروبشاير".

ما إن ذكر الوزير ضواحي شيفنال بما فيها شيفنال فارم كجزء من الطريق السريع حتى كاد سيب يقفز في مكانه.

وعندما انتهى الوزير من الإجابة على تساؤلات الأعضاء المحليين، عاد إلى مكانه في المقعد الأول كي يسمح ببدء المناقشة في العلاقات الخارجية، وهنا نهض سيب، وقال: "لقد نجحنا!"

***

في صباح اليوم التالي كانت سام تقرأ *الغارديان* عندما استيقظ سيب وأتى لتناول الفطور، وهو لا يزال ناعساً.

سألته: "أين كنت البارحة؟ فلم أسمعك وأنت تدخل إلى المنزل".

"كنا نحتفل أنا وفيك، أنا آسف كان عليّ الاتصال بك وإخبارك".

سألته سام: "تحتفلان بماذا؟"، ولكن سيب لم يجبها، بينما كان يتناول طبقاً من رقائق الذرة.

قالت سام: "أصاب السيد سوان عندما قال إن الطريق السريع سيمرّ وسط شيفنال فارم"، ثم أضافت وهي تنظر إلى المقال الموجود أمامها: "وهل أقتبس من *الغارديان*، أن ذلك قد أكسب عدة سماسرة ثروة صغيرة؟".

أعطت سيب الصحيفة فنظر إلى العنوان فقط.

قال سيب بينما كان يتناول طعامه: "عليك أن تتفهّمي أن هذا المال سيكون كافياً لأن نشتري بيتاً في تشيلسيا".

"ولكن هل سيتبقى مالٌ كافٍ من أجل السيد سوان

مكتبة ياسين

لبناء مسرحه في شيفنال؟".

"ذلك يتوقّف على...".

"ماذا؟ لقد قطعت له وعداً بأنك ستدفع له مبلغ 8234 جنيهاً إذا كانت المعلومات التي قدّمها إليك صحيحة، ليتمكّن من بناء مسرحه".

اعترض سيب، وقال: "ولكنني أجني أربعة آلاف جنيه في السنة!".

"ولكنك ستحصل على جائزة قدرها أربعون ألف جنيه".

"سيُحسم منها ضريبة الأرباح".

"ولكنك لست مستعداً لتدفع المبلغ من أجل عمل خيري".

"لا شيء يقيّدني على الورق".

"هل أدركت ما قلته الآن يا سيب؟".

أضاف سيب بسرعة: "في كل الأحوال، إن السيد كوفمان هو الذي سيجني الثروة ولست أنا".

"السيد كوفمان هو من خاطر في بادئ الأمر، وكان معرضاً لخسارة جزء من ثروته، بينما أنت لم يكن لديك ما تخسره بل كنت ستربح في مطلق الأحوال".

قال سيب لها: "أنت لا تفهمين...".

قالت سام بينما كان سيب يبعد طبقه جانباً، وينهض من مكانه: "بل أفهم جيداً جداً".

قال لها: "عليّ أن أذهب، فلقد تأخرت، ولديّ الكثير من الأعمال التي عليّ أن أقوم بها اليوم".

"كأن تقرّر كيف ستصرف المال الذي قدّمه لك السيد سوان؟".

اقترب منها ليقبّلها، لكنها أمالت رأسها مبتعدة عنه،

مكتبة ياسين

ثم قالت: "الحقيقة هي أنك لم تكن عازماً على أن تدفع للسيد سوان منذ البداية، أليس كذلك؟".

لم يحاول سيب الإجابة عن سؤالها بل استدار، وتوجّه بسرعة نحو الباب.

قالت له سام وقد أثارها موقفه: "إن لم تدفع المبلغ لسوان، ألا تظنّ أنك ستنحدر إلى المستوى الذي كان عليه أدريان سلون؟".

لم يجب سيب، وهو يلتقط حقيبته، ويغادر البيت من دون وداع.

وعندما وصل إلى الشارع، استقلّ سيارة أجرة، فسلكت طريق شارع سيتي رود، وعندها بدأ يفكر في الوقت الذي سيصبح لديه سائق وسيارة خاصة.

لكن ذهنه ظلّ مشغولاً بكلمات سام: "ستنحدر إلى المستوى الذي كان عليه أدريان سلون".

في تلك الليلة فكّر سيب في أن يحجز طاولة لشخصين في الميرابيل، ليتحدّثا عن كل ما يجرى معهما باستثناء الأمور المصرفية، كما خطر في باله أن يزور السيد غراد في هاتون غاردن كي يشتري ذلك البروش الماركاسيتي ظاناً أن سام سوف تبدأ بتقدير حسنات كونها خطيبة سيباستيان كليفتون.

***

"طاولتك المعتادة يا سيد كوفمان؟".

تساءل سيب عن المدة التي سيستغرقها رئيس الندل قبل أن يقول له: "طاولتك المعتادة يا سيد كليفتون؟".

أخبر سيب رئيسه في أثناء الغداء بأنه يعمل على إبرام صفقة ترتبط بعقار أو عقارين من العقارات التي يبدو أن أصحابها غير مدركين قيمتها الحقيقية.

مكتبة ياسين

لقد احتسى شراباً خلال تناول الغداء أكثر من المعتاد بقليل، ثم استقلّ سيارة أجرة إلى هاتون غاردن، ففتح له السيد غارد الخزنة، وسحب من أعلى الرف العلبة الثالثة، فكان سيب سعيداً جداً لأنه ما زال هناك، إنه بروش فيكتوري ماركاسيتي محاط بقطع من الألماس، وكان متأكداً من أن سام لن تقاومه حين تراه.

ركب سيارة الأجرة من جديد، وقد انطلقت في طريقها إلى إيزلنغتون، وقد شعر بثقة كبيرة بأنه عندما سيتناول العشاء مع سام سيستطيع أن يغيّر تفكيرها لتتفهّم ما يفكّر فيه، وعندما وضع المفتاح في قفل الباب كانت أول فكرة تبادرت إلى ذهنه أنهما لن يعيشا هنا طويلاً، ولكنه ما إن فتح الباب حتى أذهله الظلام المخيّم في المكان، فقد كانت كل الأنوار مطفأة، ولكن هل يمكن أن تكون سام في إحدى محاضرات المساء؟ وفي اللحظة التي أشعل فيها المصباح شعر بأن شيئاً غريباً قد حصل، وأن شيئاً ما قد فقده، ولكن ما هو؟ فلاحظ على الفور أن عدة قطع شخصية بما فيها صورتهما التي التقطت في سنترال بارك، وإحدى لوحات جيسيكا، وطبعة سام من لوحة *المراقبة الليلية* لم تكن موجودة في مكانها، فدخل مندفعاً إلى غرفة نومهما، وفتح خزانة سام بعنف، فكانت فارغة، ثم نظر إلى أسفل السرير ليجد أن حقائبها لم تعد هناك.

صرخ سيب، وهو يجري من غرفة النوم إلى المطبخ حتى رأى المغلف: "لا، لا!" لقد كان معلقاً على صندوق أحمر جلدي صغير، وهو موجه إلى سيباستيان.

مزّق المغلف، وأخرج رسالة مكتوبة بخطها المتناسق والعريض.

مكتبة ياسين

عزيزي سيب، إنها أصعب لحظات حياتي، وأنا أكتب لك هذه الرسالة التي توجّب عليّ أن أبعثها إليك، لأنك كنت كل حياتي، ولكنني أخشى أن الرجل الذي أتى إلى معرض أغنو، وهو مستعد أن يدفع كل قرش في حوزته ليشتري إحدى لوحات أخته، ليس الرجل ذاته الذي تناولت معه طعام الفطور هذا الصباح.

الرجل الذي كان فخوراً بالعمل إلى جانب سيدريك هاردكاسل، وينفر من كل أفكار سلون، ليس الرجل ذاته الذي يعتقد الآن بأنه ليس لديه أي التزام تجاه السيد سوان الذي جعل ما حقّقه ممكناً، فكسب ربحاً وافراً. هل نسيت كلمات السيد سوان: "إن كان هاري كليفتون هو أبوك فهذا أمر كاف بالنسبة إليّ"، لو أن سيدريك لا يزال على قيد الحياة ما كان ليحدث أي شيء من ذلك لأنه كان سيحرص على أن تفي بوعدك بعد إتمام الصفقة، وإن لم تفعل ذلك فكان سيفيه بنفسه.

ليس لديّ شك في أن عملك سيصبح أكثر قوة، وأنك ستصبح شخصاً لامعاً وستتقدم مع كل عمل ستقوم به، ولكن هذا النجاح لا يناسبني.

لقد وقعت في غرام ابن هاري، وإيما كليفتون، شقيق جيسيكا كليفتون، وهذا سبب من بين أسباب كثيرة جعلتني أرغب في أن أكون زوجة سيباستيان كليفتون، ولكن ذلك الرجل لم يعد موجوداً بعد الآن. وعلى الرغم من ذلك فأنا لن أنسى وقتنا القصير الذي أمضيناه معاً مدى حياتي.

سامانثا

جثا سام على ركبتيه، وكلمات والد سام تتردّد على مسمعه: "ولكن لا تنس أن سامانثا تضع معايير مثل أمك نجدها نحن الأشخاص العاديون صعبة إلا

مكتبة ياسين

إذا أرشدتنا البوصلة الأخلاقية كوالدك".

مكتبة ياسين

الليدي فيرجينيا فينويك

1966

15

قال كبير الخدم: "سأذهب لأرى إن كانت سيدتي في المنزل".

فكّرت الليدي فيرجينيا في تفاهة هذه الجملة حيث إن مورتون يعلم تماماً أنني في المنزل، وما كان يقصده أن يتأكّد من رغبة سيدتي في التحدث إليك.

عندما دخل كبير الخدم إلى الغرفة سألته: "من المتصل؟".

"السيدة بريسلا بينغهام، يا سيدتي".

قالت فيرجينيا: "بالطبع أنا موجودة بالنسبة إلى السيدة بينغهام"، ثم أضافت وهي تمسك بسماعة الهاتف بجانبها: "عزيزتي بريسلا".

"عزيزتي فيرجينيا".

"لم أسمع منك خبراً منذ فترة طويلة!".

"طويلة جداً، ولديّ الكثير لأخبرك به".

"لماذا لا تأتين إلى لندن، وتقضين عدة أيام في ضيافتي؟ وسيكون ذلك كالأيام الغابرة، فيمكننا أن نذهب للتسوق، ومشاهدة عروض مسرح، وارتياد مطعم جديد أو اثنين، كما يمكننا أن نزور أنابيل، وأي مكان يثير اهتمامنا يا عزيزتي".

"هذا يبدو ممتعاً جداً، دعيني أتحقّق من التزاماتي، وسأتصل بك مجدداً".

أنهت فيرجينيا المكالمة الهاتفية، وفكّرت في صديقتها.

مكتبة ياسين

لم تتقابلا منذ اخر زيارة لها إلى ميبلثروب هول حين أساء زوج بريسلا روبرت معاملتها جداً، والأسوأ من ذلك هو انضمام روبرت إلى طرف العدو، فهو لم يحتلّ منصباً في مجلس إدارة سفينة بارينغتون فحسب بل ساهم في ضمان عزل الرائد فيشر ممثل فيرجينيا في المجلس من دون سابق إنذار، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصرّ روبرت على أن ترافقه بريسلا في الرحلة الأولى للسفينة إلى نيويورك على الرغم من أن فيرجينيا أخبرتها بأنهم لم يوافقوا على أن يعطوها غرفة من غرف الدرجة الأولى.

عندما عادت بريسلا إلى منزلها بعد أسبوعين أخبرت فيرجينيا بأن شيئاً ما سار على نحو مريب في الليلة الأولى من الرحلة، ولكن روبرت لا يثق بها، وقد وعدتها بأن تستنبط خبايا الأمر، ولكن كان على ذلك الانتظار، ففي ذلك الوقت كان تركيزها على بوب بينغهام، وليس على إيما كليفتون.

بعد عدة أيام وصلت بريسلا إلى شقة فيرجينيا، فسردت لها قائمة طويلة من الكوارث التي حدثت خلال الرحلة، بما فيها ذلك العشاء المروع الذي أُرغمت خلاله على أن تتحمّل إيما كليفتون الوصولية والكريهة، بالإضافة إلى رداءة الطعام، وسوء طعم النبيذ، كما بدا الندل، وكأنهم قادمون من باتلنز، وأياً يكن الأمر، فقد أكدت بريسلا لفيرجينيا على أنها كانت قد أعادت إيما إلى مكانتها في أكثر من مناسبة.

سألت فيرجينيا: "هل اكتشفت ما حدث فعلياً في الليلة الأولى؟".

"لا لكنني سمعت روبرت يقول لأحد المدراء إنه إذا ظهرت الحقيقة يوماً ما فإن المديرة ستستقيل،

وربما ستعلن الشركة إفلاسها، وهذا سيفيدك بالتأكيد في الدعوى".

لم تخبر فيرجينيا صديقتها بأن القضية معلقة، لأن أتعاب محاميها باهظة، وقد اعتبروا أن فرصتها في الفوز ليست أكثر من خمسين بالمئة، وأن آخر إشعار وصلها من المصرف كان قد ذكّرها بأنها ليست في وضع مادي جيد يؤهلها لأن تجازف باستمرار الدعوى.

أياً يكن الأمر، فما خطّطت له بخصوص بوب بينغهام لم يكن رحيماً تماماً، وإذا تلاعبت بشكل حذق بأوراقها، فسينتهي به الحال إلى أن يخسر نصف ثروته على الأقل.

وعندما ستنتهي منه ستركّز فيرجينيا على إيما كليفتون، وحادثة الأسطول الرئيسي، ولكن كي تنجح خطّتها التي أعدّتها لبوب بينغهام عليها أن تستعين بخدمات الرائد أليكس فيشر الذي يكره عائلة بارينغتون تماماً كما تكرههم.

***

لم يكن بوب بينغهام مسروراً عندما أفصحت بريسلا عن إقامتها في منزل فيرجينيا في البولتونز لعدة أيام، لأن ذلك سيتيح لها أن تقضي وقتاً لا بأس به مع فيرجينيا، وقد شعر بوب بأن هذه المرأة تخطّط لشيء خطير، فلم يكن صعباً عليه كثيراً أن يكشف ما يمكن أن تفكّر فيه.

كان الشيء المفيد الناتج عن غياب بريسلا لعدة أيام أن أتيحت له فرصة دعوة كلايف إلى الإقامة معه لعدة أيام في ميبلثروب هول.

كان كلايف قد ترقّى مؤخراً في عمله، ولم يعد يعتمد على بوب ليزوده بالمال، وفي الحقيقة قد يكون موت جيسيكا المأساوي السبب في جعله

مكتبة ياسمين

مستقلاً تماماً، وبشكل حازم، ولم ير بوب ابنه إلا قليلاً منذ تلك الليلة التي قرّرت فيها جيسيكا أن تنهي حياتها، ولم يكن ليحدث ذلك أبداً لولا دعوة زوجته تلك المرأة السيئة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزلهم، وقد اعترفت زوجته مؤخراً أن فيرجينيا رفضت الدعوة في البداية، ولكنها غيّرت رأيها عندما علمت أن جيسيكا كليفتون ستكون من المدعوين، وأن كلايف كان يخطّط ليطلبها للزواج خلال تلك العطلة.

حاول بوب أن يزيح تلك المرأة الكريهة من ذهنه، وأن يركّز على آخر دقائق من آخر اجتماع لمجلس بارينغتون، الذي وافق على اقتراح الشاب سيباستيان- الذي كان عليه أن يتوقّف عن مناداته بهذه المصطلحات-فقد أثبت أنه مدير لامع، وعلى الرغم من بعض أعضاء المجال يشككون في قدراته، إلا أنه سيأتي وقت ويصبح فيه الرئيس المطلق للشركة، وإن تمّ اعتبار نمط حياته الجديد فلا شك في أنه كان يعمل بجد لدى كوفمان على الرغم من أن والده كان قد لمّح إلى أن حياته الشخصية تعمّها الفوضى.

أصبح بوب بينغهام، وهاري كليفتون صديقين مقربين خلال السنوات القليلة الماضية، وهذا لم يكن متوقعاً حيث لم يكن لديهما الكثير من الأشياء المشتركة عدا جيسيكا، فكان هاري كاتباً نهضوياً ورجلاً يسعى جاهداً إلى نشر رسالته في العالم الذي أسره بنضاله المستمر من أجل قضية أناتولي باباكوف، بينما كان بوب رجل أعمال ولا يهتم إلا بالأرقام والميزانيات، ولا يقرأ كتاباً إلا عندما يكون في عطلة، وربما قرّبتهما لعبة الكريكيت باستثناء بعض المباريات التي يلعب فيها فريق غلاوسترشاير

ضد يوكشاير.

حوّل بوب انتباهه إلى ورقة كان سيقدّمها سيباستيان مبرراً فيها سبب عدم موافقته على أن تستثمر الشركة أموالاً في سفينة سياحية جديدة في ذلك الوقت.

***

أعلن كبير الخدم قبل أن يغلق الباب قائلاً: "الرائد فيشر".

قالت فيرجينيا، وهي تعدّ له مشروباً من الجين والتونيك: "تسرّني رؤيتك مجدداً يا ألكس، أتمنى أن تكون أحوالك بخير".

قال ألكس، وهي تقدّم إليه مشروبه: "أنا أتخبّط كتاور بريدج"، كان لألكس دراية تامة بأن الليدي فيرجينيا لا تطلب رؤيته إلا إذا كانت تريد منه شيئاً.

ولكن هذا لم يعنِ أنه كان في وسعه الاعتراض، لأنه لم يكن في حال تسمح له بذلك منذ أن فقد منصبه في مجلس بارينغتون، فلم تضيّع فيرجينيا الوقت، بل دخلت في صلب الموضوع مباشرة.

"هل تتذكّر هجمتنا ضد بوب بينغهام منذ عدة سنوات؟".

قال ألكس: "وهل يمكنني أن أنسى ذلك؟"، ثم أضاف مباشرة: "عذراً منك، ولكن هذا شيء لا أريد تكراره أبداً".

"لا لم يكن هذا ما أردته، ولكنني احتاج إلى أن تقوم ببعض البحث المعمق، أريد أن أعرف حجم ثروة بينغهام، من شركته وأسهمه وعقاراته على وجه الخصوص، إلى أي مصدر رزق آخر لا يرغب في أن يعلم مكتب الضرائب به، وابحث ملياً، ولا تغفل أية تفاصيل مهما كانت تافهة".

مكتبة ياسين

"و...".

"وسوف تتقاضى خمسة جنيهات مقابل كل ساعة عمل بالإضافة إلى النفقات، ومكافأة تقدّر بخمسة وعشرين ألف جنيه إن كنت راضية عن عملك".

ابتسم أليكس، فهي لم تف ولو لمرة واحدة بوعودها، ولم تمنحه المكافآت التي كانت تعده بها، وفكرتها عن النفقات كانت تنحصر بالسفر في الدرجة الثالثة، من دون أن يقيم في أي مكان، ولكن بسبب سوء ظروفه لم يستطع أن يتبرّم من الحصول على خمسة جنيهات في الساعة.

"متى تحتاجين إلى تقريري؟".

"خلال عشرة أيام يا ألكس، وربما بحلول ذلك الوقت سأؤمن لك عملاً آخر أقرب إلى ديارك".

***

خطّطت فيرجينيا لزيارة بريسلا بينغهام بتركيز، ولم تترك شيئاً للصدفة.

يوم الاثنين ذهبت فيرجينيا، وبريسلا إلى إيبسوم وانضمّتا إلى اللورد مالمزبوري في كبينته الخاصة بجوار خط نهاية سباق الخيول، واستمتعت بريسلا بشكل واضح بالمديح الذي تلقّته من عدة رجال لارتدائها زي هارتنيل، وقبعة "جاكي كينيدي" البيلبوكس، فهي لم تكن قد تلقت اهتماماً كهذا منذ سنوات.

يوم الثلاثاء بعد أن تناولتا غداءً خفيفاً في سيمبسون ذهبتا إلى حانة في بانكيتنغ هاوس قبل أن تذهبا إلى حفل عشاء في سافوي يعود ريعه إلى الصليب الأحمر حيث غنّى مات مونرو للجمهور.

يوم الأربعاء شاهدتا في نادي الملكة مباراة بولو بين فريق ويندسور بقيادة الأمير تشارلز اليافع،

مكتبة ياسين

وفريق وافد من الأرجنتين، ولم تستطع بريسلا أن تزيح عينيها عنه. وفي المساء، كان لديهما مقعدان خاصان لمشاهدة المسرحية الغنائية الجديدة *الفتاة المضحكة* من بطولة نجمة برودواي باربرا سترايسند، والتي كانت عائداتها تثير حسد أي مسرح آخر في ويست إيند.

يوم الخميس، حضرتا حفلة في حديقة قصر باكينغهام، فتعرّفت بريسلا إلى الأميرة أليكساندريا، وكانت قد حصلت فيرجينيا على التذكرتين بقدرة إلهية، وفي المساء تناولتا العشاء مع دوق بريدجواتر، وابنه الأكبر بوفي الذي لم يستطع أن يغضّ طرفه عن بريسلا، وفي الحقيقة حذّرته فيرجينيا من أنه يبالغ في ذلك.

يوم الجمعة كانت بريسلا مرهقة جداً لدرجة أنها أمضت الصباح في السرير، ونهضت من فراشها فقط عندما حان موعدها مع مصففة الشعر، قبل أن تذهب في المساء إلى حديقة كوفينت لترى منتجاً لجيزيل.

صباح يوم السبت حضرتا مراسم حشد اللون التي يؤدّيها فوج المملكة المتحدة في المكتب الأسكتلندي المطل على هورس غاردز، وفي المساء تناولتا عشاء هادئاً في منزل فيرجينيا، وقد أوضحت فيرجينيا لبريسلا قائلة: "لا أحد يجرؤ على أن يتسكّع في الليل يوم السبت، لأن الشوارع تغصّ بالغرباء، وبالمتعصّبين الكرويين"، وفي الواقع أرادت فيرجينيا أن تستغلّ تلك الليلة كي تزرع بذور الشك الأولى في عقل صديقتها.

قالت بريسلا عندما جلستا لتناول العشاء: "يا له من أسبوع حافل بالأحداث المثيرة! لقد حظيت بوقت ممتع حقاً، وغداً سيتوجّب علي أن أعود إلى

مكتبة ياسمين

ميبلثروب".

قالت فيرجينيا: "ليس عليك أن تعودي".

"ولكن روبرت ينتظرني".

"هل هو كذلك؟ بصراحة هل سيلاحظ إن قضيت عدة أيام إضافية في لندن؟".

وضعت بريسلا سكينها وشوكتها جانباً، وهي تفكّر في ما قالته فيرجينيا، في الواقع لم تكن فيرجينيا ترغب في أن تبقى بريسلا في ضيافتها ولا ليوم واحد لأنها كانت مرهقة، كما أنها لم تخطّط للأسبوع التالي.

فسألتها فيرجينيا بينما كان مورتون يعيد ملء كأس النبيذ لبريسلا: "هل فكّرت يوماً في أن تهجري روبرت؟".

"دائماً، ولكن كيف لي أن أعيش من دونه؟".

"يمكنك القيام بذلك بشكل أفضل، لديك منزل جميل في البولتونز، وبالإضافة إلى...".

"ولكنه ليس ملكي".

قالت فيرجينيا، وهي تمهّد لخطتها: "يمكنه أن يكون كذلك".

"ماذا تقصدين؟".

"هل قرأت ذلك المقال عن روبرت في قسم الأعمال في جريدة *التيليغراف* منذ عدة أسابيع؟".

"أنا لا أقرأ قسم الأعمال في أية صحيفة".

"ولكن ذلك المقال سلط الضوء بشكل جلي على شركته، ويبدو أن قيمة شركة معجون السمك تبلغ حوالى خمسة عشر مليوناً من دون أية ديون، ومع احتياطات نقدية جيدة".

"ولكن إن تركت روبرت فلن تكون لديّ أي علاقة بالشركة".

مكتبة ياسمين

"لن تكون لك علاقة بها، إن ميبلثروب والبولتونز ومنزلك في جنوب فرنسا بالإضافة إلى الملايين الثلاثة المجمّدة في حساب الشركة في البنك لا تشكّل خمسين بالمئة من ثروة زوجك، وعليك أن تتوقّعي أنك لن تحصلي على أقل من خمسين بالمئة بعد مرور ست وعشرين سنة من زواجكما، كما أنك قد ربّيت ابنكما بنفسك بسبب قضاء زوجك ساعات طويلة خارج المنزل، من أجل عمله".

"كيف تعلمين أن هنالك ثلاثة ملايين في حساب الشركة المصرفي؟".

"إنها على مرأى من الجميع في سجلات الشركات، ولاكون دقيقة لديه 3142900 جنيه".

"لم تكن لدي أية فكرة".

"ومع ذلك القرار يعود إليك يا عزيزتي، وسأدعمك في أي قرار تختارينه".

***

حتى فيرجينيا صدمت كثيراً عندما وردها اتصال من صوت بالكِ من ميبلثروب هول في الأسبوع التالي يقول: "أنا وحيدة جداً، ولا يوجد شيء يمكنني أن أقوم به هنا".

"لم لا تأتين إلى لندن، وتمكثين عندي عدة أيام يا عزيزتي، بالأمس كان بوفي بريدجواتر يسأل عن موعد قدومك".

عندما وصلت بريسلا أمام عتبة باب فيرجينيا أول ما قالته: "هل تعرفين محامي طلاق بارع؟".

"الأفضل على الإطلاق فإنها قد مثلتني في قضيّتين".

بعد اثنين وعشرين يوماً تلقى بوب بينغهام دعوى طلاق، وكالعادة لم يحصل الرائد فيشرعلى مكافأته.

مكتبة ياسين

***

نهض الجميع عندما دخلت القاضية هيفرز إلى قاعة المحكمة.

جلست القاضية مكانها، ونظرت إلى المتنازعين، بعد أن كانت قد قرأت دعويهما بتأنٍ، وبعد إصدار المئات من الأحكام المتعلقة بدعاوى الطلاق، عرفت تماماً ما الذي تواجهه.

"السيدة إيفيريت".

نهضت محامية بريسلا على الفور من مقعدها، وقالت: "أجل يا سيدتي".

"أنا أرى أن هناك اتفاقاً تمّ التوصل إليه بين الطرفين، وأتساءل إن كان في وسعك أن تتفضّلي علي وتحدّدي لي شروط هذا الاتفاق".

"بالطبع يا سيدتي، في هذه القضية أنا أمثّل المدعية السيدة بريسلا بينغهام، وزميلي الموقر السيد بروك يمثّل المدعى عليه السيد روبرت بينغهام، يا سيدتي، إن السيدة بينغهام كانت متزوجة من المدعى عليه لمدة ست وعشرين سنة، وقد كانت في خلالها زوجة صالحة وملتزمة، وقد أنجبت ولداً اسمه كلايف، واضطرّت إلى أن تربّيه وحدها تقريباً بسبب ساعات عمل زوجها الطويلة".

همس بوب إلى محاميه قائلاً: "بمساعدة مربية وطاه وخادمة ومنظفة منزل"، فأيّده محاميه في ذلك.

"حتى خلال العطل المدرسية كان من النادر أن يمضي السيد بينغهام وقتاً مع زوجته وابنه، وأحياناً يكون ذلك لأكثر من أسبوع، لأنه كان يفضّل دوماً أن يعود إلى مصنعه في غريمزبي"، ثم أضافت المحامية الموقرة قائلة: "ونحن نقترح

مكتبة ياسين

استناداً إلى ذلك أن تحتفظ السيدة بينغهام بمنزل العائلة الذي عاشت فيه لمدة ست وعشرين سنة، بالإضافة إلى المنزل في لندن والفيلا في كاب فيرات جنوبي فرنسا حيث كانت تمضي هي وابنها الإجازة الصيفية، كما تريد السيدة بينغهام أن تطلب مبلغاً قدره ثلاثة ملايين، كي تتمكّن من الحفاظ على المنازل الثلاثة، وعلى مستوى معيشتها الذي اعتادت عليه، وعليّ أن أؤكّد يا سيدتي أن ذلك كله أقل بكثير من خمسين بالمئة من ثروة زوجها".

جلست السيدة إيفيريت.

"وهل يوافق السيد بينغهام على هذه الشروط يا سيد بروك؟".

وقف محامي روبرت، وهو عدّل طيات ياقة عباءته، وقال: "أجل يا سيدتي، سوف يحافظ السيد بينغهام على شركة عائلته، شركة بينغهام لمعجون السمك التي أسسها جده قبل مئة سنة، وليست لديه أية طلبات أخرى".

قالت القاضية: "فلتكن الشركة له، ولكن قبل صدور الحكم النهائي أودّ أن أسأل كلا الطرفين عما إذا كانا راضيين عن هذا التقسيم كي لا تحدث مهاترات في وقت لاحق، ولتوضيح أي اقتراح لم يستوعباه بدقة، سيد بينغهام...".

لكز محامي روبرت موكله، فنهذ بوب بعد أن انتبه إلى أن القاضية وجّهت كلامها إليه، وتابعت كلامها قائلة: "هل أنت راض عن هذا التقسيم لثروتك وأملاكك؟".

"أنا راضٍ يا سيدتي".

"شكراً لك يا سيد بينغهام"، ثم جهت كلامها إلى الطرف الثاني من القاعة، وسألت السيدة بينغهام السؤال ذاته.

مكتبة ياسمين

نهضت بريسلا من مقعدها، وابتسمت للقاضية قائلة: "أنا راضية بالفعل، وسأكون سعيدة أكثر إن اختار زوجي أي من القسمتين يريد".

علّقت القاضية قائلة: "كم هذا الموقف نبيل!" بينما كانت الدهشة بادية على وجهي كلا المحاميين اللذين لم يكونا جاهزين لهذا التغيّر المفاجئ في مسار القضية، ومع أن ذلك لن يُحدث فارقاً في النتيجة على الأغلب، غير أن المحاميين لم يرغبا في أن يؤخذا على حين غفلة.

قالت القاضية: "إذاً سأعيد السؤال على السيد بينغهام مرة أخرى، بما أن الأمر يستحقّ تفكيراً ملياً، فإنني سأسمح للسيد بينغهام بأن يدرس وضعه لليلة أخرى، وسيؤجّل الحكم إلى الساعة العاشرة من صباح يوم الغد".

وقف بوب على الفور، وقال: "هذا لطف كبير منك يا سيدتي، ولكنني قرّرت سلفاً..."، ولكن محاميه كان قد أجلسه لأن القاضية هيفرز كانت قد غادرت القاعة.

إذا كانت تلك المفاجأة كانت الأولى لبوب، فالثانية كانت رؤيته لسيباستيان كليفتون جالساً في القسم الخلفي من قاعة المحكمة بهدوء، وهو يدوّن ملاحظاته.

ما زاده دهشة كان طلب سيباستيان أن ينضمّ إليه لتناول طعام الغداء برفقته إذا سمح وقته بذلك.

"حسناً، لقد عزمت على العودة إلى لينكولينشاير هذه الليلة، ولكن بما أنني سأعاود الحضور إلى المحكمة غداً صباحاً فسأكون مسروراً بقبول عرضك".

شاهدا معاً كيف غادرت بريسلا المحكمة يداً بيد

مع فيرجينيا، وهي تبكي بصوت خافت.

قال بوب: "أرغب في أن أقتل هذه المرأة، وأنفذ بعدها الحكم المؤبد بسعادة".

قال سيب: "لن يكون هذا ضرورياً على ما أعتقد، أظنّ أنني توصّلت إلى حل أفضل للتعامل مع الليدي فيرجينيا".

***

في تمام الساعة العاشرة من اليوم التالي، أخذ الجميع مواقعهم عندما دخلت القاضية هيفرز إلى قاعة المحكمة، وعندما استقرّت في مكانها نظرت إلى مقعدي المحاميين، وقالت: "هناك أمر واحد معلق، وهو أي من القسمتين استقرّ عليها السيد بينغهام".

وقف بوب، وقال: "أشكرك سيدتي على إعطائي فرصة مراجعة قراري ليلة البارحة، لأنني قد قرّرت أن أختار المنازل الثلاثة إضافة إلى الملايين الثلاثة، وأشكر زوجتي على تصرّفها النبيل، وأتمنى لها كل النجاح في إدارة الشركة".

علا الضجيج في القاعة.

أما بوب بينغهام واثنان من الحاضرين فلم يبدُ عليهما الاستغراب، وهما القاضية وسيباستيان كليفتون.

مكتبة ياسين

16

سألتها فيرجينيا: "ما الذي استحوذ على تفكيرك لتقدمي على هذا التصرف الغبي؟".

"أردت فقط أن يعلم روبرت أن الحكم النهائي كان عادلاً".

"حسناً، كانت نتيجة ذلك سلبية جداً".

"ولكنني لم أفكّر لوهلة في أنه سيستغني عن شركته الحبيبة".

قالت فيرجينيا: "أنا غير مقتنعة بأنه تخلّى عنها، هذان الاثنان يخططان لشيء ما".

"الاثنان؟".

"أجل، كان عليّ أن أعرف أن سيباستيان كليفتون كان لديه دافع آخر لحضوره المحاكمة، وربما استطاع أن يفاجئني هذه المرة، ولكنه لن يتمكّن من ذلك مجدداً".

"ولكنه مجرد فتى".

"فتى سيذاع صيته سريعاً على أنه نابغة المدينة، ولا تنسي أنه ابن إيما وهاري كليفتون، لذا لا يُؤمن جانبه".

"ولكن ما الذي سيجنيه من ذلك؟".

"لم أكتشف ذلك بعد، ولكن تأكّدي من أنه يخطط لشيء ما، وأياً يكن الأمر يمكننا أن نُفشل خططهما إن تحرّكنا بسرعة".

"ولكن ماذا يمكنني أن أفعل، وأنا بلا مال ولا مأوى؟".

"استجمعي نفسك يا بريسلا، فأنت تمتلكين شركة تقدّر بخمسة وعشرين مليون جنيه، وكانت أرباحها في السنة الماضية فقط أكثر من مليون جنيه".

مكتبة ياسين

"ولكن كم سيستمرّ ذلك، وروبرت ليس موجوداً لإدارتها؟".

"لا تقلقي بهذا الشأن، فأنا أعرف الشخص المناسب الذي سيتولّى هذا المنصب، ولديه خبرة في الإدارة، فقد كان مديراً لشركة عامة، والأهمّ من ذلك إنه متفرّغ في الوقت الحالي".

***

التقى سيباستيان وبوب وكلايف بينغهام في مكتب سيب بعد صدور الحكم كي يتباحثوا حول ما يجب فعله في المرحلة التالية.

قال سيب: "سار القسم الأول من خطتنا على خير ما يرام".

"ولكن لن يمرّ وقت طويل قبل أن تكتشف فيرجينيا ما نحن بصدد القيام به، وعلينا أن نتحرّك سريعاً، وسريعاً جداً إذا أردنا أن نطيح بكل أحجار الشطرنج دفعة واحدة".

قال بوب: "حسناً، يتوجّب عليّ الذهاب إلى غريمزبي بعد ظهر هذا اليوم".

"لا يمكن أن تسافر بهذه السرعة، لأنك يجب أن تعود إلى لندن مساء الغد كحدّ أقصى، ليظنّ كل شخص له علاقة ببينغهام، من أفراد الإدارة إلى عمال المصنع فالزبائن داخل البلاد وخارجها، أنك تزور المصنع لسبب واحد، وهو توديع فريق العمل، وأن تتمنى لهم الحظ في ظل الإدارة الجديدة، وقبل مغادرتك سيكون كلايف قد أعلم الصحافة عبر إرساله خطاباً يعمل على صياغته حالياً".

قال كلايف: "يجب أن يكون هذا الخطاب قصيراً وواضحاً ويؤثر في الصميم"، ومزر نسخة لأبيه ولسيب، ثم أكمل كلامه قائلاً: "لن أرسله قبل أن

أتأكّد من أن والدي في طريق العودة إلى لندن، عندها سأرسل نسخة إلى *غريمزبي إيفننغ تيليغراف* وبالتأكيد ستتصدّر صفحتها الأولى، وبعد ذلك سأرسل نسخة إلى كل مراسلي الأعمال التجارية في فليت ستريت".

قرأ بوب الخطاب بهدوء، فتأثر بما أورده ولده فيه، وأياً يكن الأمر، أدرك أن عليهم القيام بالكثير من الأمور إذا ما أرادوا أن يصدّق الجميع أنه كان يعني ما قاله تماماً، وليس فيرجينيا وحسب، وقال: "وعندما أعود من لندن ماذا عليّ أن أفعل؟".

قال سيب: "سافر إلى نيس، واذهب مباشرة إلى المنزل في كاب فيرات، وابقَ هناك".

سأل بوب: "وما الذي سيحصل بعد ذلك؟ لم يسبق أن بقيت في جنوب فرنسا لأكثر من عدة أيام، وبعد أن أشعر بالملل الشديد أعود إلى دياري".

قال كلايف: "يتوجّب عليك أن تفعل ذلك إذا أردت إقناع العالم بأنك سعيد بتقاعدك المبكر، وأنك غير مهتمّ مطلقاً بالعودة إلى غريمزبي".

قال سيب: "وعذراً منك فإن معظم الناس لن يجدوا ذلك صعب التصديق".

قال بوب متجاهلاً تعليق سيب: "أتقاعد؟! أفضّل الموت على أن أتقاعد، وبالنسبة إلى إمتاع نفسي، فأنا لم أخلق لتضييع وقتي باللهو، فهل لك أن تخبرني يا سيب كيف عليّ أن أقضي أوقاتي؟".

"ربما عليك بممارسة الغولف، وبعدها تتناول الغداء في أحد مطاعم ميشيلن الفاخرة الواقعة على طول الريفييرا، ثم تقوم بزيارة أحد نوادي نيس الليلية الأكثر إثارة".

"وأين سأجد نبيذ بيتمان، وسمك القد والرقائق

مكتبة ياسين

وشرائح البطاطا المقلية المقدمة على ورق الصحف؟".

أقرَ سيب بذلك قائلاً: "لا أظنّ أنك ستجد الكثير من باعة السمك، والبطاطا المقلية في كاب فيرات".

وأضاف كلايف قائلاً: "وليس هناك طلب كبير على البازلاء المهروسة في الريفييرا".

بعد ذلك قهقه الرجال الثلاثة.

قال بوب: "أشعر بالأسف على والدتك يا كلايف، فهي على وشك أن تدرك كم كانت السيدة فيرجينيا فينويك صديقة سيئة بحق".

***

"حسناً على الأقل هذه المرة أيها الرائد ستكون مدير الشركة التي لا مجلس لها يقيّد حركتك أو أية جهة أخرى تتحكم بقراراتك، وتستطيع أن تبدأ صفحة بيضاء، وتضع قواعدك الأساسية".

"هذا ممكن، ولكنني لاحظت أن أسهم الشركة قد تدهورت البارحة بعد خطاب بينغهام الصحفي".

قالت فيرجينيا: "أي خطاب؟".

تناول فيشر نسخة من التايمز كانت على طاولة القهوة، وأشار إلى العنوان الرئيسي في قسم الأعمال.

حدّقت فيرجينيا إلى صورة بوب، وهو يصافح بعض عمال المصنع بعد إلقاء كلمته الوداعية، ثم قرأت الخطاب بتمعّن: "أنا حزين لمغادرة الشركة التي أنشأها جدي عام 1857 خاصة بعد أن تولّيت إدارتها على مدى السنوات الثلاث والعشرين الأخيرة، وبالطبع لست خائفاً على مستقبل بينغهام طالما أنها بين يدي زوجتي السابقة القديرة بريسيلا، وأرجو أن يستمرّ الجميع بمساندتها كما ساندوني،

وأياً يكن الأمر، فإنه الوقت المناسب لأتقاعد، وسأقيم في منزلي في جنوب فرنسا، وأتمتع باستراحة استحققتها بجدارة".

قالت فيرجينيا: "لا أصدّق حرفاً من كلامه، وكلما أبكرت في الذهاب إلى غريمزبي كلما كان الوضع أفضل أيها الرائد، ستحتاج الإدارة إلى كل خبرتك ومهارتك لتدير هؤلاء الناس".

***

في ذلك المساء، عندما أوصل كلايف والده إلى هيثرو، لم ينطق بأي كلمة، فسأله في نهاية المطاف: "ما المشكلة يا أبي؟".

"بكى بعض أفراد الطاقم عندما غادرت الشركة، فقد عملت معهم منذ أكثر من عشرين سنة، وقد تطلّب مني الأمر كل عزيمتي كي لا أرفع كفّي، وأبدأ بتحميل البضاعة في الشاحنات".

"أنا أتفهّم شعورك يا أبي، ولكن صدّقني لقد اتخذت القرار الصائب".

قال بوب عندما توقّفا أمام المطار: "آمل ذلك".

"ولا تنس عندما يعترض طريقك أي مصور ابتسم له فقط، وظلّ هادئ الأعصاب، فلا نريد من الصحافة أن تعتقد أنك غير سعيد، وإلا فالسيدة فيرجينيا ستكتشف ما نخطّط له في هذه الحالة".

"أنا واثق من أنها اكتشفته بالفعل".

"نحن نستطيع أن نتغلّب عليها طالما أنك تحافظ على رباطة جأشك".

طلب متوسلاً، وهو يعانق ابنه: "رجاء اجعل فترة حجزي أقصر ما يمكن".

قال كلايف: "سأتصل بك كل يوم، وأطلعك على كل المستجدات".

مكتبة ياسين

"اهتمّ بأمك فهي ستصاب بالصدمة عندما تتعرّف إلى فيرجينيا الحقيقية للمرة الأولى".

***

ما إن وصل الرائد إلى محطّة غريمزبي حتى أدرك تماماً ما الذي يجب فعله، فقد كانت خطته محكمة، وتغطّي أدق التفاصيل.

كان يعلم الكثير بالفعل عن كيفية إدارة بوب بينغهام للشركة بفضل التقرير الذي أعدّه لليدي فيرجينيا التي لم تحاول أن تتجادل معه، بل لبّت كل طلباته، وهي الحصول على 20 ألف جنيه في السنة، بالإضافة إلى تغطية كل النفقات، ومن بينها الحصول على جناح في فندق الرويال عندما يضطرّ إلى البقاء في غريمزبي.

شعر فيشر أن عليه ألا يضيّع دقيقة من دون عمل، فطلب من سائق سيارة الأجرة أن يوصله مباشرة إلى المصنع، وقد راجع الخطاب الذي حضّره، ليوضح للعمال أنه بات المسؤول عن إدارة مصنع معجون السمك، والتي لا يجدر بها أن تكون صعبة كونه أدار شركة في توبروك فكان الألمان دائمي التأفف.

توقّفت به سيارة الأجرة أمام المصنع، ومن خلف بوابتها حدّق إلى رجل قذر يعتمر قبعة المصنع، ويرتدي سترة مفتوحة عند الرقبة.

فسأله قائلاً: "ما الذي تريده؟".

قال له: "أنا الرائد فيشر، المدير الجديد للشركة، لذلك افتح لي فوراً أيها الرجل الطيب".

لمس الرجل قمة قبعته مرحباً به، وفتح البوابة.

سأله فيشر: "أين مكتب المدير؟".

أجابه الرجل، وهو يشير إلى الطرف الاخر من

مكتبة ياسين

الساحة: "لم يكن لبوب يوماً مكتب، ولكن قسم الإدارة موجود في أعلى هذه الدرجات".

مشى الرائد في الساحة، وتفاجأ بالهدوء المخيّم في المصنع وبغياب الحركة والنشاط فيه، فهو يعلم أن مئتي موظف يعملون في المصنع بدوام كامل، ومئة آخرين بدوام جزئي.

صعد الدرجات الحديدية، وفتح الباب ليرى أمامه مكتباً كبيراً، واثنتي عشرة طاولة لم يشغل منها سوى اثنتين فقط.

وقد وقف رجل يافع فور دخوله، وقال له وكأنه يتوقّع قدومه: "لا بد أنك الرائد فيشر، وأنا مساعد المدير ديف بيري، قيل لي أن آخذك في جولة حول المصنع، وأجيب عن أي سؤال يتبادر إلى ذهنك".

"كنت أحبّذ أن أقابل المدير الإداري كي أشرع في العمل في أسرع وقت ممكن".

"أنت لم تعلم إذاً؟".

"أعلم بماذا؟".

لقد سلّم السيد جوبلينغ استقالته ليلة البارحة، وأخبرني بأنّه سيتقاعد بما أنه لم يتبقَّ لديه سوى سنتين فقط، وبأنه يجدر بشخص آخر أن يحلّ مكانه".

سأله فيشر: "وهل أنت هذا الشخص الآخر؟".

قال بيري: "بالتأكيد لا، فلم يمض على عملي هنا غير بضعة شهور، وبالنسبة إليّ لا أحلم بالحصول على مسؤوليات أخرى".

قال فيشر: "حسناً، سيكون المنصب من نصيب ستيف بولوك، أين هو؟".

"لقد أقاله السيد جوبلينغ ليلة البارحة بسبب تمرّده، وكان ذلك آخر قرار يتّخذه قبل أن يستقيل،

مكتبة ياسين

وستيف بولوك لم يستطع أن يتذمّر، لأنه رجع إلى منزله بعد أن نال أجره كاملاً بانتظار أن يستكمل الاتحاد تحرياته، ولا أحد يشك في أنه سوف يعود إلى وظيفته، ولكن المشكلة الوحيدة هي أن اللجنة تستغرق عادة شهرين على الأقل قبل أن تتوصّل إلى قرار".

قال فيشر، وهو غير قادر على إخفاء قلقه: "ولكن ألا يجب أن يكون له نائب؟".

"أجل، ليز سيمكينز، إنه يشارك في دورة تأهيلية!".

خرج فيشر من الغرفة، وألقى نظرة على المصنع، ثم حدّق بتعجب إلى مجموعة من العمال كانوا ملتفّين حول بعضهم، وأيديهم في جيوبهم، وهم يثرثرون غير عابئين بعملهم، بينما كان أحدهم يلفّ سيجارته، فقال: "لم لا تعمل الآلات؟ أليس من المفروض أن تعمل على مدار الساعة؟".

قال بيري: "نحن نعمل عادة بنظام الثماني ساعات بشكل متواصل، ولكنك بحاجة إلى عدد قانوني من العمال المؤهّلين قبل تشغيل الآلات، هكذا هي القوانين، وأنت تتفهّم ذلك، بالإضافة إلى أن معظم الشباب، ولسوء الحظ قد حصلوا على إجازات مرضية".

بدأ الهاتف على مكتبه بالرنين، فرفع السماعة، وأنصت إلى المتحدّث للحظة، ثم قال: "آسف لسماع ذلك يا سيدي، لكن مديرنا الجديد قد وصل للتو، وسأمرّر له سمّاعة الهاتف ليتحدّث إليك".

غطّى بيري السماعة بيده، وقال لفيشر: "إنه مدير الميناء بورويك، ويبدو أن لديه مشكلة".

صباح الخير يا بورويك، أنا الرائد فيشر مدير الشركة، كيف يمكنني أن أساعدك؟".

مكتبة ياسين

"صباح الخير يا حضرة الرائد، إنها مسألة بسيطة جداً، لدينا كمية سمك تم اصطيادها خلال ثلاثة أيام وهي مكدّسة على رصيفي، وأودّ ترحيلها بأسرع وقت ممكن لو سمحت".

"سوف أعمل على ذلك مباشرة".

"شكراً حضرة الرائد، لأنه إذا لم تنقلها خلال دوام العمل الذي سيستمرّ حتى الساعة الرابعة، فلن يكون لدي خيار سوى أن أرميها في البحر".

ثم انتهت المكالمة.

"أين الشاحنات التي تنقل البضائع صباحاً؟".

"ظلّ السائقون حتى منتصف النهار، ولأن لا سلطة لأي موظّف في إعطائهم الأمر بالذهاب إلى الميناء وتحميل البضائع، فقد عادوا إلى منازلهم قبل وصولك ببضع دقائق فقط يا حضرة الرائد، وسيعودون في السادسة من صباح الغد. لقد كان بوب يحضر إلى المصنع قبل الجميع، وقد اعتاد أن يذهب إلى الميناء، ليشرف على تحميل البضائع بنفسه، وهكذا يتأكّد من أن أحداً لن يغشّه بتقديم السمك الذي تمّ اصطياد في يوم سابق".

جلس فيشر على كرسيه، وهو يحدّق إلى كومة رسائل مغلقة موجهة إلى السيد بينغهام، فسأله: "هل لديّ سكرتيرة؟".

"أجل اسمها فال، ولا يوجد شيء لا تعرفه عن المكان".

استطاع فيشر أن يبتسم قليلاً، وهو يقول: "أين هي؟".

"إنها في إجازة أمومة، ولن تعود قبل شهور"، ثم أضاف قائلا في الوقت الذي دخل الغرفة رجل يبدو كملاكم: "ولكنني أعلم أنها قد نشرت إعلاناً

في غريمزبي إفننغ تيليغراف للبحث عن بديل يحل مكانها".

فسأل الرجل قائلاً: "من منكما المسؤول عن هذا المكان؟".

أشار بيري إلى الرائد.

"نريد مساعدتك في تفريغ الحمولة يا سيدي".

"تفريغ حمولة ماذا؟".

"148 صندوقاً من علب معجون السمك، وفي الوقت المحدّد من كل ثلاثاء، وإذا لم ترسل أحداً لتفريغها سيتوجّب علينا أن نعيدها إلى دونكاستر، وهذا سيكلّفك مبالغ طائلة".

"في إمكانك أن تمدّ لهم يد المساعدة يا بيري".

"أنا أعمل في الإدارة يا حضرة الرائد، ويمكن أن توقف الاتحادات عملنا إذا ما نظرت إلى صندوق ولو نظرة فقط".

في تلك اللحظة أدرك فيشر أن كلا منهم يؤدّي عمله وفق سيمفونية معدّة مسبقاً، ولم يكن هو المايسترو.

مكث الرائد لمدة ثلاثة أيام، وخلال تلك المدة لم يغادر المصنع صندوق واحد من معجون السمك، واستناداً إلى كل ما واجهه فيه، اكتشف أن الجدال مع الألمان في أفريقيا الشمالية كان أسهل بكثير من محاولة التعامل مع عمال غير متعاونين في هامرستريت.

يوم الجمعة، وبعد أن حصل المئتي عامل على أجورهم، عادوا إلى منازلهم، وأسدلت ستارة المسرح، فسجّل الرائد مغادرته فندق رويال هامر، وركب القطار الأخير العائد إلى لندن.

***

مكتبة ياسين

قال سيب: "لقد انخفضت أسهم شركة بينغهام بمقدار عشرة بالمئة مجدداً".

سأل بوب: "وما سعر السوق؟".

تفحّص سيب شريط الأسعار عبر التيليغراف الذي في مكتبه: "سبعة شلنات وستة بنسات، لا بل أربعة بنسات".

"ولكن السعر كان جنيهاً منذ أسبوع!".

"أعلم ذلك، ولكن كان ذلك قبل أن يستسلم الرائد بسرعة، ويعود أدراجه إلى لندن".

قال بوب: "لعل الوقت قد حان لأعود، وأنظّم الأمور".

"ليس الآن، ولكن احرص على أن تحفظ رقم وكيل سفر محلي معتمد".

قال بوب متذمّراً: "ما المفروض أن أفعل في الوقت الحالي إذاً؟".

"كاناستا؟(3)".

***

بالكاد تحدّثت فيرجينيا وبيرسيلا الأسبوع المنصرم، وقد أشعل حديثهما في أثناء تناولهما طعام الفطور غضباً كان خامداً، وقد بدأ يتّقد تدريجياً.

"قال لي بوفي برديجواتر في الليلة الماضية أن...".

قالت بيرسيلا غاضبة: "بوفي بريدجواتر أحمق وحليق الذقن".

"ولكن منصبه رفيع، ويملك الالاف من الفدادين".

"لست مهتمة بمنصبه، وقبل أن يحدث كل ذلك كنت أملك آلافاً من الفدادين".

مكتبة ياسين

قالت فيرجينيا: "كانت ستبقى ملكك، لو لم تكوني حمقاء وتتخلّي عنها في المحكمة".

"كيف لي أن أعرف أن روبرت كان مستعدّاً للتخلي عن شركته؟! كنت أثبت له فقط كم أنني كنت كريمة، والآن ليس لدي حتى مأوى!".

قالت فيرجينيا: "يمكنك أن تمكثي هنا لوقت أطول، ولكن ربما عليك أن تبحثي عن منزل خاص بك، فلا يمكنك أن تتوقعي أن أعيلك إلى الأبد".

"ولكنك قلت إن في وسعي أن أعتمد عليك دوماً".

قالت فيرجينيا، وهي تضع شريحة ليمون في كأس الشاي: "لا أتذكّر أنني قلت أن ذلك سيحصل دوماً".

وقفت بيرسيلا، وقد طوت منديلها، ثم وضعته على الطاولة، وغادرت الغرفة من دون أن تتفوّه بأي حرف، وتوجّهت إلى غرفة الضيوف ثم بدأت بحزم حقائبها.

"في إمكانك يا أبي أن تستقلّ الرحلة التالية وتعود إلى الديار".

"أخيراً! ولكن لماذا الآن؟".

"لقد عادت أمي إلى رشدها أخيراً، وقد غادرت منزل فيرجينيا منذ ساعة تقريباً".

"وما الذي يجعلك متأكداً من أنها لن تعود إلى منزلها مجدداً؟".

"لأنها كانت تحمل ثلاث حقائب، وقد استقلّت سيارة أجرة إلى فندق مالبوري في بيميليكو".

قال بوب: "أنا في طريقي إلى المطار".

أغلق كلايف السماعة، وقال لسيب: "هل عليّ أن أقلّ والدي من المطار إلى فندق مالبوري؟".

أجاب سيب: "لا أعتقد ذلك لأنك قد تعترض

مكتبة ياسمين

طريقه فقط، انتظر إلى أن يتّصل بك".

***

انضم كلايف إلى أمه، وأبيه لاحتساء مشروب في سافوي.

قالت بريسيلا، وهي تمسك بيد بوب: "يا له من تصرّف شاعري! فقد حجز والدك الركن نفسه الذي جلسنا فيه في أول ليلة من شهر عسلنا".

قال كلايف ساخراً: "ولكنكما ستعيشان في الخطيئة".

قالت بريسيلا: "ليس لوقت طويل، سنذهب لرؤية القاضية هفرز في الصباح الباكر، ويبدو أن محاميتنا تظنّ أن في استطاعتها تسوية الأمور".

قال كلايف: "لدي شعور بأن حضرتها لن تتفاجأ كثيراً".

سأله بوب: "متى أصبحت بهذه الحكمة؟".

"عندما تركتني من دون أي خيار سوى أن أعتمد على نفسي".

***

قال العامل عبر المحوّل الهاتفي: "لديك اتصال من سيد يدعى بينغهام".

تلقّى سيب الاتصال وقال له: "هل ما زلت في لندن يا بوب؟ هناك أمر أريد مناقشتك فيه".

"لا أنا في غريمزبي، أعيد توظيف معظم الموظّفين، يبدو وكأنهم قد تمتّعوا بإجازتهم الطويلة بقدر استمتاعي بها تماماً".

"رأيت أن سعر السهم قد ارتفع بمقدار بضعة بنسات".

"أجل، ولكن الأمر لن يعود إلى ما كان عليه إلا بعد مضي بعض الوقت، ولعلك تستغل انخفاض السعر،

مكتبة ياسمين

وتشتري بعض الأسهم".

قال سيب: "كنت أشتري على مدى الشهر المنصرم، والآن أصبحت أملك نسبة أربعة بالمئة من شركة بينغهام لمعجون السمك".

قال بوب: "لو كان لديّ مجلس إدارة لسلّمتك رئاسته، على كل حال أنا مدين لك، وعلى وجه الخصوص لتأديتك دور وسيط زواج، لذا لم لا ترسل لي فاتورة ضخمة لقاء أتعابك التي تستحقها بفضل مهارتك وحرفيتك".

"بما أننا هزمنا الليدي فيرجينيا، أحتاج الآن إلى مشورتك لمواجهة مشكلة أخرى".

"لن تهزم فيرجينيا فينويك إلا عندما توارى الثرى، ولكن كيف لي أن أساعدك؟".

"أريد أن أتولّى رئاسة بنك فارذنغز، وأطيح بأدريان سلون، ولكن ليس لي أمل في تحقيق ذلك من دون مساعدتك".

***

قالت فيرجينيا: "لا يمكنك الفوز بكل المعارك، ولكننا نعرف تماماً أن المعركة الأخيرة هي الحاسمة، وخير مثال على ذلك ما حقّقه الدوق ويلنغتون في معركته".

"ومن يمثل طرف نابوليون في هذه المعركة؟".

"لا أحد سوى إيما كليفتون".

سأل فيشر: "وما دوري في المعركة؟".

"أريدك أن تكتشف ما الذي حدث في الليلة الأولى من رحلة سفينة بارينغتون لأن قصة الأسطول الرئيسي ليست إلا تمويهاً، فقد سمعت بيرسيلا أحد المدراء يقول لزوجها إنها لو ظهرت الحقيقة فسيتوجّب على إيما كليفتون أن تستقيل، ومن

الممكن أن تفلس الشركة، ولن يناسبني أكثر من تحقيق ذلك، وألا يتبقى لمديرتنا العزيزة خيار سوى أن تسوّي الموقف، وتدفع لي مستحقاتي".

بقي فيشر صامتاً لبعض الوقت قبل أن يقول: "هناك مديران في المجلس تشاجرا مؤخراً مع السيدة كليفتون، وأحدهما يشرب كثيراً، وعلى الأخص عندما لا يكون من يدفع ثمن المشروب، فهل لدينا ما يمكن أن نقدّمه إليه في المقابل إن استقال؟".

"مكان في مجلس إدارة بنك فارذنغز".

"وكيف سيسوّي الأمر؟ ولم أنت واثقة من أنك ستتمكّنين من تعيينه في ذاك البنك؟".

"إن مديره أدريان سلون يمقت سيباستيان كليفتون، وسيفعل ما في وسعه لهزيمته".

"كيف تعلمين ذلك؟".

"إنه شيء مدهش أن تدرك كم يمكنك أن تكتشف من خفايا خلال حفلات العشاء، وعلى الأخص عندما يؤمن مضيفك بأن النساء لا يستطعن أن يستوعبن ما يجري في المدينة".

مكتبة ياسين

جايلز بارينغتون

1970

17

لم يفكّر جايلز للحظة كيف يرغب في قضاء عيد ميلاده الخمسين، لكن غوينيث خطّطت لذلك، وكلما فكّر جايلز في زواجه - وهو يفكّر في الأمر كثيراً - يجد نفسه غير قادر على تحديد المرحلة التي بدأت فيها الأمور تسوء بينهما. فالموت المأساوي لابنهما والتر في سن الثالثة، وإدراك حقيقة أن غوينيث لن تستطيع إنجاب طفل آخر، حوّلاها من امرأة مشرقة تضيئ حياة من حولها، إلى ظلٍّ حزين تائه في عالمه الخاص. وبدلاً من أن تقرّبهما المأساة من بعضهما، انجرف كل واحد منهما في تيار معاكس، وما زاد الأمر سوءاً أن جايلز كان عضواً في البرلمان، ويعمل لساعات طويلة، وجدول مواعيده مثقل للغاية.

كان جايلز يأمل في أن يشفي الوقت هذه الجراح، لكن الحقيقة أنهما لم يعيشا حياتهما كزوجين قط، بل كانا منفصلين عن بعضهما، فجايلز لا يتذكّر آخر مرة مارسا فيها الحب، على الرغم من ذلك كان مصمماً على البقاء مخلصاً لغوينيث، لأنه لم يكن يريد طلاقاً ثانياً، كما أنه لا يزال يأمل في أن تعود المياه إلى مجاريها وتصطلح الأمور بينهما.

عندما كانا يظهران معاً في الأماكن العامة، كانا يحاولان إخفاء الحقيقة، على أمل ألا يدرك ناخبو جايلز وزملاؤه وعائلتاهما أن علاقتهما غير مستقرة وزواجهما على شفير الانهيار، ما جعل جايلز يحسد هاري وإيما على قوة العلاقة بينهما.

وعلى الرغم من أن جايلز أبلغ زوجته أنه في عيد ميلاده سيكون في طريق عودته إلى دياره بعد

مكتبة ياسين

تمثيل حكومة جلالة الملكة في بعض المحافل الأجنبية، كانت غوينيث مصرّة على أن يحتفل الجميع بهذه المناسبة كما اعتادا.

سألها جايلز: "ما الذي تفكّرين فيه؟".

"إقامة عشاء عائلي، ودعوة عدد قليل من الأصدقاء المقربين".

"وأين سيقام العشاء؟".

"في مجلس العموم، يمكننا حجز إحدى الصالات المميزة".

"هذا هو آخر مكان أريد أن أتذكّر فيه أنني سأصبح في الخمسين من عمري".

"حاول أن تتكيّف مع المكان، جايلز، فهو يُعتبر بالنسبة إلى معظمنا نحن الذين لا نذهب كل يوم إلى ستمنستر مكاناً مميزاً".

أدرك جايلز أنها هزمته، لذلك أرسلت الدعوات في اليوم التالي، وبعد ثلاثة أسابيع كان ينظر حوله إلى موائد العشاء، فبدا واضحاً أن غوينيث كانت محقة لأن الجميع بدوا مستمتعين. وكانت إيما التي جلست إلى يمينه، وشقيقتهما غريس التي جلست إلى يساره تتحدّثان إلى من كانا يجلسان بجانب كل واحدة منهما، فاستغلّ جايلز الوقت للتفكير في خطابه، ودوّن ملاحظة أو اثنتين على الجزء الخلفي من قائمة الطعام التي كانت أمامه.

قالت إيما لروس باكنان: "أعلم أنه لا ينبغي أن نتحدّث عن الأعمال في مثل هذه المناسبة، لكنك تعلم كم أقدّر نصيحتك".

قال روس: "والرجل العجوز يشعر دائماً بالإطراء عندما تطلب شابة نصيحته".

ذكّرته إيما قائلة: "سأبلغ الخمسين في العام القادم،

مكتبة ياسمين

وأنت خبير في الإطراء".

قال روس: "سأبلغ السبعين في العام المقبل، وربما بحلول ذلك الوقت، أكون ميتاً، لذلك لنستغلّ أنني لا أزال في التاسعة والستين من عمري، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"لدي مشكلة مع ديزموند ميلور".

"لم أفهم أبداً السبب الذي دعاك إلى دعم وصوله إلى المجلس في المقام الأول".

همست إيما إليه: "القوة القاهرة، لكنه الآن يحاول الوصول إلى منصب نائب الرئيس".

"تجنّبي الأمر مهما كان الثمن، لن يكون هذا المنصب أكثر من مجرد نقطة انطلاق إلى المنصب الذي يسعى إليه حقاً".

"إنه سبب إضافي للتمسك بهذا المنصب، ولكن أعتقد أن سيباستيان مستعد ليحلّ مكاني".

قال روس: "يعتقد سيب أنه مستعد للحلول مكانك الآن، لكن إذا أصبح ميلور نائبك، فستقضي حياتك في النظر حولك وأنت عاجزة عن القيام بأي عمل يحول دون وصوله إلى غايته. إنها القاعدة الذهبية التي ينبغي لأي رئيس أن يطبّقها، وهي أن يعيّن نائباً لا يسعى خلف منصبه، أو شخصاً حصل على ترقية من دون أية شكوك في حسن نواياه، أو شخصاً مسناً لا يسمح له عمره باستلام منصبه من بعده".

قالت إيما: "تفكير سديد، لكن لا يمكنني القيام بالكثير لإيقافه، ولا سيما إذا تمكّن من إقناع غالبية أعضاء مجلس الإدارة بدعمه، وما يجعل الأمور أسوأ، أن سيب يظنّ أن ميلور على تواصل مع طليقة جايلز".

قال روس مستغرباً: "ليدي فيرجينيا فينويك؟".

"وربما ألكس فيشر أيضاً".

"حسناً من الأفضل أن تبدئي بالتصرف بحذر".

***

قال سيب: "أخبريني الآن، أيتها الخالة الموقرة، هل أصبحت مستشارة الجامعة أم بعد؟".

قالت غريس: "إن الدوق إدنبرة هو مستشارنا، كما تعلم".

"ماذا عن نائب المستشار؟".

"ليس الجميع طموحين مثلك يا سيب، بالنسبة إلى بعضهم يعدّ القيام بعمل جدير بالاهتمام، مهما يكن متواضعاً، مكافأة بحد ذاته".

"ولكن ألم تفكّري في أن تصبحي مديرة الكلية؟ فلا أحد يحظى بإعجاب زملائه بقدرك".

"إنه لطف منك أن تقول ذلك، سيباستيان، وسأطلعك على حقيقة أنه غرض عليّ فور تقاعد السيدة إليزابيث أن أستلم منصبها، وقد رفضت بكل ثقة بعد أن أوضحت أنني لم أولد لأكون مسؤولة بل مدرّسة، وأنا سعيدة بمؤهلاتي".

قال سيب: "لا جدال في ذلك".

"لكن أخبرني، يا سيب، بما أنك وحدك الليلة، هل يجب أن أفترض أن لا شخص مميز في حياتك؟".

"أيتها الخالة غريس، لم يدخل أي شخص مميز حياتي، منذ أن تصرّفت بغباء كافٍ جعلني أفقد سامانثا".

"أوافق على أن الأوقات التي قضيتها بعد خسارتك سامانثا لم تكن أسعد أوقاتك، فقد أدركت منذ المرة الأولى التي التقيتها بها أنها شابة استثنائية، وبالنسبة إلى هذا الموضوع بالذات

مكتبة ياسين

أتحدّث كوني أمتلك الخبرة في الحكم على الاخرين".

"أنت على حق، فلم ألتق بأي شخص يداني سامانثا روعة".

"أنا آسفة، سيب، لا أجد أنه من اللائق التطرق إلى الموضوع، لكنني متأكدة من أنك ستجد شخصاً مميزاً مع مرور الأيام".

"أتمنى ذلك".

"هل ما زلت على اتصال بسامانثا؟ هل هناك فرصة على الأقل...؟".

"ليس هناك أمل، فقد كتبت لها عدة رسائل خلال السنوات الماضية، ولكنها لم تردّ على أي رسالة منها".

"هل فكرت في الذهاب إلى أميركا والاعتراف بخطئك؟".

"كل يوم أفكّر في ذلك".

***

سألت بريسلا: "كيف تسير حملتك لإطلاق سراح أناتولي باباكوف؟".

كان هاري يجلس في الاتجاه المقابل لجايلز، وقد ردّ على بريسلا قائلاً: "أخشى أن إحراز التقدم ليس العبارة الصحيحة، ولا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن لا أحد يمكنه أن يتنبأ بما يضمره السوفيات، فأحياناً يظنّ الجميع أنهم على وشك إطلاق سراحه، ولكن في اليوم التالي أصبح مقتنعاً أكثر بأنهم ربما أضاعوا المفتاح".

"هل يمكن أن يحدث ما قد يؤدّي إلى تغيير هذا الواقع؟".

"قد يساعد تغيير القيادة في الكرملين، فأناتولي

مكتبة ياسين

أراد أن يتعرّف العالم إلى ستالين حقاً، ولكن فرصة التغيير في أثناء تولّي بريجينيف السلطة ليست ممكنة".

"لكنه يجب أن يعرف أن الجميع يعلم بمعرفته هذه الحقيقة".

"إنه يعلم ذلك، لكنه ليس مستعدّاً إلى الاعتراف بذلك أمام العالم".

"هل لدى باباكوف عائلة؟".

"لقد هربت زوجته من روسيا قبل اعتقاله بوقت قليل، وهي تعيش الآن في بيتسبرغ، ونحن على اتصال ببعضنا، وآمل أن أزورها عندما أسافر إلى الولايات المتحدة".

قالت بريسلا: "أتمنّى أن تحقّق النجاح في حملتك، ومن فضلك لا تفكّر ولو للحظة في أننا نحن الذين نراقب الحملة عن بعد لا نقدّر ما تبذله من جهد من أجل إنجاز مهمّتك، بل كن على ثقة بأننا نستمدّ الإلهام من أمثالك".

قال هاري: "شكراً لك، فقد كنتِ وبوب من أشد الداعمين لحملتي على مرّ السنوات".

"روبرت معجب كثيراً بزوجتك، وأنا متأكدة من أنك تعرف ذلك، وقد استغرقت معرفتي تلك الحقيقة وقتاً أطول بقليل، ولكنني أصبحت أقدّرها الآن".

"ماذا ينوي بوب أن يفعل بعد أن ازدهرت الشركة مجدداً؟".

"إنه يخطط لبناء مصنع جديد، ولكن يبدو أن معظم معداته تعود إلى العصر الحجري".

"ولكن ذلك لن يكون مقابل ثمن بخس".

"لا، لكنني لا أعتقد أن لديه خيارات كثيرة الآن،

مكتبة ياسمين

كما يبدو أننا على وشك الانضمام إلى السوق المشتركة".

"رأيته يتناول العشاء في بريستول برفقة سيب وروس باكنان".

"نعم، إنهم يخطّطون لشيء ما، ولكنني لم أتمكّن من معرفته، ليتني كنت المحقق وورويك...".

قال هاري مبتسماً: "المحقق وورويك".

"نعم، بالطبع أتذكّر أنه حصل على الترقية في كتابك الأخير، ولا شك في أن المحقق وورويك كان سيعرف ما كانوا يخطّطون له منذ بعض الوقت".

همس هاري إليها: "ربما أكون قادراً على إضافة وجهة نظري الخاصة".

"إذاً دعنا نتبادل الملاحظات".

"من المهم أن نتذكّر بأن سيب لم يغفر أبداً لأدريان سلون تعيين نفسه رئيساً في اليوم الذي أقيمت فيه جنازة سيدريك هاردكاسل".

قالت بريسلا: "في هادرسفيلد".

"نعم، ولكن ما أهمية ذلك؟".

"لأنني أعرف أن روبرت قد استقلّ عبّارة عبر نهر هامبر عدة مرات خلال الشهرين الماضيين".

"هل يمكن أنه يزور امرأة يصادف أنها تمتلك 51 في المئة من أسهم البنك؟".

"ربما، لأن أرنولد هاردكاسل مكث لدينا طوال الليل، ولم يخرج هو وروبرت من المكتب ماعدا أوقات تناول وجبات الطعام".

قال هاري وهو يلقي نظرة خاطفة عبر الطاولة إلى زوج بريسلا: "إذاً من الأفضل أن يُبقي أدريان سلون عينيه مفتوحتين على وسعهما، لأنه إذا كان بوب وسيب وأرنولد يعملون معاً كفريق من أجل تدميره،

مكتبة ياسين

فلتكن السماء بعونه".

قالت غوينيث التي التفتت إلى بوب: "يبدو أن معجون السمك غائب عن العناوين الرئيسية مؤخراً".

قال بوب: "هذا ليس سيئاً، على الأقل يمكننا أن نستمرَ بإطعام الأمة ونسيان أمر كتّاب أعمدة الثرثرة".

ضحكت غوينيث وقالت: "يجدر بي أن أعترف بأنه لم يكن لدينا قط معلّبات معجون السمك في المنزل".

"ويجب أن أعترف بأنني لم أصوّت لحزب العمال أبداً، على الرغم من أنني أعيش في بريستول"، فابتسمت له.

سألها بوب: "ما احتمال محافظة جايلز على منصبه في رأيك؟".

قالت غوينيث: "التشبّث بالمنصب بأظافره تبدو النتيجة المرجحة، فقد كان مقعد بريستول دوكلاندز مقعداً هامشياً دائماً، لكن استطلاعات الرأي تشير إلى أن المنافسة ستكون قوية هذه المرة، لذلك تتوقّف النتائج على من سيختار المحافظون المحليون لترشيحه للانتخابات".

"لكن جايلز وزير محبوب، ويحظى بإعجاب كبير من طرفي مجلس النواب، ألا يعني ذلك شيئاً؟".

"حوالى ألف صوت بحسب رأي جريف هاسكينز، لكن المفتاح الانتخابي لا يتوقّف أبداً عن التذكير أنه إذا كان الرأي العام في البلد ضدك، فليس هناك الكثير الذي يمكنك أن تفعله حيال ذلك".

***

قال روس باكنان: "أفترض أنه عليك الحضور إلى

مكتبة ياسين

مجلس العموم بشكل منتظم إلى حد ما".

أجاب جريف: "لا يعدَ ذلك كثيراً، ففي الواقع نحن المفاتيح نميل إلى البقاء في الواجهة، والتأكد من أن الناخبين ما زالوا يحبّون أعضاء المجلس".

في تلك اللحظة انفتح الباب، وما إن دخل إلى القاعة حتى توقّف الجميع عن الكلام، وساد الصمت.

فقال بلهجة يوركشاير التي لم تتأثر بعدد سنوات خدمته في أوكسفورد: "لا، لا، من فضلكم اجلسوا، لم أقصد المقاطعة".

قال جايلز وهو يقف احتراماً له: "إنه لطف منك أن تنضمّ إلينا سيدي رئيس الوزراء".

أجاب هارولد ويلسون وهو ينظر حوله: "يسعدني الحضور للغاية، فقدومي منحني عذراً لأتأخر بضع دقائق عن تناول العشاء مع المدير التنفيذي للاتحاد الوطني لعمال المناجم، وضع في اعتبارك يا جايلز، أنني لن أتفاجأ إذا كان المحافظون يفوقوننا عدداً في هذه القاعة، لكن لا داعي للقلق، فسيجد جريف حلاً للأمر".

انحنى رئيس الوزراء أمام الطاولة وصافح مفتاح جايلز الانتخابي، وسأله: "من هاتان السيدتان المبتهجتان؟".

قال جايلز: "إنهما أختاي، إيما وغريس".

قال رئيس الوزراء: "أنا أنحني أمامكما".

قال له وهو يشير إليهما: "إيما رئيسة مجلس إدارة، وغريس باحثة إنكليزية شهيرة"، فاحمرت وجنتا غريس خجلاً.

قال مشيراً بإصبعه نحو الطاولة: "وإذا لم أكن مخطئاً، هذا بينغهام".

استغرب جايلز مدة بقاء رئيس الوزراء برفقتهم،

والذي لم يغادر لو لم يذكّره أحد مرافقيه بأنه ضيف الشرف في عشاء عمال المناجم حيث كان من المقرر أن يلقي كلمة قبل مغادرته مباشرة، فتحدّث إلى هاري جانباً، وهمس إليه: "شكراً لك على مساعدتك في موسكو، سيد كليفتون، ولا تظنّ أننا نسينا ما وعدناك به، كما أرجو ألا تستسلم بشأن إطلاق سراح باباكوف، لأننا لن نستسلم".

قال هاري: "شكراً لك سيدي".

وقفوا جميعاً مرة أخرى عندما غادر رئيس الوزراء القاعة، بعد أن عادوا إلى مقاعدهم، قال روس باكنان لجريف: "كونك صديقاً قديماً لرئيس الوزراء يثير الإعجاب".

عندما وقف هاري، كان جريف يقول لروس: "لم يسبق لي أن التقيت به إلا مرة واحدة، لكنه مثل الفيل، لا ينسى أبداً".

نقر هاري على طرف كأس نبيذه بملعقة وانتظر حتى يسود الصمت المكان، ثم قال: "زملائي وضيوفي، أدعوكم إلى الانضمام إليّ لرفع نخب أقدم أصدقائي والأعزّ على الإطلاق، نخب الرجل الذي عزفني إلى أخته، والأب الروحي لابننا سيباستيان، فهلّا انضممتم إليّ لرفع نخب السير جايلز بارينغتون، الوزير الذي لا يزال يعتقد أن عليه أن يكون كابتن فريق إنجلترا للكريكيت".

انتظر هاري أن يتوقّف الضحك قبل أن يضيف قائلاً: "ونأمل جميعاً أن يفوز جايلز في الانتخابات، ليحافظ على مقعده في المجلس، حتى يحقّق طموحه في أن يصبح وزيراً للخارجية".

اهتزّت القاعة بالتصفيق الحاد والصرخات المدوية قائلة: "اسمع!"، فتردّد صداها في أرجاء القاعة كلها، بينما نهض جايلز، وقال: "شكراً لك يا هاري، إنه لأمر

رائع أن يكون للمرء عائلة مثل عائلتي، وأن يحيط به أصدقاؤه الأعزاء الذين اجتمعوا معاً لغرض واحد فقط، وهو تذكيري بأنني قد بلغت الخمسين، فقد أنعم الله عليَ بعائلة رائعة وأصدقاء حقيقيين، وبالتأكيد لا يمكن لأي رجل عاقل أن يتمنى أكثر من ذلك، بالإضافة إلى أن العديد منكم كان لطيفاً بما يكفي ليسألني عما أودّ الحصول عليه في عيد مولدي".

جال جايلز بنظره ببطء حول الطاولات قبل أن يقول: "أن أكون رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية ووزيراً للخزانة في الوقت نفسه"، ارتفع صوت الضحكات والتصفيق بشكل عفوي قبل أن يضيف قائلاً: "لكن سأكون راضياً بالحفاظ على مقعدي عن بريستول دوكلاندز في الانتخابات القادمة"، علا التصفيق من دون ضحك هذه المرة، فقال: "لا، ما أريده حقاً هو أن تزدهر البلاد في ظلّ حكومة حزب العمال".

همهمت الهتافات المستنكرة، فرئيس الوزراء كان محقاً في أن عدد المحافظين راجح في حفلة عيد ميلاد جايلز.

"لذا اسمحوا لي أن أنهي كلامي بالقول، إذا لم أفز فسوف أحزن"، عاد الضحك مجدداً.

"قال لي رجل حكيم ذات مرة إن سرَ الخطاب الرائع هو التوقيت..." ابتسم جايلز وجلس، وبعدها نهض الجميع وقدّموا إليه التهاني القلبية بمناسبة عيد مولده.

بعد أن عاد الندل إلى خدمة الضيوف قدّموا إليهم القهوة، سألت إيما جايلز: "أين ستتوجّه في المرحلة القادمة؟".

أجاب شقيقها: "إلى أوروبا الشرقية لحضور

مكتبة ياسمين

اجتماع لوزراء الخارجية".

سألت غريس: "هل تعتقد أنهم سوف يهدمون هذا الجدار البربري؟".

"لن يحصل ذلك ما دام ألبريخت يتولَى السلطة وينفّذ أوامر أسياده في الكرملين".

قالت إيما: "متى تعتقد أن الانتخابات العامة ستجرى في بلادنا؟".

"هارولد يريدها في نيسان، إذ يعتقد أن في استطاعتنا تحقيق النصر".

قالت إيما: "أنا متأكدة من أنك ستفوز في بريستول، لكنني ما زلت أعتقد أن المحافظين سيخرجون من الانتخابات بمجموعة صغيرة".

التفت جايلز إلى أخته الصغرى وسأل: "هل ستظلّين مخلصة لحزب العمال؟".

قالت غريس: "بالطبع، وأنت يا إيما؟".

"لا مجال لتغيير ذلك".

"بعض الأشياء لا تتغيّر أبداً".

مكتبة ياسين

18

تململت غوينيث عندما رنّ المنبه، ولكنها لم تزعج نفسها لتتحقق من الوقت، فقد أتقنت فن العودة إلى النوم خلال دقائق من مغادرة جايلز الغرفة، فهو كان دائماً يستحمّ قبل أن ينام، ويضع الملابس التي يحتاج إليها في غرفة ملابسه حتى لا ينير المصباح ويقلق راحتها. كان ينظر عبر النافذة المطلة على ميدان سميث، فرأى سيارته مركونة أمام الباب الأمامي، وقد أزعجه التفكير في الوقت المبكر الذي يفرض على سائقه أن يستيقظ خلاله للتأكد من أنه لن يتأخر أبداً عن مواعيده.

ما إن حلق جايلز ذقنه وارتدى ملابسه حتى نزل إلى المطبخ، وأعدّ فنجاناً من القهوة السوداء وتناول رقائق الذرة والفواكه، وبعد خمس دقائق حمل حقيبته، واتجه نحو الباب الأمامي، فسألته غوينيث سؤالاً واحداً فقط عندما كان يهمّ بالمغادرة: "كم يوماً ستغيب؟".

"يومين، هذه المرة"، وكانت غوينيث قد حزمت أمتعته وفق ذلك.

لم يفكّر في التحقق من حقيبته قبل أن يفرغها في برلين، لأنه كان يعلم أن كل ما يحتاج إليه سيكون في داخلها، فقد كانت زوجته الأولى وضيعة، بينما زوجته الثانية كانت امرأة فاضلة، وقد حاول جايلز ألا يعترف بذلك، ولكنه كان يحبّ أن يرتبط بامرأة تكون مزيجاً من الاثنتين، تشبه فرجينيا في غرفة النوم وغوينيث في كل مكان آخر، وكثيرا ما تساءل إن كان لدى الرجال الآخرين الأفكار نفسها، ولكن بالتأكيد ليس هاري، الذي كان يحبّ إيما أكثر مما أحبها يوم تزوّجا، وكان يحسدهما على قوة علاقتهما.

مكتبة ياسمين

قال جايلز وهو يركب السيارة: "صباح الخير، ألف".

أجاب سائقه بمرح: "صباح الخير سيدي الوزير"، كان ألف سائق جايلز منذ اليوم الذي عيّن فيه وزيراً، كما كان مصدراً مفيداً للمعلومات التي تطلعه على ما يجري في العالم الحقيقي، بينما معظم زملائه في مجلس الوزراء لا يخبرونه بأي معلومة.

"إلى أين سنتوجّه اليوم يا سيدي؟".

"برلين الشرقية".

"أنت ولست أنا".

"أنا أعرف شعورك الآن، ولكن ما في حوزتك اليوم من أجلي؟".

"ستكون الانتخابات في حزيران، وربما في الثامن عشر منه، لكن الصحافة لا تزال تتوقّع إجراءها في شهر أيار".

"من أين تحصل على معلوماتك؟".

"أخبرني كلارنس بذلك، سائق رئيس الوزراء؟".

"سأحتاج إلى إخطار جريف على الفور، ألديك أي شيء آخر؟".

"سيعلن وزير الخارجية هذا الصباح أنه سيتخلّى عن منصبه بعد الانتخابات، مهما كانت النتيجة".

لم يستجب جايلز له، إذ كان يفكّر في القنبلة التي أسقطها ألف للتو، فإن تمكّن من الفوز بمقعد بريستول دوكلاندز، وفاز حزب العمال بالانتخابات، فستكون الفرصة سانحة له ليصبح وزيرا للخارجية، ولكن المشكلة الوحيدة تكمن في أن لا شيء مؤكّد، ومع ذلك سمح لنفسه بابتسامة ساخرة، وقال لسائقه: "ليس سيئاً، ألف، ليس سيئاً على الإطلاق".

فتح حقيبته الحمراء وبدأ يبحث بين أوراقه، فلطالما استمتع بالاتصال بأرقام الجهات التي أجرت

معه المقابلات في جميع أنحاء أوروبا، وتبادل وجهات النظر في الممرات والمصاعد والحانات التي تجري فيها السياسة الواقعية، بدلاً من التجمعات الرسمية التي لا نهاية لها، والتي ينظّمها موظفو الخدمة المدنية قبل وقت طويل من عقد الاجتماع. اجتاز ألف مدخلاً يقوده إلى المدرج الثالث في مطار هيثرو، وتوقّف عند السلالم المؤدية إلى الطائرة. وإذا لم يحتفظ جايلز بمقعده في مجلس الوزراء بعد الانتخابات، فسيفتقد كل هذه الميزات التي تجئبه العودة إلى قوائم انتظار الأمتعة، وعدادات تسجيل الوصول، ومراقبة جواز السفر، والفحوصات الأمنية، والمشي لمسافات طويلة باتجاه البوابة، ثم الانتظار غير المحدود قبل أن يبلَغ أخيراً أنه يمكنه الصعود إلى الطائرة.

فتح ألف الباب الخلفي، وصعد جايلز الدرج إلى الطائرة الجاثمة على المدرج، فتذكّر تحذير هارولد ويلسون: "لا تعتد على ذلك، فالملكة وحدها يمكنها الاعتياد عليه".

كان جايلز آخر راكب على متن الطائرة، فأُغلق الباب عندما جلس على مقعده في الصف الأمامي بجوار سكرتيره الدائم الذي قال له: "صباح الخير سيدي الوزير، على الرغم من أن هذا المؤتمر لا يبدو في ظاهره واعداً على الإطلاق، إلا أنه قد يكون هناك العديد من الفرص التي يمكن الاستفادة منها".

"مثل ماذا؟".

يحتاج رئيس الوزراء إلى معرفة ما إن كان ألبريخت على وشك أن يُستبدل بصفته أميناً عاماً، وإذا كان سيحصل ذلك، فسيرسلون إشارات، كما يحتاج إلى معرفة من اختاروا لتولّي منصبه، فسأله جايلز: "هل سيحدث ذلك أي فرق؟ فمن سيحصل

على المنصب سيظلّ يستشير موسكو قبل أن يتّخذ أي قرار"، واصل الموظف المدني حديثه متجاهلاً ملاحظته: "بالنسبة إلى وزير الخارجية، يحرص على اكتشاف ما إن كان الوقت مناسباً للمملكة المتحدة لتقديم طلب آخر للانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة".

"هل مات ديغول من دون أن أعلم؟".

"لا، لكن نفوذه تضاءل منذ تقاعده العام الماضي، ويشعر بومبيدو أن الوقت قد حان لاستعراض عضلاته".

قضى الرجلان بقية الرحلة في مراجعة الأجندة الرسمية، والأمور التي تأمل حكومة جلالتها في استخلاصها من المؤتمر، وغالباً ما يتطلّب ذلك لكزة هنا وغمزة هناك، إلى أن يتوصّلا إلى تفاهم.

عندما حطت الطائرة في مطار تيغيل في برلين، كان السفير البريطاني ينتظرهما أسفل الدرج بمرافقة عناصر من الشرطة، فنقلتهما سيارة الرولز رايس عبر برلين الغربية، لكنها توقّفت بشكل مفاجئ عندما وصلا إلى نقطة تفتيش أطلق الحلفاء عليها اسم تشارلي، وهي أشهر نقطة عبور في الجدار، فنظر جايلز إلى الجدار القبيح المغطى بالرسوم والكتابات، والمتوج بالأسلاك الشائكة. لقد أقيم جدار برلين عام 1961 بين عشية وضحاها للحدّ من تدفّق الناس الذين كانوا ينزحون من الشرق إلى الغرب، وهكذا أصبحت برلين الشرقية مسجونة خلف الجدار العملاق، فلم يكن ذلك الحدث دعاية داعمة للشيوعية، ولو كانت اليوتوبيا التي ادعى الشيوعيون وجودها موجودة حقاً، ولكن جايلز يرى أن الألمان الغربيين هم الذين كان عليهم بناء الجدار لمنع مواطنيهم غير الراضين بنظامهم

من الهروب إلى الشرق.

"ليت لديّ فأساً ومعولاً...".

قال السفير: "عليّ أن أوافقك الرأي، ولكنني أخشى أن يؤدّي ذلك إلى حدوث أزمة دبلوماسية".

قال جايلز: "سيتطلّب الأمر أكثر من مجرد أزمة دبلوماسية لمنع شقيق زوجتي من النضال من أجل ما يؤمن به".

ما إن تمّ فحص جوازات سفرهم، حتى تمكّنوا من مغادرة القطاع الغربي، ما سمح للسائق بالتقدم بضع مئات من الياردات الأخرى قبل أن يصل إلى أرض الإنسان، فنظر جايلز إلى الحراس المسلحين في أبراجهم، وهم يحدّقون بوجوههم الكالحة إلى ضيوفهم البريطانيين، وظلوا متوقّفين عند الحدود، بينما كانت سيارة الرولز رويس تُفتّش من المصد الأمامي إلى الصندوق الخلفي، كما لو كانت دبابة شيرمان، قبل أن يسمح لهم في النهاية بدخول برلين الشرقية، لكن من دون مرافقة الشرطة، واستغرق الأمر ساعة أخرى قبل أن يصلوا إلى فندقهم الواقع في الجانب الآخر من المدينة.

ما إن وصل جايلز وسكرتيره إلى الفندق حتى استلما مفتاحيهما، فكانت القاعدة الذهبية للوزير أن يتبادل وسكرتيره الدائم غرفتيهما حتى يتمكّن من الاتصال بالفتيات بحرية من دون الحذر من النطق بأي كلمة لأن في غرفته أجهزة تنصّت، لكن الوكالة الأمنية اكتشفت تلك الحيلة فزرعت أجهزة تنصّت في كلتا الغرفتين، فقال السفير: "إذا كنت تريد إجراء محادثة خاصة، فإن الحمام هو المكان الوحيد الآمن شرط أن تفتح صنبور الماء". أفرغ جايلز أمتعته، واستحمّ ثم توجه إلى الطابق السفلي، وانضمّ إلى زميليه الهولندي والسويدي

مكتبة ياسين

ليتناول طعام الغداء برفقتهما في وقت متأخر، فهما كانا صديقيه القديمين، إلا أن ذلك لم يمنعهم من تبادل المعلومات بين بعضهم، فسأل ستيلين كريسترسون وزير الخارجية السويدي: "أخبرني يا جايلز، هل سيفوز حزب العمال في الانتخابات؟".

"الجواب الرسمي لا يمكننا أن نخسر، والجواب غير الرسمي النتائج متقاربة ولا يمكننا حسم الأمر".

"وإذا فاز حزبك، فهل سيجعلك السيد ويلسون وزيراً للخارجية؟".

"بشكل غير رسمي، يجب أن تكون لديّ فرصة".

فسأله الوزير الهولندي يان هيلبرت: "وبشكل غير رسمي؟".

قال له: "سأخدم حكومة جلالة الملكة بأي صفة يراها رئيس الوزراء مناسبة، وسأفوز برالي مونتي كارلو القادم".

تابع جايلز كلامه قائلاً: "سأعود إلى جناحي للتحقق من أوراقي"، كان يدرك تماماً أن المبتدئين هم فقط الذين يطيلون السهر ويشربون، فينتهي بهم الأمر إلى قضاء اليوم التالي يتثاءبون، فعلى المرء أن يكون متيقظاً بشكل تام إذا كان يسعى وراء التقاط الإشارات التي تجعل من ساعات التفاوض جديرة بالاهتمام.

***

في صباح اليوم التالي، افتتح المؤتمر بكلمة ألقاها أمين عام ألمانيا الشرقية، والتر ألبريخت، مرحّباً بالوفود، ومن الواضح أن خطابه كُتب في موسكو، واستلمه عن طريق دمية السوفيات في برلين الشرقية.

تراجع جايلز إلى الوراء، وأغمض عينيه، وتظاهر

مكتبة ياسين

بالاستماع إلى ترجمة خطاب سبق له أن سمعه عدة مرات، ولكن ما إن بدأ يشرد ذهنه، حتى سمع صوتاً قلقاً يسأله بشكل مفاجئ: "أمل ألا يكون هناك أي خطأ في الترجمة يا سيد جايلز؟"، نظر جايلز حوله، فقد أوضحت لهم وزارة الخارجية ذلك، فعلى الرغم من أن كل وزير يحصل على مترجم خاص به، إلا أنهم تلقوا تحذيرات من أن معظمهم يعملون لصالح الوكالة الأمنية، وأي ملاحظة في غير مكانها أو زلة لسان سيبلَغ عن سلوكهم بلا شك إلى أسيادهم في المكتب السياسي لألمانيا الشرقية.

لم يفاجئ جايلز السؤال الذي طرحته الشابة، بل حقيقة اكتشافه أن لهجتها تعود إلى غرب البلاد، فهو يكاد يقسم بذلك وإن كانت لكنة خفيفة، فألقى عليها نظرة فاحصة من جديد، ثم قال: "ترجمتك واضحة تماماً، ولكن المشكلة أنه سبق لي أن سمعت هذا الخطاب، إضافة إلى بعض التعديلات الطفيفة".

كانت ترتدي فستاناً رمادياً يكاد يصل إلى كاحليها، ولا تفاصيل تميزه، ويمكن شراؤه من أي متجر تعاوني، لكنها امتلكت شيئاً لا يمكنك شراؤه من متجر هارودز، فشعرها البني المحمر كان أنيقاً ومضفَراً على شكل كعكة لإخفاء أي معالم للأنوثة، فبدا الأمر وكأنها لا تريد أن يلاحظ أنوثتها أحد، ولكن عينيها البنيتين الكبيرتين وابتسامتها الأسرة ستجعل معظم الرجال يلقون عليها نظرة ثانية، بمن فيهم جايلز.

لقد كانت مثل تلك البطة الصغيرة القبيحة في الفيلم، والتي تتحوّل بجعة في المشهد الأخير، وربما كانت فخاً، فقد افترض جايلز على الفور أنها تعمل لدى منظمة الأمن، وتساءل إن كان يستطيع الإيقاع بها.

همس جايلز إليها: "لديك لهجة تعود إلى غرب البلاد إذا لم أكن مخطئاً".

أومأت إليه برأسها، وأظهرت الابتسامة التي جرّدته من كل دفاعاته: "ولد أبي في تورورو".

"حسناً، وماذا تفعلين هنا؟".

ولدت في برلين الشرقية، وقد التقى والدي بوالدتي عندما حضر إلى ألمانيا بصفته جندياً في الجيش البريطاني عام 1947".

علّق جايلز قائلاً: "لا يعقل أنهما تلقّيا الموافقة الكلية على ذلك".

"كان عليه أن يستقيل من مهمته، ويحصل على وظيفة في ألمانيا حتى يظلّ إلى جانبها".

"يا له من رومانسي حقيقي!".

"لكن أخشى أنك لن تجد نهاية القصة رومانسية"، لقد ألفها جون غالسورثي أكثر من شارلوت برونتي، ثم تابعت قائلة: "لأنه عندما بُني الجدار في عام 1961، كان والدي في كورنوال يزور والديه، ولم نره منذ ذلك الحين".

ظلّ جايلز حذراً منها، وهو يقول: "لا يبدو هذا منطقياً، لأنه إذا كان والدك مواطناً بريطانياً، فيمكنك أنت وأمك تقديم طلب لزيارة بريطانيا في أي وقت".

"لقد قدّمنا أربعة وثلاثين طلباً في السنوات التسع الماضية، وعادت الطلبات إلينا، بختم أحمر اللون وكلمة مرفوض".

قال جايلز: "يؤسفني سماع ذلك"، ثم التفت بعيداً، وضبط سماعتي الرأس، وتابع الاستماع إلى ما تبقى من خطاب الترحيب، وبعد ساعة واثنتي عشرة دقيقة، جلس الأمين العام أخيراً، فكان جايلز أحد

الأشخاص القلائل الذين كانوا في القاعة ولا يزالون مستيقظين، فغادر قاعة المؤتمر، وانضمّ إلى لجنة فرعية لمناقشة احتمال رفع بعض العقوبات بين الدولتين، فكان لديه موجز واضح، كما فعل نظيره. لكن خلال الاجتماع كان لديه انطباع خاص أن مترجمته قد مرّرت له الملاحظات التي تلقتها من وكالة الأمن، وليس من الوزير، وقد ظلّ متشككاً فيها وحذراً منها، على الرغم من أنه عندما نظر إليها رأى البطاقة التي تظهر اسمها، فكان كارين بينغلي، ويبدو أنها كانت تقول الحقيقة على الأقل بشأن ماضيها.

سرعان ما اعتاد جايلز على متابعة كارينا له في أثناء انتقاله من اجتماع إلى آخر، فواصلت تمرير كل ما يقال من الجانب الآخر، من دون أن يتغيّر التعبير على وجهها، لكن ردود جايلز كانت دائماً مصاغة بعناية، لأنه لا يزال غير متأكد من ولائها.

في نهاية اليوم الأول، شعر جايلز بأن المؤتمر حقّق بعض النتائج الإيجابية، ولكن ليس بسبب مترجمته التي كانت تقول ببساطة ما تريد وكالة الأمن أن يسمعه.

خلال العشاء الرسمي الذي أقيم في قصر برلين الجمهوري، جلست كارين خلفه مباشرة، تترجم كل كلمة من الخطب اللامتناهية والمتكررة، حتى شعر جايلز بالإرهاق، وفي النهاية قال: "إذا كتبت رسالة إلى والدك، فسأرسلها إليه عندما أعود إلى إنجلترا، وسأتحدّث أيضاً مع زميل في مكتب الهجرة".

"شكرا لك سيد جايلز"، ثم حوّل جايلز انتباهه إلى الوزير الإيطالي الجالس إلى يمينه، والذي كان يدفع طعامه في الطبق، وهو يتبزم من الاضطرار إلى خدمة ثلاثة رؤساء وزراء خلال عام واحد.

اقترح عليه جايلز قائلاً: "لماذا لا تحصل على المنصب لنفسك، أمبرتو؟".

أجاب: "بالتأكيد لا، فأنا لا أسعى إلى تقاعد مبكر".

***

كان جايلز سعيداً عندما أنهى الطبق الأخير من الوجبات الكثيرة والمتنوّعة، وتمنّى ليلة سعيدة لبعض المندوبين الآخرين وهو يغادر القاعة، ثم التحق بالسفير وعاد إلى الفندق، فالتقط مفتاحه، وعاد إلى جناحه بعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة بقليل، وكان قد مضى على نومه ساعة تقريباً عندما سمع قرعاً على الباب، فمن الواضح أن شخصاً ما على استعداد لتجاهل علامة عدم الإزعاج، ولم يكن ذلك مفاجئاً، حتى إن وزارة الخارجية أصدرت مذكرة إعلامية تتناول هذا الاحتمال، لذلك كان يعرف بالضبط ما يمكن توقّعه وكيفية التعامل مع الموقف.

نهض على مضض من فراشه، وسحب رداءه وتوجّه إلى الباب، بعد أن حذّروه من أنهم سيفعلون ذلك، وسيحاولون جلب شبيهة زوجته الأصغر منها بعشرين عاماً، وعندما فتح الباب صدمه المشهد للحظة، فقد وقفت أمامه أجمل امرأة شقراء، لها وجنتان مرتفعتان، وعينان زرقاوان، وترتدي أقصر تنورة جلدية شاهدها حتى الآن.

قال جايلز بمجرد أن صحا من الصدمة: "الزوجة الخاطئة"، على الرغم من أنها ذكّرته بفترة وقوعه في الحب بفيرجينيا، الحب الميؤوس منه، بعد مرور كل تلك السنوات، فقرأ الملصق على الزجاجة *فوف كليكو*، وقال وهو يأخذ الزجاجة منها: "شكراً لك سيدتي، أبلغي تحياتي لمن أرسلها، إنه نبيذ فاخر".

ابتسم وهو يعود إلى السرير، وهو يفكر في أن

مكتبة ياسمين

هاري سيفتخر به.

***

أصبح اليوم الثاني من المؤتمر محتدماً أكثر فأكثر حيث حاول المندوبون إبرام الصفقات لكي لا يضطرّوا إلى العودة إلى بلادهم خاليي الوفاض، وشعر جايلز بالسعادة عندما وافق الألمان الشرقيون على إزالة الرسوم الجمركية على الواردات من المستحضرات الصيدلانية البريطانية، وحاول إخفاء سعادته بشكل خاص عندما لمّح نظيره الفرنسي إلى أنه إذا وجّهت الحكومة البريطانية دعوة رسمية إلى الرئيس الفرنسي لزيارة بريطانيا في العام القادم فسينظر في أمرها بجدية، وقد كتب عبارة "النظر بجدية" حتى لا يحصل أي سوء فهم.

كما هو الحال دائماً في هذه المناسبات، تبدأ الاجتماعات متأخرة، وتستمرّ حتى المساء، لذلك أنهى جايلز أحد اجتماعاته قبل العشاء، مع ممثل إحدى العلامات التجارية في ألمانيا الشرقية، وواحد في أثناء العشاء مع نظيره الهولندي، وقد طلب من كارين أن تنضمّ إليهما لتناول العشاء، بعد أن رأى أنه إذا كانت تعمل في الوكالة الأمنية فهي ممثلة أفضل من بيغي أشكروفت، وإذا وافقت فهو يأمل فقط أن ترخي شعرها، وأخيراً عقد اجتماعاً بعد العشاء مع والتر شيل وزير خارجية ألمانيا الغربية.

ذكّرته كارين أن الوزير الهولندي يتحدّث الإنكليزية بطلاقة، وادّعت أنهما ربما يفضّلان تناول الطعام بمفردهما، لكن جايلز اعتقد أنه سيكون من المفيد له أن تكون برفقته، في حال احتاج إلى الترجمة، ولم يستطع إلا أن يتساءل عما إذا كان أي من زملائه المندوبين قد لاحظ عدد المرات التي استدار خلالها

للنظر إلى مترجمته عن كثب خلال فترة عمله بعد الظهر مع وزير التجارة، متظاهراً بالاستماع إليه باهتمام، بينما كان في الحقيقة ينظر إليها على أمل أن تكافئه بابتسامتها الساحرة. عندما حضرت لتناول طعام العشاء كانت مرتدية فستاناً مذهلاً من الحرير الأحمر مكشوف الكتفين، ولكنها لم تشتره بالتأكيد من المتجر التعاوني، وكان شعرها البني منسدلاً أسفل كتفيها، فلم يستطع أن يرفع عينيه عنها، رغم أنها استمرّت بالتظاهر بعدم الانتباه، وعندما عاد إلى جناحه لحضور الاجتماع الأخير في المساء، لم يضيّع شيل الوقت بل حاول الضغط على ملف حكومته، فقال له: "ضريبة الاستيراد الخاصة بكم على بي أم دابليو وفولكس فاجن ومرسيدس تؤثر بشدة على صناعة السيارات لدينا، وإذا كنتم لا تستطيعون رفعها، أيمكن تخفيضها على الأقل؟".

ردّ جايلز: "أخشى أن ذلك غير ممكن والتر، لأننا على بعد أسابيع قليلة من الانتخابات العامة، وحزب العمال يأمل في الحصول على تبرعات كبيرة من فورد وبي أم دابليو وفولكس".

قال الألماني مبتسماً: "لن يكون لديك الخيار عندما تصبح عضواً في السوق الأوروبية المشتركة".

فقال جايلز: "لنأمل أن تصبح دولتي عضواً".

"على الأقل أنا ممتن لردك الصريح"، تصافحت المترجمتان، وعندما استدار شيل للمغادرة، وضع جايلز أصبعه على شفتيه وتبعه خارج الغرفة، نظر إلى أعلى وأسفل الممر قبل أن يسأل: "من سيحلّ محل ألبريخت في الأمانة العامة؟".

قال شيل: "السوفيات يدعمون هونيكر، وبصراحة لا أستطيع أن أرى أي شخص يستطيع هزيمته".

قال جايلز: "لكنه رجل ضعيف ومتملق، ولم يكن

مكتبة ياسين

لديه فكرة من بنات أفكاره في حياته، وسينتهي به الأمر مجرد دمية مثل ألبريخت".

"وهذا هو بالضبط سبب دعم المكتب السياسي له".

رفع جايلز يديه في الهواء، فلم يكن في إمكان شيل سوى الابتسام بسخرية، فقال قبل التوجه نحو المصعد: "أراك في لندن بعد الانتخابات".

غمغم جايلز: "دعنا نأمل ذلك".

عندما عاد إلى غرفته، كان سعيداً لأن كارين كانت لا تزال هناك، ففتحت حقيبتها، وأخرجت منها مغلفاً وسلّمته إليه، وقالت له: "شكراً لك سيد جايلز".

نظر جايلز إلى الاسم والعنوان الموجودين على المغلف، ثم وضعه في الجيب الداخلي لسترته، وقال: "سأرسله إلى والدك حالما أعود إلى إنجلترا".

"والدتي ستقدّر صنيعك".

قال جايلز بينما كان يمشي بمحاذاة الطاولة: "هذا أقلّ ما يمكنني فعله".

التقط زجاجة الشمبانيا، وسلّمها إليها قائلاً: "إنها هدية صغيرة للتعبير عن امتناني لعملك الشاق، وأتمنى أن تستمتعي أنت وأمك باحتسائها".

همست إليه، وهي تعيد الزجاجة مشيرة إلى الثريا: "هذا لطف منك يا سيدي جايلز، لكن وكالة الأمن لن تدعني ابتعد عن الباب قبل أن تأخذها مني".

"دعينا على الأقل نشرب كأساً معاً".

"هل أنت متأكد من أن هذا التصرّف حكيم، سيد جايلز، مع الأخذ بعين الاعتبار..."

"الآن بعد أن أصبحنا وحدنا، أعتقد أنه يمكنك مناداتي جايلز".

فتح الزجاجة وسكب كأسين.

مكتبة ياسين

رفع كأسه وقال: "فلنأمل ألا يمرّ وقت طويل قبل أن تجتمعي بوالدك".

ارتشفت كارين رشفة، ثم وضعت الكأس على الطاولة وقالت: "يجب أن أذهب".

مدّت يدها لتصافحه، فجذبها جايلز بلطف نحوه، إلا أنها دفعته بعيداً عنها، وقالت له: "يجب ألا يحدث ذلك يا جايلز، لأنك ستفكّر فقط..."، بدأ بتقبيلها قبل أن تتمكّن من قول كلمة أخرى.

وبينما هما يتبادلان القبل فك جايلز سحاب ظهر فستانها، وعندما سقط أرضاً، خطا خطوة إلى الوراء، وهو يرغب في لمس كل جزء من جسدها دفعة واحدة، ثم ضمّها بين ذراعيه وقبّلها مرة أخرى، فانفصلت شفتاها عن شفتيه عندما سقطا على السرير، فنظر إلى عينيها البنيتين وهمس إليها: "إذا كنت تعملين لدى وكالة الأمن، فلا تخبريني قبل أن نمارس الحب".

مكتبة ياسين

19

كان جايلز جالساً على المقعد الأمامي في مجلس النواب يستمع إلى وزير الخارجية، وهو يلقي بياناً أمام النواب حول قرار مجلس المقاطعة للكريكت بإلغاء جولة إنجلترا في جنوب إفريقيا، عندما استلم ورقة ملاحظة من الرئيس مكتوب عليها: "هل يمكنني أن أتحدّث إليك بعد انتهاء البيان؟". لطالما شعر جايلز بأن استدعاء الرئيس أشبه بالاستدعاء إلى مكتب مدير المدرسة، ومن المرجّح أن يكون السبب ضرباً بالعصا أكثر من إبداء الثناء.

ما إن أجاب وزير الخارجية على السؤال الأخير الذي طرحه عضو مدينة لوث حول تعزيز العقوبات الحكومية ضد نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، حتى تسلّل جايلز من القاعة إلى ردهة الأعضاء، ومشى باتجاه مكتب رئيس الشؤون.

من الواضح أن سكرتير الرئيس كان يتوقّع حضوره، لأنه دخل إلى الحرم الداخلي من دون أن يتوقّف.

وبمجرد دخول جايلز إلى المكتب، أدرك من النظرة التي بدت على وجه الرئيس أنه سينهال عليه ضرباً بالعصا وليس ثناءً.

قال بوب مليش: "أخشى أنني أحمل إليك خبراً سيّئاً".

تناول مغلفاً برتقالياً كبيراً من درج في مكتبه ومرّره إلى جايلز الذي فتح المغلف بأصابعه المرتعشة، وأخرج مجموعة من الصور بالأبيض والأسود، عاينها للحظات قليلة قبل أن يقول: "لا يبدو هذا منطقياً".

"لست متأكداً من أنني أفهمك".

مكتبة ياسين

"لا أعتقد أن كارين كانت تعمل لصالح منظمة الأمن".

قال رئيس الشؤون: "ومن غيرها يمكن أن يفعل ذلك؟ حتى لو لم تكن على جدول رواتبهم، لا أحد يدري مدى شدّة الضغط الذي مارسوه عليها ليحصلوا على ما يريدونه. "عليك أن تصدّقني، بوب، كارين لم تكن الفاعلة. ومع ذلك أدرك تماماً أنني جعلت من نفسي أحمق، ووضعت الحكومة وعائلتي في وضع حرج، لكنني متأكّد من أن كارين ليست المسؤولة".

"يجب أن أعترف، إنها المرة الأولى التي تستخدم فيها منظمة الأمن الصور، فقد اكتفوا بإرسال الشرائط في الماضي فقط، سأبلغ وزارة الخارجية على الفور".

قال جايلز: "يمكنني أن أؤكّد لكم أننا لم نناقش أي شأن حكومي، في الحقيقة كانت خائفة من أن يمسك أحدهم بي أكثر مما كنت أنا خائفاً.

قطّب الرئيس حاجبيه وقال: "ومع ذلك، لا بد من مواجهة الأمر في الحال، فأفترض أن هذه الصور بين يدي إحدى الصحف الشعبية، لذا من الأفضل أن تستعدّ لمكالمة هاتفية غير سارة، وانا أوجّه إليك نصيحة واحدة فقط جايلز، أخبر غوينيث قبل انتشار الأخبار".

قال جايلز وهو يمسك بحافة الطاولة محاولاً السيطرة على ارتعاش أصابعه: "هل يجب أن أستقيل؟".

"هذا ليس قراري، لكن لا تتّخذ أي قرار متسرّع، على الأقل انتظر حتى تقابل رئيس الوزراء، وأخبرني فور اتصال الصحافة بك".

ألقى جايلز نظرة أخرى على بعض صوره مع

مكتبة ياسين

كارين، وهو لا يزال يرفض تصديق ذلك.

***

قالت له غوينيث: "كيف أمكنك فعل ذلك، يا جايلز؟ أيمكن أن تقع في فخ العسل، بعد أن حذّرك هاري وأخبرك بما حدث معه في موسكو".

"أعلم، أنني غبي جداً، وأنا آسف على الألم الذي سبّبته لك".

"ألم تفكّر في عائلتك عندما أغرتك هذه الحسناء الصغيرة؟".

قال جايلز بهدوء: "لم تكن من أولئك النساء".

سكتت غوينيث لبعض الوقت قبل أن تسأله: "هل تقول إنك تعرّفت إلى تلك المرأة قبل حصول كل ذلك؟".

"كانت مترجمتي".

"إذن أنت من أغواها وليس العكس؟".

لم يجرؤ جايلز على نفي كلامها، فلم يرد أن يكذب أكثر.

"أكان ما حدث فخاً مدبّراً، أو أنك كنت في حالة سكر، أو جعلت من نفسك مجرد أحمق، يا جايلز، فقد تمكّنت من التكيّف مع الذي حدث، ومن الواضح أنك خطّطت للأمر... سأذهب مساء إلى ويلز، رجاءً لا تحاول الاتصال بي"، جلس جايلز بمفرده عندما استقرّ الغسق فوق سميث سكوير، وفكّر في عواقب إخبار غوينيث بالحقيقة، فلو كانت كارين واحدة من وضيعات وكالة الأمن، لأخبر غوينيث بأنها كانت مجرد نزوة عابرة لليلة واحدة، ولم يكن يعرف اسمها حتى. لماذا لم يفعل؟ لأن الحقيقة كانت أنه لم يقابل أي امرأة تشبهها من قبل، فقد كانت رقيقة ومرحة وعاطفية ولطيفة ومشرقة، لقد بدت مشرقة

مكتبة ياسمين

جداً، ولو لم تشعر بنفس الشعور تجاهه، لماذا عاشرته؟ ولماذا مارست الحب معه مرة أخرى عندما استيقظت في الصباح، على الرغم من أنه كان يمكنها أن تهرب في الليل بسهولة، بعد أن أنجزت عملها؟ وبدلاً من الهرب جازفت مجازفة كبيرة، وربما تعاني من العواقب بقدر ما يعاني منها".

***

في كل مرة كان يرن فيها الهاتف، افترض جايلز أنه سيكون صحفياً على الطرف الآخر من الخط، ليقول له: "في حوزتنا بعض الصور، سيد جايلز، ونتساءل حول ما إذا كنت تهتمّ بالتعليق...".

رنّ الهاتف، فالتقطه على مضض، فقال سكرتيره: "السيد بينغلي على الخط".

السيد بينغلي، لابد أنه والد كارين، هل شارك في الإعداد أيضاً؟ قال جايلز: "حوّل المكالمة إليّ".

قال الرجل بلهجة كارين الغربية اللطيفة: "مساء الخير سيد جايلز، اسمي جون بينغلي، وأنا أريد أن أشكرك على لطفك لمساعدة ابنتي التي التقيت بها في برلين الشرقية، وقد قرأت للتو الرسالة التي أرسلتها إليّ عبرك، فهي المرة الأولى منذ شهور التي أعرف فيها أخبارها، بعد أن كنت على وشك أن أفقد الأمل".

لم يرغب جايلز في إخباره بأن هذا الأمل قصير المدى على الأرجح.

"أكتب إلى كارين ووالدتها كل أسبوع، ولكنني لا أعرف أبداً عدد الرسائل التي تصلها، وبما أنك قابلتها الان، أنا أشعر بمزيد من الثقة بأننا سنجتمع يوماً، وسوف أعاود الاتصال بوزارة الداخلية لأجدّد طلبي مرة أخرى".

مكتبة ياسين

"لقد تحدثت بالفعل إلى وزارة الداخلية المسؤولة عن الهجرة، ومع ذلك...".

"هذا كرم بالغ منك يا سيد جايلز، أنا وعائلتي مدينون لك، على الرغم من أنك لست العضو الذي يمثل حزبنا في البرلمان".

"هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً شخصياً يا سيد بينغلي؟".

"نعم، بالطبع، سيد جايلز".

"هل تعتقد أنه من الممكن أن تعمل كارين لصالح المنظمة الأمنية؟".

"لا أبداً، إنها تكرههم أكثر مني، في الحقيقة أنا حذّرتها من أن رفضها التعاون مع السلطات قد يكون السبب في عدم منحها تأشيرة دخول".

"لكنهم أعطوها وظيفة مترجمة في مؤتمر دولي".

"فقط لأنهم كانوا يائسين، وقد كتبت كارين في رسالتها أنه كان هناك أكثر من سبعين مندوباً من أكثر من عشرين بلداً، وشعرت بأنها كانت محظوظة جداً لأنها غُينت مترجمة لك".

"ليست محظوظة كفاية، كما يجب أن أحذّرك من أن الصحفيين قد حصلوا على بعض الصور التي تظهرنا نحن الاثنين معاً، ويمكن وصف ذلك في أحسن الأحوال بأنه وضع محرج، وفي أسوأ الأحوال...".

"لا يسعني تصديق ذلك، كارين حذرة للغاية، وهي لا تخاطر أبداً، ولكن ماذا حلّ بها؟".

قال جايلز: "لا يمكن إلقاء اللوم عليها بأي حال من الأحوال، يا سيد بينغلي، فقد كان خطئي بالكامل، ويجب أن أعتذر إليك شخصياً، لأنه إذا اكتشفت الصحافة أنك والد كارين، فسوف يحوّلون حياتك

جحيماً".

قال بينغلي: "لقد فعلوا ذلك عندما تزوجت من والدتها، ولم أندم على فعل ذلك أبداً"، كان دور جايلز أن يظلَ صامتاً، وهو يفكّر في كيفية الرد: "الحقيقة بسيطة للغاية، ولكنني لم أتمكّن من مناقشتها ولا حتى مع زوجتي، فقد وقعت في حب ابنتك، ولو كان في إمكاني تجنّب ذلك لفعلت بالتأكيد. واسمح لي أن أؤكّد لك، أنني على استعداد تام لخوض الألم نفسه الذي تحمّلته أنت لتكون إلى جانب زوجتك، ولكن ما يزيد الأمر سوءاً، أنني لا أعرف شعورها تجاهي".

قال بينغلي: "أنا أعرف".

***

وصلته المكالمة بعد ظهر يوم السبت، بعد الساعة الرابعة بقليل، وسرعان ما أصبح واضحاً أن صحيفة الصنداي الشعبية كان لديها خبر حصري، فتقبّل جايلز حقيقة أنه بحلول منتصف الليل، سيضعه معظم المحررين على الصفحات الأولى من جرائدهم.

"أفترض أنك رأيت الصور التي في حوزتنا حضرة الوزير؟".

"نعم فعلت".

"هل ترغب في الإدلاء ببيان؟".

"كلا".

"هل ستستقيل من الحكومة؟".

"لا تعليق".

"كيف كان ردّ فعل زوجتك على الأخبار؟ نحن نتفهّم أنها ذهبت للبقاء مع والديها في ويلز".

"لا تعليق".

مكتبة ياسمين

"هل ستحصلان على الطلاق؟".

أغلق جايلز الهاتف بقوة، ولم يستطع التوقف عن الارتعاش، وهو يبحث عن رقم رئيس الشؤون، وقال له: "بوب، أنا جايلز، ستنشر القصة صحيفة الصنداي غداً".

"أنا آسف جداً، جايلز، كنت وزيراً جيداً وسأفتقدك بشدة"، وضع جايلز سماعة الهاتف، ورنّت كلمة واحدة في أذنيه: كنت وزيراً جيداً، فأخذ ورقة من رف الرسائل أمامه، وبدأ في الكتابة: "سيدي رئيس الوزراء، أكتب وبندم كبير..."

***

دخل جايلز إلى مكتب مجلس الملكة الخاص في وايتهول، كي يتجنّب الازدحام في شارع فليت والمصورين الذين كانوا في انتظاره في داوننغ ستريت، أو على الأقل أولئك الذين لم يعرفوا مدخل الباب الخلفي للرقم 10 داوننغ ستريت".

كانت إحدى الذكريات التي كان يريد أن يمتّع أحفاده بها أنه عندما دخل غرفة مجلس الوزراء، كان هارولد ويلسون يحاول من دون جدوى إعادة إشعال غليون برايز الخاص به.

"جايلز، جيد أنك أتيت، مع الأخذ بعين الاعتبار كل ما تمرّ به، لكن صدّقني، فأنا أتحدّث عن خبرة في هذه الأمور، سوف تنسى".

"ربما يا سيادة الرئيس، ولكنها نهاية مسيرتي المهنية بصفتي سياسياً جاداً، وهو العمل الذي رغبت في القيام به حقاً".

قال ويلسون: "لست متأكداً من أنني أتفّق معك، فكّر في الأمر للحظة، هل ستتمسك ببريستول دوكلاندز في الانتخابات القادمة، فأنا ما زلت مقتنعاً

بأنه يمكنك فعل ذلك، وفي إمكان الناخبين التعبير عن آرائهم في صندوق الاقتراع، فمن أكون حتى أخالف قرارهم إذا قرروا؟ وإذا عدت إلى داوننغ ستريت، فلن أتردد في الطلب منك الانضمام إلى المجلس".

"قلت كلمة إذا مرتين، سيّدي الرئيس".

"ساعدني في واحدة، جايلز، وسأرى ما يمكنني فعله حيال الأخرى".

"لكن يا سيادة الرئيس، بعد تلك العناوين...".

"أوافقك الرأي، فلم يكونوا لطيفين، وربما كان من المؤسف أنك وزير للشؤون الخارجية، لكن العديد من التعليقات، بالإضافة إلى واحد أو اثنين من القادة، أشارت إلى أنك كنت وزيراً متميزاً، وقد ذكّرت صحيفة التلغراف، قراءها بأنك فزت بوسام في طبرق، وأنك نجوت بطريقة ما من تلك المعركة المروعة، فما الذي يجعلك تظنّ أنك لن تنجو من تلك المعركة؟".

ابتسم جايلز للمرة الأولى منذ أيام، وقال: "لأنني أعتقد أن غوينيث ستطلّقني، وبصراحة لديها سبب وجيه للقيام بذلك".

قال ويلسون محاولاً إشعال غليونه مرة أخرى: "أنا آسف لسماع ذلك، لكنني ما زلت أعتقد أنه عليك الترشح في بريستول، وتأكّد من الاستماع إلى ما يقوله جريف هاسكينز، لأنه عندما اتصلت به هذا الصباح، تأكّدت من أنه لا يزال يريدك أن تترشّح".

***

قالت فيرجينيا: "تهانينا أيها الرائد لقد كنت مسؤولاً بشكل منفرد عن تنحية جايلز بارينغتون".

قال فيشر: "من سخرية الأقدار أنني لم أفعل ذلك،

مكتبة ياسين

فلم تكن فتاتنا هي التي أمضت الليلة معه".

"لا أفهم".

"لقد سافرت إلى برلين كما أوعزت، ولم يكن من الصعب تحديد موقع وكالة لها مكاتب على جانبي الجدار، وقد جاءت الفتاة التي اختارتها الوكالة وأوصت بها، بعد أن حصلت على أجر مرتفع، كما كنت قد وعدتها بمكافأة كبيرة إذا أمكنها توفير صور لهما في السرير.

قالت فرجينيا، مشيرة إلى مجموعة مختارة من صحف ذلك الصباح التي لم تكن لتجد في العادة طريقها إلى الشقة في حدائق كادوغان: "وهذه؟".

"إنها ليست هي، وقد اتصلت في صباح اليوم التالي لتخبرني بأن بارينغتون قد أخذ منها زجاجة الشمبانيا، ثم أغلق الباب في وجهها".

"من هذه إذن؟".

"ليس لديّ فكرة، وتقول الوكالة إنها لم تصادفها من قبل، وتفترض أنها من الوكالة الأمنية، فقد نشروا أجهزة التنصت ومعدات المراقبة في جميع أجنحة الوفود في أثناء انعقاد المؤتمر في الفندق".

"لكن لماذا رفض فتاتك، ثم سمح لنفسه بإقامة علاقة مع هذه الفتاة؟".

قال فيشر: "ليس لديّ أي تفسير، كل ما أنا متأكد منه هو أن زوجك السابق لم ينته أمره بالضرورة".

"لكنه استقال هذا الصباح، وكانت هذه القصة الرئيسية في أخبار الصباح".

"استقال من الوزارة وانتهى أمره، نعم، لكنه لم ينته من كونه عضواً في البرلمان، وربما يريد الترشح إلى الانتخابات القادمة...".

"علينا التأكد من أنه لن يفعل ذلك".

مكتبة ياسمين

"كيف يمكننا فعل ذلك؟".

"أنا سعيدة جداً لأنك طرحت هذا السؤال أيها الرائد".

***

قال جايلز: "أخشى أنه لم يعد لديّ خيار سوى الاستقالة من البرلمان".

أجاب جريف: "ألأنك أقمت علاقة مع فتاة ما تريد الاستقالة؟"

أجاب جايلز: "لم تكن فتاة سيئة".

"إن استقلت ستسلَم المقعد للمحافظين، ولن يشكرك رئيس الوزراء على ذلك".

"ولكن إذا صحّت استطلاعات الرأي، فسيفوز المحافظون بهذا المقعد مهما بلغت قوّة المنافسة".

قال جريف: "لقد سبق أن تحدّثنا حول استطلاعات الرأي، والمحافظون لم يختاروا مرشّحهم بعد".

أوضح جايلز: "لن أُغيّر رأيي".

قال جريف وهو يجيب عبر الهاتف في مكتبه: "لكنك الشخص الوحيد الذي يمكنه الفوز بالمقعد، أيّاً كان على الهاتف أخبره أن ينتظر".

قال سكرتيره: "إنه محرر صحيفة بريستول إيفنينغ نيوز".

"أخبره بأن ينتظر".

"لكنه يقول إن لديه خبراً ستودّ سماعه على الفور، إنها القصة الرئيسية في صحيفة الغد".

"حسنا حوّل المكالمة إليّ".

استمع جريف لبعض الوقت قبل أن يغلق الهاتف، ويقول: "هذا كل ما أحتاج إليه".

مكتبة ياسين

"ما الأخبار التي لا يمكن أن تنتظر؟".

"أعلن المحافظون عن مرشحهم".

"هل هو شخص نعرفه؟".

"الرائد ألكس فيشر".

انفجر جايلز ضاحكاً: "لا أستطيع أن أصدّق إلى أي مدى أنت مستعد للذهاب في المزاح، جريف، فقط للتأكد من أنني سأبقى مرشّحاً".

مكتبة ياسين

20

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح حزب العمال في بريستول دوكلاندز لمنصب عضو في البرلمان، والانتخابات يوم الخميس في الثامن عشر من حزيران، صوّتوا لحزب العمال، امنحوا صوتكم لبارينغتون في الثامن عشر من حزيران، صباح الخير اسمي هو...".

خاض جايلز سبع انتخابات في السنوات الخمس والعشرين الماضية، وفاز بها جميعاً، وقد وصل عدد ناخبيه إلى 2166، وقد نتج عن الانتخابات الأخيرة حكومات عمالية، ولم يكن من المتوقع أن يفوز المحافظون في بريستول دوكلاندز، والليبراليون يعرفون أنهم لا يستطيعون ذلك.

كانت آخر مرة طلب فيها جايلز إعادة فرز الأصوات عندما كان نائبه الرائد ألكس فيشر، وفي تلك المناسبة فاز غيلشاد بأربعة أصوات فقط، بعد ثلاث عمليات إعادة فرز الأصوات.

كانت حملة شخصية قذرة من البداية إلى النهاية، وقد اشترك في المؤامرة زوجة جايلز السابقة، الليدي فيرجينيا التي خاضت المعركة عندما نزلت إلى بريستول لدعم الرائد الذي وصفته بأنه "رجل أمين ومحترم".

الآن بعد خمسة عشر عاماً، كان جايلز يواجه في ترشيحه الخصم نفسه، إلى جانب مواجهة حالة طلاق أخرى، طلاق غوينيث، ولكن الشكر لله، لقد أوضحت أنها لن تبدأ بإجراءات الطلاق إلا بعد صدور نتائج الانتخابات، وعلى الرغم من عدم وجود النية لزيارة الدائرة الانتخابية، فإنها لن تقترح أن يصوّت أي شخص لصالح فيشر.

مكتبة ياسين

كل ما قاله جريف من دون أن يطرح الموضوع مرة أخرى: "أشكر الرب على رحمته الصغيرة".

عندما طلب رئيس الوزراء من الملكة حلّ البرلمان في 29 أيار عام 1970، عاد جايلز إلى بريستول

في اليوم التالي لبدء الحملة الانتخابية التي ستستمرّ ثلاثة أسابيع، وعندما نزل إلى الشوارع وبدأ بجمع الأصوات، كان سعيداً عندما تفاجأ بالترحيب الذي تلقّاه، وبأن عدداً قليلاً من الناس فقط أثاروا موضوع برلين، أو سألوا عن مكان وجود زوجته.

لاحظ جريف أن البريطانيين لم يحكموا عليه، على الرغم من أن جايلز لم يعلن أمام وكيله أن كارين نادراً ما كانت خارج نطاق أفكاره، فقد كتب لها كل ليلة، قبل الذهاب إلى الفراش مباشرة، ومثل أي طفل في المدرسة، كان يتفقّد البريد بشغف كل صباح، ولكنه لم يتسلّم أبداً أي مغلف عليه طابع ألمانيا الشرقية.

إيما وهاري وسيب، بالإضافة إلى السيدة باريش التي أخذت إجازة لمدة ثلاثة أسابيع من أجل دعمه في الحملة الانتخابية تعاونوا معاً لإنجاح حملته، فكانت باريش ترافق جايلز بانتظام ليتأكّد من عدد الأصوات، وقد تعاملت إيما مع النساء اللواتي أبدين شكوكهن بشأن جايلز بعد استقالته من مجلس الوزراء، بينما ركّز سيب على الذين يبلغون ثمانية عشر عاماً، والذين سيصوّتون للمرة الأولى.

لكن المفاجأة كانت أن هاري أثبت شعبيته على عدة مستويات، فأراد عدد من الناخبين التعرّف خلال الحملة الانتخابية إلى موعد إطلاق سراح أناتولي باباكوف، بينما تساءل آخرون عن قصص المحقق ورووبك، وكان كلما سُئل لمن سيصوّت،

مكتبة ياسين

أجاب دائماً: "مثل الجميع يا سكان بريستول العقلاء، سأقوم بالتصويت لصالح شقيق زوجتي".

قال له جريف بحزم: "لا، لا، قل جايلز بارينغتون، فلا وجود لكلمة شقيق زوجتي على ورقة الاقتراع".

كانت هناك مجموعة ثالثة اعتقدت أن هاري كان كاري غرانت في بريستول، وأخبروه بأنهم سيصوّتون بالتأكيد لصالحه إذا كان هو المرشح.

ردّ هاري رافعا يديه مرعوباً: "أفضّل أن أمشي حافي القدمين فوق الجمر على الترشح".

سألها سيب: "هل تغارين يا أمي؟".

قالت إيما: "بالتأكيد لا، فمعظمهن ربات بيوت في منتصف العمر، ويُردن ببساطة أن يكون ابنهن".

قال جريف: "طالما أنهن يصوّتن لحزب العمال، لا يهمني ما يردن فعله".

***

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح حزب العمال في بريستول دوكلاندز في الانتخابات التي ستجرى يوم الخميس في الثامن عشر من حزيران. صوّتوا لحزب العمال...".

يبدأ كل صباح "باجتماع أولي" في مكتب جريف، حتى يتمكّن المفتاح الانتخابي من شرح مهام المرشح وتطوّرات الحملة الأساسية لحزب العمال، قبل الاتفاق على المهمات اليومية للجميع.

في اليوم الأول كان يوم الاثنين، افتتح جريف الاجتماع بخرق إحدى قواعده الذهبية.

"أعتقد أنك يجب أن تتحدّى فيشر من خلال إجراء مناظرة".

"لكنك قلت في الماضي إن العضو الحالي يجب ألا يعترف أبداً بوجود خصومه، لأنه في هذه الحالة

مكتبة ياسمين

يمنحه منصة للتعبير عن ارائه وترسيخ نفسه على أنه موثوق".

قال جريف: "ولكن فيشر مرشح موثوق، وتعطيه استطلاعات الرأي تقدماً بنسبة 3 بالمئة، ونحن في أمس الحاجة إلى إيجاد طريقة للوصول إلى قيادته".

"لكنه سيستغلّ المناسبة لشنّ هجوم شخصي مستنداً إلى عناوين الصحف الرخيصة".

قال جريف: "دعنا نأمل ذلك، لأن استطلاعات الرأي الخاصة بنا تظهر أن ما حدث في برلين ليس أولوية قصوى بالنسبة إلى معظم الذين سيصوّتون، وتؤكّد ذلك حقيبة البريد اليومية لدينا، فالجمهور يهتمّ بالمزارعين، والخدمات الصحية والوطنية والبطالة والمعاشات التقاعدية والهجرة، وفي الواقع هناك عدد أكبر من الناخبين الذين يشتكون من حراس مواقف السيارات من الذين يشتكون مما تفعله في الليالي التي تغيب فيها عن المنزل".

قال وهو يخرج بعض الرسائل من بين كومة موضوعة على مكتبه: "إذا كنت تريد دليلاً، فقط اقرأ، عزيزي سيد جايلز، إذا صوّت لك كل من أقام علاقة مع بائعة هوى أو كان مغرماً بإحداهن، فستتضاعف أصواتك، حظاً سعيداً".

قال جايلز: "يمكنني رؤية الأمر الآن، صوّت لبارينغتون إذا كان لديك علاقة غرامية خارج نطاق الزواج".

عبست إيما في وجه شقيقها، فمن الواضح أنها لا توافق رأي جريف الفاضح في سلوك جايلز.

قال جريف متجاهلاً تعليق جايلز: "وها هو ناخب آخر".

مكتبة ياسين

"عزيزي السير جايلز، لم يسبق لي أن صوّتُ لصالح حزب العمال، ولكنني أجد نفسي مجبراً على التصويت لمرشح حزب العمال على أن أصوّت لألكس فيشر الذي يدّعي القداسة"، ثمّ تابع قائلاً: "ولكن إليك الرسالة المفضلة لديّ:

سيدي العزيز جايلز، يجب أن أقول إنني معجب بذوقك في النساء، وسأسافر إلى برلين الأسبوع المقبل، وأتساءل عما إذا كان في إمكانك إعطائي رقم هاتفها".

فكّر جايلز قليلاً، وقال: "كنت أتمنى فقط لو كنت أعرف رقم هاتفها".

***

فيشر يرفض المناظرة.

قال جريف وهو يدير الصحيفة ليرى الجميع العنوان الرئيسي: "ارتكب فيشر خطأه الأول".

قال جايلز: "لكن استطلاعات الرأي تعطيه تقدّماً بنسبة ثلاثة في المئة، إنه مجرد منطق".

قال جريف: "لا يمكن أن أنكر ذلك، ولكن سبب رفضه هو الخطأ، وأقتبس كلامه: *لا أريد التواجد في الغرفة نفسها مع ذلك الرجل*، وقد ارتكب خطأً أحمق، فلا يحبّ الناس الهجمات الشخصية، لذلك يجب علينا الاستفادة منها، فقط صرّح أنك ستحضر، وإذا لم يحضر، يمكن للناخبين أن يستخلصوا استنتاجاتهم الخاصة".

واصل جريف القراءة ولم يمض وقت طويل قبل أن يبتسم للمرة الثانية.

"ليس من المعتاد أن يُقدم الليبراليون على مساعدتنا، لكن سايمون فليتشر أعلن أنه سيكون سعيداً بالمشاركة في المناظرة، ولكنه في نهاية

المطاف ليس لديه ما يخسره، وسأصدر بياناً صحفياً على الفور، خلال ذلك عودوا جميعكم إلى العمل، فلن تفوزوا بأي أصوات من خلال الجلوس هكذا في مكتبي".

***

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح حزب العمال في بريستول دوكلاندز لمنصب عضو البرلمان، الانتخابات يوم الخميس في الثامن عشر من حزيران...".

بينما بدأ جايلز يشعر بمزيد من الثقة حول النتيجة، توقّع استطلاع غالوب في صحيفة ديلي ميل للمرة الأولى أن إدوارد هيث والمحافظين في طريقهم إلى الفوز في الانتخابات بأغلبية ثلاثين مقعداً.

قال جايلز: "إن مقعدنا يقع في المرتبة الخامسة والثلاثين في قائمة المقاعد التي سيحتاج المحافظون إلى الاستيلاء عليها إذا كانوا يأملون في الحصول على الأغلبية".

أجاب جريف: "اقرأ النص القصير، فالاستطلاع نفسه الذي صدر عن الشركة بخصوص بريستول دوكلاندز قريب جداً من حسم النتيجة وبالمناسبة، هل شاهدت الطبعة المسائية؟".

ومرّر الطبعة إلى المرشح وبدلاً من ذلك، أعجب جايلز بالموقف المحايد الذي تتّخذه الصحف دائماً في أثناء الحملة الانتخابية، فلم تكن تنحاز يوماً إلى مرشح معين إلا في اليوم الذي يسبق الانتخابات، بينما لم تكن الصحافة تدعمه في السابق أبداً، وهي اليوم كسرت القاعدة وقبل أسبوعين من الانتخابات، والدليل على ذلك أن الصحيفة أوضحت موقفها، أسفل العنوان الواضح: ما الذي يجري؟ ماذا

مكتبة ياسمين

يخيفه؟ وتابعت تقول: إذا فشل الرائد فيشر في حضور مناظرة يوم الخميس القادم، فنوصي بأن يصوّت القراء لصالح حزب العمال، ويعيدوا جايلز بارينغتون إلى وستمنستر.

قال جايلز: "دعونا نصلّ ألا يحضر".

قال جريف: "سيحضر، لأنه إذا لم يفعل ذلك، فسيخسر الانتخابات، ومشكلتنا التالية هي كيف نتعامل مع حضوره".

قالت إيما: "لكن فيشر من عليه أن يشعر بالقلق بالتأكيد، أما جايلز فمناظر بارع، وهو يتمتع بخبرة عشرين عاماً في البرلمان".

قالت الآنسة باريش: "لن يكون كل هذا مهماً، ما لم نجد طريقة للتعامل مع الفيل في الغرفة".

أومأ جريف إليها برأسه، وقال: "قد نضطرّ إلى استخدام سلاحنا السري".

سأله جايلز: "ما الذي يدور في بالك؟".

"هاري، سنضعه في الصف الأول، يواجه الجمهور، ونجعله يقرأ الفصل الأول من كتابه التالي، ثم لن يلاحظ أحد ما يحدث على المسرح".

ضحك الجميع باستثناء هاري الذي سأل: "ما الذي تلمّح إليه؟".

***

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح حزب العمال في بريستول دوكلاندز في الانتخابات العامة لمنصب عضو في البرلمان...".

"سأكون هناك"، وفي اليوم التالي تصدّر هذا العنوان الصفحة الأولى في صحف المساء في بريستول.

قرأ جايلز المقال الذي تبع العنوان، والذي يرى

مكتبة ياسمين

أن المناظرة ستقرّر من سيكون العضو التالي في البرلمان في بريستول دوكلاندز.

أيّد جريف ما ورد في المقال، واقترح أن يأخذ جايلز إجازة للتحضير، كما وقع الاختيار على روبين داي من محطة البث البريطانية ليمرّنه، فطلب من سيب أن يؤدّي دور ألكس فيشر.

"هل تشعر أن رجلاً يفتقر إلى الأخلاق يجب أن يترشّح لمنصب في البرلمان؟".

"إلى جانب من أنت، سيب؟".

قال جريف: "إنه إلى جانبك، ومن الأفضل أن تجيب عن هذا السؤال ليلة الخميس المقبل".

"هل لي أن أسأل لماذا لم نرَ زوجتك في الدائرة الانتخابية خلال حملتك الانتخابية؟".

"إنها تزور والديها في ويلز".

قال جريف: "هذا الجواب يجعلنا نخسر على الأقل ألف صوت".

"أخبرني، سيد جايلز، هل تخطّط للقيام برحلة أخرى إلى برلين في المستقبل القريب؟".

"هذا السؤال تحت الحزام، سيب".

قال جريف: "هذا هو بالضبط المكان الذي سيوجّه إليه فيشر معظم لكماته، لذا تأكّد من أن تظلّ حذراً".

"إنك على حق، سيب، استمرّ باللكم".

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح العمل في بريستول دوكلاندز...".

قال جريف في اجتماع الصباح: "لقد غيّروا المكان".

سأل جايلز: "لماذا؟".

"لأن هناك إقبالاً كبيراً على الحضور، وسشنقل

مكتبة ياسين

المناظرة من غيلد هول إلى مسرح هيبو دروم".

قال جايلز: "لكن هيبو دروم تستوعب ألفي شخص فقط".

قال جريف: "أتمنى أن يكون العدد عشرة آلاف، فلن تحصل أبداً على فرصة أفضل للتحدث إلى الناخبين مباشرة".

قال سيب: "وفي الوقت نفسه فضح احتيال فيشر".

"كم عدد المقاعد التي خصّصوها لنا؟".

"يحقّ لكل مرشح ثلاثمئة مقعد".

"هل من مشكلة في ملء مقاعدنا بمعارفنا؟".

"لا مشكلة على الإطلاق، فالهاتف لم يتوقّف طوال الأسبوع الماضي عن الرنين، كما يمكن أن يكون المكان خلال المناظرة مزدحماً أكثر من حفل فرقة رولينغ ستونز، وفي الواقع لم أتصل بخصومي المقابلين في حزب المحافظين، كنت أريد معرفة إن كان لديهم تذاكر احتياطية".

"لا يمكن أن يكونوا أغبياء بما يكفي ليعطوك إياها".

قالت الانسة باريش: "لا علاقة للأمر بالغباء، ولدي شعور بأن هناك شيئاً قريباً سنعرفه".

قال جريف "مثل ماذا؟".

"ليس لدي أي فكرة، لكنني سأتوصّل إليه قبل الخميس المقبل".

قال جريف: "وماذا عن البطاقات المتبقية؟ لمن هي؟".

قالت الانسة باريش: "من يأتي أولاً، يحصل عليها أولاً، وسينتظر المئات من موظفينا في قائمة الانتظار قبل ساعة من رفع الستارة".

مكتبة ياسمين

قال جريف: "وذلك حال المحافظين، ومن الأفضل أن نتوقّع حضور مئتين قبل ساعتين من المناظرة".

***

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح حزب العمال...".

طوال الأسبوع، لم يهدأ جايلز ولا دقيقة واحدة، وحتى خلال عطلة نهاية الأسبوع، فتجوّل في أماكن مختلفة، وزار الحانات، وعقد اجتماعات مسائية، وحضر أي تجمع يزيد عدد أعضائه عن ستة.

يوم السبت، ارتدى ربطة عنقه وذهب لمشاهدة مباراة غلوسيسترشاير وميدل سيكس في رود نيفيل، لكنه بقي قرابة ساعة فقط، فبعد أن دار ببطء حول المضمار، وتأكّد من أن جميع المتفرجين الخمسة آلاف لاحظوا وجوده، عاد إلى مقر الدائرة في شارع بارك.

يوم الأحد، كان يحضر الصلوات والمناولات في ثلاث كنائس مختلفة، ولكن خلال كل عظة كان يفكّر في المناظرة، وفي كل الحجج التي سيقدّمها وفي العبارات التي سيقولها وحتى في وقفاته.

"باسم الأب...".

يوم الأربعاء كانت استطلاعات الرأي التي أجراها جريف تظهر أن جايلز لا يزال متأخراً بنقطتين، لكن سيب ذكّره أن الأمر نفسه قد حصل مع كينيدي قبل مناظرته مع نيكسون.

حذدوا كل تفاصيل اللقاء، ما يجب أن يرتديه، وكيف ستكون قصة شعره، وضرورة ألا يحلق إلا قبل ساعة من توجّهه إلى المسرح، وإن كان لديه الخيار، عليه أن يختار التحدث أخيراً.

مكتبة ياسين

سأل سيب: "ومن الذي يرأس المناظرة؟".

قال جريف: "أندي ناش، محرر صحيفة إيفنينغ نيوز، فنحن نريد جمع الأصوات، بينما يريد بيع صحيفته، فكل واحد منا لديه مصلحته الخاصة".

قالت إيما: "تأكّد من أن تكون في الفراش قبل منتصف الليل، فستحتاج إلى ليلة نوم هادئة".

ذهب جايلز إلى الفراش قبل منتصف الليل، لكنه لم ينم تلك الليلة لأنه كان يراجع ما سيقوله مراراً وتكراراً، ويتدرّب على الإجابة عن مجموعة من أسئلة سيب، فلم يساعده تفكيره المتواصل بكارين على الانغماس في أفكاره بشكل منتظم، فاستيقظ في السادسة، وبعد نصف ساعة كان في محطة تيمبل ميدز، ومكبر الصوت في يده مرة أخرى، وجاهز لمواجهة الركاب في الصباح الباكر.

"صباح الخير، اسمي جايلز بارينغتون...".

"حظاً سعيداً، سيدي جايلز، وسأكون الليلة هناك لدعمك".

"آسف، أنا لا أعيش في دائرتك الانتخابية".

"ما موقفك من العنف؟".

"أعتقد أني سأصوّت للمحافظين هذه المرة".

ليس لديك سيجارة إضافية، أليس كذلك يا سيدي؟".

"صباح الخير...".

مكتبة ياسين

21

اصطحب جريف جايلز من بارينغتون هول قبل السادسة بقليل، فكان ذلك الاجتماع أحد الاجتماعات التي ليس في إمكانه أن يتأخر عنها.

ارتدى جايلز بذلة أحادية الصدر رمادية فحمية وقميصاً بلون الكريم وربطة عنق من مدرسة بريستول للقواعد، وقد خمّن أن فيشر يرتدي بذلة زرقاء مقلمة مزدوجة الصدر، وقميصاً أبيض بياقة مشدودة، وربطة عنقه المعتادة.

كان جايلز متوتراً لدرجة أنه لم يتحدّث وهو في طريقه إلى الهيبو دروم، كما ظلّ جريف هادئاً ليوفّر له الراحة، لأنه كان يعلم أن مرشحه يتدرّب على خطابه بصمت.

بعد ثلاثين دقيقة، كانا أمام باب المنصة حيث كان جايلز يتسكّع ذات مرة بعد حضوره حفلة للحصول على توقيع سيليا جونسون، ثم رافق جريف مرشّحه وراء الكواليس، حيث لاقاهما أندي ناش، الذي سيرأس المناقشة، وقد بدا مرتاحاً لمقابلتهما.

سار جايلز صعوداً وهبوطاً بين الأجنحة، بينما كان ينتظر بفارغ الصبر ارتفاع الستارة، رغم أنه لا يزال لديه

ثلاثين دقيقة قبل أن يقرع الرئيس المطرقة ويدعوهم جميعاً إلى المنصة، وقد استطاع جايلز سماع ضجيج جمهور مترقّب، ما جعله يشعر وكأنه رياضي مضبوط بدقة في انتظار استدعائه إلى خط البداية.

بعد بضع دقائق، انطلق ألكس فيشر، محاطاً بأفراد حاشيته، وهم يتحدثون بأعلى أصواتهم، ففكّر جايلز في أن التوتر قد يظهر بعدة مظاهر مختلفة.

مكتبة ياسين

سار فيشر أمامه مباشرة، ولم يحاول محادثته، كما تجاهل يده الممدودة لمصافحته.

بعد لحظة، دخل المرشح الليبرالي سيمون فليتشر، فما أسهل الاسترخاء عندما لا يكون لديك أي شيء لتخسره!

صافح جايلز على الفور وقال له: "أردت أن أشكرك".

سأله جايلز وقد بدا محتاراً: "لماذا؟".

"لعدم تذكير الجميع باستمرار بأنني لست متزوجاً، على عكس فيشر، الذي يذكّر الناخبين بتلك الحقيقة في كل فرصة تسنح له".

قال ناش: "أيها السادة، من فضلكم تجمّعوا، لأن الوقت قد حان لتحديد الترتيب الذي ستتحدّثون وفقه.

"أمسك بقبضة يده ثلاث قشات، فسحب فيشر القشة القصيرة، بينما سحب فليتشر القشة الأطول.

قال ناش: "لديك الخيار الأول يا سيد فليتشر".

مال المرشح الليبرالي باتجاه جايلز وهمس إليه: "ماذا تريدني أن أختار؟".

أجاب جايلز: "ثانياً".

قال فليتشر: "سأختار أن أتحدّث ثانياً".

بدا فيشر مندهشاً.

"وأنت يا سيد جايلز؟ الأول أم الأخير؟".

"سأكون الأخير، شكراً لك سيدي الرئيس".

"حسناً، لقد سوّينا الأمر، سوف تتحدّث أولاً، أيها الرائد فيشر".

دعونا نخرج إلى المسرح.

قاد المرشحين الثلاثة إلى المسرح، وفي ذلك

مكتبة ياسين

الوقت صفّق كل الحاضرين لمرة واحدة في ذلك المساء.

فنظر جايلز إلى القاعة، وعلى عكس الإنتاج المسرحي، لم تُخفت الأنوار، وبدا وكأن ألفي أسد كانوا ينتظرون بصبر ظهور المسيحيين.

فتمنّى لو كان في المنزل، ويتناول العشاء أمام التلفاز، أو أن يكون في أي مكان عدا هذا المكان المرعب، ولكنه لطالما فكّر في هذه الطريقة، وحتى عندما يخاطب أقل تجمع. نظر إلى فيشر ورأى العرق يتصبّب من جبهته، وسرعان ما مسحه بمنديل أخرجه من جيبه العلوي، ثم نظر إلى الجمهور، فرأى إيما تجلس مع هاري في الصف الثاني، فابتسمت له.

"مساء الخير، سيداتي وسادتي، اسمي أندي ناش، وأنا محرر في صحيفة بريستول ايفنينغ نيوز، وسيكون لي الشرف أن أدير المناظرة هذا المساء، وهي المناسبة الوحيدة التي سيظهر فيها جميع المرشحين الثلاثة على المنصة نفسها، الآن اسمحوا لي أن أوضح الخطوات التي ستجري وفقها المناظرة.

أولاً سيلقي كل مرشح خطاباً افتتاحياً مدته ست دقائق، ثم سيلي ذلك طرح الجمهور الأسئلة على المرشحين لمدة ثلاثين دقيقة، وستنتهي الأمسية بدقيقتين لكل مرشح على حدة، وسوف يتقدّم الآن مرشح المحافظين، الرائد ألكس فيشر، لإلقاء خطابه.

شقّ فيشر طريقه بثقة إلى وسط المسرح، وقد استقبله قسم من الجمهور بتصفيق حار، فوضع خطابه على المنصة، وبدأ فوراً بقراءته حرفياً كلمة كلمة، بينما كان يرفع رأسه بين الحين والاخر.

مكتبة ياسمين

جلس جايلز متوتراً في مقعده يستمع إلى خطابه باهتمام، وهو ينتظر تعليقه الساخر وتلميحاته الهازئة، لكن فيشر لم يقل شيئاً عنه، وبدلاً من ذلك، ركّز على التشريع الذي سيكون أولوية إذا تمكّن المحافظون من تشكيل الحكومة التالية.

كان أشبه بمن يقرأ قائمة تسوّق يتخلّلها بشكل متكرّر العبارة: "حان وقت التغيير".

ولم يذكر في خطابه أياً من خصميه، ثم توصّل جايلز إلى ما كان فيشر ينوي القيام به، فهو لم يكن ينوي الانغماس في هجمات شخصية، بل كان ينوي تركها لمساعديه، الذين توزّعوا بتوازن بين الجمهور.

عندما عاد فيشر إلى مقعده، لم يكن من الصعب تحديد مكان جلوس أنصاره من خلال تصفيقهم الحماسي.

افتتح المرشح الليبرالي خطابه بتوجيه الشكر إلى الجمهور لتخلّيهم عن مراسم التتويج، من أجل أن يأتوا ويسمعوه، فاستقبلوه بالضحك والتصفيق الحار.

ثم أمضى الدقائق الست التالية في مناقشة الأوضاع السياسة المحلية، وتناول موضوع الحفر في الطرقات إلى تسعيرة ركوب الحافلات الريفية.. وعندما عاد إلى مقعده دعمه القسم الآخر من الجمهور على حد سواء.

وبمجرد أن جلس فليتشر، سار جايلز إلى وسط المسرح، على الرغم من أنه لم يكن مرتاحاً كما كان يأمل في أن يكون لحظة مواجهة الجمهور.

وضع بطاقة بريدية على المنبر كتب عليها سبعة عناوين: "التعليم، البطالة، النقابات، برنامج الرعاية الصحية، أوروبا، الدفاع وبريستول".

ولكنه بالكاد نظر إلى البطاقة وهو يتحدّث عن كل موضوع بثقة وثبات، بينما كان ينظر مباشرة إلى جمهوره.

وعندما عاد إلى مقعده، نهض أنصاره، وقد انضمّ إليهم عدد كبير من الأعضاء الذين حافظوا على موقف حيادي خلال الخطابين السابقين، ولو انتهى النقاش في ذلك الوقت، لكان هناك فائز واحد فقط، ولكن سرعان ما جلس جايلز، ودعا مدير المناظرة إلى طرح الأسئلة، مضيفاً: "أتمنى أن تكون الأسئلة جديرة بمناقشة بهذا المستوى من الرقي، وألا يلجأ أحد إلى التعليقات الشخصية أملاً الحصول على عنوان رخيص في جريدة الغد، لأنني أؤكّد لكم بصفتي محرّرها، لن يحصل على ذلك".

أثار هذا البيان استحسان الجمهور تماماً مثل الجولة العفوية السابقة، لدرجة أن جايلز بدأ بالاسترخاء لأول مرة في ذلك المساء.

"نعم سيدتي، السيدة في الصف الرابع".

"مع تزايد أعداد المعمرين، هل يمكن أن يخبرنا المرشحون بخططهم الطويلة الأمد بشأن معاشات التقاعد؟".

نهض جايلز من مكانه مرة أخرى قبل أن يتاح للرئيس الفرصة ليحدّد المرشح الذي يجب أن يجيب عن السؤال أولاً،

وأعلن قائلاً: "إن معاشات التقاعد ترتفع عاماً بعد عام طوال فترة تولّي حزب العمال للسلطة، لأن هذه الحكومة تعتبر أن المجتمع المتحضر هو الذي يرعى الصغار والكبار على حدّ سواء".

سلّم فيشر خطّ الحزب، كما هو موضح في موجز المكتب المركزي، وبعد ذلك تحدّث المرشح الليبرالي عن والدته التي تعيش في دار المسنين.

مكتبة ياسمين

قال ناش: "سيحين دورك بعد ذلك يا سيدي"، مشيراً إلى رجل يجلس في المقاعد الخلفية، وكان عليه الانتظار لبعض الوقت قبل أن يصله الميكروفون.

"هل يرى جميع المرشحين أنه على المملكة المتحدة الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة؟".

كان فيشر مستعداً جيداً للإجابة عن هذا السؤال، فذكّر الجمهور بالتزام تيد هيث الطويل الأمد تجاه أوروبا،

مضيفاً أنه إذا انتخب المحافظون، فإنهم سيفعلون كل ما في وسعهم لضمان أن تصبح بريطانيا عضواً في السوق الأوروبية المشتركة.

بينما ذكّر سيمون فليتشر الجمهور بأن حزبه كان رائد فكرة الدخول إلى السوق الأوروبية المشتركة، كما عبّر عن مدى سعادته لأن الحزبين الآخرين يقفزان الآن خلف عربة الليبراليين.

نهض جايلز لمواجهة الجمهور، وكم كان يودّ أن يقول لهم إنه عندما كان في برلين حصل على تأكيد من وزير الخارجية الفرنسي يبيّن أن فرنسا سترحّب بفتح حوار بين البلدين.

لكن أي إشارة إلى برلين ستكون الشرارة التي ستشعل الجمهور، فقال ببساطة: "عندما يتعلّق الأمر بالانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة، أعتقد أنني أستطيع أن أقول بأمان أن الأطراف الثلاثة متفقون على نطاق واسع حول تلك المسألة، لذا من الأصح القول من هو رئيس الحكومة الذي سيوقّع معاهدة روما".

استمرّ الجمهور بطرح عدة أسئلة أخرى حول

مكتبة ياسين

القضايا المحلية والوطنية والأجنبية من دون أي ضربات تحت الحزام، وبدأ جايلز يشعر بأنه في وضع أمن.

قال ناش وهو يلقي نظرة سريعة على ساعته: "سأسمح بسؤالين آخرين، نعم سيدتي، السيدة في الخلف".

فتعرّف جايلز إليها على الفور.

"هل يمكن للمرشحين الثلاثة أن يخبرونا عن أوضاعهم الاجتماعية، وما إذا كانت زوجاتهم برفقتهم الليلة؟".

طرحت السؤال سيدة عجوز تبدو بريئة، وقد تذكّرها جايلز جيداً منذ أيام كانت تعمل بصفتها مستشارة في حزب المحافظين.

هذه المرة كان فيشر أول من وقف على قدميه، وقدّم إجابة جيدة الإعداد: "للأسف كلا، لأني مطلق منذ عدة سنوات، لكن هذا لم يسلبني الأمل في إيجاد الشريكة المناسبة في يوم من الأيام، ولكن مهما كانت حالتي الاجتماعية، دعيني أؤكّد لك أنني لن أفكّر أبداً في التورط في علاقة جنسية عرضية".

انطلقت شهقات في القاعة، وهتف قسم من الجمهور بحماسة.

قال المرشح الليبرالي: "لدي صعوبة في العثور على حبيبة بقدر صعوبة العثور على الأشخاص الذين سيصوّتون لي، ولكنني مثل الرائد، لم أستسلم بعد".

ردّ الجمهور بالضحك والتصفيق.

شعر جايلز بالأسف لأن فليتشر لم يكن قادراً على إعلان ميوله الجنسي، وكان يتطلّع إلى اليوم الذي يستطيع أن يعترف فيه بأن شريكه كان جالساً في

مكتبة ياسين

الصف الأمامي، وأنهما يعيشان معاً بسعادة منذ سنوات.

عندما حلّ جايلز مكانه، وقف إلى جانب المنصة، ونظر مباشرة إلى الجمهور وابتسم قائلا: "أنا لست قديساً".

صرخ أحد مؤيدي المحافظين: "صحيح!"، لكن الجمهور لم يستقبله إلا بصمت محرج.

"أعترف بأنني ضللت الطريق، كما تعلمون جميعاً، ولهذا السبب غوينيث ليست هنا الليلة، وهذا يؤسفني بشدة، فلطالما كانت زوجة مخلصة، وقد أدّت سابقاً دوراً كبيراً في الدائرة الانتخابية".

توقّف للحظة ونظر إلى الجمهور مباشرة ثم أضاف:

"ولكن عندما يحين وقت الإدلاء بصوتك، آمل ألا تضع في الحسبان حالة الضعف البشري وارتكاب تلك الزلّة بعد خمسة وعشرين عاماً من خدمة أهل هذه المدينة العظيمة، لأنني أودّ أن أحافظ على امتياز الاستمرار بخدمتكم جميعاً لسنوات عديدة قادمة".

كبت جايلز ابتسامته، عندما بدأ الجمهور بالتصفيق، وكان على وشك العودة إلى مقعده عندما قال أحدهم: "ألا تعتقد أن الوقت قد حان لإخبارنا بالمزيد عن برلين؟".

انجرف تيار قوي من الأحاديث الصاخبة في القاعة، فقفز الرئيس على الفور، لكن جايلز عاد بالفعل إلى المنصة، وهو يمسك بجانبي سترته حتى لا يرى الجمهور مدى توتره.

كان الحاضرون ينتظرون رده، وهو يواجه الشخص الذي لا يزال واقفاً.

مكتبة ياسين

انتظر جايلز إلى أن ساد الصمت التام، وقال:

"يسعدني ذلك سيدي، لقد وجدت برلين مدينة هشة مقسّمة إلى قسمين يفصلهما جدار خرساني طوله اثنتا عشرة قدماً متوجاً بالأسلاك الشائكة، فلم يُبنَ الجدار لإبعاد الألمان الغربيين، بل لإبقاء الألمان الشرقيين مسجونين في الداخل، فكان هدف الجدار بناء أكبر سجن على الأرض، وكانت الحجة بالكاد مقنعة وذلك لإخفاء الممارسات الشيوعية، لكنني أثق بأنني سأعيش لأراه محطماً، وآمل أن نتمكّن من الاتفاق على ذلك يا سيدي".

غرق الرجل مرة أخرى في مكانه عندما عاد جايلز إلى مقعده بالتزامن مع تصفيق مدوٍّ يصمّ الآذان.

كان السؤال الأخير حول قوة النقابات، وكان رد كل من جايلز وفيشر غير مقنع.

كان جايلز قد فقد تركيزه، أما فيشر فلم يكن قد تعافى من تعرّضه للهزيمة.

تعافى جايلز بحلول الوقت الذي قدّم فيه ملخصه، واستغرق الأمر بعض الوقت لمغادرة القاعة، كما كان عليه مصافحة الكثير من الأيدي الممدودة.

كان جريف أكثر من استمتع الليلة، فقال: "لقد عدنا إلى السباق".

مكتبة ياسين

22

حاولت صحيفة بريستول إيفنينغ أن تُقدّم بياناً منصفاً حول المناظرة التي حصلت في الليلة السابقة، لكنك لن تضطرّ إلى القراءة ما بين السطور لتعلم من كان الفائز.

على الرغم من بعض التحفظات، أوصت الصحيفة القراء بأن يصوّتوا إلى عودة سير جايلز بارينغتون إلى مجلس العموم مجدداً.

قال جريف وهو يرمي الصحيفة في سلة المهملات: "لم نفز بعد، لنعد إلى العمل، فلا يزال لدينا ستة أيام وتسع ساعات وأربع عشرة دقيقة قبل أن تغلق الصناديق يوم الخميس المقبل".

شرع الجميع يؤدّون المهام المخصصة لهم، سواء أكانت التدقيق في احتمالات العودة إلى المجلس، أو إعداد أوراق التصويت ليوم الاقتراع، أو التحقق ممن سيحتاج إلى إيصاله إلى مركز الاقتراع، أو الرد على استفسارات الجمهور، أو توزيع المنشورات في اللحظة الأخيرة، والتأكد من حصول المرشح على الطعام والشراب.

قال جريف، الذي عاد إلى مكتبه وواصل العمل على رسالة عشية الاقتراع: "يفضّل أن يُنجز الأمر وهو في الطريق".

ستصل هذه الرسالة عبر صندوق البريد لكل مؤيّد لحزب العمال في الليلة التي ستسبق الانتخابات.

***

في تمام الساعة 5.45 صباح يوم الاقتراع، وقف جايلز في الخارج لتذكير الجميع بأنه صافحهم، وهو يوزّع أوراقاً كتب عليها: "التصويت لصالح بارينغتون - اليوم!".

مكتبة ياسين

صَمم جريف جدولاً زمنياً يظهر تفاصيل كل دقيقة منذ بدء الاقتراع حتى إغلاق صناديق الاقتراع عند الساعة 10.00 مساءً، وقد خصّص لجايلز عشر دقائق للحصول على فطيرة لحم الخنزير وقطعة جبنة ونصف لتر من عصير التفاح في الحانة الأكثر شعبية في الدائرة.

عند السادسة والنصف مساءً، نظر إلى السماء وشتم حظّه عندما بدأ المطر ينهمر، وتساءل، ألم تعلم الآلهة أثر ذلك عند الساعة الثامنة والأربعين صباحاً، وبين الخامسة والسابعة مساءً؟ وهل كانت أوقات الاقتراع هي الذروة خلال أوقات العمل؟ والأكيد أن المحافظين على أصواتهم بين العاشرة صباحاً وحتى الخامسة، وبين الساعة السابعة مساء حتى العاشرة أي قبل موعد أغلاق صناديق الاقتراع، وكان كل شخص يعرف ذلك، لأن هطول المطر استمرّ مدة عشرين دقيقة فقط.

أنهى جايلز يومه الطويل الذي امتدّ ست عشرة ساعة وهو يقف خارج بوابات حوض بناء السفن، وقد تأكّد من أن أولئك الذين يعملون في ذلك الوقت، صوّتوا بالفعل، وإذا لم يفعلوا ذلك، فسيُرسلون على الفور إلى مركز الاقتراع في الجانب الآخر من الطريق.

قال أحدهم: "لكنني سأتأخّر في التسجيل".

بينما كان جايلز يردّد للذين أنهوا عملهم واتجهوا إلى الحانة:

"تأكّدوا من التصويت قبل أن تطلبوا أول كأس جعة".

استمرّ جريف وفريقه يفحصون لوائحهم، ويمسكون بمن لم يصوّت من الموظفين، وهم يذكّرونهم بأن مراكز الاقتراع لا تغلق قبل العاشرة.

مكتبة ياسمين

عند الساعة العاشرة ودقيقة واحدة، صافح جايلز اليد الأخيرة، وكان يتوق إلى تناول مشروب، فسار في الطريق للانضمام إلى عمال المرفأ في حانة اللورد نيلسون.

قال، متكئاً على المشرب: "أحضر لي نصف لتر".

"آسف يا سيدي جايلز، الساعة تجاوزت العاشرة، وأنا أعلم أنك لا تريدني أن أفقد رخصتي".

أمسك رجلان جالسان في الحانة بكوب فارغ وملآه من كأسيهما.

قال جايلز وهو يرفع كأسه: "شكراً لكما".

اعترف أحدهما قائلاً: "نشعر بالذنب قليلاً، فقد علقنا هنا خلال هطول المطر، لذلك لم نصوّت".

كان من دواعي سرور جايلز أن يسكب الجعة فوق رأسيهما.

جال بعينيه في أرجاء الحانة، وتساءل عن عدد الأصوات التي فقدها عندما كانت السماء تمطر.

بعد عدة دقائق، دخل هاري إلى حانة اللورد نيلسون.

"آسف لسحبك بعيداً، لكن جريف أمرني بإعادتك إلى المنزل".

قال جايلز، وهو يتجرّع كأسه دفعة واحدة: "ليس برجل يُعصى أمره".

سأل هاري وهما ينطلقان إلى بارينغتون هول في سيارته: "ماذا سيحدث بعد ذلك".

لا شيء جديد، ستجمع الشرطة المحلية صناديق الاقتراع من أنحاء الدائرة الانتخابية كلها، وتسلّمها إلى غيلد هول، وسيتم فتح الصناديق في حضور السيد هاردي كاتب المدينة، وبمجرد الانتهاء من التحقق من أوراق الاقتراع، يبدأ العد، لذلك لا

مكتبة ياسمين

جدوى من الذهاب إلى مجلس المدينة بعد، حيث لا يمكننا توقّع النتيجة قبل الثالثة صباحاً، وجريف سيصطحبني عند منتصف الليل".

***

كان جايلز قد غفا في حوض الاستحمام عندما رنَّ جرس الباب الأمامي، فنهض ببطء من الحوض، ولبس رداءه، ثم أطل من باب الحمام ليرى جريف واقفاً أمام عتبة الباب في الأسفل.

قال له: "آسف، جريف، لا بد أنني غفوت في الحمام، ادخل واصنع مشروباً لنفسك، وسأنزل بأسرع ما يمكنني".

ارتدى جايلز البذلة نفسها التي كان يرتديها في كل مرة، على الرغم من أن عليه أن يعترف بأنه لم يعد قادراً على إغلاق الزر الأوسط للسترة.

بعد خمس عشرة دقيقة، كان في طريقه إلى الطابق السفلي.

قال جريف، وهو يقود سيارته خارج البوابات الأمامية: "لا تسألني لأنني لا أعلم شيئاً، وكل ما يمكنني قوله هو أنه إذا كانت استطلاعات الرأي التي أجريت صحيحة، فقد فاز حزب المحافظين وسيحصل على نحو أربعين مقعداً".

قال جايلز: "عدنا إلى المعارضة إذن".

قال جريف: "هذا إن افترضنا أنك فزت، علماً أن استطلاعات الرأي تقول إن النتيجة ستكون متقاربة، إن أحداث عام 1951 تتكرّر مرة أخرى".

لم يقل جريف كلمة أخرى إلى أن وصلا إلى موقف السيارات خارج سيتي هول، وقد أوشكت ثلاثة أسابيع من الإحباط المكبوت وعدم القدرة على النوم أن تنتهي.

قال جريف: "ليست فكرة الخسارة التي لا أستطيع تحملها، بل فكرة فوز الرائد فيشر اللعين".

كاد ينسي جايلز شغف جريف تجاه هذه القضية، وكم كان محظوظاً لكونه مفتاحه الانتخابي.

قال جريف: "حسناً، أفصحت عما في صدري، فلنعد إلى الالتزام بالواجب".

ترجّل من السيارة، وسوّى ربطة عنقه واتجه نحو سيتي هول، وفي أثناء صعودهما الدرج معاً، التفت جريف إلى جايلز، وقال له: "جرّب أن تنظر إلى الأمور كما لو أنك الفائز".

"وإذا لم أفز؟".

"عليك حينها أن تلقي خطاباً لم يسبق أن توقّعت إلقاءه من قبل، وستكون تجربة جديدة بالنسبة إليك".

ضحك جايلز.

دخلا إلى القاعة المزدحمة حيث يجري عدّ الأصوات.

وقد بدت صاخبة وتغصّ بعشرات الطاولات الطويلة ذات الركائز، وكان يجلس إليها مسؤولو المجلس وممثلو الحزب المختارين، للعد والمراقبة بدقة في كل مرة يتمّ فيها إفراغ صندوق اقتراع أسود جديد على الطاولات، وكانت غابة من الأيادي الممدودة تفرز أسماء المرشحين عن بعضها بسرعة، وتقسّمها إلى ثلاث أكوام منفصلة، قبل أن يبدأ العد.

بدأت الأكوام القليلة تتحوّل إلى تلال من أوراق الاقتراع التي تتجاوز المئة ورقة، وعند هذه اللحظة يوضع شريط أحمر أو أزرق أو أصفر حولها، فبدت مصطفة مثل الجنود المشاة في نهاية الطاولة.

راقب جريف العملية بحذر، لأن خطأ بسيطاً يمكن

مكتبة ياسين

أن يجعل مئات الأصوات في الكومة الخطأ.

سأل سيب ما إن وصل والأنسة باريش بعد أن انضمّا إليهما: "ماذا تريد منا أن نفعل؟".

"اجلس إلى إحدى الطاولات وأبلغني إذا وجدت أي شيء ترتاب به".

سأل جايلز: "وماذا عنك؟".

قال جريف: "سأفعل ما أفعله دائماً، سأتأكّد من مجموع الأصوات ما بين وود بين وجادة أركاديا، وحالما أتحقّق من العدد أستطيع أن أتوقّع من سيربح.

جلس فريق جريف إلى طاولة، وعلى الرغم من أن العملية كانت بطيئة، إلا أنها كانت تسير بسلاسة، وقد قام جايلز بجولة كاملة في القاعة، وتجنّب فيشر ببراعة، ثم انضمّ مرة أخرى إلى جريف.

"لقد حصلت على مئتي صوت في شارع أركاديا، وحوالى مئتي صوت في وود بين، لذا لا يمكننا التخمين".

بعد أن قام جايلز بجولة أخرى في أرجاء القاعة، كان هناك شيء واحد مؤكّد وهو أن سيمون فليتشر سيأتي في المركز الثالث.

بعد بضع دقائق، نقر السيد هاردي على الميكروفون في وسط المسرح، فعمّ الصمت في القاعة، والتفت الجميع لمواجهة كاتب المدينة.

"أرجو أن ينضمّ إليّ المرشحون للتحقق من أوراق الاقتراع المستبعدة".

كان ذلك بمثابة حفل صغير وكان جريف يستمتع به دائماً.

بعد أن درس المرشحون الثلاثة ومفاتيحهم الأوراق الملغاة، اتفقوا جميعاً على أن اثنتين

مكتبة ياسمين

وعشرين منها غير صالحة، ومنها عشرة أصوات لصالح جايلز وتسعة لصالح فيشر وثلاثة لصالح فليتشر.

قال جريف: "دعونا نأمل أن يكون هذا فألاً يبشّرنا بالنتيجة، لأنه كما قال تشرشل يكفي أن يكون المرء مشهوراً".

سأل سيب عندما عاد إليهما: "هل هناك مفاجآت؟".

قال جريف: "لا، لكنني استمتعت بورقة رفضها كاتب المدينة، ومضمونها: هل سترسل صديقتك في برلين الشرقية ورقة تصويت عبر البريد؟".

ما جعل جايلز يبتسم ابتسامة خفيفة.

"لنعد إلى العمل، لا يمكننا تحمّل خطأ واحد، ويجب أن لا يغيب عن بالنا كيف أنقذ سيب الوضع عام 1951".

كلما ارتفعت الأيدي على طاولة، أشارت إلى أنه انتهى عدّ مجموعة الأوراق، ثم راجع مسؤول الأرقام مرة أخرى قبل نقلها إلى كاتب المدينة، الذي أدخلها بدوره عبر آلة العد.

لا يزال جايلز يتذكّر الأيام التي أدخل فيها الراحل وينرايت كل رقم في دفتره، ثم جعل ثلاثة من نوابه يفحصون الأرقام التي تمّ إدخالها ومراجعتها مرة أخرى، قبل أن يكون مستعداً لإعلان النتيجة.

عند الساعة 2.49 بعد منتصف الليل، عاد كاتب المدينة إلى الميكروفون وأنصت الجميع إليه مرة أخرى.

كسر الصمت سقوط قلم رصاص عن سطح الطاولة وتدحرج على الأرض.

انتظر السيد هاردي ليلتقط أحدهم القلم قبل أن يبدأ بإعلان النتائج: "أنا ليونارد ديريك هاردي،

مكتبة ياسين

بصفتي المسؤول عن إعلان نتائج دائرة بريستول دوكلاندز، أعلن الرقم الذي حصل عليه كل مرشح: السير جايلز بارينغتون 18971 والسيد سايمون فليتشر 3586 والرائد ألكسندر فيشر 18... "وبمجرد أن سمع جايلز كلمة ثمانية عشر وليس تسعة عشر، شعر بالثقة في أنه سيفوز".

"...994."

اندلع التصفيق في معسكر حزب المحافظين على الفور، فطلب جريف، وهو يحاول رفع صوته ليكون مسموعاً في ظلّ الضوضاء، ويطلب من السيد هاردي إعادة فرز الأصوات، فبدأت العملية برمتها مرة أخرى، مع فحص كل جدول وإعادة فحص ملف العشرات، ثم المئات، وأخيرا الآلاف، قبل أن يعود من جديد إلى كاتب المدينة".

في الساعة 3.27 بعد منتصف الليل دعا كاتب المدينة إلى الصمت مرة أخرى: "أنا ليونارد ديريك هاردي، المسؤول عن إعلان النتائج... كانت الرؤوس منحنية، والعيون مغمضة، بينما ابتعد بعض الحاضرين، غير القادرين على مواجهة المرحلة وهم يترقّبون بلهفة قراءة الأرقام من جديد.

"... حصل المرشحون على الأصوات التالية: السير جايلز بارينغتون 18972 السيد سايمون

فليتشر 3586 الرائد ألكسندر فيشر 18993".

عرف جايلز أن تقارب النتيجتين يسمح له بالإصرار على إعادة الفرز للمرة الثانية، لكنه لم يفعل، وبدلاً من ذلك، أومأ على مضض إلى كاتب المدينة بقبوله النتيجة.

تحدّث رئيس الدائرة مجدداً: "لذلك أعلن أن الرائد ألكسندر فيشر هو العضو المنتخب حسب الأصول في البرلمان عن دائرة بريستول دوكلاندز".

مكتبة ياسين

ارتفع الصراخ والهتاف في وسط القاعة، وتمّ رفع العضو الجديد على أكتاف أعضاء حزبه وطافوا به في أرجاء القاعة، بينما توجّه جايلز إليه وصافحه للمرة الأولى خلال الحملة.

بعد انتهاء الخطب كان فيشر المنتصر، وجايلز يحاول تقبّل الهزيمة بروح رياضية، أما سايمون فليتشر فكان يذكّر الجميع بأنه قد سجّل أعلى نسبة أرقام تصويت في تاريخه، بينما استمرّ العضو المنتخب حديثاً وأنصاره بالاحتفال طوال الليل، في حين غادر الطرف المهزوم ضمن مجموعات ثنائية أو ثلاثية، وكان جريف وجايلز آخر من غادرا.

قال جريف بينما كان العضو السابق يقود السيارة: "كنا سننجح لولا أن الأرجوحة الوطنية كانت ضدنا".

قال جايلز "كان الفارق واحداً وعشرين صوتاً فقط".

قال جريف: "أحد عشر".

كرّر جايلز: "أحد عشر؟".

"لو غيّر أحد عشر ناخباً رأيهم".

"ولو لم تمطر لمدة عشرين دقيقة عند الساعة السادسة والنصف".

"يا له من عام مليء بكلمة لو!".

مكتبة ياسين

23

وأخيراً خلد جايلز إلى النوم قبل الساعة الخامسة صباحاً بقليل، فأطفأ ضوء مصباح السرير، ووضع رأسه على الوسادة وأغمض عينيه، وفي اللحظة التي رنَّ فيها المنبه، تثاءب وأعاد تشغيل المصباح، ولكنه لم يعد يحتاج إلى الوقوف أمام محطة تيمبل ميدز عند الساعة السادسة صباحاً لتحية المسافرين في الصباح الباكر.

"اسمي جايلز بارينغتون، وأنا مرشح حزب العمال لانتخابات الأمس..."، فأطفأ المنبه وغرق في نوم عميق، ولم يستيقظ قبل الساعة الحادية عشرة صباحاً.

وبعد تناول طعام الفطور في وقت متأخر، أو ربما يصحّ القول إنه كان طعام الغداء، ثم استحمّ وارتدى ملابسه، وحزم حقيبة صغيرة، ثم قاد سيارته خارج بوابات آل بارينغتون، وقد وصل إلى المطار عند انتصاف النهار مباشرة، ولكنه لم يكن على عجلة من أمره، لأن طائرته لن تقلع من مطار هيثرو حتى الساعة 4.15 من بعد الظهر.

ولو بقي في المنزل لبضع دقائق أخرى، لتلقّى مكالمة من هارولد ويلسون، الذي كان يجمع اللائحة الفخرية للمستقيلين، فكان الزعيم الجديد للمعارضة سيعطي جايلز الفرصة للذهاب إلى مجلس اللوردات ويجلس على مقاعد البدلاء الأمامية للمعارضة، ويكون المتحدث باسمها في كل ما يتعلّق بالشؤون الخارجية.

حاول السيد ويلسون الاتصال بجايلز مرة أخرى في ذلك المساء، ولكنه خلال ذلك الوقت كان قد هبط في برلين.

مكتبة ياسين

***

قبل بضعة أشهر فقط، قاد فريق السير جايلز بارينغتون إلى مدرج مطار هيثرو، وأقلعت الطائرة بعد أن ربط حزام الأمان في الدرجة الأولى، أما الآن فهو محصور بين امرأة لم تتوقّف أبداً عن الدردشة مع صديقتها في الجانب الاخر من الممر، ورجل من الواضح أنه يجد متعة في تقليب صفحات جريدة التايمز، وبدأ يفكّر في كل ما فقده بعد فقدانه عضوية البرلمان.

بدت الرحلة التي استغرقت ساعتين ونصف لا نهاية لها، وعندما هبطت الطائرة، كان عليه أن يسير تحت المطر للوصول إلى المحطة.

على الرغم من أنه كان من بين الأوائل الذين غادروا الطائرة، إلا أنه كان تقريباً آخر من غادر سير الأمتعة، فعندما كان نائباً نسي كم من الوقت يمكن أن يستغرق ظهور أمتعتك على سير الأمتعة الدوار.

وما إن عثر على حقيبته وأطلق موظّف الجمارك سراحه، حتى وصل أخيراً إلى مقدمة صف الانتظار لسيارات الأجرة، فكان منهكاً بالفعل، وكل ما استطاع قاله وهو يركب السيارة: "نقطة تفتيش شارلي".

ألقى السائق نظرة فاحصة عليه، ليتأكّد من أنه عاقل، ثم انطلق نحو وجهته، ولكنه أنزله على بعد مئات الأمتار من نقطة الحدود.

كانت تمطر في الوقت الذي كان جايلز يركض فيه نحو مبنى الجمارك حاملاً حقيبته بيد واحدة ونسخة من صحيفة التايمز فوق رأسه في اليد الأخرى، ولم يستطع تذكّر زيارته الأخيرة لبرلين.

عندما دخل إلى المبنى، انضمّ إلى قائمة انتظار قصيرة، لكن الأمر استغرق وقتاً طويلاً قبل أن يصل

مكتبة ياسين

إلى المقدمة.

وبينما كان جايلز يسلّم جواز سفره وتأشيرته، قال الحارس له: "مساء الخير سيدي".

قال جايلز: "مساء الخير".

ثم سأله بأدب بينما كان يفحص مستنداته: "هل لي أن أسألك عن سبب زيارتك القطاع الشرقي، يا سير جايلز".

"أزور صديقاً".

"وكم من الوقت تخطط للبقاء في القطاع الشرقي؟".

"سبعة أيام".

ذكّره المسؤول، بالفترة القصوى التي تسمح بها التأشيرة المؤقتة.

أومأ جايلز إليه برأسه، على أمل أن تتم الإجابة على جميع أسئلته خلال سبعة أيام، وسيعلم أخيراً إن كانت كارين تكنّ له المشاعر نفسها التي يكنّها لها، فابتسم الضابط وختم جواز سفره، وقال: "حظاً سعيداً" كما لو كان يقصد ذلك.

على الأقل توقّف المطر بحلول الوقت الذي خرج فيه جايلز من المبنى، وانطلق في مسيرة طويلة عبر أرض نومان بين نقطتي الحدود، ولكن هذه المرة من دون أن تنقله سيارة الرولز رويس التابعة للسفارة البريطانية وبرفقة السفير بصفته وزيراً، بل بصفته مواطناً عادياً لا يمثل أي شخص آخر غير نفسه.

عندما رأى الحارس المتمركز على حدود برلين الشرقية، لم يكن بحاجة إلى أن يذكّره أحد بأنه غير مرغوب فيه بصفته سائحاً.

دخل إلى مبنى آخر لم تكن جدرانه قد ظليت

مكتبة ياسين

سابقاً، كما لم يُعط الزوار المسنون أو المتعبون أو العاجزون الذين قد يرغبون في الجلوس أدنى اهتمام، كما كان عليه الالتحاق بقائمة انتظار أخرى، وانتظار جديد ولكنه أطول هذه المرة، وقبل أن يسلّم جواز سفره في النهاية إلى ضابط شاب في الجمارك، لم يلق عليه التحية ولا بأي لغة.

قلب المسؤول ببطء كل صفحة من جواز سفره، الذي احتشد بتأشيرات عدد كبير من الدول التي زارها هذا الأجنبي

في السنوات الأربع الماضية، وبعد أن طوى الصفحة الأخيرة، رفع كفّ يده اليمنى في الهواء، مثل شرطي مرور،

وقال، "انتظرني هنا"، من الواضح أنها الكلمة الإنكليزية الوحيدة التي يعرفها، ثم عاد إلى الجزء الخلفي من الغرفة، وطرق باب غرفة الضابط واختفى في الداخل.

مرّ بعض الوقت قبل أن ينفتح الباب مرة أخرى، ويظهر رجل قصير أصلع الرأس، فنظر حوله، وكان بعمر جايلز، لكن من الصعب التأكد من ذلك لأن بذلته اللامعة مزدوجة الصدر وكانت قديمة جداً، وربما كانت لوالده، وكان قميصه الرمادي مهترئاً عند الياقة والكمين، وبدت ربطة عنقه الحمراء وكأنها مكوية مرة واحدة أيضاً.

لكن المفاجأة كانت إجادته اللغة الإنكليزية، وكانت كلماته الافتتاحية: "ربما يجدر بك مرافقتي سيد جايلز".

تبيّن أن كلمة ربما هي صيغة من صيغ الأمر، لأنه استدار على الفور واتّجه نحو مكتبه من دون تردد، فرفع الضابط الشاب الحاجز لكي يتمكّن جايلز من الدخول.

مكتبة ياسمين

جلس المسؤول خلف مكتبه، إذا صحّ وصف الطاولة ذات الدرج الوحيد بأنها مكتب، وجلس جايلز أمامه على كرسي خشبي صلب، ولا شك في أن الكرسي والطاولة من صنع المصنع نفسه.

"ما الغرض من زيارتك شرق برلين، سيد بارينغتون؟".

"أنا أزور صديقاً".

"وما اسم هذا الصديق؟".

تردّد جايلز، بينما استمرّ الرجل بالتحديق إليه، ثم قال: "كارين بينغلي".

"هل هي قريبة؟".

"لا، كما قلت، صديقة".

"وإلى متى تنوي البقاء في برلين الشرقية؟".

"كما ترى أن تأشيرتي لمدة أسبوع واحد".

درس المسؤول التأشيرة لفترة طويلة، كما لو كان يأمل في العثور على مخالفة، لكن جايلز تحقّق من المستند بواسطة صديقه في وزارة الخارجية، والذي أكّد له أن كل ثغرة مهما كانت صغيرة فقد سبق وتنبّه إليها.

سأل المسؤول: "ما مهنتك؟".

"أنا سياسي".

"ماذا يعني ذلك؟".

"كنت عضواً في البرلمان ووزيراً سابقاً، ولهذا سافرت كثيراً خلال السنوات الأخيرة".

"لكنك لم تعد وزيراً أو حتى عضواً في البرلمان".

"لا، أنا لست كذلك".

"لحظة واحدة من فضلك".

التقط المسؤول هاتفاً، واتصل بثلاثة أرقام

مكتبة ياسمين

وانتظر، وعندما أجاب أحدهم، بدأ بمحادثة مطولة، فلم يستطع جايلز فهم كلمة واحدة منها، ولكن من خلال نبرة الرجل الهادئة والحذرة، لم يكن يشك في أنه كان يخاطب شخصاً أعلى سلطة منه ونفوذه أكبر، ولو أن كارين كانت إلى جانبه لترجمت له حديثه.

بدأ المسؤول بتدوين الملاحظات على اللوحة أمامه، وغالباً ما كان يتبعها بكلمة "جا"، وبعد تكرار هذه الكلمة عدة مرات أغلق الهاتف أخيراً.

"قبل أن أقوم بختم تأشيرتك، يا سيد بارينغتون، هناك سؤال واحد أريدك أن تجيب عنه، وقد يكونان سؤالين".

حاول جايلز تصنع ابتسامة خفيفة، بينما نظر المسؤول مجدداً إلى الورقة أمامه.

"هل من رابط بينك وبين السيد هاري كليفتون؟".

"نعم، إنه زوج شقيقتي".

"وهل أنت من أنصار حملته لإطلاق سراح المجرم أناتولي باباكوف من السجن؟".

عرف جايلز أنه إذا أجاب على السؤال بصدق، فستلغى تأشيرته، ولكن ألا يستطيع هذا الرجل أن يفهم أنه كان يعدّ الساعات حتى يتمكّن من رؤية كارين مجدداً؟ كان على يقين من أن هاري سيقدّر هذه المعضلة التي يواجهها.

"أكرّر، سيد بارينغتون، هل تؤيّد حملة صهرك لإطلاق سراح المجرم أناتولي باباكوف؟".

قال جايلز: "نعم، أنا أؤيدها، هاري كليفتون هو واحد من أفضل الرجال الذين عرفتهم على الإطلاق، وأنا أؤيّد تماماً حملته لإطلاق سراح المؤلف أناتولي باباكوف".

مكتبة ياسين

أعاد المسؤول جايلز جواز سفره، وفتح درج مكتبه ولم يضع عليه التأشيرة.

نهض جايلز، ومن دون أن ينطق بكلمة أخرى استدار وشقّ طريقه إلى خارج المبنى، ليجد أنها بدأت تمطر مرة أخرى.

بدأ المسيرة الطويلة إلى الغرب، متسائلاً عما إذا كان سيرى كارين مرة أخرى.

مكتبة ياسين

سيباستيان كليفتون

1970

24

سأل سيباستيان بينما كانا جالسين على الشرفة يحتسيان شراباً: "هل سبق وجعلت من نفسك أضحوكة عندما كنت في سني؟".

أجاب روس باكنان: "مرة في الأسبوع على الأقل، هذا إذا أسعفتني الذاكرة، ولكنني تحسّنت بعد ذلك، على الرغم من أن الآخرين لا يزالون يضحكون عليّ أحياناً".

سأل سيب من دون أن يلمس البراندي بجانبه: "ولكن هل سبق لك أن ارتكبت مثل هذا الخطأ الفادح لدرجة أنك ندمت عليه لبقية حياتك؟".

لم يردّ روس على الفور، لأنه عرف ما كان يشير إليه سيب: "لم ارتكب شيئاً لم أتمكّن من إصلاحه".

تناول رشفة من الويسكي الخاص به قبل أن يضيف: "هل أنت مقتنع تماماً بأنك لا تستطيع استعادتها؟".

"لقد كتبت إليها عدة مرات، ولكنها لم تردّ أبداً، وأخيراً قرّرت أنني سأضطرّ إلى الذهاب إلى أمريكا ومعرفة إن كانت تفكّر في إعطائي فرصة ثانية".

"ألم تحظ ببديل عنها طوال الفترة الماضية؟".

قال سيباستيان: "ليس بالمعنى الدقيق للكلمة، كانت علاقات عابرة، تستمرّ لليلة واحدة، لكن سام كانت المرأة الوحيدة التي أحببتها، فهي لم تهتمّ يوماً أكنت مفلساً أم لا، وقد تصرّفت بغباء فخسرتها، فهل واجهت مثل تلك المشكلة من قبل، روس؟".

"لا أستطيع التظاهر بأنني لم أفعل، فعندما

مكتبة ياسين

تزوّجت جين، لم يكن في حوزتي سوى عشرين جنيهاً وشلنين وأربعة بنسات في حسابي الشخصي، وكنت أعمل موظفاً في شركة أبردين للشحن، ولم يكن يسمح لي بالسحب على المكشوف، لذا من المؤكد أن جين لم تتزوّجني من أجل أموالي".

"أنت رجل محظوظ، أما أنا فأتساءل دوماً، لماذا لم أتعلّم من سيدريك هاردكاسل؟ يجب أن تكون المصافحة دائماً كافية لإبرام صفقة".

"آه، أفترض أننا نتحدّث الآن عن موريس سوان".

"هل تعرف السيد سوان؟".

"فقط من خلال ما قاله لي سيدريك، فقد كان مقتنعاً بأنك إذا أتممت صفقة شيفنال فارم، فستلتزم بما عليك منها".

أحنى سيب رأسه وقال: "لهذا السبب تركتني سام، لقد فقدتها لأنني أردت العيش في تشيلسي، ولم أدرك أنها لم تهتمّ بالمكان الذي عشنا فيه، طالما كنا معاً".

فقال له روس: "لم يفت الأوان للاعتراف بخطئك، ولندغ أن يكون السيد سوان لا يزال على قيد الحياة، وإذا كان كذلك، يمكنك التأكد من أنه سيظلّ يشعر بالبؤس حتى يبني مسرحه، إن لم تعد أمالك كبيرة".

سأل سيب، وهو يتناول كأس البراندي الخاص به: "ماذا تقصد بكلامك؟".

"إنك أكثر شاب طموح عرفته، ولست متأكداً من أنك ستكون راضياً بمنصبك، ولو أصبحت رئيساً للبنك".

"أي بنك تعني؟".

مكتبة ياسين

ضحك روس وقال: "لقد افترضت أنك لطالما أردت ترؤس فارنغز".

"أنت على حق، فقد حاولت أن أظلَ مثابراً بناءً على نصيحة بوب بينغهام، وكنت أجمع الأسهم على مدار السنوات الخمس الماضية، فكنت أستثمر خمسين بالمئة من العمولة التي أكسبها من خلال أي صفقة أبرمها، وأنا أملك بالفعل أكثر من ثلاثة في المئة من أسهم فارنغز، وبمجرد أن أملك ستة في المئة وذلك لا ينبغي أن يكون صعباً الآن، سأحصل على مكان في مجلس الإدارة".

"لن أكون واثقاً جداً من ذلك، لأنه يمكنك التأكد من أن أدريان سلون قد رصدك عبر راداره، وسيهاجمك من حيث لا تدري".

"ولكن ما الذي يستطيع القيام به لإيقافي؟ يحدّد النظام القانوني للبنك أن أي شركة أو فرد يمتلك ستة في المئة من الأسهم يصبح تلقائياً عضواً في مجلس الإدارة".

"فور حصولك على الستة في المئة الخاصة بك، سيعدّل النظام بكل بساطة".

"هل يمكنه فعل ذلك؟".

"لم لا؟ فقد عيّن نفسه رئيساً لمجلس الإدارة بينما كنا في جنازة سيدريك، فلماذا لا يعدّل النظام القانوني للبنك، وبذلك يمنعك من الحصول على عضوية مجلس الإدارة. إنه رجل حقير ولكن هذا لا يعني أنه ليس ذكياً، ولكن بصراحة، سيب، أعتقد أن لديك مشكلة أكبر بكثير تواجهك على الجبهة الداخلية".

"في كوفمان؟".

"لا، في بارينغتون، فقد حذّرت والدتك من أنه

مكتبة ياسين

إذا سمحتم لديزموند ميلور بأن يصبح مخرجاً، فسينتهي الأمر بالدموع، فقد كان عضواً في مجلس الإدارة لمدة أربع سنوات، وأنا متأكد من أنك تعلم أنه يريد الآن أن يصبح نائباً للرئيس".

قال سيب: "لم يستطع أن يجعل الأمر أكثر وضوحاً، لكن ما دامت والدتي هي رئيس مجلس الإدارة، فيمكنه أن ينسى ذلك".

"أوافقك الرأي، طالما أن والدتك هي رئيس مجلس الإدارة، لكن من المؤكّد أنك لاحظت أنه بدأ بالفعل بإيقاف دبابته في حديقتك الأمامية إذا قرأت صحيفة فايننشال تايمز هذا الصباح، فستجد أنك عالق بين المواعيد الجديدة التي يقوم بها أدريان سلون، فقد أرسل دعوة إلى ميلور ليصبح نائب رئيس شركة فارذنغز، والآن أخبرني، ما القاسم المشترك بينهما؟".

كلمات روس هذه أسكتت سيب للمرة الأولى.

تابع روس: "الكراهية الشديدة لعائلتك، لكن لا تيأس، لا يزال لديك بطاقة في جعبتك ويمكنك استغلالها لصالحك".

"ما هي؟".

"السؤال الصحيح ليس ما، بل من، فبيريل هاردكاسل تمتلك واحداً وخمسين في المئة من أسهم فارذنغز، ولن تفكّر في توقيع المستندات التي يرسلها سلون إليها، إلا بعد أن يفحصها ابنها بعناية أولاً".

"ما الذي تنصح به؟"

"بمجرد حصولك على ستة في المئة من أسهم البنك، يمكنك وضع دبابتك في حديقة سلون الأمامية، وإثارة الفوضى في محيطه".

مكتبة ياسين

"ولكن إذا كنت سأحصل على نسبة 51 بالمئة من بيريل هاردكاسل، فيمكنني إيقاف جيش كامل في حديقة سلون الأمامية، ولن يكون أمامه سوى الانسحاب سريعاً".

"فكرة رائعة، طالما أنك تعرف شخصاً يملك عشرين مليون جنيه إسترليني لتوظيفها".

قال سيب: "ماذا عن بوب بينغهام؟".

"بوب رجل ثري، لكنني أعتقد أنك ستجد صعوبة في إقناعه".

"شاول كوفمان؟".

"في حالته الصحية الحالية، أظنّ أنه بائع وليس شار".

بدا سيب محبطاً.

"حاول أن تنسى أمر الاستيلاء على البنك الآن، سيب... كونسينتراتون سيصبح مديراً ويجعل حياة سلون جحيماً".

أومأ سيب إليه وقال: "سأذهب وأراه حالما أعود من الولايات المتحدة".

"أعتقد أن هناك شخصاً آخر يجب أن تزوره قبل أن تذهب إلى أميركا".

***

"ما يجب أن تقدّريه يا سارة هو أنه على الرغم من أن ماكبث رجل طموح، فإن ليدي ماكبث هي المفتاح للحصول على التاج، فقد كان ذلك في وقت لم تكن حقوق المرأة مُصانة، وكان أملها الوحيد كي يكون لها تأثير حقيقي في إسكتلندا في إقناع زوجها الضعيف والمتذبذب بأن عليه أن يقتل الملك بينما كان يحلّ ضيفاً تحت سقف منزلهما. لذلك أريد تكرار هذا المشهد مرة أخرى. سارة، حاولي أن

تتذكّري أنك حقيرة ومتواطئة، وتقومين بأعمال شريرة، فأنت امرأة تحاول حث زوجها على ارتكاب جريمة قتل، وهذه المرة، تأكّدي من إقناعي، لأنك إذا فعلت ذلك، فستقنعين الجمهور".

جلس سيباستيان في مؤخرة القاعة وشاهد مجموعة من التلاميذ الصغار المتحمّسين يتدرّبون تحت إشراف السيد سوان، ولكن من المؤسف أن المسرح كان صغيراً وضيقاً للغاية.

قال سوان عندما أنهوا المشهد: "أفضل بكثير، هذا سيفي بالغرض اليوم، غداً سنبدأ بمشهد شبح بانكو، ريك، يجب أن تتذكّر أن ماكبث هو الشخص الوحيد في الغرفة الذي يمكنه رؤية الشبح، ويخشى ضيوفك على العشاء مما يزعجك، حتى إن البعض يعتقد أنك تفقد عقلك، و"سارة" تحاولين إقناع هؤلاء الضيوف أنفسهم بأن كل شيء على ما يرام، وعلى الرغم من سلوك زوجك الغريب، فلا يوجد شيء يستدعي القلق، وبغض النظر عما تفعلانه، لا تنظرا أبداً إلى الشبح، لأنه إذا فعلتما، ولو مرة واحدة، فستفقد التعويذة قدرتها، وسأراكم جميعاً غداً في الوقت نفسه، وتأكّدوا من أن تحفظوا أدواركم بحلول ذلك الوقت، فبعد يوم الاثنين، سنتخلّى عن النصوص المكتوبة".

تعالى صوت التثاؤب عندما غادر الممثلون المسرح، وعادوا تلامذة مدرسة مرة أخرى، وهم يلتقطون حقائبهم وكتبهم ويشقّون طريقهم إلى خارج القاعة. لقد استمتعت برؤية السيدة ماكبث وهي تمسك بيد بانكو، لا عجب أن السيد سوان أخبر سارة ألا تنظر إليه في أثناء مشهد الأشباح، يا له من داهية!

لم يطفئ السيد سوان مصابيح المسرح حتى أعاد

ترتيب كل الديكورات تحضيراً لمشهد المأدبة، ثم التقط نصه، ووضعه في حقيبته القديمة واتجه ببطء نحو الباب. في البداية لم يلحظ أن هنالك شخصاً ما يجلس في الجزء الخلفي من الصالة، ولم يقدرعلى إخفاء دهشته عندما عرف هويّته.

قال: "نحن لا نتدرّب على مسرحية عطيل هذا العام، ولكن لو كنا كذلك، فلن أضطرّ إلى البحث بعيداً عن إياغو".

"لا، سيد سوان، إنه الأمير هال الذي تراه أمامك، جاثياً على ركبتيه يطلب مغفرة الملك، بعد أن ارتكب خطأً فادحاً لا يغتفر أبداً بحقّه".

وقف الرجل العجوز ساكناً بينما كان سيباستيان يخرج محفظته ويستخرج شيكاً ويسلّمه إياه.

"لكن هذا أكثر بكثير مما اتفقنا عليه، فالخادمة السابقة ستتخبّط في الكلام".

"ليس إذا كنت لا تزال ترغب في تجهيز غرف تبديل الملابس الجديدة، وشراء ستارة مناسبة، وبالأخص أنك لم تعد راضياً عن أزياء العام الماضي".

قال سوان: "ناهيك عن غرفة تغيير ملابس منفصلة للفتيات في ثانوية شيفنال، لكن هل لي أن أسأل ما الذي تعنيه، سيد كليفتون، عندما قلت إنك ارتكبت خطأً لا يُغتفر؟".

قال سيب: "إنها قصة طويلة، ولن تتحمّل سماعها...".

قال سوان: "أنا رجل عجوز ولدي الوقت لأستمع إليك".

أخبر سيباستيان السيد سوان كيف رأى سامانثا للمرة الأولى في حفل تخرج جيسيكا، وكيف أذهلته

منذ اللحظة الأولى.

قال سوان بابتسامة: "لا أستطيع أن أتخيل أن ذلك قد يحدث لك أبداً".

"عندما التقيتها في المرة التالية، تعافيت بما يكفي لأطلب منها الخروج برفقتي لتناول العشاء، ولم يمض وقت طويل حتى أدركت أنني أريد أن أقضي حياتي معها". كان يدرك الرجل العجوز متى عليه أن يبقى صامتاً.

"ولكنها عندما اكتشفت أنني لم أنو الوفاء بوعدي لك، تركتني وعادت إلى أميركا، ولم أرها منذ ذلك الحين".

"أتوسّل إليك ألا ترتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبته عندما كنت في عمرك".

"هل ارتكبت الخطأ نفسه؟".

"بل ارتكبت أسوأ منه، فما إن أنهيت دراستي الجامعية، حتى غرضت عليّ وظيفة مدرّس للغة الإنكليزية في مدرسة في ورشيسترشاير، ولم يسبق لي أن شعرت بالسعادة التي شعرت بها عندما وقعت في غرام الابنة الكبرى لمدير المدرسة، ولكنني لم أمتلك الشجاعة لأخبرها بما أكنّه لها من مشاعر".

"لم لا؟".

"كنت دائماً خجولاً، خاصة في حضور النساء، وعلى أي حال كنت أخشى أن يرفض مدير المدرسة طلبي، إن ذلك يبدو سخيفاً الآن، ولكنه كان مختلفاً في تلك الأيام، إلى أن قررت أن انتقل إلى مدرسة أخرى، وعلمت بعد ذلك أنها لم تتزوج قط، ربما كنت سأتمكّن من التعايش مع ذلك، لو لم تخبرني شقيقتها الصغرى العام الماضي فقط، عندما حضرت

جنازتها بأنني كنت حبها الأول والوحيد، لكن والدها طلب منها أن تكتم شعورها بانتظار أن أعبر عن مشاعري أولاً، فكم كنت أحمق! فقد أضعت أوقاتاً ثمينة، وعشت حياة طويلة وأنا أعاني من الندم... أيها الشاب، تأكّد من عدم ارتكاب الخطأ نفسه، إن ذوي المشاعر المرهفة يظفرون دوما بالفتاة".

قال سيب: "روبرت بيرنز؟".

قال سوان: "لا يزال لديك الأمل حتى الآن".

نهض الرجل العجوز مستعيناً بعكّازه الخاص به، وأمسك سيب من ذراعه، وهو يقول: "شكراً لكرمك، وأنا أتطلّع إلى شرف لقاء الآنسة سوليفان".

استدار لمواجهة سيب وقال: "هل يمكنك أن تسألها، سيد كليفتون، إن كانت مستعدة لافتتاح مسرح سامانثا سوليفان؟".

مكتبة ياسين

25

"مرحباً، أيتها الوالدة الموقرة، أفكّر في الذهاب إلى أميركا لإنجاز بعض الأعمال، وتساءلت إذا...".

"يمكنك السفر على متن باكينغهام؟ نعم، بالطبع، ولكن لا تنس قرار بوب بينغهام بشأن دفع أفراد العائلة تكاليف سفرهم، ويمكنك الذهاب الأسبوع المقبل، لتتمكّن من الانضمام إلى والدك، فهو ذاهب إلى نيويورك لمقابلة ناشره".

نقر سيباستيان على إحدى صفحات مذكراته، وقال: "سأضطرّ إلى إعادة ترتيب اجتماعين. لكن نعم، هذا يبدو مناسباً".

"لماذا ستسافر إلى الولايات المتحدة؟".

"هناك فرصة عمل وقد طلب مني السيد كوفمان أن أتقصّاها".

في اللحظة التي أنهى فيها سيب مكالمته الهاتفية، شعر بالذنب لأنه أخفى عن والدته السبب الحقيقي لقيامه بهذه الرحلة لتجنّب إثارة قلقها.

يمكنه أن يخدع نفسه تماماً مرة أخرى، لأنه لم يكن يعرف مكان إقامة سام، أو كيف يمكنه الوصول إليها، وبينما كان يفكّر في مشكلته، دخل فيك كوفمان إلى مكتبه، وفاجأه قائلاً:

"هل لاحظت أن والدي يكزر نفسه مؤخّراً؟".

قال سيب: "لا، لا أستطيع أن أؤكّد أنني لاحظت ذلك، على الرغم من أن شاول بدأ مؤخراً ينسى بعض الأشخاص، ولكن الأمر طبيعي، فقد تجاوز السبعين".

"عندما هرب من بولندا، لم يحمل معه شهادة ميلاده، ولكنه ذكر أمامي مرة واحدة أنه يستطيع تذكّر جنازة الملكة فيكتوريا، ولذلك يجب أن يكون

مكتبة ياسمين

عمره أقرب إلى الثمانين، ولا بد لي من الاعتراف بأنني قلق بعض الشيء، لأنه إذا أصاب الرجل العجوز أي مكروه، فأنت لست مستعداً لتولّي المسؤولية حتى الآن، كما أنني بصراحة لست بارعاً في القيام بهذا العمل بما فيه الكفاية".

لم يخطر ببال سيب أبداً أن شاول كوفمان لن يستمرّ بتولّي منصب رئيس مجلس الإدارة إلى الأبد، وبالتأكيد لم يفكّر في تولّي منصب رئيس مجلس إدارة البنك قبل أن يثير فيك هذا الموضوع".

يعمل الآن أربعة عشر موظفاً تحت إشراف سيب، ومعظمهم أكبر سناً منه، وقد كان قسمه ثالث أكثر قسم يؤمن دخلاً مرتفعاً للبنك، فهو ليس بعيداً عن السلع والبورصات الأجنبية.

قال سيب محاولاً طمأنته: "لا تقلق بشأن ذلك، فيك، أنا متأكد من أن والدك لا يزال عليه اجتياز بضعة أميال أخرى لتضاف إلى عدّاد عمره".

وعلى الرغم من تأكيدات سيب المطمئنة، إلا أنه خلال الاجتماع الأسبوعي برئيس مجلس الإدارة، سأل السيد كوفمان خلال ثلاث مناسبات منفصلة، عن اسم الزبون الذي كان عليهم أن يمثلوه في إحدى الصفقات لتطوير الأراضي، ولكن سيب كان يعلم أنه قد تعامل معه في الماضي في مناسبتين على الأقل".

أمضى سيب معظم وقت فراغه في التفكير في البنك الآخر الذي كان يبعد بضعة شوارع عن البنك الذي يعمل فيه، ولم يخطر بباله أن مستقبله في كوفمان لا يمكن اعتباره أمراً مفروغاً منه، فحاول ألا يفكّر في الأسوأ:

فكان سيناريو الحالة، أن يضطر الرجل العجوز إلى

مكتبة ياسين

التقاعد بسبب تدهور صحته، فيقدَم بنك فارذنغز عرضاً لشراء كوفمان، ما يضطرّ سيب إلى كتابة خطاب استقالة ثانٍ إلى رئيس البنكين الجديد، حتى إنه فكّر في إلغاء رحلته إلى الولايات المتحدة، لكنه كان يدرك تماماً أنه إذا لم يغادر بحلول مساء الجمعة كأقصى حد، فلن تكون لديه الشجاعة للمضي قدماً في ذلك.

***

استغرقت الرحلة إلى نيويورك خمسة أيام، وقد استمتع سيب تماماً برفقة والده لأسباب عديدة، وأهمها أن هاري كان على خلاف والدته لا يقضي وقته في طرح أسئلة لا نهاية لها، ولا يرغب سيب في الإجابة عنها.

أمضيا وقتهما معاً عند تناول طعام العشاء في المساء، وأحياناً طعام الغداء، أما خلال النهار فقد كان والده يحبس نفسه في مقصورته، بعد أن يعلّق على مقبض بابها عبارة "يرجى عدم الإزعاج"، ليراجع مراراً وتكراراً المخطوطة التي كان سيسلّمها إلى هارولد غوينزبورغ خلال ساعة من رسوّ السفينة".

ذات صباح كان سيب يقوم بجولة سريعة في الطابق العلوي، فتفاجأ عندما وجد والده مستلقيًا على كرسي على سطح السفينة، وهو يقرأ كتاباً لمؤلفه المفضل.

فسأله سيب وهو يستلقي على الكرسي بجانبه: "هل هذا يعني أنك انتهيت من الكتاب؟".

قال هاري: "أجل"، وأغلق الكتاب الذي كان يقرأه بعنوان *احذر الشفقة*.

"كل ما عليّ فعله الآن هو تسليم المخطوطة إلى هارولد وانتظار رأيه".

مكتبة ياسمين

"هل تريد رأيي؟".

"رأيك في كتابي؟ بالطبع لا، ولكنني أحتاجه في كتاب آخر".

"عن أي كتاب تتحدّث؟".

قال هاري: "*نعم جو*، فقد عرض هارولد على السيدة باباكوف مئة ألف دولار مقابل العائدات على حق الملكية، وهي تعادل نسبة خمس عشرة في المئة، ولست واثقاً من النصيحة التي ينبغي أن أقدّمها إليها".

"ولكن هل هناك فرصة لأي أحد في العثور على نسخة من الكتاب؟".

"كنت أعتقد أنه لم يكن هناك أي فرصة تقريباً، ولكن هارولد أخبرني بأن السيدة باباكوف تعرف أين يمكن العثور على نسخة، والمشكلة الوحيدة تكمن في أنها في الاتحاد السوفياتي".

"هل حدّدت لك المكان بدقّة في الاتحاد السوفياتي؟".

"لا، قالت إنها ستخبرني به فقط، وهذا هو سبب ذهابي إلى بيتسبرغ، ما إن أنهي مقابلتي مع هارولد في نيويورك".

تفاجأ هاري بسؤال ابنه التالي: "هل سيكون مبلغ مئة ألف دولار كبيراً بالنسبة إلى السيدة باباكوف، أم أنها مرتاحة مادياً؟".

"لقد هربت من روسيا من دون فلس واحد، لذلك سيغيّر المبلغ حياتها".

"إذا كنت تعتقد أن عرض السيد غوينزبورغ عادلاً، فينبغي أن تقبل بنصيحتي، فعندما أريد إتمام صفقة أحاول معرفة مقدار احتياج الطرف الاخر إلى المال، لأن ذلك سيؤثر دائماً على أسلوب تعاملي

مكتبة ياسين

مع الصفقة، فإذا كان هذا الطرف كما تقول في عوز شديد إلى المال، أكون في موضع القيادة، وإن لم..".

أومأ إليه هاري.

"ومع ذلك لا بدَ من الحذر في هذه الحالة بالذات، لأنك إذا كنت الشخص الوحيد الذي ترغب أرملة باباكوف في اطلاعه على مكان الكتاب المخفي، فيمكنك أن تكون على يقين من أنها تأمل أيضاً في أن تكون الشخص الذي سيذهب لاستلامه".

"إنه في الاتحاد السوفياتي".

"وأنت لا تزال شخصاً غير مرغوب في وجوده هناك، لذا مهما حصل لا تقدَم أي وعود، قد لا تقدر على أن تفي بها".

وتابع قائلاً: "أبي، أعلم أنه من الممتع أن تواجه الإمبراطورية السوفيتية وحيداً، ولكن جيمس بوند فقط يمكنه التغلّب على الاتحاد السوفياتي، لذا هل يمكننا العودة إلى العالم الحقيقي، لأنني بحاجة إلى بعض نصائحك".

"نصائحي أنا؟".

"لا، نصائح المحقق وورويك".

"لماذا، هل تخطّط لقتل شخص ما؟".

"لا، بل أبحث عن شخص مفقود".

"وهذا هو سبب سفرك إلى الولايات المتحدة".

"نعم، لكنني لا أعرف مكان إقامته ولا كيف يمكنني اكتشاف مكانه".

"أعتقد أنك ستجد سجلّ عنوان منزلها لدى طاقم هذه السفينة".

"كيف ذلك؟".

"لقد سافرت برفقتنا في الرحلة الأولى، وكان عليها تسليم جواز سفرها إلى المراقب، وبالتالي لا

مكتبة ياسمين

بد من أنه دوّن عنوانها في ملفاته، وقد تكون غيّرت عنوانها، ولكن على الأقل ستجد مكاناً تبدأ منه في ظلّ الظروف العادية. ومع أنني أظنّ أنه لن يكون مستعداً للإفصاح عن معلومات شخصية تتعلّق براكب آخر، ولكن نظراً إلى أنك ابن مديرة الشركة، وكانت ضيفتك في الرحلة السابقة، فأتخيّل أن ذلك لن يشكّل أي عقبة".

"كيف عرفت أن الشخص المفقود هو سامانثا؟".

"أخبرتني والدتك بذلك".

"لكنني لم أطلعها على سبب سفري".

"لكنني تعلّمت على مر السنوات أنه لا يجب التقليل من شأن هذه المرأة، ولكن ضع في اعتبارك أن الأمر عندما يتعلّق بالأمور الشخصية فحتى إيما يمكنها ارتكاب الأخطاء".

"أتعني ديزموند ميلور؟".

"لم أكن لأتخيّل أبداً أن من حلّ مكان ألكس فيشر سيشكّل خطراً أكبر منه".

قال سيب: "هناك فرق كبير بين ميلور وفيشر".

"ميلور أكثر خطورة من فيشر بكثير".

"هل تعتقد أن لديه أي فرصة للوصول إلى منصب نائب الرئيس؟".

"لم أكن أظنّ أن ذلك كان ممكناً حتى أقنعني روس باكنان بخلاف ذلك".

"ربما لهذا السبب تفكّر إيما في الخيار النووي، وتجبر ميلور على وضع أوراقه على الطاولة".

"أي طاولة؟".

"طاولة غرفة الاجتماعات، فهي ستسمح له بالترشح للحصول على منصب نائب الرئيس، ولكنها بالمقابل ستواجهه من خلال اختيار مرشحها

مكتبة ياسين

الخاص، وإذا خسر فلن يكون لديه خيار سوى الاستقالة".

"وإذا كانت هي الخاسرة؟".

"سيتعيّن عليها أن تتعلّم التكيّف معه".

"من مرشحها؟".

"افترضت أنه أنت".

"لن تتاح لي الفرصة أبداً، لأن مجلس الإدارة يدعم ميلور ضدي على الدوام، لأسباب ليس أقلها العمر، وهذا يعني أن أمي سوف تضطرّ في نهاية المطاف إلى الاستقالة، وإذا فكّرنا ملياً في الأمر، قد يكون ذلك جزءاً من خطة ميلور طويلة المدى، لذا يتوجّب عليّ التحدث إليها للعدول عن رأيها، ولكنني لا أرى أنها ستكون مشكلتها الوحيدة في الوقت الراهن".

"إذا كنت تشير إلى السيدة فيرجينيا وادّعائها عليها بالتشهير، فأعتقد أنها لم تعد تشكّل خطراً عليها".

"كيف يمكنك أن تكون متأكداً إلى هذه الدرجة؟".

"لا يمكنني التأكد من ذلك، لكننا لم نسمع شيئاً على تلك الجبهة منذ بعض الوقت، وخلال اثني عشر شهراً آخر يمكن أن تقدّم والدتك طلباً إلى المحكمة لشطب الإجراء من القائمة، ولكنني نصحتها بعدم فعل ذلك".

"لماذا؟".

"لأنك عندما تصادف أفعى نائمة، لا تنخسها بعصا حادة أملاً في هربها، لأنها من المحتمل أن تستيقظ وتلسعك".

قال سيب: "ضع في اعتبارك أن لدغة تلك المرأة سامة، وأنا لا أعرف حتى سبب مقاضاتها أمي في المقام الأول".

مكتبة ياسمين

"سأخبرك بكل شيء في أثناء تناول العشاء".

***

لا يمكن أن يكون مراقب السفينة أكثر فائدة مما قدّمه لسيباستيان، فقد استطاع تزويده بعنوان الآنسة سامانثا سوليفان، الواقع في شارع كابل 2043، جورج تاون، واشنطن العاصمة، على الرغم من أنه لم يكن متأكداً من أنها لا تزال تعيش فيه، لأنها لم تسافر على متن السفينة منذ رحلتها الأولى.

وقد أمل سيب في أن تكون 2043 شقة صغيرة تعيش فيها بمفردها أو مع إحدى زميلاتها، ثم شكر المراقب، وصعد درجتين من الدرج المؤدّي إلى غرفة الشواء، وانضمّ إلى والده لتناول طعام العشاء، ولم يثر سيب أمر فيرجينيا حتى أنهت المضيفة وضع الطبق الرئيسي، فقال هاري وهو يشعل سيجاراً كوبياً، ما كان ليستطيع الحصول عليه لو كان على متن باخرة أميركية: "كانت والدتك تحاور الجمعية العامة للشركة، فسألتها فيرجينيا عما إذا كان أحد مديري شركة بارينغتون قد باع جميع أسهمه بقصد إسقاط الشركة".

"حسناً، وكيف تعاملت أمي مع السؤال؟".

"حوّلت الموقف لصالحها من خلال طرح سؤال عليها حول ما إذا كانت تشير إلى المناسبات الثلاث التي باع فيها ممثلها في مجلس الإدارة ألكس فيشر أسهمها الخاصة، ثم أعاد شراءها، فجنت جراء ذلك أموالاً طائلة".

قال سيب: "لكن بما أن ذلك ما حدث في الحقيقة، فهو بالكاد يكون تشهيراً بها".

وضع هاري سيجاره واتكأ على الكرسي وأغمض عينيه، وهو يقول: "أوافقك الرأي، ولكن والدتك لم تستطع مقاومة نخس الأفعى بعصا حادة جداً عندما

مكتبة ياسين

أضافت أنه إذا كانت نيتك تقويض الشركة، ليدي فيرجينيا، فإنك فشلت بشكل ذريع، لأنك هُزمت على يد أناس عاديين وشرفاء يريدون إنجاح هذه الشركة...".

قال هاري، وهو يصحّح كلامه: "لا، لا، كانت كلماتها بالضبط *لتكون ناجحة*، فهلّل الجمهور، وعندها خرجت فيرجينيا وهي تصرخ: "سيتعامل معها محاميّ"، وبالفعل هذا ما حصل، لكن ذلك كان منذ فترة طويلة، لذا دعنا نأمل أن يكون قد نصحها محاميها بإسقاط الدعوى".

"إذا فعل ذلك فستتوارى عن الأنظار فترة طويلة منتظرة الفرصة المناسبة لتعود وتضرب مرة أخرى".

***

في صباح اليوم الأخير من أيام الرحلة، انضمّ سيب إلى والده لتناول طعام الفطور، لكن هاري لم ينطق بكلمة واحدة، ولطالما كان كذلك، فهو يظلّ صامتاً قبل تسليم المخطوطة إلى ناشره، وقد أخبر سيب ذات مرة أن الأيام الثلاثة الأطول في حياته كانت في أثناء انتظاره سماع رأي هارولد غوينزبورغ في أحدث أعماله.

"ولكن كيف يمكنك أن تتأكّد من أنه صادق تماماً حول ما يشعر به، عندما يكون آخر شيء يريده هو أن يفقدك بصفتك زبوناً دائماً؟".

اعترف هاري قائلاً: "أنا لا أستمع إلى كل كلمة يقولها عن الكتاب، بل أهتمّ فقط بعدد نسخ الطبعة الأولى الذي سينشره، فهو لا يستطيع التلاعب بالعدد، لأنه إذا كان أكثر من مئة ألف نسخة، فهذا يعني أنه واثق من أن الكتاب سيحتل المرتبة الأولى في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً".

قال سيب: "وأقل من مئة ألف؟".

مكتبة ياسين

"عندها لا يكون متأكداً من نجاحه".

سار الأب والابن في الممر معاً بعد مرور أكثر من ساعة، وكان أحدهما يمسك بمخطوطة ويتوجّه إلى دار نشر في مانهاتن، بينما استقلّ الآخر سيارة أجرة إلى محطة بنسلفانيا متسلّحاً بما لا يزيد عن عنوان في جورج تاون.

مكتبة ياسين

26

وقف سيباستيان في الجانب الاخر من الطريق ممسكاً بباقة كبيرة من الورود الحمراء، وحدَق إلى الباب الأمامي للمنزل الصغير المبنيّ من الطوب الأحمر والمكون من طابق واحد، أما ممره المائل فيؤدّي إلى باب أمامي قد ظلي حديثاً، وله مطرقة نحاسية لمعت تحت أشعة شمس الصباح، فبدت أنيقة ولافتة للنظر جداً.

وعلى الرغم من أنه لم يكن يشعر بالخوف كلما واجه أدريان سلون، أو اختلف مع زبون على صفقة تزيد قيمتها على مليون جنيه، إلا أنه شعر بخوف شديد يسيطر على كيانه، وهو يطرق على باب قد لا يكون حتى باب منزل سام الأمامي، فتنفَس بعمق، وعندما انفتح الباب، كان رد فعله الفوري الرغبة في الاستدارة والهروب من المكان، لأن من فتح له الباب لا بد أن يكون زوج سام.

سأل الرجل وهو ينظر إلى الورود بريبة: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

تساءل سيب عما إذا كان الشك الذي ينتابه سيتحوَل بسرعة إلى غضب شديد: "هل سامانثا موجودة؟".

"لم تعد تسكن هنا منذ عام".

"هل تعرف إلى أين انتقلت؟".

"آسف، فليس لديّ فكرة".

قال سيب يائساً: "لكن لابد أنها تركت عنوان إعادة التوجيه".

أجاب الرجل: "سميثسونيان، هذا اسم المكان الذي تعمل فيه".

قال له سيب: "شكراً لك"، ولكن الرجل كان قد

مكتبة ياسين

أغلق الباب قبل سماعه، ولكن هذا اللقاء قد جعله يشعر بأنه أكثر قوة، وسرعان ما عاد إلى الشارع، فأشار إلى أول سيارة أجرة مرّت أمامه، وفي أثناء الرحلة إلى سميثسونيان، كرّر لنفسه عشرات المرات *اسوأ ما يمكن أن تفعله هو...*

عندما ترجّل من السيارة، وجد نفسه أمام باب مختلف تماماً، كان زجاجياً، وقد انفتح أمامه خلال ثوان، فتوجّه من خلاله إلى المدخل، وكانت هناك ثلاث شابات يرتدين أزياء موحّدة زرقاء وأنيقة، ويقفن خلف منضدة الاستقبال لتقديم الخدمات للزوار والإجابة عن أسئلتهم، فاقترب سيب من إحداهن، فابتسمت عندما رأت الورود، وقالت: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

"أنا أبحث عن سامانثا سوليفان".

قالت له: "أنا آسفة، لا أعرف هذا الاسم، فأنا أعمل هنا منذ أسبوع فقط"، فالتفتت إليه زميلتها ما إن أنهت مكالمتها، وقالت: "سامانثا سوليفان، قد غادرت للتو لاصطحاب ابنتها من المدرسة، وسوف تعود غداً"، ابنة، ابنة، ابنة... لقد أرّت الكلمة في أذني سيب مثل أزيز الرصاص، ولو كان يعلم فقط، ما كان...

"هل ترغب في ترك رسالة لها؟".

قال وهو يستدير متّجهاً نحو الباب: "لا، شكراً".

فأردفت قائلة وهو يتّجه نحو المدخل: "ربما لا تزال في مدرسة جيفرسون الابتدائية، فلا ينصرف التلامذة قبل الساعة الرابعة".

كرّر سيب كلامه قائلاً: "شكراً لك"، وبينما كان يشقّ طريقه إلى الخارج لم يلتفت إلى الوراء بل خرج من المبنى، وركب سيارة الأجرة، وكان على وشك أن يقول يونيون ستيشن، ولكنه نطق بالكلمات

مكتبة ياسين

من دون أن يشعر: "مدرسة جيفرسون الابتدائية"، فشقّ السائق طريقه وسط زحمة السير في فترة ما بعد الظهيرة، وقاد السيارة خلف صف طويل من السيارات.

قال سيب له: "سأضاعف كل ما يسجّله العداد إذا أوصلتني إلى ذاك العنوان قبل الرابعة".

بدّل السائق المسارات، وتجاوز الضوء الأحمر التالي، وعبر مسالك ضيقة للغاية لدرجة أن سيب اضطرّ إلى إغلاق عينيه، وأخيراً وصل إلى مبنى ضخم مبنيّ من الطوب على الطراز الجورجي الحديث قبل الرابعة بأربع دقائق.

نظر سيب إلى العدّاد، وسلّم السائق ورقة من فئة عشرة دولارات، وترجّل من السيارة، وسرعان ما اختفى خلف تجمّعات الأمهات اللواتي كن يتحدّثن بانتظار بناتهن، فوقف خلف شجرة، وتفحّص الأمهات الواحدة تلو الأخرى، باحثاً عن وجه يعرفه، ولكنه لم يرَ أي أثر لسام.

عند الساعة الرابعة، رنّ الجرس، فانفتحت الأبواب، وخرجت الفتيات الصغيرات الصاخبات اللواتي يرتدين قمصاناً بيضاء وسترات قرمزية وتنانير رمادية مطوية، وتتأرجح الحقائب المدرسية على ظهورهن، فنزلن على الدرجات وائجهن مباشرة إلى أمهاتهن، كما لو كن منجذبات إليهن بواسطة المغناطيس، فنظرت سام بعناية إلى وجوه الفتيات اللواتي يبلغن الخامسة من العمر، ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك ممكناً، وسام قد غادرت بريطانيا منذ أقل من ست سنوات؟ ثم رأى فتاة صغيرة تنزل الدرج، وهي تشبه أخته تماماً، بشعرها الأسود الذي يبدو كستارة منسدلة ومتماوجة، وعينيها الداكنتين، وابتسامتها التي لا يمكن أن ينساها أبداً،

مكتبة ياسين

فأراد أن يركض إليها ويضمّها بين ذراعيه، ولكنه تجمّد في مكانه، عندما ابتسمت وهي تركض نحو والدتها، فحدّق سيب إلى المرأة التي أذهلته عندما التقى بها في المرة الأولى، ومرة أخرى صدمته رؤيتها، فأراد أن يصرخ، ولكنه كتم صوته، ووقف يراقبهما وهما تركبان السيارة، وبعد لحظة غادرتا مثل سائر الأمهات وبناتهن.

وقف سيب في حالة ذهول، وهو يتساءل، لماذا لم تخبره بالحقيقة؟ فهو لم يشعر بالحزن والسعادة في الوقت نفسه في حياته، ولا بدّ أن يفوز بقلبيهما، وهو مستعدّ لأن يضحّي بأي شيء ليكون معهما، فتفرّق الحشد بعد أن التمّ شمل الأمهات ببناتهن، ولم يبق في النهاية إلا سيب، وهو لا يزال يمسك بباقة من الورود الحمراء، فعبر الشارع، ودخل باب المدرسة على أمل العثور على شخص ما يمكنه أن يخبره بمكان إقامتهما، فسار في ممر طويل، مروراً بفصول دراسية تقع في الجانب المقابل للمكاتب، وقد تزيّنت الجدران برسومات التلميذات ولوحاتهن، وقبل أن يصل إلى الباب الذي غلّقت عليه لافتة تشير إلى أنه مكتب الدكتورة روزماري وولف، الناظرة، توقّف معجباً بلوحة إحدى الفتيات، ولا بد أنها رسمتها من أجل والدتها، وكان من الممكن أن تكون جيسيكا قد رسمتها قبل عشرين عاماً، لأنها تبرز خطوط فرشاتها الدقيقة، والمتميّزة عن غيرها، فلم يكن ذلك الرسم يختلف عن رسومها السابقة.

بدت اللوحة مختلفة عن سائر اللوحات، فهو يتذكّر أنه سار في ممر آخر عندما كان في العاشرة من عمره، واختبر المشاعر نفسها، وهي مشاعر الإعجاب والرغبة في معرفة صاحب اللوحة.

قال صوت شديد اللهجة: "كيف يمكنني

مكتبة ياسين

مساعدتك؟".

استدار سيب ليرى امرأة طويلة ترتدي ملابس أنيقة تنظر إليه نظرات حادة، فذكّرته بخالته غريس.

فقال بصوت خافت، على أمل أن تؤثر فيها لهجته الإنكليزية المبالغ في رقّتها: "لقد أعجبتني اللوحة"، على الرغم من أنها لم تكن تبدو مثل أولئك النساء اللواتي لا يغفلن بسهولة عما يجري حولهن، فأضاف سيب مشيراً إلى لوحة معنونة بعبارة: *إلى أمي*: "إنها استثنائية".

قالت: "أوافقك الرأي، فجيسيكا تمتلك موهبة نادرة... هل أنت على ما يرام؟"، سألته بعد أن شحب وجهه وترنّح إلى الأمام، وقد اتكأ على الحائط.

قال وهو يستعيد رباطة جأشه: "أنا بخير، حسناً، هل قلت اسمها جيسيكا؟".

"نعم، جيسيكا بروير، إنها الفنانة الأكثر إبداعاً في مدرسة جيفرسون الابتدائية، فمنذ أن بدأت العمل بصفة ناظرة هنا، وأنا أدرك مدى موهبتها".

"كيف تبدو جيسيكا؟".

"هل أنت صديق للعائلة؟".

"لا، كنت أعرف والدتها عندما درست في إنكلترا".

"إذا أخبرتني باسمك، فسأبلغها بزيارتك".

"أيتها الناظرة أفضّل أن لا أخبرك باسمي، ولكنني أريد أن أطلب منك طلباً غير عادي".

ارتسمت تلك الملامح الحازمة على وجهها من جديد.

"أودّ شراء هذه اللوحة، وأخذها معي إلى إنكلترا، لتذكّرني دوماً بالأم وابنتها".

قالت الدكتورة وولف بحزم: "أنا أسفة، لكنها ليست للبيع، كما أنني متأكدة من أنك إذا تحدثت إلى

مكتبة ياسمين

السيدة بروير...".

قال سيب وهو يحني رأسه: "هذا ليس ممكناً".

لانت تعابير الناظرة وهي ترمق الغريب نظرة فاحصة.

قال سيب: "من الأفضل أن أذهب، وإلا سأفوّت قطاري".

كان يريد أن يركض ويلوذ بالفرار، ولكن ساقيه كانتا واهنتين للغاية لدرجة أنه لم يكن في إمكانه التحرك من مكانه، وعندما نظر إلى الأعلى ليقول وداعاً، كانت الناظرة لا تزال تحدّق إليه، ثم قالت:

"أنت والد جيسيكا".

أومأ سيب إليها برأسه، بينما كانت الدموع تترقرق في عينيه من دون أن يتمكّن من السيطرة عليها، فما كان من الدكتورة وولف، إلا أن نزعت اللوحة عن الحائط وقدّمتها إلى سيب.

"رجاءً لا تدعيهما تعرفان أنني كنت هنا، أرجوك، فسيكون الوضع أفضل على هذا النحو".

قالت الدكتورة وولف وهي تمدّ يدها إليه: "لن أقول كلمة واحدة".

كان سيدريك هاردكاسل قادراً على التعامل مع هذه المرأة، فهي تبدو شخصاً لا يحتاج إلى توقيع عقد للالتزام بكلمته.

قال سيب وهو يسلّمها الورود: "شكراً لك".

غادر المكان بسرعة، وهو يمسك باللوحة بقوة، وبمجرد أن أصبح في الخارج، مشى طويلاً على غير هداية، وهو يفكّر في غبائه الذي جعله يفقدها، حتى إن غباءه كان مضاعفاً وأشبه بغباء راعي البقر الذي يؤدّي دوراً سيئاً في فيلم من الدرجة الثانية، وبات يدرك الان أن عليه مغادرة البلاد بسرعة.

مكتبة ياسين

لم يعلم أحد بحضوره إلى المدرسة سوى الناظرة، فركب سيارة أجرة، وقال للسائق: "يونيون ستيشن"، ولم يستطع التوقف عن التحديق إلى اللوحة، وفجأة صرخ: "توقّف!"، فركنت سيارة الأجرة إلى جانب الرصيف، وقال السائق: "اعتقدت أنك قلت يونيون ستيشن، إنها على بعد عشرة أحياء أخرى".

"آسف، فقد غيّرت رأيي".

دفع أجرة السائق، وترجّل من السيارة، وحدّق إلى اللافتة، وهذه المرة لم يتردّد في الدخول إلى المبنى، والتوجه مباشرة إلى المنضدة، وهو يدعو أن يكون حدسه صحيحاً، فسألته إحدى النساء الواقفات في المكان: "أي قسم تريد يا سيدي؟".

"أريد الحصول على صورة حفل زفاف، فأنا متأكد من أن صحيفتكم قد نشرتها سابقاً".

"إن قسم التصوير في الطابق الثاني، لكن من الأفضل أن تسرع، فسيُغلق المكان خلال بضع دقائق".

صعد سيب الدرجات ثلاث درجات دفعة واحدة، وعبر بسرعة بعض الأبواب المتأرجحة المكسوة بالصور، فرأى شاباً ينظر إلى ساعته، وهو يقف خلف المنضدة، فلم يسمح له سيب بأن ينطق بأي كلمة.

"هل نشرت صحيفتكم صور زفاف برويز-سوليفان؟".

"لا أتذكّر الاسم، لكنني سأتحقّق من ذلك".

كان سيب يسير ذهاباً وإياباً أمام المنضدة، متأملاً في حصول معجزة، وهو يدعو أن يتحقّق ذلك، أخيراً ظهر الشاب حاملاً ملفاً سميكاً، وقال: "يبدو أننا نشرناها"، ووضع الملف على المنضدة، ففتح

مكتبة ياسين

سيب الغلاف البرتقالي ليكشف عن عشرات الصور، وعدة قصاصات من الصحف مدوّن عليها عنوان المناسبة السعيدة: العروس والعريس، وجيسيكا، والوالدان، ووصيفات الشرف، والأصدقاء، وحتى القس، في حفل زفاف كان يجب أن يكون العريس فيه.

قال الشاب: "إذا كنت ترغب في اختيار صورة معينة، فيبلغ ثمن كل منها خمسة دولارات، ويمكنك استلامها خلال يومين".

"ماذا لو أردت شراء كل الصور التي يحتويها الملف؟ كم يكلّفني ذلك؟".

أجرى الشاب الحساب، وقال له في النهاية: "تكلّف مئتين وعشرة دولارات".

أخرج سيب محفظته وأخرج ثلاثمئة دولار ووضعها على المنضدة: "أريد أن آخذ هذا الملف الآن".

"أخشى أن هذا غير ممكن يا سيدي، لكن كما قلت لك، إذا عدت خلال يومين..."، أخرج سيب ورقة نقدية أخرى من فئة مئة دولار، فرأى نظرة اليأس في عيني الشاب، فهو كان يعرف أن الصفقة ستحسم، ولكن الأمر مرتبط بقيمة المبلغ الذي سيدفعه، همس إليه الشاب قائلاً: "لكن لا يسمح لي..."، وقبل أن يتمكّن من إنهاء جملته وضع سيب ورقة أخرى من فئة المئة دولار فوق الأوراق الأربعة الأخرى، فنظر الشاب حوله ورأى أن معظم زملائه يستعدّون للمغادرة، فجمع الأوراق النقدية الخمسة بسرعة، وحشرها في جيبه، وابتسم لسيب ابتسامة واهنة، وفي الحال التقط سيب الملف، وغادر قسم التصوير، ونزل الدرجات سريعاً، ثم عبر الأبواب المتأرجحة، إلى أن أصبح أخيراً خارج المبنى.

شعر سيب وكأنه سارق يسرع الخطى بعيداً عن المبنى، وأخيراً أبطأ، والتقط أنفاسه بعد أن ابتعد عن المكان، وبدأ يتبع الإشارات التي تقوده إلى يونيون ستيشن، واللوحة مطوية بعناية تحت ذراعه، وملف الصور تحت الذراع الأخرى، ثم اشترى تذكرة قطار أمتراك السريع الذي يوصله إلى نيويورك، وبعد بضع دقائق استقلّ القطار وانتظر انطلاقه، ولم يفتح ملف الصور حتى انطلق من المحطة، وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى محطة بنسلفانيا، لم يتمكّن إلا أن يتساءل إن كان سيصبح مثل السيد سوان، ويندم طيلة حياته، لأنه لم يخبرها بمدى ندمه، وخاصة بعد أن علم أن السيدة برويز قد تزوّجت منذ ثلاثة أشهر فقط.

مكتبة ياسين

27

وضع هارولد غوينزبورغ المخطوطة على المكتب أمامه، وجلس هاري في الجهة المقابلة له، وانتظر حكمه، فعبس غوينزبورغ عندما دخلت سكرتيرته الغرفة، ووضعت كوبين من القهوة الساخنة وطبقاً من البسكويت أمامهما، فالتزم بالصمت في أثناء وجودها. كان واضحاً أنه يستمتع بتعذيب هاري لفترة أطول، وبعدما أغلقت الباب خلفها، اعتقد هاري أنه سينفجر من الغضب، فظهر شبح الابتسامة على وجه غوينزبورغ، وهو يقول: "لا شك في أنك تتساءل عن شعوري حيال آخر أعمالك".

كان في إمكان هاري أن يخنق الرجل اللعين بسعادة.

"هل نبدأ بإعطاء المحقق وورويك فكرة؟".

سيقتله ثم سيدفنه.

"يمكن أن نطبع مئة وعشرين ألف نسخة في رأيي، إنه أفضل عمل قمت به على الإطلاق، وأنا فخور لأنني ناشر كتبك". لقد صدم كلامه هاري لدرجة أنه أراد البكاء، وبما أن أياً منهما لم يكن يحمل منديلاً، أخذا يضحكان، وحالما هدأ، قضى غوينزبورغ بعض الوقت في شرح سبب استمتاعه برواية *ويليام وورويك والقنبلة الزمنية*، وسرعان ما نسي هاري أنه أمضى اليومين الماضيين وهو يسير تائهاً في شوارع نيويورك بسبب قلقه من رد فعل ناشر كتبه، فارتشف رشفة من قهوته التي بردت، وقال غوينزبورغ: "هل لي أن أحوّل انتباهك الآن إلى مؤلف آخر، وأعني أناتولي باباكوف، الذي وثق حياة جوزيف ستالين؟".

وضع هاري كوبه على الصحن، وقال: "أخبرتني

مكتبة ياسين

السيدة باباكوف أنها أخفت كتاب زوجها في مكان لا يمكن أن يعثر عليه أحد، وهو مكان جدير برواية هاري كليفتون، ولكن، كما تعلم، بخلاف تأكيدها وجوده في مكان ما في الاتحاد السوفياتي، فأنت الشخص الوحيد الذي ترغب في إخباره بالموقع".

تابع غوينزبورغ، من دون أن يقاطعه هاري:

"شخصياً، لا أعتقد أنه يجدر بك التورط بالمسألة. تذكّر أن الشيوعيين لا يعتبرونك كنزاً وطنياً، لذلك إذا حدّدت مكان وجوده، فربما يجب على شخص آخر الذهاب إليه واستعادته".

قال هاري: "إذا لم أكن مستعداً للمخاطرة بنفسي، فما الهدف من كل السنوات التي قضيتها محاولاً تحقيق العدالة عبر الإفراج عن باباكوف؟ ولكن قبل أن أقرّر، دعني أطرح عليك سؤالاً واحداً، إذا تمكّنت من وضع يدي على نسخة من كتاب *العم جو*، فما العدد الأولي الذي ستطبعه؟".

قال غوينزبورغ: "مليون نسخة".

"ولا تزال تعتقد أنني لن أخاطر من أجل الحصول عليه! لا تنس أن كتاب سفيتلانا ستالين، عشرون رسالة إلى صديق، كان في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً لأكثر من عام، وعلى عكس باباكوف، لم تدخل الكرملين مرة واحدة في عهد والدها".

فتح غوينزبورغ درج مكتبه وسحب شيكاً بمبلغ مئة ألف دولار للسيدة يلينا باباكوف، وسلّمه إلى هاري قائلاً: "إذا وجدت الكتاب، فستكون قادرة على العيش برفاهية لبقية حياتها".

"ولكن إذا لم أتمكّن من فعل ذلك؟ وإذا لم يكن موجوداً؟ فستكون قد أنفقت مئة ألف دولار من دون أن تحصل على ما تنشره مقابل ذلك".

مكتبة ياسين

قال غوينزبورغ: "هذه المجازفة أرغب في خوضها، فأي ناشر محترم سيكون مستعداً للمغامرة من أجل الوصول إلى الكتاب القيم، ولكن دعنا الآن نتحدّث عن مسائل أكثر إثارة، عن محبوبتي إيما على سبيل المثال أو سيباستيان أو حتى الليدي فيرجينيا فينويك التي لا أطيق الانتظار إلى سماع أخبارها".

***

طال وقت تناول الغداء برفقة ناشركتبه، وبالكاد وصل هاري إلى محطة بنسلفانيا في الوقت المناسب، ليستقلّ قطار بنسلفانيا فلاير، وخلال الجزء الأول من رحلته إلى بيتسبرغ، تطرّق إلى كل سؤال يريد غوينزبورغ الإجابة عنه، قبل أن يتمكّن من التخلي عن مبلغ مئة ألف دولار أميركي.

وفي وقت لاحق، كان هاري يفكّر في محادثته الأخيرة مع سيباستيان، فهو كان يأمل في أن يفوز ابنه بسامانثا مجدداً، ليس فقط لأنه كان يحبّها، بل لأنه شعر أن سيب قد نضج أخيراً، وأن سام ستعاود اكتشاف الرجل الذي وقعت في حبه من جديد.

عندما انطلق القطار إلى يونيون ستيشن، تذكّر هاري أن عليه أن يقوم بزيارة مهمة كان قد وعد نفسه بها لو حضر إلى بيتسبرغ يوماً ما، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت لزيارة متحف كارنيجي للفنون الذي يحتوي على أفضل اللوحات في أميركا كما أخبرته جيسيكا، فركب سيارة أجرة صفراء، وطلب من السائق أن يصطحبه إلى قصر برونزويك الواقع في الجانب الشمالي، وكان العنوان يوحي بأن سكانه ينتمون إلى الطبقة الوسطى، ولكن عندما وصل بعد عشرين دقيقة، اكتشف هاري أن الواقع كان مريراً، وأن زوجة باباكوف تسكن في حي فقير، فانطلقت السيارة في اللحظة التي دفع

مكتبة ياسين

فيها الأجرة، وصعد الدرج الحجري القديم الذي يؤدي إلى مبنى مغطى بالكتابات، ورأى عبارة "خارج الخدمة" معلقة على باب المصعد، وقد بدا أنها قديمة جداً، فصعد ببطء على الدرج إلى الطابق الثامن بحثاً عن شقة رقم 86 التي تقع في الجهة اليمنى من المبنى، وكان الجيران ينظرون إليه وهم مرتابون من قدوم رجل يرتدي ملابس أنيقة، فمن المؤكد أنهم ظنّوه مسؤولاً في الحكومة.

جاء الرد سريعاً بعد أن طرق بلطف على الباب، فلا بد أنها كانت تنتظره، ابتسم هاري إلى سيدة عجوز ذات عينين حزينتين قد أرهقتهما هموم الحياة، فيمكنه أن يتخيّل مدى الألم الذي واجهته طوال انفصالها عن زوجها، على الرغم من أنهما كانا في العمر نفسه، إلا أنها بدت أكبر منه بعشرين عاماً، فقالت من دون أي أثر للهجتها الأصلية: "مساء الخير، سيد كليفتون، من فضلك تفضَّل بالدخول"، وجّهت ضيفها عبر ممر غير مفروش بالسجاد إلى غرفة الجلوس، حيث علّقت صورة كبيرة لزوجها، وقالت: "من فضلك اجلس"، وهي تشير إلى أحد الكراسي المزدوجة التي كانت من بين قطع الأثاث القديمة في الغرفة.

"كان لطفاً منك القيام بهذه الرحلة الطويلة من أجل مقابلتي، ويجب أن أشكرك على شجاعتك وجهودك الكبيرة من أجل إعادة عزيزي أناتولي، لقد أثبتَ أنك حليف لا يعرف الكلل"، تحدّثت السيدة باباكوف عن زوجها وكأنه تأخر عن الحضور إلى منزله بعد انتهاء دوام العمل، وأنه سيظهر في أي لحظة، لا كشخص يمضي عقوبة السجن ومدتها عشرون سنة، ويفصل بينهما سبعة آلاف ميل.

سأل هاري: "كيف قابلت أناتولي للمرة الأولى؟".

مكتبة ياسين

"كلانا تدرّب في معهد اللغات الأجنبية في موسكو".

وتابعت كلامها قائلة: "انتهى بي الأمر بتدريس اللغة الإنكليزية في مدرسة حكومية محلية، بينما انتقل أناتولي إلى الكرملين بعد فترة وجيزة من فوزه بميدالية لينين لحصوله على المرتبة الأولى في عامه الأول، وعندما تزوجنا، اعتقدت أن لدينا كل ما يحلم به الإنسان، وأننا لا بد من أن نكون مباركين حقاً، فكنا سعيدين للغاية، وفقاً لمعايير معظم الناس في روسيا، ولكن ذلك تغيّر بين عشية وضحاها عندما وقع الاختيار على أناتولي لترجمة خطابات الرئيس حتى يتمكّن من استخدامها لأغراض دعائية في الغرب".

ثم مرض المترجم الرسمي للرئيس، وحلّ أناتولي محله مؤقتاً، وسرعان ما حصل على ترقية ليصبح المترجم الفوري الرئيسي لستالين، وستفهم السبب إن كنت قد قابلته من قبل".

قال هاري: "تقصدين أنني سوف أفهم سبب ذلك عندما أقابله".

ابتسمت وقالت: "أجل عندما تقابله، لقد كان ذلك عندما بدأت مشاكله، وأصبح قريباً جداً من ستالين، وعلى الرغم من أنه كان مجرد مترجم، فقد شهد الأفعال الوحشية التي جعلته يدرك حقيقة ستالين الذي يتظاهر أمام الناس بصورة إنسان يميل إلى فعل الخير، إلا أنها كانت صورة بعيدة كل البعد عن الحقيقة، فكان أناتولي يخبرني بأفظع القصص عندما يرجع من العمل، ولكنه لم يقم بذلك أمام أي شخص آخر، حتى إنه لم يخبر أقرب أصحابنا عن تلك الأفعال، لأن عقوبته ما كانت ستكون مجرد فصله من العمل، بل كان سيختفي كما حصل له

وللالاف من قبله، إلا أن عزاءه الوحيد كان إفراغ كل غضبه عبر كتاباته، التي كان يعلم أنه لا يمكن نشرها إلا بعد وفاة ستالين، إلا أنه قد لا يتمكّن من فعل ذلك حتى بعد وفاته. ولكن أناتولي أراد أن يكشف للعالم حقيقة ستالين الذي كان شريراً مثل هتلر، وأن الفرق الوحيد بينهما أن ستالين أفلت من العقاب، ثم مات.

ولكن صبر أناتولي قد نفد وأراد أن يعرف العالم ما يعرفه عن ستالين، على الرغم من أنه كان يجدر به أن ينتظر وقتاً أطول، ولكن عندما عثر على الناشر الذي شاركه وجهة نظره، لم يستطع كبح نفسه عن نشر كتابه، وفي اليوم المحدّد للنشر وقبل أن يصل كتاب *العم جو* إلى المكتبات، صودرت كل النسخ، فقد كانت مخاوف المنظمة الأمنية كبيرة جداً من اكتشاف أي شخص الحقيقة، لدرجة أن الآلة التي طبعت كلمات أناتولي قد حطّمتها، وفي اليوم التالي قبضوا عليه، وخلال أسبوع اعتقل وحُكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً مع الأشغال الشاقة في الجولاج بسبب كتابه الذي لم يقرأه أحد. ولو كان أميركياً كتب سيرة روزفلت أو تشرشل، لكان سيشارك في كل برنامج حواري، ولكان كتابه تصدّر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً.

"لكنك تمكّنت من الهروب".

"نعم، لقد توقّع أناتولي ما سيحدث، فقبل أسابيع قليلة من النشر، أرسلني لزيارة والدتي في لينينغراد، وأرسل معي النسخة الأصلية من الكتاب، كما أعطاني كل روبل أدّخره، فتمكّنت من عبور الحدود إلى بولندا، حتى إنني رشوت جندياً، وقد اضطررت إلى إعطائه معظم مدّخرات أناتولي التي كان قد جناها من عرق جبينه، وهكذا وصلت إلى

مكتبة ياسين

أمريكا من دون فلس واحد".

"وهل أحضرت الكتاب معك؟".

"لا، لم أستطع المخاطرة بذلك، فلو أمسكوا بي وصادروه، لضاعت جهود أناتولي كلها سدى، وذهبت تضحياته هباء".

***

عندما دخلت الليدي فيرجينيا الغرفة، وقف الرجال الثلاثة الذين كانوا ينتظرونها للبدء بالاجتماع.

جلس ديزموند ميلور أمامها، مرتدياً بذلة بنية اللون وإلى يساره جلس الرائد فيشر وهو يرتدي بذلة مزدوجة الصدر ومخططة باللون الأزرق الغامق، إنه الآن عضو في البرلمان، وجلس في الاتجاه المقابل له الرجل الذي دعا إلى الاجتماع.

قال أدريان سلون: "طالبت بهذا الاجتماع خلال وقت قصير، لأن شيئاً ما قد طرأ ومن شأنه أن يعطّل الخطة، بعد ظهر يوم الجمعة الماضي، وقبل أن يسافر سيباستيان كليفتون إلى نيويورك على متن باكينغهام، اشترى خمسة وعشرين ألف سهم من أسهم البنك، رافعاً أسهمه إلى أكثر من خمسة بالمئة بقليل، وقد حذّرتكم منذ بعض الوقت، من أن أي شخص يمتلك ستة في المئة من أسهم الشركة يصبح تلقائياً عضواً في مجلس الإدارة، وإذا حدث ذلك، فلن يمرّ وقت طويل قبل أن يكتشف ما كنا نخطّط له في الأشهر الستة الماضية".

سألته السيدة فيرجينيا: "كم تعتقد أن لدينا من الوقت؟".

قال سلون: "يمكن أن يكون يوماً أو شهراً أو سنة، أو ربما أكثر، لا أحد يدري".

مكتبة ياسين

"كل ما نعرفه على وجه اليقين أنه يحتاج فقط إلى واحد في المئة حتى يصبح عضواً في مجلس الإدارة، لذلك يجب علينا أن نتحضّر لذلك عاجلاً أم أجلاً".

سأله الرائد: "ما حجم الفرص المتاحة لوضع أيدينا على حصة السيدة العجوز؟ فذلك من شأنه أن يحلّ جميع مشاكلنا".

قال ديز ميلور: "الثلاثاء المقبل لدي موعد مع ابنها أرنولد لطلب استشارة قانونية، ولكنني لن أخبره بهدفي الحقيقي حتى يوقّع اتفاقية عدم إفشاء".

التفتت فيرجينيا إلى سلون وسألته: "لماذا لا تقدّم له العرض؟ فأنت رئيس البنك".

قال سلون: "لن يوافق على التعامل معي أبداً، خصوصاً بعد أن جعلت السيدة هاردكاسل تتنازل عن حقوقها في التصويت يوم جنازة زوجها، لكنه لم يلتق بديزموند من قبل".

قال ميلور: "وبمجرد أن يوقّع اتفاقية عدم الإفشاء، سأقدّم إليه عرضاً بثلاثة جنيهات وتسعة شلنات، مقابل كل سهم من أسهم والدته، وهذا السعر يزيد بنسبة ثلاثين في المئة عن قيمتها في السوق".

"بالتأكيد سيكون مرتاباً؟ هو يعلم أنك مدير البنك".

قال سلون: "صحيح، ولكن بصفته الوصي الوحيد على أملاك والده تقع على عاتقه مسؤولية الحصول على أفضل صفقة ممكنة، فوالدته تعيش في الوقت الحالي على الأرباح التي جعلتها توفّر الحد الأدنى من احتياجاتها خلال العامين الماضيين".

قال ميلور: "بعد أن أذكّره بذلك، سأخبره بأنني أريد أن أقصي أدريان عن منصب رئاسة البنك".

قال الرائد: "هذا القرار وحده يجب أن يحسم الأمور".

"ولكن ما الذي يمنعه من الاتصال بكليفتون، ويطلب منه ببساطة سعراً أفضل؟".

"هذا هو سحر اتفاقية عدم الإفشاء، فلا يمكنه مناقشة العرض مع أي شخص آخر غير والدته".

سأل الرائد: "وهل المشتري الآخر لا يزال راغباً في إبرام الصفقة؟".

قال سلون: "السيد بشارة ليس جاهزاً فقط، بل قد أكّد عرضه بخمسة جنيهات للسهم الواحد عبر وثيقة مكتوبة، كما أودع مليوني جنيه إسترليني لدى محاميه لإظهار مدى جديته".

تساءلت الليدي فيرجينيا: "لماذا هو مستعدّ لدفع الكثير؟".

"لأن بنك إنجلترا رفض مؤخراً طلبه في الحصول على ترخيص لافتتاح مصرف في لندن، وهو يائس جداً ويسعى إلى الحصول على بنك إنكليزي له سمعة حسنة لا تشوبها شائبة، لدرجة أنه مستعد إلى دفع أي مبلغ من دون اعتراض للحصول على أسهم في بنك فارذنغز".

قال فيشر: "ألن يعترض بنك إنجلترا على إبرام هذه الصفقة التي تبدو بوضوح أنها استحواذ على بنك فارذنغر؟".

"بلى، ولكنه إذا حافظ على مجلس الإدارة لسنوات، فلن يكون في وسع البنك الاعتراض، وبالتالي سأحافظ على منصبي، وهنا تكمن أهمية ألا يكتشف كليفتون ما نحن بصدد القيام به".

"ولكن ماذا يحدث إذا حصل كليفتون على ستة في المئة؟".

مكتبة ياسين

قال سلون: "سأعرض عليه أيضاً ثلاثة جنيهات وتسعة شلنات للسهم الواحد، ولديّ شعور بأنه لن يكون قادراً على مقاومة هذا العرض".

قال ميلور: "لست متأكداً من ذلك، فقد لاحظت تغييراً في مواقفه، ويبدو أنه يعمل بشكل مختلف بالكامل، لذا سأضطرّ إلى إعادة ابتكار أجندة عمل جديدة".

***

قالت السيدة باباكوف: "الكتاب موجود في المكان الذي يجدر به أن يكون فيه".

خمّن هاري مكانه، وقال: "في مكتبة؟".

ابتسمت السيدة باباكوف، وقالت له: "ليس في مكتبة عادية".

"إذا كنت تريدين الاحتفاظ بهذا السر، فسأفهم ذلك، خاصةً إذا كان من المرجح أن يؤدّي اكتشافه إلى زيادة عقوبة زوجك".

"ماذا يمكن أن تكون هذه العقوبة؟ كانت كلماته الأخيرة عندما سلّمني الكتاب *"خاطرت بحياتي من اجل هذا الكتاب، وسأضحّي بها لأتأكّد من نشره حتى يتمكّن العالم، وخاصة الشعب الروسي، من معرفة الحقيقة"*، لذلك لم يبق لدي سوى هدف واحد في الحياة، سيد كليفتون، وهو رؤية كتاب أناتولي ينتشر في كل العالم، ومهما كانت العواقب، وإلا فإن كل تضحياته ستذهب سدى".

أمسكت بيديه، ثم قالت: "إنه في مكتبة أثرية متخصصة في الترجمة الأجنبية في ركن نيفسكي بروسبكت وبولشايا، مورسكايا ستريت في لينينغراد"، وظلت ممسكة بيد هاري مثل الأرملة الوحيدة التي تتشبّث بيدي ابنها الوحيد، وهي

تحدّد مكانه بدقة قائلة: "إنه على الرف العلوي في أبعد زاوية، بين كتاب الحرب والسلام باللغة الإسبانية، وحكايات أوبرفيل بالفرنسية، لكن لا تبحث عن كتاب *العم جو*، لأنني خبأته داخل غلاف قديم لقصة *مدينتين* المترجمة باللغة البرتغالية، لأنني لا أعتقد أن الكثير من البرتغاليين يزورون تلك المكتبة".

ابتسم هاري وقال: "إذا وجدته، وتمكّنت من استعادته، فهل تمانعين أن ينشره السيد غوينزبورغ؟".

"بالعكس تماماً، فهذا سيجعل أناتولي يشعر بالفخر".

صمتت قليلاً، وابتسمت مرة أخرى، وهي تقول: "سيفخر أناتولي بأن تنشر كتابه الدار التي تنشر كتب هاري كليفتون".

أخرج هاري مغلفاً من جيب سترته الداخلي وسلّمها إياه، ففتحته ببطء وأخرجت الشيك، فراقب هاري رد فعلها، ولكنها ببساطة أعادت الشيك إلى المغلف وقدّمته إليه.

"لكن من المؤكد أن أناتولي كان سيقبل..."

قالت بهدوء: "نعم، كان سيقبل ولكنني لا أقبل، هل يمكنك تخيّل الألم الذي يعاني منه كل يوم؟ لذلك، وإلى أن يتمّ إطلاق سراحه، لا يهمّني أن أعيش في مستوى معيشي لائق يوفّر لي الراحة، وأريد أن يفهم الجميع ذلك".

جلسا بصمت معاً في الغرفة الصغيرة، وهما يمسكان بيدي بعضهما.

عندما حلّ الظلام، ولم تشعل مصباحاً، أدرك هاري أنها مصممة على مشاركة زوجها في سجنه، إن ما

مكتبة ياسين

أظهرته من كرامة وعزة نفس أشعرتا هاري بالحرج، وأخيراً وقفت السيدة باباكوف، وقالت له:

"استبقيتك لوقت طويل سيد كليفتون، وسوف أفهم إذا قرّرت عدم الذهاب إلى روسيا، لأن لديك الكثير لتخسره، ولكن إذا قرّرت عدم الذهاب، فلدي طلب واحد منك، وهو ألا تكشف ما أخبرتك به، حتى أعثر على شخص يكون مستعداً لتنفيذ تلك المهمة".

قال هاري: "سيدة باباكوف، إذا كان الكتاب موجوداً، فسأعثر عليه، وسأنشره في كل مكان".

احتضنته وقالت: "كن واثقاً بأنني سأتفهّم موقفك إن بدّلت رأيك".

شعر هاري بالحزن والبهجة على حد سواء، وهو ينزل الدرج عائداً إلى الرصيف المهجور.

مشى عبر عدة مجمعات سكنية قبل أن يوقف سيارة أجرة من دون أن يتمكّن من ملاحظة الرجل الذي يتبعه، ويلتقط له الصور خفية.

"اللعنة"، تمتم هاري عندما تحرك القطار من يونيون ستيشن، وبدأت رحلته الطويلة إلى نيويورك، فهو لم ينتبه إلى موعد رحلته في أثناء انشغاله بالتحدث إلى السيدة باباكوف، فقد نسي تماما زيارة كارنيجي، وجيسيكا كانت ستعاقبه لو عرفت، لا بل كانت ستوبّخه بشدة.

مكتبة ياسين

الليدي فرجينيا فيونيك

1970

28

قال أدريان سلون: "أودّ أن أفتتح هذا الاجتماع، من خلال تقديم أسمى التهاني إلى الرائد فيشر بمناسبة فوزه في انتخابات البرلمان".

ربت ديزموند ميلور على ظهر النائب الجديد وهو يقول: "اسمع، اسمع".

أجاب فيشر: "شكراً لك، ولكنني أعتبر أن المكافأة الفعلية تمثلت بهزيمة جايلز بارينغتون".

قال سلون: "إذا سارت الأمور وفقاً لما أخطّط له، فلن يكون بارينغتون الوحيد الذي على وشك أن يتكبّد الخسارة، لكن لنطلب أولاً من ديزموند أن يخبرنا بنتائج اجتماعه بأرنولد هاردكاسل".

قال ديزموند: "في البداية لم تجر الأمور بسلاسة، لأنه كان يبدو واضحاً أنه لم يكن مهتماً ببيع أسهم والدته، حتى بعد أن عرضت عليه السعر المرتفع، والبالغ ثلاثة جنيهات وتسعة شلنات، ولكنني عندما أخبرته بأن أول إجراء سأقوم به بصفتي المساهم الأكبر في البنك هو إقالة أدريان وإخراجه من مجلس الإدارة، تغيّر موقفه في الحال".

قال فيشر: "إذاً ابتلع الطعم؟".

قال سلون: "بالطبع فعل، إنه يكرهني بقدر ما تكرهني إيما كليفتون وجايلز بارينغتون، وربما أكثر".

قالت الليدي فيرجينيا: "هذا غير ممكن".

أضاف ميلور: "لكن النقطة الحاسمة كانت عندما أخبرته بالاسم الذي أنوي تعيينه رئيساً لفاردنغز بدلاً

مكتبة ياسين

من أدريان".

لم يستطع ميلور مواجهة الموقف طالما أنه شعر بأنه يستطيع التهرّب من الإجابة، ولكنه قال: "روس باكنان".

"لكن مكالمة هاتفية واحدة إلى باكنان، وسيعلم...".

"لقد نسيت أيها الرائد أن هاردكاسل وقّع اتفاقية سرية، لذلك لن يتّصل بأي شخص، وأحبّ أن أرى ملامح وجهه عندما يكتشف أننا سنغيّر اسم البنك من فارذنغز إلى سلون".

سألت الليدي فيرجينيا: "هل لا يزال في إمكانه تغيير رأيه إذا قدّم إليه أحدهم عرضاً أفضل؟".

أجاب ميلور: "فات الأوان فقد وقّع بالفعل على شهادات التحويل المشترك، وطالما أنني سأدفع خلال عشرين يوماً، فستكون الأسهم لي".

قال سلون: "وستتخطّى ميزانيتك لفترة قصيرة فقط، قبل أن يشتري حكيم بشارة الأسهم، وتحصل على ربح وفير".

ذكّرتهما فيرجينيا قائلة: "ولكن إذا لم يدفع بشارة المبلغ، فسنكون جميعاً في وضع صعب، إنه يتّصل عبر الهاتف مرتين في اليوم، ويريد الحصول على تحديثات بشأن كل ما يجري، حتى إنه أجّل زيارته إلى بيروت للقاء الرئيس اللبناني، وفي الواقع أفكّر في رفع السعر من خمس جنيهات إلى ستة، ولكن ليس قبل اللحظة الأخيرة".

سأل فيشر: "أليس في الأمر بعض المخاطرة؟"

"صدّقني، إنه يائس جداً، ومتلهّف إلى أن يضع يديه على فارذنغز، وسيوافق على أي مبلغ نطلبه تقريباً، فدعنا ننتقل إلى الجزء الثاني من خطتنا،

مكتبة ياسين

التي تشملك أيتها الليدي فيرجينيا، وتوقيت محاكمتك، وهو أمر بالغ الأهمية، فإيما كليفتون ستقدّم دفاعها ضدّك الأسبوع المقبل، وقد أخبرني المحامون أنهم يتوقّعون المحاكمة في نوفمبر".

قال ميلور، وهو يدقّق في مذكراته: "لا يمكن أن يكون أي تاريخ أكثر ملاءمة منه، لأن اجتماع مجلس إدارة بارينغتون القادم سيكون بعد ثلاثة أسابيع، وسأصرّ على أن تتنحّى السيدة كليفتون عن رئاسة مجلس الإدارة، من أجل مصلحة الشركة، على الأقل حتى موعد المحاكمة".

سلون: "لا داعي لأن نحزر من سيحلّ مكانها في ذلك الوقت".

ميلور: "ما إن أتولّى المنصب، حتى أعلن للمساهمين بصفتي مؤتمناً على أموالهم ما حدث بالفعل في الليلة الأولى من رحلة باكينغهام الأولى".

قال فيشر والقلق بادٍ على وجهه: "لكن ما حصل يكتنفه الغموض".

"لن يظلّ الوضع كذلك لفترة أطول، فعندما انضممت للمرة الأولى إلى مجلس بارينغتون، لمّح جيم نولز إلى أن الأمور لم تكن طبيعية في تلك الرحلة، ولكن مهما ضغطت عليه فلن يخوض في التفاصيل، وبالطبع راجعت محضر الاجتماع الذي انعقد على متن السفينة في وقت لاحق من ذلك الصباح، ولكن كل ما وجدته كان اعتذاراً من القبطان عن الانفجار الذي وقع خلال الساعات الأولى، وقد أُلقيت مسؤولية ما جرى على الأسطول الرئيسي الذي زعم أنه كان ينفّذ في تلك الليلة تدريبات في شمال الأطلسي، ونظرة واحدة إلى سجلات البحرية، تكشف بسرعة أن الأسطول الرئيسي كان راسياً قبالة جبل طارق في ذلك الوقت".

مكتبة ياسين

سأل فيشر: "حسناً ما الذي حدث فعلاً؟ لأنني حاولت تقصي الحقيقة من نولز بنفسي، وقد ظلّ صامتاً حتى بعد مرور فترة على وقوع الحادثة".

أجاب ميلور: "الشيء الوحيد الذي استطعت اكتشافه هو أن أعضاء مجلس الإدارة الآخرين وقّعوا على اتفاق السرية، واعتقدت أنني قد وصلت إلى طريق مسدود حتى اجتماع مجلس الإدارة الشهر الماضي، عندما تصرّفت السيدة كليفتون بتهور من دون أن تدرك عواقب قرارها المحتملة، ولم يسألها أحد السؤال الواضح".

"أبلغ القبطان باكينغهام مجلس الإدارة أنه خلال رحلته الأخيرة عثر على مساعد القبطان الثالث السيد جيسيل ثملاً في أثناء خدمته على الجسر في الرحلة الأولى، وقد خجز في مقصورته لبقية الرحلة، وطالب الأميرال سامرز بإقالة جيسيل على الفور من دون دفع تعويضاته، وقد دعمته لأنها مثل جميع أعضاء الإدارة الآخرين أغفلت عن آثار هذا القرار، فجيسيل كان ضابط العلم في الليلة الأولى من الرحلة الأولى، ولا بد أنه شهد كل ما حدث".

جفّف فيشر جبهته التي تتصبّب عرقاً بمنديل.

وتابع ميلور كلامه قائلاً: "لم يكن من الصعب تعقّب جيسيل، الذي لم يكن فقط عاطلاً عن العمل، ولكنه اعترف بأنه كان متخلفاً عن سداد الإيجار لمدة ثلاثة أشهر، فأخذته إلى الحانة المحلية، ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى اكتشفت أنه لا يزال غاضباً ويشعر بمرارة بسبب إقالته، وبدأ يقول إنه يعرف الأشياء التي من شأنها أن تؤدّي إلى انهيار الشركة، وبعد بضع كؤوس من الرام بدأ بتوضيح حقيقة ما جرى، مفترضاً أنني أرسلت للتأكد من أنه سيغلق فمه، مما جعله يفتحه أكثر، وهو يخبرني بأنه رأى

مكتبة ياسين

هاري كليفتون وجايلز بارينغتون يحملان إناء زهور كبيراً كان في إحدى كبائن الدرجة الأولى، ويتّجهان به إلى الطابق العلوي، وقد تمكنا من رميه في البحر قبل لحظات فقط من انفجاره، وفي صباح اليوم التالي، أُلقي القبض على ثلاثة إيرلنديين، ثم اعتذر القبطان إلى الركاب، وأخبرهم بقصة الأسطول الرئيسي، بينما كانوا في الحقيقة على بعد ثوانٍ فقط من حصول كارثة كبرى، كان يمكن أن تقتل عدداً كبيراً من الأشخاص".

قال فيشر بعصبية: "لكن لماذا لم يعلن الجيش الجمهوري الإيرلندي عما حدث بالفعل؟".

"أخبرني جيسيل أن الإيرلنديين الثلاثة اعتقلوا في وقت متأخر من صباح ذلك اليوم، ونقلوا إلى بيلفاست على متن سفينة بحرية ملكية قبل أن يوضعوا في سجن بيلفاست بتهم أخرى، وقد أفرجوا عنهم مؤخراً، وأحد شروط الكفالة الخاصة بهم، أنهم إذا نطقوا بكلمة واحدة عن باكينغهام فسيعودون إلى السجن الانفرادي في اليوم نفسه، ودعونا نواجه الأمر، فالجيش الجمهوري الإيرلندي لا يتحدّث كثيراً عن إخفاقاته".

سأل فيشر: "ولكن إذا لم يكن الجيش الجمهوري الإيرلندي في وضع يسمح له بتأكيد القصة، وشاهدنا الوحيد هو مخمور فُصل من منصبه، لماذا قد يهتمّ بهذه المسألة أي شخص بعد مرور ست سنوات تقريباً؟ وكم مرة قرأنا ادّعاءات الصحف أن الجيش الجمهوري الإيرلندي يسعى إلى تفجير قصر باكينغهام وبنك إنجلترا ومجلس العموم؟".

أجاب ميلور: "أنا أوافقك الرأي أيها الرائد، ولكن الصحافة قد تتّخذ موقفاً مختلفاً تماماً، وبصفتي رئيس شركة بارينغتون، قررت أن أضع الأمور

مكتبة ياسين

في نصابها قبل أسابيع فقط من إطلاق بالمورال والإعلان عن تاريخ رحلتها الأولى".

"لكن سعر السهم سينهار بين عشية وضحاها".

"سنصلح ذلك من دون أن نتكلّف شيئاً تقريباً، فمقابل الأرباح التي سنحقّقها من الصفقة المصرفية، بالإضافة إلى حصولنا على مجلس إدارة جديد بعد تغيير الاسم، سنعيد الشركة إلى وضعها السابق في أقرب وقت ممكن".

قالت الليدي فيرجينيا: "تغيير الاسم؟".

ابتسم ديزموند: "ميلور للشحن، فسيحصل أدريان على البنك، وسأحصل أنا على شركة شحن".

قالت فرجينيا: "وما الذي سأحصل عليه أنا؟".

"ما أردته دائماً سيتحقّق، فرجينيا، فمن دواعي سروري دفع عائلة بارينغتون إلى الاستسلام، كما لا يزال لديك دور حيوي لتؤدّيه، لأن التوقيت سيكون مهماً، وهناك المزيد من المعلومات التي حصلت عليها في اجتماع مجلس الإدارة، ومنها أن هاري وإيما كليفتون سيزوران نيويورك في الشهر المقبل، وهو ما تقوم به بصفتها الرئيسة كل عام، وسيكون ذلك الوقت المناسب للسماح لأصدقائك الصحفيين بمعرفة ما يمكن أن يطّلعوا عليه قبل المحاكمة، ومن المهم أن تصلي إلى المعلومات المتعلقة بك في القصة بينما هي عالقة في وسط المحيط الأطلسي، وهكذا ما إن يحين الوقت الذي ستعود فيه السيدة كليفتون إلى مكانها، سيتعيّن عليها الدفاع عن نفسها على جبهتين، أولاً أمام المساهمين الذين سيريدون معرفة سبب إخفائها الحقيقة، وعدم إعلامهم بما حدث حقاً في تلك الليلة بصفتها رئيسة مجلس الإدارة، وفي الوقت نفسه سيكون عليها التعامل مع قضية التشهير بك، وأتوقّع أنه لن يمر

مكتبة ياسمين

وقت طويل قبل أن تنضمّ إلى والدها بصفتها عنصراً من عناصر الحاشية في تاريخ الشركة".

قالت فيرجينيا: "لا يزال هناك عقبة واحدة، فالمحامون يقولون إن احتمال فوزي في هذه القضية يبلغ خمسين في المئة فقط".

قال سلون: "ما إن يحين الوقت الذي ستبدأ به المحاكمة، حتى تكون إيما كليفتون قد فقدت أي مصداقية تتمتّع بها على الإطلاق، وستكون هيئة المحلفين إلى جانبك منذ اللحظة التي ستدخلين فيها إلى منصة الشهود".

أصرّت فيرجينيا: "ولكنني إذا لم أربح القضية فسوف ينتهي بي الأمر إلى دفع فاتورة قانونية ضخمة".

"بعد استقالة السيدة كليفتون من منصب رئاسة مجلس إدارة بارينغتون، لا أستطيع أن أرى كيف ستخسرين القضية، وذلك غير مرجح، ففي نهاية المطاف سيسعد البنك تغطية جميع التكاليف، فهي مجرد ثمن بخس في سبيل إنجاز المخطط الأكبر".

قال الرائد فيشر: "هذا لا يحلّ مشكلة سيباستيان كليفتون، ونسبته التي ستبلغ ستة في المئة، لأنه إذا حصل على المنصب، سيعرف كل شيء".

قال سلون: "سأحلّ ذلك، سأتصل بكليفتون وأحدّد موعداً لمقابلته".

"ربما سيرفض رؤيتك".

لن يتمكّن من المقاومة عندما أعرض عليه خمسة جنيهات مقابل سهمه، وهكذا ستبلغ نسبة ربحه مئة في المئة، وسوف يتراجع، فما أتذكّره أن هذا الشاب، يتخلّى عن أي التزامات أخرى في اللحظة التي تسنح له الفرصة للربح.

مكتبة ياسين

قال فيشر: "لكن ماذا لو رفض عرضك".

قال سلون "عندها يحين موعد الخطة باء، ولا تهمني النتائج في كلتا الحالتين".

***

"كما أوضحت عندما التقينا في المرة الأولى ليدي فيرجينيا، فمن وجهة نظر مهنية، فإن فرصك في الفوز بهذه القضية ليست أكثر من خمسين في المئة، لذلك ربما يكون من الحكمة التخلي عنها".

أجابت فيرجينيا بمكر: "شكراً لك على نصيحتك، سيد إدوارد، ولكنها مخاطرة أرغب في الغوص فيها".

"كما تشائين، ولكنني شعرت بأنه من الضروري أن أعرض أمامك وجهة نظري، حتى لا يكون هناك سوء فهم في وقت لاحق".

"أوضحت موقفك تماماً، سيد إدوارد".

"فلنبدأ أولاً بالنظر إلى وقائع القضية بموضوعية قدر الإمكان، إما أنك بعت أو لم تبيعي، وبعد ذلك أعدت شراء عدد كبير من أسهم بارينغتون لغرض وحيد وهو الإضرار بالشركة".

"لماذا سأسعى إلى إلحاق الضرر بالشركة؟".

"صحيح، لماذا يمكن أن تفعلي ذلك؟ يجب أن أذكر في هذه المرحلة أنه سيكون على عاتق الطرف الآخر إثبات أنك فعلت ذلك، ومع هذا ففي ثلاث مناسبات منفصلة تزامنت ومواجهة الشركة ظروفاً سيئة، بعت الأسهم وهي في ذروتها، ثم بعد عشرة أيام، وعندما انخفض سعرها عدت إلى السوق وأعدت شراءها، فهل هذا تقييم عادل؟".

"نعم. لكنني لم أفعل ذلك إلا بعد أن استشرت الرائد فيشر".

مكتبة ياسين

"أعتقد أن عليك تجنب ذكر الرائد فيشر عندما تكونين على منصة الشهود".

"لكنه عضو في البرلمان".

"ربما هذا هو الوقت المناسب لتذكيرك أيتها الليدي فيرجينيا بأن المحامين ووكلاء العقارات والنواب هم أكثر سوءاً من جامعي الضرائب بحسب رأي معظم المحلفين".

"ولكن لماذا لا أذكرها، في حين أنها الحقيقة؟".

"لأن الرائد فيشر كان مديراً لشركة بارينغتون في الوقت الذي بعتِ فيه الأسهم وأعدت شراءها، وبصفته ممثلاً سابقاً في المجلس، لن يساور هيئة المحلفين أي شك حول مصادر معلوماتك، وضعي هذا بعين الاعتبار، كما سوف أنصحك بعدم الاتصال بالرائد فيشر، على الرغم من أنه قد يكون من الحكمة بالنسبة إليك أن تنبهيه إلى احتمال استدعائه من قبل محامي الخصم، لأنني لو كنت مكانهم، لكنت سأطلب منه ذلك".

بدت فيرجينيا قلقة للمرة الأولى.

تابع السير إدوارد: "وبعد ذلك وفي وقت لاحق، اشتريت حصة كبيرة في بارينغتون من أجل أن تحصلي على مكانك في مجلس الإدارة، في الوقت الذي كانت الشركة في خضم اختيار رئيس جديد".

"نعم، الرائد فيشر كان خياري لرئاسة مجلس الإدارة".

"هذا شيء آخر يجب أن أنصحك بعدم ذكره وأنت تُدلين بأقوالك".

"لكن لماذا؟ فقد اعتقدت أن الرائد فيشر سيكون رئيسا أفضل".

"ربما، ولكن هيئة المحلفين المكونة من اثني عشر

مكتبة ياسين

مواطناً عادياً مختارين عشوائياً، قد تشعر بأنك تسعين إلى أخذ ثأرك من السيدة كليفتون، مما يوحي بأن غرضك الأساسي من شراء وبيع الأسهم، هدفه في الواقع إلحاق الضرر بها وبالشركة".

"أردت ببساطة اختيار أفضل شخص مؤهَل ليكون رئيس المجلس، وعلى أي حال ما زلت أعتقد أن المرأة غير قادرة على القيام بهذه المهمة".

"ليدي فيرجينيا، حاولي أن تتذكّري بأنه من المحتمل أن تكون نصف هيئة المحلفين من النساء، وهذه الملاحظة لن تكون محببة بالنسبة إليهم".

"إن ذلك يبدو وكأنه مسابقة جمال أكثر من محاكمة".

"إذا كنت تفكّرين وفق هذه الطريقة، ليدي فيرجينيا، فلست مخطئة كثيراً، والآن يجب أن نفترض أن الجانب الآخر سوف يستدعي طليقك السير جايلز بارينغتون ليكون شاهداً ضدك".

"لماذا؟ فليس له علاقة بالقضية بأي شكل من الأشكال".

"كل هذه المعاملات تمت بعد طلاقك، واختيارك لمنصب رئيس مجلس الإدارة كان الخيار الذي وقف ضده مرتين في الانتخابات العامة، وقد تشعر هيئة المحلفين أن ذلك ليس صدفة بريئة".

"لكن حتى وإن طلب المحامي شهادة جايلز، كيف يمكنه أن يساعد إيما في قضيتها؟ إنه زوج سابق ونائب سابق ووزير سابق، ولم يعد مهماً بالفعل".

قال السير إدوارد: "قد يكون كل ذلك صحيحاً، ولكنني أشعر بأنه سيظلَ يثير إعجاب هيئة المحلفين".

"ما الذي يجعلك تقول ذلك؟".

مكتبة ياسين

"إنه يمتلك خبرة كبيرة بصفته متحدثاً عاماً، ومنصات الانتخاب تعدّ تهيئة ملائمة تماماً للوقوف على منصة الشهود، وبالتالي لا نستطيع أن نقلّل من شأنه".

لم تستطع فيرجينيا التحكّم بانفعالها، فتابع كلامه قائلاً: "يجب أن أؤكّد أن أي هجوم شخصي من الجانب الآخر سيكون لصالحهم، لذا يرجى تذكّر التزام الهدوء عندما تقدّمين الدليل، وتستغلّين نقاط قوتك، لأنك الطرف المتضرّر الذي لا يفهم أساليب المدينة، وليس لديه أي فكرة حول كيفية إسقاط الشركة".

"لكن هذا سيجعلني أبدو ضعيفة".

قال السير إدوارد بحزم: "لا، هذا سيجعلك تبدين معرّضة للخطر، الأمر الذي سيعمل لصالحك، فعندما ترى هيئة المحلفين أنك تواجهين سيدة أعمال داهية وصعبة".

"إلى جانب من أنت؟".

"أنا إلى جانبك، ليدي فيرجينيا، ولكن مسؤوليتي أن أتأكد تماماً من أنك تعرفين ما الذي تواجهينه، وتضعين ذلك في الاعتبار، كما يجب أن أسألك مرة أخرى، هل أنت متأكدة من أنك تريدين المضي قدماً في هذه القضية؟".

"نعم، بالتأكيد، ولكن هناك معلومة واحدة لم أخبرك بها، سيدي إدوارد، لا أعتقد أن هذه القضية سترفع إلى المحكمة على الإطلاق".

مكتبة ياسين

29

قالت ريتشيل: "اتصل السيد سلون في أثناء تناولك الغداء".

سأل سيب: "هل قال ما يريد؟".

"لا، باستثناء أنه يريد التحدّث إليك في مسألة شخصية".

"لا بد أنه أدرك أنني حصلت على ما يقارب ستة في المئة من أسهم فارذنغز، لذلك أصبح الأمر فجأة شخصياً للغاية".

"اقترح أن تقابله في مكتبه عند الساعة الحادية عشرة غداً".

"هناك مساحة في يومياتك".

"انسي ذلك، فإذا كان يريد رؤيتي، يمكنه أن يحضر إلى هنا".

"سأتصل وأرى ما إذا كان ذلك مناسباً".

"لدي شعور بأن الأمر سيكون كذلك، لأنني هذه المرة في موقع القيادة"، لم تعلّق ريتشيل، بل استدارت لتغادر الغرفة.

قال سيب عندما وصلت إلى الباب: "أنت غير مقتنعة، أليس كذلك يا ريتشيل؟"، فعادت، ولكن قبل أن تتمكّن من أن تعرض وجهة نظرها، سألها: "ماذا كان سيفعل سيدريك؟".

"كان سيعطي سلون الانطباع بأنه كان يسير وفق خططه، ليخفّف من حذره".

قال سيب: "هل سيفعل ذلك؟ أخبري سلون بأن يتوقّع زيارتي عند الساعة 11 غداً صباحاً، وأضيفي عبارة *كم أتطلّع إلى رؤيتك*!".

"لا، هذا سيكون مبالغاً فيه، لكن لا تتأخر عن

مكتبة ياسين

موعدك".

"لم لا؟"

"هذا يمنحه ميزة".

***

لم يكن جايلز يتطلّع إلى العودة إلى مجلس العموم للمرة الأولى منذ أن فقد مقعده.

حيّاه شرطي عند مدخل سانت ستيفن قائلاً: "تُسعدني رؤيتك يا سيدي، وآمل ألا يمرّ وقت طويل قبل أن تعود إلى المجلس".

قال جايلز: "شكراً لك"، بينما كان يسير في المبنى، مروراً بقاعة وستمنستر، وعلى طول الممر كان الجمهور ينتظر بصبر، على أمل أن يتمّ تخصيص مقعد في سترانجرز غاليري، حتى يتمكّنوا من متابعة أعمال اليوم، وسار جايلز أمامهم إلى اللوبي المركزي، فمشى بخفة حتى لا يعيقه زملاؤه السابقون الذين يعرضون المواساة من خلال قول بعض العبارات المبتذلة التي نادراً ما يقصدونها، ومرّ بشرطي آخر، وهو يمشي على السجادة الخضراء السميكة التي داسها لسنوات عديدة، ثم نظر إلى آلة الشريط التي تُبقي الأعضاء على اطلاع دائم بما يحدث في جميع أنحاء العالم، لكنه لم يتوقّف للتحقق من الأحداث الماضية أمام مكتب الأعضاء، خوفاً من أن يرى عضواً لا يريد رؤيته، وانعطف يساراً، وعندما وصل إلى مكتب الرئيس، وقف خارج غرفة لم يدخلها منذ سنوات، فطرق باب زعيم المعارضة، ودخل ليجد السكرتيرين اللذين خدما رئيس الوزراء السابق عندما كان في داونينغ ستريت، فقال أحدهما: "يسعدني رؤيتك مرة أخرى، سيد جايلز، يمكنك الدخول مباشرة، فالسيد ويلسون ينتظرك"، طرق مرة أخرى على باب آخر،

مكتبة ياسين

ودخل الغرفة ليرى المنظر المألوف لرجل يحاول إشعال غليونه، وما إن تنبه إلى وجود جايلز، حتى قال له: "جايلز، لقد كنت أتطلّع إلى هذا اللقاء طوال اليوم، تسرّني رؤيتك".

أجاب جايلز: "من الجيد أن أراك يا هارولد"، لم يصافح زميله في قصر وستمنستر، حفاظاً على تقليد يعود إلى عدة قرون سابقة.

قال ويلسون: "يا له من حظ سيئ أن تخسر الانتخابات بفارق واحد وعشرين صوتاً فقط، كما لا أستطيع التظاهر بأنني أحترم خلفك كثيراً".

قال جايلز: "هذا المكان سيكشفه، فهكذا تجري الأمور دوماً".

"وكيف تتعامل مع كآبة ما بعد الانتخابات؟".

"لابد أن أعترف بأنني أفتقد المكان".

"وقد شعرت بالأسف بشأن ما حدث بينك وبين غوينيث، وآمل أن تحافظا على الصداقة التي بينكما".

"آمل ذلك أيضاً، لأنني الملام، وأخشى أننا بدأنا نبتعد عن بعضنا منذ فترة طويلة".

قال هارولد: "هذا المكان لا يساعدك على النسيان، كما أنك بحاجة إلى زوجة متفهّمة للغاية تتقبّل أن تغيب معظم الوقت عن منزلك، ولا تعود إليه قبل الساعة العاشرة مساء في معظم الليالي".

"وماذا عنك يا هارولد، كيف ستصبح زعيم المعارضة مرة أخرى؟".

"مثلك تماماً، لا تسير الأمور على نحو جيد معي، لذا أخبرني، كيف يبدو الأمر في العالم الحقيقي؟".

"أنا لا أستمتع بذلك، ولن أتظاهر بخلاف ذلك، فعندما تعمل في السياسة لمدة ربع قرن، تصبح غير

مكتبة ياسين

مؤهل للقيام بعمل آخر غيره"، قال ويلسون بعد أن تمكّن أخيراً من إشعال غليونه: "إذن لماذا لا نفعل شيئاً حيال ذلك، أنا بحاجة إلى متحدث رئيسي باسم الشؤون الخارجية في مجلس اللوردات، ولا يمكنني التفكير في شخص أفضل منك لهذا المنصب".

"أشعر بالإطراء، يا هارولد، وأعتقد أنه كان سبب رغبتك في مقابلتي، فقد فكّرت في الأمر كثيراً، وتساءلت ما إذا كان في إمكاني أن أطرح عليك سؤالاً قبل اتخاذ القرار".

"بكل تأكيد".

"لا أعتقد أن تيد هيث برهن على أنه مساهم فعّال في الحكومة أكثر مما كان عليه في المعارضة، فالناخبون يرونه بقالاً وهذا يلخّص الأمر، والأهم من ذلك، أنا مقتنع بأنه ما زالت لدينا فرصة ممتازة للفوز في الانتخابات المقبلة".

"كما يقول أصدقائي اليهود، من شفتيك إلى أذني الله".

"وإذا كنت على حق، فلن يمرّ وقت طويل قبل أن تعود إلى 10 داوننغ ستريت".

"آمل ذلك".

"وكلانا يعرف أن القوة الحقيقية تكمن في مجلس العموم، وليس في مجلس اللوردات، وبصراحة، إنه مكان فاخر لكبار السن بعد التقاعد، وهو مكافأة المتسلّلين الحزبيين الذين يحملون سجلاً من الخدمة الطويلة والسلوك الحسن".

قال ويلسون: "باستثناء أولئك الذين يجلسون على المنصة الأمامية ويراجعون اللوائح".

"لكنني في الخمسين من عمري فقط، هارولد،

مكتبة ياسين

ولست متأكداً من أنني أريد أن أقضي بقية حياتي في انتظار أن أُستدعى إلى مكانٍ أعلى شأناً".

قال ويلسون: "سأجعلك على الأقل تعمل، وسيكون لديك مكان لتكون مرشحاً للمنصب".

"لست متأكداً من أن ذلك يكفي يا هارولد، لذلك أحتاج إلى أن أسألك، إذا تنافست في بريستول دوكلاندز في الانتخابات القادمة، وحثتني الجمعية المحلية على القيام بذلك، وشكّلت الحكومة القادمة، فهل سيكون لدي فرصة لأن أصبح وزيراً للخارجية؟".

كان ويلسون ينفث غليونه بعيداً لبضع لحظات، وهو أمر كان يفعله غالباً إذا احتاج إلى بعض الوقت للتفكير.

"لا، يا جايلز، لن يكون ذلك عادلاً بالنسبة إلى دينيس، والذي كما تعلم يسعى إلى الترشّح في الوقت الحالي، لكنني أستطيع أن أضمن لك الحصول على منصب رفيع في مجلس الوزراء، وإذا سلكت الطريق الصحيح، فستكون من بين المرشحين الأوائل إذا كان المنصب شاغراً، وإذا قبلت عرضي، فستعود على الأقل إلى المجلس، وإذا كنت محقاً وفزنا في الانتخابات، فلن أخفي هذا السر، وهو أنني سأبحث عن زعيم اللوردات".

"أنا رجل من أعضاء مجلس العموم، هارولد، ولا أعتقد أنني على استعداد للمواجهة، لذا فهي مخاطرة لا أريد تحمّل نتائجها".

قال ويلسون: "أحيّي إصرارك، والآن حان دوري لأشكرك، لأنني أعلم أنك لن تكون على استعداد لتحمّل نتائج هذه المخاطرة ما لم تؤمن بأنه يمكنك استعادة مقعدك، ولكن لديّ فرصة للعودة إلى الرقم عشرة، ومع ذلك فإذا غيّرت رأيك فقط أخبرني،

مكتبة ياسين

وبعد ذلك ستجلس على المقعد الأحمر مثل جدك كلورد بارينغتون...".

قال جايلز: "بريستول دوكلاندز".

***

دخل سيباستيان إلى مصرف فارذنغز للمرة الأولى بعد استقالته قبل خمس سنوات، ومشى إلى ركن الاستقبال، وقدّم إلى الموظف المناوب اسمه.

قال الرجل وهو يتحقق من قائمته: "آه، نعم، سيد كليفتون، الرئيس ينتظرك".

عندما قال: "الرئيس"، فكّر سيب بسيدريك هاردكاسل، وليس المغتصب الذي سيكون ال‌سبب في استقالته.

"هلّا تتفضّل بالتوقيع على كتاب الزائرين".

أخذ سيب قلماً من جيب سترته الداخلي، وسحب الغطاء ببطء مانحاً نفسه القليل من الوقت لقراءة قائمة زوار الرئيس في الفترة الأخيرة، فجالت عيناه بسرعة حتى بلغتا أسفل عمودين يشملان أسماء معظمها لم تعنِ له شيئاً، ولكن ربما كان هناك اسمان منها يبدوان بارزين له، ديزموند ميلور ما جعل سيب يدرك أن سلون عيّنه مؤخراً نائباً للرئيس، لذا لم يكن الأمر مفاجئاً، ولكن ما السبب الذي دفع الرائد ألكس فيشر إلى زيارة المصرف؟ هناك سبب لذلك، ومن الأكيد أن سلون لن يخبره به، والاسم الآخر الذي لفت انتباهه هو اسم حكيم بشارة، فتأكّد من أنه قرأ شيئاً عن السيد بشارة مؤخراً، ولكنه لم يستطع تذكّر مضمونه.

"سيراك الرئيس الآن يا سيدي، مكتبه في الطابق العلوي".

قال سيب: "شكراً".

مكتبة ياسين

عندما خرج سيب من المصعد في الطابق التنفيذي، سار ببطء عبر الممر باتجاه مكتب سيدريك القديم، فلم يتعرّف إلى أحد، كما لم يتعرّف إليه أحد أيضاً، فعرف أن سلون لم يضيّع الوقت من دون فائدة، فقد طهّر فارذنغز من جميع مساعدي سيدريك، ولم يكن مضطرّاً إلى الطرق على باب سلون، لأنه كان واقفاً على بعد بضع خطوات.

قال له سلون قبل أن يدخله إلى مكتبه: "من الجيد رؤيتك، سيب فقد مرّ وقت طويل جداً"، ولكنه لم يخاطر بمصافحته.

أول ما صدم سيب عندما دخل مكتب رئيس مجلس الإدارة أنه لم تعد هناك أي إشارة تدلّ على أن سيدريك كان رئيساً سابقاً، فلا إقرار بإدارة المصرف لمدة ثلاثين عاماً، ولا صورة له تخلّد ذكراه، ولا لوحة تذكّر الجيل القادم بإنجازاته، فهو لم يحلّ محله فحسب، بل طمس أي أثر لوجوده.

قال سلون: "اجلس"، كما لو كان يخاطب أحد الموظفين المبتدئين في البنك، فألقى سيب نظرة فاحصة على خصمه.

"لم يكن هذا ما فكّرت فيه"، تبع ذلك الكلام الضحكة الزائفة، المرافقة لابتسامة متصنعة.

"ومع ذلك، بدا جلياً أنك تشتري أسهم البنك في السوق المفتوحة، وأنت الآن بحاجة إلى عشرين سهماً فقط لتجاوز الحد الذي من شأنه أن يسمح لك تلقائياً بالحصول على مكان في مجلس الإدارة، أو بترشيح شخص آخر لتمثيلك".

"كن مطمئناً، سأمثل نفسي".

"ولهذا السبب أردت التحدث إليك، فليس سراً أننا لم ننسجم معاً عندما عملت تحت إشرافي وكان ذلك سبب استقالتك، وهذا هو السبب نفسه الذي

مكتبة ياسين

يجعلني أشعر بأنه سيكون من غير المناسب أن تشارك في إدارة شؤون البنك اليومية".

"ليس لديّ أي اهتمام على الإطلاق بإدارة الشؤون اليومية للبنك، وأفترض أن لديك موظفين مؤهلين للقيام بتلك المهمة".

سأل سلون، وهو بالكاد استطاع إخفاء غضبه: "حسناً ما الذي تسعى إليه؟".

قرّر سيب دحرجة قنبلة يدوية صغيرة عبر الجدول ورؤية ما إن كانت ستنفجر: "تأدية دور في ضمان عودة هذا البنك إلى المستويات العالية التي كان يتمتّع بها في عهد سلفك، وللتأكد من أنه يتمّ إطلاع المساهمين على ما يجري بأسهمهم، لأنه تبين وبشكل جلي، بعد قراءة محضر اجتماع مجلس الإدارة الأخير، أنك لا تخبر المساهمين بالقصة كاملة".

سأل سلون، بسرعة كبيرة: "ما الذي تعنيه بقولك هذا؟".

"أعتقد أنك تعرف جيداً ما أعنيه".

ربما يمكننا عقد صفقة، بغضّ النظر عما يجري، فقد كنت دائماً تاجراً بارعاً".

سأل سيب: "ما الصفقة التي تفكّر في عقدها؟".

"على مدى السنوات الخمس الماضية، من المفترض أنك دفعت في المتوسط حوالى جنيهين وعشرة شلنات مقابل السهم، وأنا مستعد لمضاعفة المبلغ، وعرض خمسة جنيهات للسهم، وأنا متأكد من أنك ستوافق على العرض السخي".

كان عرضه كريماً جداً، فقد اعتقد سيب أنه سيعرض عليه ثلاثة جنيهات في عرضه الافتتاحي، وأربعة جنيهات في عرضه الختامي، فلماذا كان

مكتبة ياسين

سلون يتوق إلى إبقائه خارج الإدارة؟

أجاب سيب: "أكثر من سخي، لكنني على الرغم من ذلك لا أزال راغباً في أن أكون عضواً في مجلس الإدارة. انظر، الأمر شخصي بالنسبة إليّ".

"سأضطرّ إذاً إلى تقديم شكوى رسمية إلى بنك إنجلترا، للإشارة إلى أنه ليس لديك أي مصلحة في دعم أهداف البنك طويلة المدى".

"بصراحة أنا مهتمّ فقط بمعرفة أهداف فارزنغز طويلة المدى، وهذا هو سبب زيارتي لمصرف إنكلترا الأسبوع الماضي، وقد أجريت محادثة طويلة مع كريج، كبير مسؤولي الامتثال، وكان لطيفاً بما يكفي للتحقق من النظام الأساسي للبنك، وأكّد كتابياً أنه طالما لديّ مساهمة بنسبة ست في المئة، يحقّ لي الحصول على مكان في المجلس، ولكنني أقترح عليك الاتصال به على أية حال".

لو كان سلون تنيناً، لكانت النيران تنبعث من أنفه في هذه اللحظة: "وإذا عرضت عليك عشرة جنيهات أتبيع؟".

كان من الواضح أن سلون خرج عن نطاق السيطرة، لذلك قرّر سيب إلقاء القنبلة الثانية: "بدأت أعتقد أن الشائعات كانت صحيحة".

سأل سلون: "أية شائعات؟"، هل يتجرّأ على المخاطرة بإخراج دبوس آخر؟

"لماذا لا تسأل ديزموند ميلور وألكس فيشر عما كانا يفعلانه من دون علمك".

"كيف عرفت...؟".

انفجرت القنبلة اليدوية في وجه سلون، ولكن سيب الهادئ لم يقاوم إلقاء قنبلة أخرى: "كثيرون هم أعداؤك في سكوير ميل، وربما هناك واحد أو

مكتبة ياسين

اثنان في مكتبك".

"حان وقت الرحيل يا كليفتون".

"نعم، أنا متأكد من أنك محق، لكنني أتطلّع إلى رؤيتك أنت وزملائك في اجتماع مجلس الإدارة الشهر المقبل، ولديّ بعض الأسئلة لهم، لا سيما للسيد ميلور، الذي يبدو سعيداً جداً بفتح المجال بالمضاربة بين الفريقين"، لم يتحزك سلون، ولكن الاحمرار الذي بدا على خديه يظهر أثر انفجار القنبلة اليدوية الأخرى، وللمرة الأولى ابتسم سيب، وهمَ بالمغادرة، عندما ألقى سلون قنبلته قائلاً: "أخشى ألا أراك مرة أخرى لبعض الوقت، سيباستيان".

سأله سيب: "لم لا؟".

"لأنه خلال اجتماع مجلس الإدارة الأخير أصدرنا قراراً ينصّ على أن أي شخص خارج البنك يرغب في الانضمام إلى مجلس الإدارة مستقبلاً يجب أن يمتلك عشرة في المئة من أسهم الشركة".

قال سيب: "لا يمكنك فعل ذلك".

قال سلون: "بل أستطيع وقد فعلته، وأنا متأكد من أنك ستسعد لسماع أن السيد كريج، كبير مسؤولي الامتثال في بنك إنجلترا أعطى موافقته على القرار الذي اتخذناه بالإجماع، وسأراك بعد خمس سنوات. لكن لا تتحمّس، سيب، لأنه إذا حصلت على نسبة عشرة في المئة، فسيتعيّن علينا فقط إصدار قرار آخر.

مكتبة ياسين

30

سأل جايلز هاري وهو ينهض عن مائدة الطعام ويقود ضيوفه إلى غرفة الاستقبال لتناول القهوة: "كم من الوقت ستبقى في روسيا؟".

هاري: "بضع ساعاتٍ فقط".

جايلز: "لماذا ستسافر إلى هناك؟ لا أحد يزور ذلك المكان للمرة الثانية من دون سببٍ وجيهٍ جداً!".

هاري: "سأذهب للتسوق".

جايلز: "باريس، روما، نيويورك... لكن لا أحد يذهب للتسوق في روسيا باستثناء السكان المحليين!".

قالت إيما وهي تسكب القهوة لأخيها: "إلا إذا كان في روسيا شيء لا يمكن شراؤه في باريس، أو روما أو نيويورك؟".

جايلز: "آه...يا لإدراكي البطيء، كان عليّ التذكّر بأن هاري عاد لتوه من الولايات المتحدة، ولم يكن هارولد غوينزبورغ الشخص الوحيد الذي قابله، وهذا الدليل لن يفوت المفتش وورويك".

قال هاري متجاهلاً استنتاج جايلز: "كنت سأؤجّل الرحلة إلى ما بعد محاكمة إيما، ولكن تأشيرتي تنتهي بعد أسبوعين، وقد حذّرتني السفارة الروسية من أنه قد يتأخّر إصدار تأشيرة جديدة لمدة ستة أشهرٍ".

جايلز: "كن حذراً، قد يكون المفتش ووريك الخاص بالروس في انتظارك!".

كان جايلز يشك في أن يتمكّن هاري من تجاوز الجمارك الحدودية بعد تجربته الخاصة في برلين، ولكنه تقبل واقع عدم قدرته على جعل صهره يعدل عن قراره.

هاري: "سأدخل وأخرج قبل أن يدركوا ذلك، لا

مكتبة ياسمين

شيء يثير القلق بشأنه، في الحقيقة أنا قلق أكثر بشأن المشاكل التي تواجهها إيما!".

سأل جايلز وهو يناول هاري كأس براندي: "ما الذي تقصده بالتحديد؟".

قالت إيما: "سيترشح ديزموند ميلور لمنصب نائب رئيس مجلس الإدارة في اجتماع المجلس في الشهر القادم".

ردّ جايلز: "هل تخبريننى أن ذلك الدجّال وجد اثنين من أعضاء المجلس على استعداد لانتخابه وتأييده؟".

"أجل، صديقه القديم جيم نولز، ويدعمه أيضاً صديقه الأقدم كليف أنسكوت".

جايلز: "ولكن إذا فشلوا في انتخابه سيتعيّن على ثلاثتهم أن يستقيلوا بالتأكيد؟ لذا من الممكن أن تتحوّل هذه المخاطرة إلى نعمةٍ!".

هاري: "ولن تكون نعمةً إذا تمكّنوا من انتخابه!".

جايلز: "لماذا؟ ما أسوأ ما قد يفعله ميلور لو أصبح نائباً للرئيس؟".

قالت إيما: "يمكنه اقتراح أن أتنحّى حتى انتهاء المحاكمة من أجل مصلحة الشركة، وعندها يصبح نائب الرئيس رئيساً بالنيابة".

هاري: "لكن فقط لبضعة أسابيع، وستعودين فور انتهاء المحاكمة".

جايلز: "لا يمكنك منح ميلور هذا القدر من الحرية، وثقي بي بمجرد تفويتك اجتماعات مجلس الإدارة سيجد طريقة لجعل المؤقت دائماً".

اقترح هاري قائلاً: "لكن يمكنك رفض التنحّي حتى لو أصبح نائبك يا إيما".

إيما: "لن يكون الخيار بيدي إن اضطررت إلى

مكتبة ياسمين

قضاء معظم الوقت عالقةً في المحكمة العليا للدفاع عن نفسي".

جايلز: "لكن بمجرد أن تربحي...".

قالت إيما بهدوء: "إذا ربحت!".

"لا أطيق الانتظار للدخول إلى منبر الشهود وإخبار هيئة المحلفين ببعض الحقائق عن فيرجينيا".

"لن نستدعيك يا جايلز!".

جايلز: "لكنني أعرف أكثر عن فيرجينيا من...".

قاطعته إيما: "هذا بالضبط ما يقلق محاميَ، فبعد بضع كلماتٍ مختارةٍ بعناية من طليقها، قد ينتهي الأمر بهيئة المحلفين إلى الشعور بالأسف عليها، ويقول المحامي السيد تريلفورد للسيد إدوارد.. اعقد هدنة! إن رقّتها لن تمنعها من إثارة موضوع طلاقك الثاني، وذكر أسبابه!".

سألها جايلز قائلاً: "إذاً من ستستدعين؟".

أجابت إيما: "الرائد ألكس فيشر".

جايلز: "لكن ألن يكون شاهد دفاع؟".

إيما: "السيد تريلفورد لا يعتقد ذلك، وقد يكون فيشر عائقاً بالنسبة إليهم بقدر ما تكون أنت بالنسبة إلينا".

قال جايلز متفائلاً: "إذاً ربما يستدعيني الطرف الآخر؟".

إيما: "دعنا نأمل ألا يحصل ذلك".

قال جايلز متجاهلاً انتقادات أخته: "سأدفع الكثير من المال مقابل رؤية فيشر على منبر الشهود، ونبهي السيد تريلفورد أن يضبط نفسه، فهو يفقد أعصابه بسرعة خاصة إذا لم يُعامل باحترام، وهذا معروف عنه حتى قبل أن يصبح نائباً".

هاري: "يمكن قول الشيء نفسه عن فيرجينيا، فلن

مكتبة ياسمين

تكفّ عن تذكير الجميع بأنها ابنة إيرل، ولن يكون هناك الكثير منهم في هيئة المحلفين".

جايلز: "مع ذلك سيكون من الحماقة أيضاً التقليل من شأن السيد إدوارد، إن جاز لي الاقتباس من ترولوب عندما وصف المحامي الآخر بأنه لامعٌ كالألماس وحاد وبارد المشاعر أيضاً، وقد أحتاج إلى نفس الصفات في اجتماع مجلس الإدارة الشهر المقبل عندما أصعد إلى الحلبة مع ميلور، ولدي شعور بأن ميلور وفيرجينيا يعملان معاً، فالتوقيت مقنعٌ جداً إلى حد ما!".

أضاف هاري: "بالإضافة إلى فيشر!".

سألت إيما: "هل قررت ما إن كنت ستنافسه في الانتخابات المقبلة؟".

قال جايلز: "ربما حان الوقت لإخبارك بأن هارولد ويلسون قد عرض عليّ مقعداً في مجلس اللوردات".

قفزت إيما من كرسيها محتضنةً أخاها قائلةً: "تهانيّ! بعض الأخبار الجيدة أخيراً!".

قال جايلز: "ولكنني رفضته".

قالت له إيما: "ماذا فعلت؟".

جايلز: "لقد رفضته، وأخبرته بأنني سأحاول مرة أخرى في بريستول دوكلاندز".

هاري: "ومرة أخرى مع فيشر بلا شك!".

اعترف جايلز قائلاً: "ربما هذا جزءٌ من السبب، ولكن إذا هزمني مرة أخرى.. فسأستسلم".

إيما: "اعتقد أنك فقدت عقلك!".

جايلز: "هذا بالضبط ما قلته عندما أخبرتك للمرة الأولى قبل خمسة وعشرين عاماً بأنني سأترشّح للبرلمان".

مكتبة ياسمين

ذكرته إيما: "بصفتك اشتراكياً!".

جايلز: "إذا كان هذا يشعرك بالتحسن فإن سيباستيان يوافقك الرأي".

هاري: "أيعني هذا أنك رأيته بعد عودته من نيويورك؟".

جايلز: "أجل، وقبل أن تسأل، لقد رفض التحدث إليّ في اللحظة التي أثرت فيها الموضوع".

هاري: "مؤسفٌ! فقد كانت فتاة رائعة".

جايلز: "لكن ما يمكنني قوله إنني عندما مررت بمكتبه قبل ذهابنا لتناول الغداء، لاحظت على الجدار خلفه رسم طفلٍ لم أره من قبل، وعنوانه أمي، وأكاد أقسم بأن أصابع جيسيكا هي من رسمتها".

إيما: "رسمت لوحة لي؟".

جايلز: "لا، وهذا هو الشيء الغريب فقد كانت لسامانثا!".

***

قال روس باكنان: "أعرض عليك سلون شراء السهم بعشرة جنيهات؟".

وتابع كلامه قائلاً: "ولكن هذا غير منطقي، إذ يتم التداول بأسهم فارزنغز اليوم بسعر جنيهين وثمانية شيلنات".

قال سيب: "كان يحاول ببساطةٍ معرفة المبلغ الذي قد أقبل به، واشتدّ غضبه ما إن أدرك أنني غير مهتم".

"إنها ليست مفاجأة، ولكن لم هو مستميتٌ إلى هذا الحد للاستيلاء على أسهمك؟".

"ما العلاقة التي تجمع ميلور وفيشر؟".

"الشيء المؤكد أنه تحالفٌ فاسد لا يعود بالنفع

مكتبة ياسمين

إطلاقاً!".

"كان هناك اسمٌ آخر في كتاب الزوار وربما يقدّم إجابةً، هل سبق لك أن صادفت شخصاً يدعى حكيم بشارة؟".

قال روس: "لم أقابله قط، ولكنني حضرت محاضرةً له في كلية لندن للاقتصاد، وقد أثارت إعجابي بشدةٍ، فهو تركي لكنه تلقّى تعليمه في بيروت، وقد احتلّ المركز الأول في امتحان القبول في أكسفورد، ولكنه لم يُمنح مقعداً".

"لماذا؟".

"ائهم بالغش، وأياً يكن الأمر، فقد بدا واضحاً أن المسؤولين قد استنكروا حقيقة أن يتغلّب شاب يدعى حكيم بشارة ابن تاجر السجاد التركي ومومِس سوريةٍ على ألمع طلاب المدارس العامة الإنكليزية؟ لذا ارتاد جامعة ييل عوضاً عنها، وبعد تخرّجه حصل على منحةٍ دراسيةٍ في كلية هارفرد للأعمال حيث يعمل الآن أستاذاً زائراً".

"إذاً هو أكاديمي؟".

"هذا بعيدٌ عنه، فبشارة يتصرّف وفق مبادئه، فعندما كان في التاسعة والعشرين من عمره شنّ انقلاباً جريئاً للاستيلاء على إدارة بنك بيروت التجاري، فغدا البنك الآن واحداً من أكثر المؤسسات المالية شهرة في الشرق الأوسط.

"إذا ماذا يفعل في انكلترا؟".

"منذ مدةٍ وهو يحاول الحصول على ترخيصٍ من بنك إنجلترا لفتح فرع من شركة بي سي أند تي في لندن، ولكن المسؤولين ما زالوا يرفضون طلبه حتى الآن".

"لماذا؟".

مكتبة ياسين

"بنك إنجلترا غير مضطرّ إلى إبداء الأسباب، ولا تنس أن إدارته مكونة من السلالة نفسها التي منعته من الذهاب إلى أكسفورد".

"لكنه ليس بالرجل الذي يستسلم بسهولة، فقد قرأت مؤخراً عن العائدات في عمود الكويستور في جريدة التليغراف وأنه ينوي الآن تخطّي اللجنة للاستحواذ على بنك إنكليزي، وأي بنك سيكون أكثر ملاءمة من فارذنغز؟".

قال سيب: "كانت أمام ناظري، ولم ألاحظها!".

قال روس: "عندما تجمع الأمور ببعضها ترى الترابط، ولكن الأمر لا يزال غير منطقي بالنسبة إليّ لأن بشارة سعيدٌ بزواجه، وهو مسلم بحق، وقد قضى أعواماً وهو يبني سمعة قائمة على الصدق والإخلاص في العمل، ولا يختلف تماما عن سيدريك، فلماذا سيكون مستعداً للتعامل مع سلون الذي بنى لنفسه سمعة قائمة على غياب الضمير والقذارة والنفاق؟".

قال سيب: "هناك طريقةٌ واحدة فقط لأكتشف ذلك، وهي مقابلته، فهل لديك أية أفكار؟".

"لا، ولكن يجب أن تكون لاعب طاولةٍ على المستوى العالمي، لأنها هوايته المفضلة".

"أعرف ما أفعله بالرقم ستة وواحد عند البداية لا أكثر!".

"حسناً طالما هو موجود في لندن فإنه يلعب بانتظام في نادي كليرمونت، وهو جزء من مجموعة كليرمونت... غولدسميث، أسبينال، لوكان، فالمنعزلون أمثاله لا ينسجمون بسهولة مع مجتمع لندن، لكن لا تستهن به يا سيب إلا إذا كنت تريد خسارة ثروتك، وبصراحةٍ عندما يكون بشارة معنياً بالأمر، فلا تتأمل في الحصول على شيء!".

مكتبة ياسين

قال سيب: "أتأمل في شيء واحد، وهو أن لدينا قاسماً مشتركاً!".

***

"لو كنت مراهناً، يا سيدة إيما، لكانت الإجابة عن سؤالك هي حتماً المال! لكن الشيء الذي يصعب مجاراته هو احتمال أن يمثل الناس على منبر الشهود".

"أيمكن أن يمثلوا؟ لكن ألا يجب أن يكون الشاهد على طبيعته ويقول الحقيقة؟".

قال السيد تريلفورد: "أجل بالطبع، وبالرغم من ذلك لا أريد أن يشعر المحلفون بأنهم أعضاء في لجنة تترأسينها أنت".

قالت إيما: "لكنه الواقع!".

"ليس في أثناء وجودك على منبر الشهود! أريد أن يقع في حبك رجال هيئة المحلفين كلهم، وحتى القاضي إن أمكن ذلك".

"والنساء؟".

"يجب أن يشعروا بأنك كافحت لتحقيق نجاحك المذهل".

"حسناً هذا صحيح على الأقل، هل تعتقد أن السيد إدوارد سيعطي فيرجينيا النصيحة ذاتها؟".

"ما من شك في أنه سيرغب في تصويرها بمظهر الفتاة التائهة في عالم التجارة والتمويل القاسي، وتتنمّر عليها امرأة تسيّر الأمور بطريقتها الخاصة".

"لكن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة!".

"أعتقد أنه سيتعيّن علينا ترك المحلفين الاثني عشر يقرّرون الحقيقة يا سيدة كليفتون، ولكن في نهاية المطاف لنلق نظرة على الحقائق، من خلال الجزء الأول من ردك على سؤال الليدي

مكتبة ياسين

فيرجينيا في الاجتماع العام بحضور عدد كبير من المساهمين، وما سجّل في محضر الشركة، وسنرافع أمام المحكمة وصولاً إلى العدالة".

"سنشير إلى أن الرائد فيشر لم يكن الخيار الوحيد على لائحة الليدي فيرجينيا، ولكن معلوماته الداخلية كونه مدير الشركة أتاحت لها شراء وبيع الأسهم لصالحها، وسيجد السيد إدوارد صعوبة في دحض ذلك، وسيتجاوز الأمر بأسرع ما يمكن، وسيركز على ما أضفته عندما كانت تغادر القاعة.. *إن كانت غايتك إسقاط الشركة يا سيدة فيرجينيا فللأسف فشلت فشلاً ذريعاً، لأنك هزمت من قبل اشخاص عاديين شرفاء يريدون نجاح الشركة*، فالناس العاديون الشرفاء هم مشكلتنا، لأن هيئة المحلفين ترى نفسها كذلك، وسيزعم السيد إدوارد أن موكلته ليست فقط شخصية عادية شريفة، بل سيظهر أن سبب شرائها أسهم بارينغتون كان إيمانها بهذه الشركة، وآخر ما كانت تريده هو إسقاطها!".

"ولكن في كل مرة باعت فيها فيرجينيا أسهمها حقّقت أرباحاً كبيرة، وعرّضت استقرار الشركة للخطر".

"بالفعل، وقد تكون هذه هي القضية، وآمل أن تحاول السيدة الليدي تقديم نفسها على أنها بريئة عندما تُفتح قضايا الأعمال، لإقناع هيئة المحلفين بأنها كانت تعتمد طوال الوقت على مستشارها الرائد ألكسندر فيشر".

"ولكنهما كانا يعملان معاً لإسقاط الشركة!".

"من المحتمل جداً، ولكن عندما كانت على منبر الشهود سأل السيد إدوارد السيدة فيرجينيا سؤالاً وحيداً وقد تجنّبت الإجابة عنه".

دفع السيد تريلفورد نظارته محدّقاً إلى الأوراق

مكتبة ياسين

بتمعن ليتحقق من الكلام بدقةٍ قائلاً: "إلى من كنت تشيرين أيتها الليدي فيرجينيا عندما قلت.. هل صحيح أن أحد مديريك قد باع حصته الكبيرة من الأسهم خلال عطلة نهاية الأسبوع محاولاً إسقاط الشركة؟ لكن سيدريك هاردكاسل لم يكن يحاول إسقاط الشركة بل على العكس تماماً كان يحاول إنقاذها، وكان سيشرح ذلك بنفسه لو كان قادراً على الوقوف على منبر الشهود".

"سأقول هذا بدقة قدر المستطاع يا سيدة كليفتون، ولكنني مرتاح لأن الطرف الآخر لا يمكنه استدعاء السيد هاردكاسل لأننا ما كنا لنفعل ذلك".

"ولكن لم لا! لطالما كان شخصاً شريفاً وصادقاً تماماً؟".

"ليس لدي شك في ذلك، ولكن السيد إدوارد سيشير إلى أن السيد هاردكاسل كان يفعل ما تتّهمين الليدي فيرجينيا به".

"لقد فعل ذلك بغرض إنقاذ الشركة وليس هدمها!".

"ربما، ولكن بحلول ذلك الوقت ستكونين قد خسرت المرافعة والقضية".

قالت إيما: "ما زلت أتمنى لو كان على قيد الحياة اليوم".

"الآن أريدك أن تتذكّري الطريقة التي قلت بها هذه الكلمات يا سيدة كليفتون، فهذه بالضبط الصورة التي أريدها أن تنطبع في ذاكرة هيئة المحلفين وهم يناقشون حكمهم".

اعترفت إيما قائلة: "أنا لا أتطلّع إلى ذلك".

"إذاً ربما يكون من الأجدر أن تفكّري في تسوية الأوضاع".

"لماذا أفعل ذلك؟".

مكتبة ياسمين

"لتجنّب محاكمةٍ رفيعة المستوى، وما سيتبعها من شائعات، كي تتمكّني من العودة إلى حياتك الطبيعية".

"لكنه سيكون إقراراً بأنها على حق".

"سيصاغ تصريحك بعنايةٍ، وفي هذا الوقت العصيب قد يبدو من غير الصائبِ بعض الشيء... نحن نقدّم خالص اعتذارنا".

"وما الآثار المادية؟".

"سيتعيّن عليك دفع تكاليف دعواها وأتعابي، بالإضافة إلى التبرّع بمبلغ صغير لمؤسسةٍ خيريةٍ تختارها".

قالت إيما: "صدّقني إذا كنا سنمضي في ذلك الطريق، فستعتبر فرجينيا ذلك علامة ضعفٍ، وستكون أكثر تصميماً على المضي قدماً في القضية، إنها لا تريد أن تنتهي القضية بهدوء، بل تريد إظهار نفسها بريئة في المحكمة وأمام الصحافة، والأمثل بالنسبة إليها أن يكون ذلك تحت العناوين التي تقوم على إهانتي يوماً بعد يوم".

"ربما، ولكن ستكون مسؤولية السيد إدوارد المهنية أيضاً أن يضع حداً لها، ذلك في حال خسرت القضية، وسينتهي بها الأمر إلى دفع تكاليف قضيتك وأتعابها، وأؤكّد لك أنه عندما يتعلّق الأمر بالسيد إدوارد فإن أتعابه ليست بالقليلة".

"لكنها ستتجاهل نصيحته، ففيرجينيا متأكدةٌ من أنها لن تخسر، ولكنني سأثبت لها العكس".

جلس السيد تريلفورد يستمع بعنايةٍ إلى ما تقوله موكلته، وعندما أنهت حديثها شعر للمرة الأولى بأنه قد تكون لديها فرصة.

مكتبة ياسين

31

ترجّل سيباستيان من سيارته، وسلّم البواب مفاتيحه وبعض النقود، وصعد درج مدخل كليرمونت حيث فُتح له الباب ووقف منتظراً.

سأل الرجل الأنيق خلف مكتب الاستقبال: "هل أنت عضوٌ يا سيدي؟".

قال سيب وهو يناول الرجل خمسة جنيهاتٍ: "لا".

قال الرجل وهو يتلفّت حوله: "وقّع هنا يا سيدي".

وقّع سيب، وحصل على بطاقةٍ عضوية مؤقتة، وقال له: "غرفة الألعاب الرئيسية في أعلى الدرج إلى يسارك سيدي".

صعد سيب الدرج الرخامي الكبير معجباً بالثريا المبهرة واللوحات الزيتية والسجادة الفخمة، وفكّر في أنه يجب جعل الأثرياء يشعرون بأنهم في وطنهم، وإلا فلن يكونوا مستعدين للتخلّي عن أموالهم.

دخل غرفة الألعاب من دون أن ينظر حوله لأنه أراد للناظرين أن يعتقدوا أنه معتادٌ على هذه الأجواء، واتّجه نحو البار ليجلس على كرسي من الجلد.

سأله النادل: "ماذا يمكنني أن أحضر لك يا سيدي؟".

كان واضحاً أن هذا النادي لا يقدّم البيرة، فقال سيب: "كامباري وصودا".

عندما وضع المشروب أمامه أخرج محفظته ووضع جنيهاً على طاولة البار.

"إنه مجاني يا سيدي".

خطر في بال سيب أن المؤسسات التي لا تفرض

مكتبة ياسين

رسوماً على المشروبات، لا بد أنها تعوّض الخسارة بطرقٍ أخرى، تاركاً الجنيه مكانه.

قال النادل: "شكرا لك سيدي"، بينما كان سيب يلتفت ويجول بنظره في الأرجاء.

في الجانب الآخر من الغرفة تقع طاولتا قمار بجوار بعضهما، وبسبب كمية البطاقات الموضوعة على كل طاولة ونظرات اللاعبين الجدية توقّع سيب أنهم يرتادون النادي بانتظام، ألم يشرح لهم أحد أنهم كانوا يدفعون ثمن الدرج الرخامي، واللوحات الزيتية، والثريا والمشروبات المجانية؟ وانتقل بنظره إلى طاولات ألعاب الورق.

على الأقل الفرص هناك أفضل قليلاً، لأنك إن تمكّنت من عد أوراق اللعبة ففي إمكانك التغلّب على خصمك، ولكن لمرةٍ واحدةٍ فقط، لأنه بعد ذلك لن يفتح لك النادي أبوابه ثانيةً، فالكازينوهات تحبّ الفائزين، ولكن ليس الفائز نفسه في كل مرة.

انتقل نظره إلى رجلين يلعبان طاولة الزهر، وكان أحدهما يحتسي القهوة السادة، والآخر كأس براندي، فاستدار سيب إلى النادل قائلاً: "هل هذا الذي يلعب طاولة الزهر هو حكيم بشارة؟".

نظر النادل إلى الطاولة التي أشار إليها، وقال: "نعم إنه هو يا سيدي".

ألقى سيب نظرةً فاحصةً على الرجل القصير السمين ذي الخدين الأحمرين والذي يبدو وكأنه يقوم بزياراتٍ متكررة لخياطه، كما كان أصلع، وقد أشارت ذقنه المزدوجة إلى اهتمامه بالطعام والشراب أكثر من الاهتمام بتخفيض الوزن والجري، وقد وقفت إلى جانبه فتاة شقراء طويلة القامة واضعة يدها على كتفه، فاعتقد سيب أن انجذابها إلى محفظته العامرة في جيبه جعلها تنسى تجاعيد

مكتبة ياسين

جبينه، ولم يكن مندهشاً من استمرار رفضه من قبل المؤسسة الإنكليزية.

بدا خصمه الأصغر سناً مثل حملٍ على وشك أن يلتهمه ثعبانٌ.

استدار سيب إلى النادل مرةً أخرى قائلاً: "كيف أحصل على مباراةٍ مع بشارة؟".

"الأمر ليس صعباً إن كنت تملك مئة جنيه وتريد خسارتها".

"أهو يلعب مقابل المال؟".

"لا، من أجل التسلية فقط".

"ولكنه يطلب مئة جنيه".

"إنها رسوم مشاركته في اللعبة، وهو يتبرّع بها لمؤسسته الخيرية المفضلة؟".

"أليك نصائح أخرى؟".

"نعم سيدي، من الأفضل إعطائي خمسين جنيهاً والعودة إلى المنزل".

"ولكن ماذا لو هزمته؟".

"عندها سأعطيك خمسين جنيهاً وسأعود إلى المنزل، وضع في اعتبارك أنك ستستمتع برفقته للدقائق القليلة التي تستغرقها اللعبة، وإذا كنت ستفوز، فسيتبرّع بألف جنيه إلى الجمعية الخيرية التي ستختارها، فهو رجلٌ نبيلٌ حقاً".

على الرغم من ذلك فكّر سيب ملياً وهو يطلب المشروب الثاني، وكان ينظر من حينٍ إلى آخر إلى طاولة الزهر، وقد مرّت عشرون دقيقةً أخرى قبل أن يهمس إليه النادل قائلاً: "إنه متاحٌ الآن يا سيدي، وينتظر ضحيته التالية".

التفت سيب ليرى الرجل الشجاع ينهض عن كرسيه، ويبدأ بالمشي والشابة إلى جانبه.

مكتبة ياسين

"لكنني اعتقدت..."، نظر متمعناً أكثر إلى الحمل الذي التهم الثعبان، فكان في إمكانه سماع سيدريك يقول: "ماذا تعلّمت من ذلك أيها الشاب؟"، يبدو بشارة في حوالي الأربعين من عمره، وربما أكبر قليلاً، وبشرته السمراء وجسده الرياضي يظهران بوضوح أنه ليس مضطراً إلى صرف ثروته لجذب امرأة جميلة، فكان شعره أسود كثيفاً ومموجاً، وكانت عيناه داكنتين، ولو كان مفلساً لربما ظننت أنه ممثلٌ عاطلٌ عن العمل.

نهض سيب عن كرسيه وسار نحوه ببطء آملاً في أن يبدو مرتاحاً ومسيطراً على نفسه.

"مساء الخير سيد بشارة، أتساءل إن كنت متفرغاً لخوض مباراة؟".

قال بابتسامةٍ دافئة: "ليست مجانية، فهي في الواقع باهظة الثمن إلى حد ما".

"نعم، لقد حذّرني النادل من شروطك القاسية، ولكنني لا أزال أريد أن أنافسك".

"جيد اجلس إذاً"، رمى بشارة نرداً واحداً على الطاولة.

أدرك سيب بشكل مؤسف بعد نصف دزينةٍ من الحركات، أن هذا الرجل كان ببساطةٍ ينتمي إلى فئةٍ أخرى، ولم يستغرق الأمر سوى دقائق قليلة قبل أن يبدأ بشارة بإزالة أحجاره عن الطاولة.

"أخبرني يا سيد...".

"كليفتون، سيباستيان كليفتون".

أعاد بشارة تشكيل الطاولة قائلاً: "نظراً إلى أنه من الواضح أنك لست لاعباً محترفاً، فلا بد أن لديك سبباً وجيهاً لرغبتك في خسارة منة جنيه".

قال سيب وهو يأخذ دفتر الشيكات الخاص به:

مكتبة ياسمين

"نعم، كنت بحاجة إلى عذر لمقابلتك".

"هل لي أن أسألك عن السبب؟".

"لأنه لدينا الكثير من الأشياء المشتركة، وهناك شيء مشترك بشكل خاص".

"من الواضح أنه ليس لعبة الطاولة".

قال سيب: "هذا صحيح، ولكن لمن يجب أن أدفع؟".

"جمعية شلل الأطفال، لم تجب عن سؤالي!".

"اعتقدت أننا قد نتبادل المعلومات!".

"ما الذي يجعلك تعتقد أنك تملك معلومات قد تكون مهمةً بالنسبة إليّ؟".

"لأنني رأيت اسمك في كتاب الزوار، واعتقدت أنك قد ترغب في معرفة أنني أمتلك ستة في المئة من بنك فارذنغزا".

لم يستطع سيب فهم أي شيء من تعابير وجه بشارة.

"كم دفعت مقابل أسهمك يا سيد كليفتون؟".

"لقد كنت أشتري أسهم فارذنغز بانتظام على مدى السنوات الخمس الماضية، وبلغ متوسط السعر حوالي جنيهين".

"إذاً أثبت أنها استثمارٌ مجدٍ يا سيد كليفتون، هل أفترض أنك ترغب الآن في بيع أسهمك؟".

"لا، فقد قدّم إليّ السيد سلون بالفعل عرضاً بقيمة خمسة جنيهات مقابل السهم، وقد رفضته".

"لكنك كنت ستحقّق ربحاً وفيراً!".

"فقط على المدى القصير".

"وإن كنت سأعرض عليك المزيد؟".

"لن يهمّني الأمر، فما زلت أعتزم على الحصول

مكتبة ياسين

على مكاني في المجلس".

"لماذا؟".

"لأنني بدأت حياتي المهنية في فارذنغز مساعداً شخصياً لسيدريك هاردكاسل، وبعد وفاته استقلت وانضممت إلى كوفمان".

"شاول كوفمان هذا العجوز الداهية والمنفذ العبقري ولكن لماذا تركت فارذنغز؟".

"لنقل إنه قد نشأ خلافٌ في الرأي حول من كان يجب أن يحضر الجنازات".

"لذا فإن سلون لن يكون سعيداً بانضمامك إلى المجلس".

"لو يستطيع قتلي ما كان ليتوانى".

أخرج بشارة دفتر الشيكات الخاص به قائلاً: "ما اسم مؤسستك الخيرية المفضلة؟"، لقد كان سؤالاً لم يكن سيب مستعداً له.

"الكشافة".

قال بشارة مبتسماً وهو يكتب شيكاً ليس بمئة جنيهٍ فقط بل بألف جنيهٍ: "أجل أستطيع تصديق هذا"، وأكمل قائلاً وهو يسلّمه الشيك: "كان من دواعي سروري أنني التقيت بك يا سيد كليفتون، ولدي شعورٌ بأننا قد نلتقي مرة أخرى".

صافحه سيب، وكان على وشك الرحيل عندما أضاف بشارة: "ما الشيء المشترك بيننا على وجه الخصوص؟".

"الأصول نفسها، ولكن في حالتي كانت أصول جدتي وليست أمي".

***

سأل الرائد بينما كانت فيرجينيا تسكب له كأس المشروب الثانية: "ما رأي السيد إدوارد في احتمال

مكتبة ياسين

ربح القضية؟".

"إنه متأكدٌ بنسبة مئة في المئة من أننا لن نخسر، وكانت كلماته *اعتبري أن القضية قد أغلقت*، وهو مقتنعٌ بأن هيئة المحلفين ستمنحني تعويضاتٍ كبيرةً قد تصل إلى خمسين ألفاً".

قال فيشر: "إنها أخبارٌ جيدةٌ، وهل سيستدعينني بصفتي شاهداً؟".

"لا، إنه يقول إنه لا يحتاج إلى شهادتك، ويعتقد أنه قد يستدعيك الطرف الآخر، ولكن ذلك غير مرجح".

"سيكون ذلك مربكاً!".

"ليس إن التزمت بعبارةٍ بسيطةٍ مفادها أنك كنت مستشاري المهني عندما يتعلّق الأمر بالشراء والأسهم، وأنني لم أظهر اهتماماً كبيراً بالتفاصيل لأنني أثق بحكمك".

"ولكن إذا كنت سأقول ذلك، فقد يقترح أحدهم أنني من كان يحاول إسقاط الشركة!".

"إن كانوا أغبياء لدرجة القيام بهذا النوع من الاستجواب، فسيذكّر السيد إدوارد القاضي بأنها ليست محاكمتك! وسيتراجع السيد تريلفورد بسرعةٍ بصفتك عضواً في البرلمان".

سأل فيشر وهو غير مقتنع بكلامها: "وتقولين إن السيد إدوارد متأكدٌ من أنك لن تخسري؟".

"هو يقول إننا لا نواجه خطراً".

"وهو لا يعتقد أنه من المحتمل أن يستدعوني؟".

تابعت فيرجينيا: "سيتفاجأ لو فعلوا ذلك! ولكنني أشعر بأنه لو اقترح السيد إدوارد ذلك فمن المحتمل أن أحصل على خمسين ألفاً يجب أن نقسمها بيننا، وقد طلبت من محامي إعداد اتفاق بهذا الموضوع".

مكتبة ياسين

"هذا سخاءٌ كبيرٌ منك يا فيرجينيا".
"هذا ما تستحقّه يا ألكس".

مكتبة ياسين

32

كان سيباستيان في الحمام عندما رن الهاتف. شخصٌ واحدٌ فقط كان سيفكر بالاتصال به في ذلك الوقت من الصباح. هل كان يجب أن يقفز من الحمام ويركض نحو الصالة بسرعةٍ أم كان يجب أن يستمر بالاغتسال لأنه كان على يقينٍ من أن والدته ستعاود الاتصال به في غضون دقائق قليلة؟ بقي واقفاً في مكانه.

لقد كان محقاً. رن الهاتف مرةً أخرى عندما كان يحلق ذقنه. هذه المرة خرج إلى الصالة وتناول السماعة قائلاً قبل أن يتيح لها فرصةً للتحدث: "صباح الخير يا أمي".

"أعتذر على الاتصال بك في هذا الوقت المبكر، ولكنني بحاجةٍ لنصيحتك. كيف تعتقد أنه ينبغي عليّ التصويت عندما يترشح ديزموند ميلور لمنصب نائب الرئيس؟".

"لم أغير رأيي منذ أن ناقشنا هذا الموضوع الليلة الماضية يا أمي. إذا صوتتِ ضد ميلور وفاز سيضعف هذا من موقفك، وإذا امتنعت عن ذلك وتعادل التصويت فسيظل لديك الصوت الحاسم في الانتخابات، ولكن إذا صوتت له...".

قاطعته قائلةً: "لن أفعل ذلك أبداً".

"حسناً فلديك خياران. أنا شخصياً سأصوت ضده. لأنه بذلك إذا خسر فلن يكون أمامه خيارٌ سوى الاستقالة. على كل حال إن روس بوكنان لا يتفق معي وهو يعتقد أنه يجب عليك الامتناع عن التصويت وإبقاء خياراتك مفتوحةً، ولكنني لست مضطراً لتذكيرك بما حدث في آخر مرة قمت فيها بهذا عندما ترشح فيشر لمنصب نائب الرئيس".

مكتبة ياسين

"الوضع مختلفٌ هذه المرة. فقد وعدني ميلور بأنه لن يصوت لنفسه".

"كتابةً؟".

اعترفت إيما: "لا".

"حسناً، لا يمكنك الاعتماد على كلمته!".

"أجل، ولكن إذا...".

قاطعها سيب قائلاً: "أمي إذا لم أنه حلاقة ذقني فلن تحصلي على صوت واحد!".

"أجل آسفة، سأفكر في ما قلته. أراك في اجتماع المجلس".

ابتسم سيب واضعاً الهاتف جانباً. يا لها من مضيعةٍ للوقت فهو يعلم أنها قررت مسبقاً الامتناع عن التصويت. فحص ساعته. فلم يكن لديه وقت إلا لتحضير طبقٍ من الرقائق وسلق بيضةٍ.

***

سأل هاري وهو يناول زوجته كوباً من الشاي: "ماذا قال؟".

"قال إنه يجب أن أصوت ضد، ولكن روس يعتقد أنه ينبغي عليّ الامتناع عن التصويت. لذلك لا أعرف ما الذي عليّ القيام به".

"لكنك أخبرتني الليلة الماضية أنك واثقةٌ من الفوز!".

"بأغلبية ستة أصواتٍ مقابل أربعة حتى لو امتنعت عن التصويت".

"إذاً أعتقد أنه عليك الامتناع عن التصويت!".

"لماذا؟".

"لأنني أتفق مع روس. إذا صوتت ضد ميلور وخسرت فهذا سيجعل موقفك غير مبررٍ. لقد بدأت

مكتبة ياسين

بالتفكير بأنه علي تأجيل رحلتي إلى لينينغراد حتى نعرف النتيجة".

قالت إيما: "لكن إذا لم تذهب اليوم فسيتعين عليك الانتظار ستة أشهر على الأقل حتى تتمكن من الحصول على تأشيرةٍ أخرى بينما إذا ذهبت الآن ستعود في الوقت المناسب للمحاكمة".

"ولكن إن خسرت التصويت اليوم...".

"لن أخسر يا هاري. إن ستة مدراءِ أعطوني كلمتهم لذا لا داعي للقلق. كما أنك أعطيت كلمتك للسيدة باباكوف لذا يجب أن تحافظ عليها. على أي حال لن يكون هذا أقل من انتصارٍ شخصي عندما تعود إلى المنزل متأبطاً نسخةً من العم جو لذا فحضر نفسك".

***

كان سيباستيان يرتدي سترته ويتجه نحو الباب عندما رن الهاتف للمرة الثالثة. نظر إلى ساعته، إنها السابعة وست وخمسون دقيقة، وفكر في تجاهله، ولكنه التف وأمسك الهاتف قائلاً: "ليس لدي وقتٌ يا أمي".

قالت ريتشيل: "إنها ليست والدتك. اعتقدت أنه عليك أن تعلم أني تلقيت مكالمةً بعد مغادرتك المكتب ليلة أمس، ولم أكن لأزعجك لو أنها لم تقل إن الأمر عاجل، وقد اتصلت بك عدة مرات هذا الصباح ولكنك كنت مشغولاً".

قال سيب: "هي؟".

"اتصلت هاتفياً من الولايات امرأةٌ تدعى الدكتورة روزماري وولف وتقول إنك تعرفها".

"بالتأكيد أعرفها، وهل تركت أي رسالة؟".

"لا.. مجرد رقمٍ 0319202555، ولكن لا تنس يا

مكتبة ياسين

سيب أنهم متأخرون عنا بثلاث ساعاتٍ لذا إنها الآن الثالثة بعد منتصف الليل في واشنطن".

"شكراً يا ريتشيل. عليّ أن أهرع وإلا سأتأخر عن اجتماع مجلس بارينغتون".

***

انضم جيم نولز إلى ديزموند ميلور لتناول الفطور في فندق أفون جورج.

قال نولز وهو يجلس مقابل ميلور الذي توقف عن الكلام بينما كانت تسكب له النادلة القهوة: "ستكون النتيجة متقاربةً، وآخر حساباتي هي خمسة أصواتٍ لكل منهما".

سأل ميلور: "من الذي غير رأيه منذ ليلة أمس؟".

"كاريك. لقد أقنعته بأهمية وجود رئيس مؤقتٍ في الشركة بينما السيدة كليفتون مقيدةٌ بمحاكمةٍ قد تستمر لمدة شهرٍ، وربما لفترةٍ أطول!".

"هل صوتها مشمولٌ في الخمسة؟".

"لا، لأنني متأكدٌ تماماً أنها ستمتنع عن التصويت".

"لو كنت مكانها لما فعلت ذلك، وإذا فزنا بالتصويت الأول فماذا عن الثاني؟".

"يجب أن يكون الثاني أسهل. طالما التزمت بالاعتقاد أنه لن يكون لأكثر من شهرٍ. حتى المترددون يجب أن يتماشوا مع ذلك".

"سيكون الشهر أكثر من كافٍ لضمان عدم عودتها".

"ولكن إذا خسرت المحاكمة سيتعين عليها الاستقالة، وفي كلتا الحالتين أراهن أنك ستكون رئيس مجلس الإدارة بعد شهرٍ من اليوم".

"وفي هذه الحالة ستكون نائبي يا جيم".

سأل نولز: "هل من أخبارٍ من فيرجينيا حول كيفية تطور قضيتها؟".

مكتبة ياسمين

"لقد اتصلت بي مساء أمس. يبدو أن محاميها أكد لها أنه لا يمكن أن تخسر".

قال نولز: "لم أعرف أبداً محامياً يقول ذلك من قبل. خاصةً عندما يستدعى ألكس فيشر كشاهدٍ. لأنني أستطيع إخبارك من تجربةٍ سابقةٍ أنه لا يتماسك تحت الضغط".

"أخبرتني فيرجينيا أن السيد إدوارد لا ينوي استدعاءه".

"إثباتاً لوجهة نظري، ولكن بمجرد فوزها بالقضية يجب أن يأخذ كل شيءٍ مكانه الصحيح. هذا على افتراض أنك دفعت لأرنولد هاردكاسل مقابل أسهم والدته".

"ليس بعد. لا أنوي أن أدفع حتى اللحظة الأخيرة. حتى أنني لا أستطيع تحمل هذا النوع من النفقات لفترةٍ أطول من اللازم".

"لم لا تطلب من سلون تقديم قرضٍ قصير الأجل لتغطية النفقات؟".

"أتمنى لو أستطيع ذلك، ولكن تقديم البنك قرضاً بغرض شراء أسهمه يعد مخالفاً للقانون. لا... سأسترد كل أموالي وأحقق ربحاً جيداً بمجرد أن يكمل بشارة حصته من الصفقة، وإذا حصل سلون على توقيته الصحيح فستكون ضربةً مزدوجةً لأنه سيبقى في منصب رئيس البنك وسأكون أنا رئيس مجلس إدارة بارينغتون الجديد".

قال نولز: "هذا على افتراض أننا فزنا اليوم".

***

بمجرد أن أفلت سيباستيان من الازدحام الشديد وانعطف إلى الطريق السريع 40، تحقق من الساعة على لوحة القيادة. كان لا يزال أمامه ساعتان لكنه

مكتبة ياسين

لم يكن يريد التأخر.

في تلك اللحظة ظهر ضوءٌ أحمرُ على لوحة القيادة وبدأ مؤشر الوقود في الوميض مشيراً إلى قرب انتهاء الجالون الأخير. أعلمته لافتة طريقٍ أن الخدمة التالية كانت على بعد واحدٍ وعشرين ميلاً. فاستدرك حينها أنه توجب عليه فعل ذلك الليلة الماضية.

انتقل إلى الطريق الداخلي وحافظ على ثباته خمسين ميلاً في الساعة حتى يتمكن من اقتصاد ما تبقى في الخزان. بدأ بالصلاة.. بالتأكيد لم تكن الآلهة في صف ميلور؟

***

سأل هاري وهو يغلق حقيبة أمتعته: "بمن تتصلين؟".

"جايلز. أود معرفة ما إذا كان يتفق مع روس أو سيب. هو لا يزال صاحب أكبر حصةٍ في الشركة".

تساءل هاري إذا كان يجب عليه فك الأمتعة!

قالت إيما: "ولا تنس معطفك".

"مكتب السيد جايلز بارينغتون؟".

"صباح الخير يا بولي. أنا إيما كليفتون هل أستطيع التحدث إلى أخي؟".

"لا للأسف يا سيدة كليفتون. إنه في الخارج في الوقت الحالي".

"آمل أن يكون في مكان مثير؟".

قالت بولي: "ليس تماماً إنه في برلين الشرقية".

***

بدأ سيب بالاسترخاء عندما اجتاز الطريق السريع، وصعد على المنحدر إلى محطة الوقود. وبمجرد ملئه للوقود، أدرك مدى قربه. قام بدفع ورقةٍ من

مكتبة ياسمين

فئة عشرة جنيهات لأجل اثني عشر جالوناً، وانتظر إعادة الباقي.

عاد إلى الطريق السريع في التاسعة وست وثلاثين دقيقةً، وأشارت أولى اللافتات إلى بقاء واحدٍ وستين ميلاً إلى بريستول لذلك كان واثقاً من وصوله في الوقت اللازم.

انتقل نحو الطريق الخارجي مسروراً لرؤيته واسعاً مفتوحاً أمامه. كان عقله متخبطاً ما بين التفكير في الدكتورة وولف وما السبب العاجل للاتصال به، وفي أمه وكيف ستصوت، وديزموند ميلور وما هي حيل اللحظة الأخيرة التي سيلجأ إليها، ومن ثم العودة إلى سامانثا وهل كان ذلك ممكناً...

عندما سمع صفارات الإنذار افترض أنها سيارة إسعافٍ واتجه بسرعةٍ إلى الطريق الداخلي، ولكن عندما نظر في المرآة الخلفية رأى سيارة شرطةٍ مع أضواء تومض باتجاهه. أبطأ من سرعته وهو يتمنى أن تعبره لكن السائق أشار له بأن عليه الوقوف إلى جانب الطريق، فأطاع على مضضٍ.

توقفت سيارة الشرطة أمامه ونزل اثنان من رجال الشرطة وتقدما ببطءٍ نحوه. كان الأول يحمل دفتراً سميكاً من الجلد والثاني حقيبةً صغيرةً. أنزل سيب زجاج السيارة وابتسم قائلاً: "صباح الخير أيها الشرطي".

"صباح الخير سيدي. هل كنت تعلم أنك تقود بسرعة ما يقارب تسعين ميلاً في الساعة؟".

اعترف سيب: "لا لم أكن أعرف. أنا آسفٌ جداً".

"هل يمكنني رؤية رخصة قيادتك يا سيدي؟".

فتح سيب صندوق السيارة، وأخرج رخصته وسلمها إلى الشرطي الذي قرأها لبعض الوقت قبل

مكتبة ياسين

أن يقول: "هل من الممكن أن تكون لطيفاً وتخرج من السيارة يا سيدي".

نزل سيب في حين فتح الشرطي حقيبته، وأخرج بالوناً أصفر كبيراً يشبه حقيبةً كبيرةً متصلةً بأنبوبٍ.

"إنه مقياس تنفس يا سيدي، ويجب أن أسألك عما إذا كنت على استعدادٍ للاختبار معدل الكحول".

"في الساعة العاشرة صباحاً؟".

"إنه إجراءٌ قياسي لمخالفة السرعة. إذا اخترت عدم القيام به فسيتوجب عليّ أن أطلب منك مرافقتي إلى أقرب مركز شرطةٍ!".

"لن يكون هذا ضرورياً أيها الشرطي، أنا سعيدٌ جداً بإجراء هذا الاختبار".

نفذ التعليمات الواردة في الرسالة وهو مدركٌ أنه تناول فقط كأسين من الكامباري والصودا الليلة الماضية. بمجرد أن نفخ في الأنبوب مرتين... كان من الواضح أنه لم ينفخ بقوةٍ كافيةٍ في المرة الأولى... درس الشرطيان المؤشر لبعض الوقت قبل أن ينطق أحدهما: "لا يوجد مشكلةٌ يا سيدي. أنت أقل بكثيرٍ من الحد المسموح به".

قال سيب وهو يصعد إلى سيارته: "الحمد لله على ذلك".

"لحظةً يا سيدي نحن لم ننته بعد. لا يزال لدينا بعض الأوراق لملئها. من فضلك ما اسمك يا سيدي؟".

قال سيب وندم على كلماته في اللحظة نفسها: "لكنني في عجلةٍ من أمري!".

"لقد سجلنا ذلك يا سيدي".

"سيباستيان كليفتون".

"عنوان المنزل؟".

مكتبة ياسين

عندما أكمل الشرطي إجابة السؤال الأخير سلم سيب مخالفةً للسرعة وحياه قائلاً: "أتمنى لك يوماً جيداً يا سيدي، ويرجى القيادة بحذرٍ أكبر في المستقبل".

نظر سيباستيان يائساً إلى الساعة الصغيرة على لوحة القيادة. ولحسن الحظ الوقت كان لا يزال كافياً. ستدعو والدته في غضون أربعين دقيقةٍ لجنة المجلس للحضور، وهو لم يستطع سوى التذكر أن انتخاب نائب رئيسٍ جديدٍ كان البند الأول على جدول الأعمال.

***

أمضت الليدي فيرجينيا وقتها في إخبار السيد إدوارد ما حدث بالفعل في صباح اليوم الأول من انطلاقة رحلة باكينغهام.

قال: "رائعٌ لكنه ليس شيئاً يمكن استخدامه كدليلٍ".

"لم لا؟ السيدة كليفتون لن تكون قادرةً على إنكار ذلك. وعندها سيتوجب عليها الاستقالة من منصب رئيس مجلس إدارة بارينغتون ونحن لن نخسر القضية".

"ربما لا، ولكن القاضي سيحكم بأن الأدلة غير مقبولةٍ. وهذا ليس السبب الوحيد لعدم تمكننا من استخدامه".

سألته فيرجينيا: "ما الذي تحتاج إليه؟".

"شاهدٌ لم يتم فصله لكونه في حالة سكرٍ أثناء العمل، ومن الواضح أنه يحمل ضغينةً ضد الشركة، والمدير الذي سيكون على استعدادٍ للوقوف في منبر الشهود وتقديم الأدلة تحت القسم".

"لكنها ليست أكثر من الحقيقة".

مكتبة ياسين

"ربما تكون كذلك، ولكن أخبريني يا سيدة فيرجينيا هل قرأت أحدث روايات هاري كليفتون؟".

"بالتأكيد لا".

"حسناً كوني ممتنةً لأنني فعلت. لأنه في رواية المحقق وورويك والقنبلة الزمنية ستجدين تقريباً القصة التي أخبرتني بها للتو، ويمكنك التأكد من أن عضواً واحداً أو اثنين من أعضاء هيئة المحلفين قد قرأها أيضاً".

"ولكن بالتأكيد هذا سيؤدي إلى تعزيز قضيتنا؟".

"على الأرجح سيستهزئون بنا".

***

نظرت إيما ببطءٍ إلى الطاولة. كان كل عضوٍ في مكانه باستثناء سيباستيان. ولكن لم يحدث لها منذ أحد عشر عاماً من كونها رئيسة مجلس إدارة بارينغتون أن فشلت في بدء الاجتماع في الوقت المحدد.

افتتح فيليب ويبستر، أمين الشركة، الإجراءات بقراءة محضر الاجتماع السابق ورأت إيما أنه كان سريعاً جداً في القراءة. سألت بأملٍ: "هل هناك أي مسائل ناشئة عن المحضر؟". لم يكن هناك شيء.

"لذا دعونا ننتقل إلى البند الأول انتخاب نائب الرئيس. تم اقتراح ديزموند ميلور من قبل جيم نولز وللمرة الثانية من قبل كليف أنسكوت. قبل أن أدعو للتصويت هل لدى أحدكم أسئلة؟".

هز ميلور رأسه، ولم يقل نولز شيئاً، وكلاهما يعلم جيداً أن سيباستيان كليفتون قد يظهر في أي لحظةٍ.

حدقت إيما بأملٍ إلى الأدميرال لكنه بدا كما لو كان نائماً.

مكتبة ياسين

قال أنسكوت: "أظن أننا جميعاً حصلنا على الوقت الكافي لنحدد موقفنا".

قال نولز: "أنا موافقٌ دعونا نبدأ بالتصويت".

قالت إيما: "قبل أن نفعل ذلك. ربما يهتم السيد ميلور بمخاطبة المجلس حول سبب شعوره بأنه الرجل المناسب لمنصب نائب رئيس مجلس إدارة بارينغتون".

قال ميلور الذي أمضى وقتاً طويلاً في التحضير لخطابه الذي لم يكن له نيةٌ في تقديمه: "لا أعتقد أن ذلك سيكون ضرورياً سأترك سجلي يتحدث عني".

مع نفاد تكتيكات المماطلة لدى إيما لم يكن أمامها أي خيارٍ سوى استدعاء سكرتير الشركة لإجراء التصويت.

نهض ويبستر من مكانه وقرأ أسماء كل مديرٍ بدءاً من الرئيسة السيدة كليفتون.

قالت إيما: "سأمتنع عن التصويت".

"سيد ماينارد؟".

"مع".

"سيد ديكسون؟".

"ضد".

"سيد أنسكوت؟".

"مع".

"سيد نولز؟".

"مع".

"سيد دوبز؟".

"ضد".

هو أوفى أيضاً بكلمته. ظلت إيما تنظر نحو الباب.

"سيد كاريك؟".

مكتبة ياسين

"مع".

بدت إيما مندهشةً لأنه في المرة الأخيرة التي تحدثا فيها فقد أعطاها كاريك كلمةً بأنه لن يدعم ميلور. وتساءلت من كان أخر شخصٍ جلس على تلك الوسادة بالتحديد.

"الأدميرال سامرز؟".

"ضد".

لم يكن رجلاً يخذل أصدقاءه.

"سيد كليفتون؟".

نظر ويبستر حول الطاولة ملاحظاً عدم وجود سيباستيان وكتب غائبٌ بجانب اسمه.

"سيد بينغهام؟".

"ضد".

لا مفاجأةً فهو لم يكن يحب ميلور بقدرها.

ابتسمت إيما. أربعة أصواتٍ، وكرئيسةٍ لن تتردد في الإدلاء بصوتها الحاسم لمنع ميلور من أن يصبح نائب رئيس مجلس الإدارة.

قال سكرتير الشركة: "وأخيراً سيد ميلور؟".

قال بحزمٍ: "مع".

ذُهلت للحظةٍ. ولكنها اتجهت إلى ميلور وتمكنت أخيراً من قول: "لقد أخبرتني بالأمس أنك ستمتنع عن التصويت، ولهذا فعلت ذلك أنا. لو علمت بأنك ستغير موقفك...".

قال ميلور: "منذ أن تحدثت إليك بالأمس أشار واحدٌ أو اثنان من زملائي إلى أن النظام الأساسي في الشركة يسمح لعضو مجلس الإدارة بالتصويت لنفسه عند ترشحه لمنصبٍ. على مضضٍ سمحت لهم بإقناعي بوجوب القيام بذلك".

مكتبة ياسين

"لكنك أعطيتني كلمتك!".

"لقد اتصلت بمنزلك عدة مراتٍ هذا الصباح حضرة الرئيسة لكن خطك كان دائماً مشغولاً".

لا شيء كانت إيما قادرة على مناقضته وغرقت خلف كرسيها.

قام السيد ويبستر بمراجعة القائمة بعنايةٍ، ولكن إيما كانت تعرف النتيجة وعواقبها.

"بأغلبية خمسة أصواتٍ مقابل أربعة تم انتخاب السيد ميلور نائباً للرئيس".

ابتسم بعض الأشخاص حول الطاولة وقالوا: "اسمعوا، اسمعوا".

وظل الآخرون صامتين.

كان سيب محقاً. كان ينبغي أن تصوت ضد ميلور وعند ذلك كان يمكن أن تغلبه بصوتها الحاسم، ولكن أين كان سيب فبتصويته كان سيجعل ذلك غير ضروري؟ كيف يمكن أن يخذلها وهي بأمس الحاجة إليه؟ ثم جمدت في مكانها وتوقفت عن كونها رئيسةً للمجلس وعادت لكونها أماً.

هل كان ابنها متورطاً في حادثٍ مروعٍ آخر؟ لم تستطع إيما تحمل فكرة المرور بكل ذلك مرةً أخرى. إنها تفضل خسارة التصويت بدلاً من ذلك...

قال سكرتير الشركة: "البند الثاني لتحديد موعد انطلاق رحلة أم في بالمورال، وافتتاح فترة الحجز لرحلتها الأولى إلى نيويورك.

قال ميلور وهو ينهض من مكانه لإلقاء خطابٍ كان قد أعده جيداً مسبقاً: "قبل أن ننتقل إلى البند الثاني. أعتقد أنه من واجبي أن أذكر مجلس الإدارة بأن السيدة كليفتون على وشك مواجهة أكثر التجارب بغضاً والتي جذبت بالفعل اهتماماً

مكتبة ياسين

كبيراً من قبل وسائل الإعلام. بالطبع نأمل جميعاً ونتوقع أن تكون رئيستنا قادرةً على دحض التهم الخطيرة الموجهة ضدها، ومع ذلك إذا نجحت السيدة فيرجينيا فينويك في إثبات قضيتها فمن الواضح أنه سيتوجب على السيدة كليفتون أن تنظر في موقفها. مع أخذ ذلك في الاعتبار فيكون من الحكمة بالنسبة إليها أن تتنحى وأؤكد على كلمة التنحي مؤقتاً كرئيسةِ حتى تنتهي المحاكمة". توقف للحظةٍ ونظر إلى كل من زملائه المدراء قبل أن يضيف: "آمل ألا يكون ضرورياً إجراء تصويتٍ بهذه المناسبة".

أمكن لإيما أن تشعر أنه إذا طرح الأمر فسيكون أعضاء المجلس باستثناء واحدٍ أو اثنين على اتفاقٍ مع اقتراح نائب الرئيس الجديد، فجمعت أغراضها وغادرت القاعة بهدوءٍ.

كان ميلور على وشك أخذ كرسيها والجلوس مكانها عندما نهض الأدميرال سامرز من مكانه ورمقه بنظرةٍ ثاقبةٍ كأنه قائد أسطول بحري ألماني قبل أن يقول: "هذا ليس مجلس الإدارة الذي انضممت إليه منذ عشرين عاماً ولا يهمني بعد الآن أن أكون عضواً فيه".

وهو يغادر القاعة انضم إليه بوب بينغهام وديفيد ديكسون.

عندما أغلق باب القاعة التف ميلور إلى نولز وقال: "هذه مكافأةٌ لم أكن أتوقعها".

مكتبة ياسين

سيباستيان كليفتون

1970

33

"ماذا أقول لوالدك عندما يتصل بي ليسألني كيف سار اجتماع مجلس الإدارة؟".

"الحقيقة أنه لن يتوقع أقل من ذلك".

"ولكن إذا فعلت ذلك سيعود إلى المنزل مباشرةً".

"لماذا؟ أين هو؟".

"في مطار هيثرو في انتظار الصعود على متن رحلةٍ إلى لينينغراد".

"كيف أمكنه أن يذهب بينما...".

"إنه خطئي أخبرته أننا من المستحيل أن نخسر التصويت، وقد أخذ بكلامي".

"وما كنا لنخسر لو وصلت في الوقت المناسب".

قالت إيما: "هذا صحيح. ربما كان من الأفضل لو أنك أتيت قبل ليلةٍ".

زجر سيب بعنفٍ: "ولو أخذت بنصيحتي لما حدث أي من هذا".

صمتا لبعض الوقت.

"ما مدى أهمية رحلة أبي إلى لينينغراد؟".

"مهمةٌ جداً كما كان تصويت هذا الصباح بالنسبة إليّ. لقد كان يستعد لها منذ أسابيعٍ ولو لم يذهب الآن فلن يحصل على فرصةٍ أخرى لفترةٍ طويلةٍ جداً، هذا إن حصل. على أي حالٍ سيبقى هناك ليومين فقط. نظرت إلى ابنها: "ربما يمكنك الرد على المكالمة عند اتصاله".

سأل سيب": وماذا أقول؟".

مكتبة ياسين

"إذا سألني كيف سار الاجتماع سأخبره بالحقيقة، وإلا فلن يثق بي مرةً أخرى".

ركن سيارته خارج المنزل: "في أي وقتٍ قلت إنه يحتمل أن يتصل؟".

"إن رحلته عند الرابعة".

نظر سيب إلى ساعته: "لا تقلقي. حتى ذلك الوقت سأكون قد توصلت إلى حل".

***

لم يكن هاري بحاجةٍ للتأكد من حقائبه لأنه أحضر حقيبة أمتعته فقط. كان يعرف بالضبط ما عليه القيام به منذ لحظة هبوطه وسيكون لديه أكثر من الوقت الكافي لضبط خطته في رحلته الطويلة عبر القارة. لو حدث المستحيل وخسرت إيما التصويت فلن يكون الأمر مهماً على أي حالٍ لأنه سيكون قد أخذ القطار التالي إلى بريستول.

"النداء الأول لجميع المسافرين على متن الرحلة رقم 726 إلى لينينغراد. هل يمكنكم من فضلكم الذهاب إلى البوابة رقم ثلاثة حيث تتجه الطائرة الآن".

سار هاري إلى أقرب كشك هاتفٍ ممسكاً بحفنةٍ من العملات المعدنية. اتصل برقم منزله ووضع ما يكفي من المال للسماح له بثلاث دقائق.

قال صوتٌ تعرف عليه على الفور: "بريستول 4313".

"سيب مرحباً. ماذا تفعل في المنزل؟".

"مساعدة أمي في الاحتفال. سأناديها لتنقل لك الأخبار السارة بنفسها".

"إنه النداء الثاني للمسافرين إلى لينينغراد على متن الرحلة رقم...".

مكتبة ياسين

قالت إيما: "مرحباً يا عزيزي. أنا سعيدةٌ جدا أنك اتصلت لأنه...". انتهت المكالمة.

"إيما هل أنت هنا؟". لم يكن هناك رد. "إيما؟"، حاول مرةً أخرى ولكن لم يكن هناك رد ولم يكن يملك ما يكفي من الفكة للاتصال مرةً ثانية.

"إنه النداء الثالث والأخير للركاب على متن الرحلة رقم 726 إلى لينينغراد".

أعاد هاري الهاتف محاولاً تذكر كلمات سيب بدقةٍ: "مساعدة أمي في الاحتفال، سأناديها لتنقل لك الأخبار السارة بنفسها"، وعندما أخذت إيما الخط بدت مبتهجةً جداً. لا بد أنها ربحت التصويت. على الرغم من ذلك فقد شك للحظةٍ بالأمر.

"هل يمكن للسيد هاري من فضله التوجه إلى الباب الثالث حيث أنه يوشك على الإغلاق".

***

سألت إيما: "بماذا نحتفل؟".

قال سيب: "لا أدري. لكنني سأفكر بشيءٍ إلى حين عودة أبي من روسيا والآن علينا التركيز على المشاكل الحالية".

"ليس لدينا الكثير للقيام به حتى انتهاء المحاكمة".

"أمي يجب أن تتوقفي عن التصرف كالمرشدات وأن تفكري مثل ميلور وناولز".

"وما الذي يفكران به في هذه اللحظة؟".

"إن ما جرى كان أفضل مما توقعاه. فهما لم يتخلصا منك فحسب بل تخلصا من ثلاثةٍ من ملازميك الأكثر ثقةً أيضاً".

قالت إيما: "ثلاثة رجالٍ شرفاء".

"تماماً مثل بروتوس، وانظري أين أوصله ذلك".

مكتبة ياسين

"أتمنى لو أنني كنت في قاعة مجلس الإدارة عندما أقدم الأدميرال سامرز...".

"لقد عدت إلى زي المرشدات يا أمي. الآن توقفي عن ذلك واستمعي إليّ بحذر. أول شيء عليك فعله هو الاتصال بالأدميرال سامرز، وبوب بينغهام، والسيد ديكسون، وأخبريهم ألا يستقيلوا من مجلس الإدارة مهما كانت الظروف".

"لكنهم خرجوا يا سيب. لن يهتم نولز وميلور لانسحابهم".

"لكنني أهتم.. أهتم لأنهم ثلاثة أصواتٍ سنضحي بها من أجل لفتةٍ لا طائل منها. إذا ظلوا في مجلس الإدارة فإنه بتصويتي وتصويتك وصوت دوبز سيكون لدينا ست أصواتٍ مقابل أصواتهم الخمسة".

"لكنني لن أكون في الكرسي مرةً أخرى إلا بعد المحاكمة. هل نسيت أنني تنحيت؟".

"لا لم تفعلي. خرجت من الاجتماع فقط لذا يمكنك العودة مرةً أخرى لأنه إن لم تفعلي فلن تكوني الرئيسة بعد المحاكمة سواء فزت أم خسرت!".

"إنك شخصٌ مراوغٌ يا سيباستيان كليفتون!".

"وطالما لم ينجح ميلور ونولز في حل المشكلة بعد، لا يزال أمامنا فرصة. لكن أولاً لديك ثلاث مكالماتٍ عليك إجراؤها. إن ميلور ونولز لن يقبلا الهزيمة إلا في حال فوزنا في جميع الأصوات".

قالت إيما: "ربما يجب أن تكون رئيساً!".

"كل شيءٍ في وقته المناسب يا أمي. لكن ما أريد منك فعله الآن هو الاتصال مباشرةً بالأدميرال سامرز لأنه من المحتمل أن يكون بالفعل كتب رسالة استقالته. دعينا نأمل فقط أنه لم ينشرها".

مكتبة ياسين

التقطت إيما دفتر الهاتف، وبدأت تتنقل في قائمة الأسماء.

قال سيب: "وإذا كنت بحاجةٍ إليّ في أي شيءٍ سأكون في المكتبة أجري مكالمة طويلةٍ".

***

كان أندريه سلون يقف في صالة مدخل بنك فارذينغز منذ مدة تتراوح بين خمس دقائق إلى إحدى عشرة دقيقةٍ. لا أحد يستطيع تذكر أن رئيس مجلس الإدارة ينزل لمقابلة ضيف من قبل.

وصل السيد بشارة ببينتلي إلى البنك بعد أربع دقائقٍ وهرع البواب ليفتح باب السيارة الخلفي له.

عندما دخل بشارة وزميلاه المبنى تقدم سلون إلى الأمام لاستقباله.

قال وهما يتصافحان: "صباح الخير يا سيد بشارة أهلاً بك في مصرفك".

"شكراً لك سيد سلون. أنا متأكدٌ أنك تتذكر السيد مورلاند محاميّ، والسيد بيري كبير المحاسبين لديّ".

قال سلون مصافحاً كلا الرجلين: "بالطبع". ثم وجه ضيوفه نحو مصعد حيث بدأ الموظفون التصفيق الذي تدربوا عليه جيداً للترحيب برئيسهم الجديد.

انحنى برفقٍ وابتسم للبوابين الثلاثة الشبان الواقفين خلف مكتب الاستقبال. قال لسلون وهو يدخل المصعد: "هذا هو المكان الذي بدأت فيه مسيرتي المصرفية".

"والآن أنت على وشك أن تصبح مالكاً لإحدى المؤسسات المالية الأكثر احتراماً في المدينة".

اعترف بشارة: "اليوم الذي انتظرته منذ سنوات عديدة". كان تصريحاً جعل سلون يشعر بثقةٍ أكبر

مكتبة ياسمين

في قدرته على المضي قدماً في تغيير خطته.

"عندما نصل إلى الطابق الإداري سنذهب مباشرةً إلى قاعة الاجتماعات حيث أعدت ملفات العرض وننتظر توقيعك".

قال بشارة وهو يخرج إلى الممر: "شكراً لك".

عندما دخل إلى قاعة الاجتماعات نهض مدراء البنك الثمانية معاً وانتظروا أن يجلس مكانه على رأس الطاولة قبل جلوسهم مرةً أخرى. قدم كبير الخدم لبشارة فنجاناً من قهوته التركية المفضلة الداكنة والساخنة، واثنين من بسكويت ماك فيتي الصغير المفضلة لديه أيضاً.

لم يُترك أي شيء للصدفة.

جلس سلون على الطرف الآخر من الطاولة.

"بالنيابة عن مجلس الإدارة اسمح لي يا سيد بشارة أن أرحب بك في بنك فارذينغز. بعد إذنك فلنباشر إجراءات تبادل الملكية".

أخرج بشارة قلم الحبر ووضعه على الطاولة.

"أمامك ثلاث نسخ من ملفات العرض تمت الموافقة عليها من قبل محاميك وقام الجانبان بتعديلاتٍ صغيرةٍ ولكن لا توجد أية عواقب حقيقية". أومأ السيد مورلاند بالموافقة.

وأكمل سلون: "اعتقدت أنه قد يكون مفيداً، إذا كنت سأسلّط الضوء على أهم القضايا التي اتفقنا عليها. سوف تصبح رئيساً لبنك فارذينغز ويمكن ترشيح ثلاثة مدراءٍ لتمثيلك في المجلس يتم تعيين أحدهم نائباً للرئيس".

ابتسم بشارة. لن يعجبهم من كان يدور في خلده لمنصب نائب الرئيس.

"سأظل رئيساً لمجلس الإدارة لمدة خمس سنواتٍ،

مكتبة ياسين

وسيتم تجديد عقود أعضاء مجلس الإدارة الثمانية الحاضرين هنا اليوم لمدة خمس سنواتٍ أخرى، وأخيراً المبلغ المتفق عليه هو تسعةٌ وعشرون مليوناً وثمانمئة ألف جنيه أسترليني أي ما يعادل خمس جنيهات لكل سهم".

التفت بشارة إلى محاميه الذي سلمه حوالةً مصرفيةً بكامل المبلغ. وضعها على الطاولة أمامه وكاد مشهدها أن يغير رأي سلون.

قال سلون: "مع ذلك نشأ شيء ما خلال الأربع وعشرين ساعةٍ الماضية ما جعل من الضروري عمل ملف تعديلٍ بسيطٍ للعقد".

كان باستطاعة بشارة في مثل هذا الوقت أن يلعب طاولة الزهر في كليرمونت وهذا كل ما فهمه سلون من تعابير وجهه.

أكمل سلون: "تلقينا صباح أمس مكالمةً من مؤسسةٍ راسخةٍ في المدينة قدمت لنا ستة جنيهاتٍ للسهم، ولإثبات مصداقيتهم وضعوا المبلغ كاملاً في حساب الضمان لدى محاميهم. لقد وضعني هذا العرض ومجلس الإدارة في موقفٍ حرجٍ للغاية فنحن لسنا أكثر من مجرد موظفين لدى أصحاب الأسهم، ومع ذلك فقد عقدنا اجتماع مجلس الإدارة في وقتٍ سابقٍ من هذا الصباح وتم الاتفاق بالإجماع على أنه إذا كنت قادراً على تلبية عرض الستة جنيهات استرلينية للسهم فإننا سنرفض العرض المنافس ونحترم اتفاقنا الأصلي".

ابتسم سلون لبشارة وأضاف: "لقد قمنا مسبقاً بتعديل ملف العرض لإظهار هذا التغيير وأدخلنا الرقم الجديد البالغ خمسة وثلاثين مليوناً وسبعمئة وستين ألف جنيه، وبالنظر إلى الظروف أرجو أن تعتبر هذا حلاً مقبولاً".

مكتبة ياسين

ابتسم بشارة وقال: "أولاً اسمح لي يا سيد سلون أن أشكرك على لطفك في إعطائي هذه الفرصة لمضاهاة العرض المنافس الذي قدمه طرفٌ ثالثٌ".

ابتسم سلون وأكمل بشارة قائلاً: "ومع ذلك أشير إلى أننا اتفقنا على مبلغ خمس جنيهاتٍ للسهم منذ ما يقارب الشهر ووضعت وديعةٍ لدى محامي تعبيراً عن حسن نيتي، وما تخبرني به فاجأني.

قال سلون: "أجل ويجب عليّ الاعتذار عن ذلك ولكنك ستتفهم المعضلة التي واجهتني وتتذكر أن لدينا واجباً انتمائياً تجاه أصحاب الأسهم".

قال بشارة: "لا أعلم ما فعله والدك من أجل لقمة العيش يا سيد سلون لكن والدي كان تاجر سجادٍ في إسطنبول، وأحد الأشياء العديدة التي علمني إياها في شبابي أنه بمجرد الاتفاق على السعر تقدم القهوة ثم تجلسان لبعض الوقت متظاهرين بأنكما تحبان بعضكما. ما يعادل مصافحة رجلٍ إنكليزي يليها غداء في ناديه. لذا لا يزال عرضي بقيمة خمسة جنيهاتٍ للسهم مطروحاً على الطاولة، وإذا قررت قبوله فسأوقع الاتفاقية بسعادة".

استدار أعضاء مجلس الإدارة الثمانية ونظروا إلى الرئيس وأرادوه أن يقبل عرض بشارة. لكن سلون ابتسم ببساطةٍ وكان مقتنعاً أن ابن تاجر السجاد يراوغ.

"إذا كان هذا عرضك الأخير يا سيد بشارة. أخشى أنني سأضطر لقبول العرض الاخر. آمل فقط أن نتشارك كأصدقاء".

حوّل المدراء الثمانية انتباههم إلى الطرف الاخر من الطاولة وكان أحدهم يتصبب عرقاً.

"من الواضح أن أخلاق المصرفيين في المدينة ليست مثل التي كنت أعيشها مع والدي في أسواق

مكتبة ياسين

إسطنبول لذلك يا سيد سلون لم تترك لي أي خيارٍ سوى سحب عرضي".

بدأت شفتا سلون ترتجفان عندما أعاد بشارة أموال المصرف إلى محاميه ونهض ببطءٍ من مكانه وقال: "يومٌ سعيدٌ أيها السادة. أتمنى لك علاقةً طويلةً وناجحةً مع مالكك الجديد أياً يكن".

خرج بشارة من قاعة الاجتماعات محاطاً بمستشاريه. لم يتكلم مرةً أخرى حتى جلسوا في المقعد الخلفي في سيارته عندما انحنى إلى الأمام وقال لسائقه: "تغيرت الخطة يا فريد، أحتاج إلى الاتصال ببنك كوفمان".

***

قال سيب: "هل يمكن أن تصلني بالدكتورة وولف؟".

"من المتصل؟".

"سيباستيان كليفتون".

"كم هو لطيفٌ منك أن تعاود الاتصال بي يا سيد كليفتون. أتمنى لو كان ذلك في ظروفٍ أكثر سعادةً".

تراجعت ساقا سيب وانهار على الكرسي خلف مكتب والده يائساً لمعرفة ما إذا كان قد حدث أي شيءٍ لسامانثا أو جيسيكا".

أكملت السيدة وولف: "للأسف. إن مايكل زوج سامانثا عانى مؤخراً من سكتةٍ دماغية أثناء رحلة العودة من شيكاغو إلى واشنطن".

"أنا آسفٌ جداً لسماع ذلك".

"في حلول الوقت الذي نقلوا فيه الرجل المسكين إلى المستشفى دخل في غيبوبةٍ. كم كانت الأمور لتختلف لو أنها حدثت قبل ساعةٍ أو بعد ساعةٍ. كل

مكتبة ياسين

هذا حدث منذ بضعة أسابيع. وأطباؤه غير متفائلين بشفائه. في الواقع ليس لديهم أي طريقة لمعرفة المدة التي سيبقى فيها على هذه الحالة. لكن هذا ليس الغرض من مكالمتي".

"أظن أن التي اتصلت من أجلها هي جيسيكا وليس زوج والدتها".

"أنت على حق. الحقيقة هي أن الفواتير الطبية في هذا البلد مرتفعةٌ للغاية، وعلى الرغم من أن السيد بروير كان يشغل منصباً رفيعاً في وزارة الخارجية وتأمينه الصحي يغطيه بشكلٍ جيد، ولكن نفقات التمريض على مدار الساعة التي تستدعيها حالته دفعت سامانثا لاتخاذ قرارٍ بسحب جيسيكا من مدرسة جيفرسون الابتدائية في نهاية هذا الفصل حيث لم يعد بإمكانها تحمل رسومنا".

"سأغطي النفقات".

"هذا كرمٌ بالغٌ منك يا سيد كليفتون. على كل حال يجب أن أخبرك أن رسومنا تبلغ ألفاً وخمسمئة دولارٍ للفصل الدراسي وأن أنشطة جيسيكا الإضافية في الفصل الدراسي الماضي وصلت إلى ثلاثمئة ودولارين إضافة إلى رسم الفصل".

"سأرسل لك ألفي دولار على الفور، وسيكون لطيفاً منك أن تعلميني بقيمة الفاتورة في نهاية كل فصلٍ دراسي. ولكن بشرط ألا تكتشف سامانثا أو جيسيكا بأن لي علاقة بالأمر".

"كان لدي شعورٌ بأنك ستقول ذلك يا سيد كليفتون، وأعتقد أنني توصلت لاستراتيجيةٍ من شأنها عدم الكشف عن هويتك. أن تقدم منحةً دراسيةً بتبرعٍ سنوي على سبيل المثال خمسة آلاف دولارٍ فسيكون الأمر متروكاً لي لاختيار التلميذ المستفيد".

مكتبة ياسمين

قال سيب: "حل جيدٌ".

"أعتقد أن معلم الإنكليزية الخاص بك كان ليوافق تماماً على استخدامك الصحيح لكلمة لطيف".

قال سيب: "في الواقع إنه والدي. مما يذكرني عندما كانت أختي تحتاج إلى لوحاتٍ قماشيةٍ، وألوان، وورق رسمٍ، وفراش أو حتى أقلام رصاصٍ. كان والدي يحرص دائماً على أن تكون عالية الجودة، واعتاد أن يقول إنه يجب ألا يكون خطأنا إذا لم تنجح. أريد الشيء نفسه لابنتي. لذا إن لم تكن خمسة آلافٍ كافيةً أيتها الدكتورة وولف لا تترددي في إعطائها أي شيءٍ تحتاجه وأنا سأغطي التكاليف الإضافية. لكنني أكرر: يجب أن لا تعرف الأم أو ابنتها من فعل هذا".

"لن يكون هذا سرك الأول الذي أحتفظ به يا سيد كليفتون".

قال سيب: "أنا أعتذر. ومن أجل سؤالي التالي متى ستتقاعدين يا دكتورة وولف؟".

"لن أبقى فترةً طويلةً بعد فوز ابنتك بمنحة 'الصياد' الدراسية في كلية الفنون الأميركية، والتي ستكون المرة الأولى لمدرسة جيفرسون الابتدائية".

مكتبة ياسين

34

كان هاري يتفقد شيكات سفره عندما بدأت المضيفة جولتها الأخيرة. متأكدةً أن الصف الأول من المسافرين قد ربطوا أحزمة مقاعدهم عندما بدأت الطائرة بالهبوط إلى لينينغراد.

قال هاري: "المعذرة. هل تعرفين موعد رحلة العودة القادمة إلى لندن؟".

"تحتاج هذه الطائرة إلى أربع ساعاتٍ للوصول ومن المقرر أن تعود إلى لندن في الساعة التاسعة أو العاشرة مساء اليوم".

"هذا صعبٌ بعض الشيء عليك أليس كذلك؟".

قالت مبتسمةً: "لا، لدينا دائماً توقفٌ في لينينغراد. لذلك، إذا كنت ستعود في رحلة هذا المساء سيخدمك طاقمٌ مختلفٌ تماماً".

قال هاري: "شكراً لك هذا مفيدٌ للغاية". نظر من نافذة الطائرة ليشاهد مدينة تولستوي المفضلة تكبر في الأفق كل ثانيةٍ. على الرغم من أنه كان ليشك أن المؤلف العظيم سيذهل من تغيير اسمها. عندما سمع صوت محركات الطائرة الهيدروليكية تخفض العجلات لتحط تساءل عما إذا كان هناك وقتٌ كافٍ للتسوق والعودة إلى الطائرة قبل أن يغلق بابها.

عندما لامست العجلات الأرض شعر هاري بارتفاعٍ في الأدرينالين لم يختبره سابقاً، إلا عندما كان خلف خطوط العدو خلال الحرب. ناسياً في بعض الأوقات أن ذلك كان منذ ما يقارب ثلاثين عاماً عندما كان أخف وزناً وأكثر رشاقةً. لكن على الأقل هذه المرة لم يكن من المتوقع أن يواجه فوجاً من الألمان يتقدم نحوه.

بعد مغادرته السيدة باباكوف حفظ كل ما قالته

مكتبة ياسين

في ذاكرته. لم يكتب أي شيءٍ خوفاً من أن يكتشف أحدٌ ما خطط له. لم يخبر أحداً غير إيما بالسبب الحقيقي وراء زيارته لينينغراد على الرغم من أن جايلز توصل إلى أنه ذاهبٌ لجمع الكتاب وعلى الرغم من أن 'جمع' كان الفعل الخاطئ.

عندما اصطدمت الطائرة على طول المدرج المليء بالحفر قدر أنها ستكون ساعةً على الأقل قبل أن يتخلص من الجمارك ويتمكن من تحويل بعض الجنيهات الإسترلينية إلى العملة المحلية. في الواقع استغرق الأمر ساعةً وأربع عشرة دقيقةً على الرغم من امتلاكه لحقيبة أمتعته فقط واستبداله عشر جنيهاتٍ مقابل خمسةٍ وعشرين روبلاً. ثم كان عليه الوقوف في طابورٍ طويلٍ من سيارات الأجرة حيث أن الروس لا يمتلكون مهارات نظام التجارة الحرة.

وجه السائق بلغته الأم على أمل أن يعرف مكانها: "زاوية شارع نيفسكي بروسبكت وبولشايا مورسكايا". كل تلك الساعات في تعلم اللغة الروسية في حين أنه في الحقيقة سيحتاج فقط إلى بعض العبارات المشهورة حيث كان ينوي العودة إلى إنكلترا في غضون ساعاتٍ قليلةٍ فقد اكتملت المهمة كما كان يقول قائده القديم.

أثناء القيادة إلى المدينة مروا بقصر يوسوبوف حيث تحولت أفكار هاري إلى راسبوتين. هذا المتلاعب بالأفكار ربما استمتع بخدعه. أمل هاري فقط ألا ينتهي به المطاف بالتسمم ملفوفاً في سجادةٍ ثم مرمياً في حفرةٍ جليديةٍ في نهر مالايا نيفكا. مدركاً أنه إن أراد العودة إلى المطار في الوقت المناسب لصعود الطائرة 21. 10 إلى هيثرو فلم يتبق أمامه سوى عشرين أو ثلاثين دقيقةً،

مكتبة ياسين

وهذا يجب أن يكون أكثر من كافٍ.

توقف سائق التاكسي أمام مكتبة لبيع الكتب الأثرية وأشار إلى العداد. أخرج هاري خمسة روبلات وسلمها له.

"لا أتوقع أن أمضي وقتاً طويلاً فهل يمكنك الانتظار لطفاً؟".

وضع السائق الورقة في جيبه ومنحه إيماءةً فظةً.

في اللحظة التي دخل فيها هاري المتجر أدرك سبب اختيار السيدة باباكوف لهذه المؤسسة بالذات لتخفي فيها كنزها. بدا الأمر كما لو أنهم لا يريدون بيع أي شيءٍ. كانت امرأةٌ مسنةٌ تجلس خلف منضدة المحاسبة تقرأ كتاباً. ابتسم لها هاري لكنها لم تنظر عندما رن جرس الباب.

أخذ بضعة كتبٍ من الرف القريب وتظاهر بقراءتها بينما كان يشق طريقه إلى الجزء الخلفي من المتجر وكان قلبه ينبض أسرع قليلاً مع كل خطوةٍ يخطوها. هل ما زال هناك؟ هل اشتراه شخص ما ليكتشف عندما عاد إلى المنزل أنه حصل على الكتاب الخطأ؟ هل استولى زبونٌ على الغنيمة وأتلف العم جو خوفاً من أن يلقى القبض عليه؟ يمكنه أن يفكر في عشرات الأسباب التي جعلت رحلةً تبلغ ثلاثة آلاف كيلومترٍ تصبح رحلةً ضائعةً. لكن في الوقت الحالي لا يزال الأمل ينتصر على التوقعات.

أخيراً، عندما وصل إلى خزانة الكتب التي قالت السيدة باباكوف أنها أخفت فيها عمل زوجها أغمض عينيه وصلى. فتح عينيه ليجد أن حكايات أوبرفيل بالفرنسية لم يعد في مكانه. مجرد فراغٍ مغطى بطبقةٍ من الغبار بين قصة مدينتين ودانيال ديروندا. لم تذكر السيدة باباكوف دانيال ديروندا.

مكتبة ياسمين

نظر إلى الخلف نحو منضدة المحاسبة ليرى العجوز تقلب الصفحة. وقف على رؤوس أصابعه وتمدد وسحب قصة مدينتين عن الرف العلوي مصحوباً بغبارٍ يتناثر عليه. عندما فتحه اعتقد أنه سيصاب بنوبةٍ قلبيةٍ لأنه لم يكن نسخةً من عمل ديكنز إنما عمل أناتولي باباكوف.

غير راغبٍ في لفت الانتباه إلى جائزته أخذ روايتين أخريين من الرف نفسه، عباءةً خضراء لجون بوشان وجامايكا إن لدافني دو مورار، وتظاهر بالتصفح حيث شق طريقه ببطءٍ نحو منضدة العجوز. كاد يشعر بالذنب لمقاطعة العجوز وهو يضع الكتب الثلاثة على المنضدة أمامها.

فتحت كل واحد منها بدورها وتحققت من السعر.

حتى أن السيدة باباكوف حددت السعر. لو أنها قلبت صفحةً واحدةً بعد لكان قبض عليه لكنها لم تفعل.

قالت وهي تجمع على أصابعها: "ثمانية روبلات".

سلمها هاري ورقتين من فئة خمسة روبلات. فقد حذروه عندما كان في موسكو لحضور المؤتمر أنه على أصحاب المتاجر الإبلاغ عن أي شخصٍ يحاول شراء سلعٍ بعملةٍ أجنبيةٍ والأهم من ذلك أنه عليهم رفض البيع ومصادرة الأموال. شكرها وهي تعيد له الباقي. في الوقت الذي غادر فيه المتجر قلبت صفحةً أخرى.

قال هاري وهو يصعد إلى سيارة الأجرة التي تنتظره: "عد إلى المطار". بدا السائق مندهشاً، ولكنه نفذ ذلك وانطلق في رحلة العودة.

فتح هاري الكتاب مرةً أخرى ليتأكد من أنه لم يكن وهماً، واستبدل خوفه من الملاحقة بالشعور بالانتصار. عاد إلى الصفحة الأولى وبدأ بالقراءة.

مكتبة ياسمين

كل تلك الساعات التي قضاها في دراسة اللغة الروسية أثبتت أخيراً أنها تستحق العناء. قلب الصفحة.

جعل الازدحام المروري في الوقت المبكر من المساء رحلة العودة إلى المطار تستغرق وقتاً أطول مما كان يتوقعه في الأصل.

بدأ يفحص ساعته كل بضع دقائق خوفاً من ألا يلحق بالطائرة. بحلول الوقت الذي أنزلته فيه سيارة الأجرة في المطار وصل إلى الفصل السابع الذي يتحدث عن وفاة زوجة ستالين الثانية. سلم السائق خمسة روبلات أخرى ولم ينتظر أن يعيد له الباقي لكنه ركض إلى المطار وتبع الإشارات وصولاً إلى نافذة شركة الطيران.

"هل يمكنك أن تضعني على متن رحلة الساعة التاسعة أو العاشرة للعودة إلى لندن؟".

سألت موظفة الحجز: "في الصف الأول أم الاقتصادي؟".

"الصف الأول".

"جانب النافذة أم الممر؟".

"النافذة من فضلك".

قالت وهي تسلمه التذكرة: "ستة A".

كان يسر هاري الجلوس في المقعد نفسه الذي كان يشغله في رحلة المجيء.

"هل لديك أي أمتعة لتسجيلها يا سيدي؟".

قال وهو يحمل حقيبته: "لا هذه فقط".

"من المقرر أن تقلع الرحلة قريباً يا سيدي لذا من الأفضل أن تشق طريقك إلى الجمارك".

تساءل هاري عن عدد المرات التي قدمت فيها هذه العبارة المحددة في اليوم. كان سعيداً لتنفيذ

مكتبة ياسين

اقتراحها. وبينما تجاوز كشك الهواتف انتقل تفكيره إلى إيما والسيدة باباكوف ولكن عليه الانتظار حتى يعود إلى لندن ليتمكن من نقل الأخبار لهما.

كان على بعد خطوتين فقط من مكان فحص جوازات السفر عندما شعر بقبضةٍ قويةٍ على كتفه. التفت ليجد شرطيين شابين ضخمي الجثة يقفان إلى جانبيه.

قال أحد الشرطيين وهو واثقٌ أن هاري يتحدث الروسية: "هلا أتيت معي".

سأل هاري: "لماذا؟ أنا في طريقي للعودة إلى لندن ولا أريد تفويت رحلتي".

"نحتاج فقط إلى تفتيش حقيبتك. إذا لم تكن هناك مخالفاتٌ سيكون لديك أكثر من الوقت الكافي للحاق برحلتك".

صلى هاري أنهما يبحثان عن المخدرات أو النقود أو البضائع المهربة حيث أمسكا ذراعه بقوةٍ وأخذاه بعيداً. فكر في الهرب بسرعةٍ وربما كان عليه ذلك قبل عشرين سنةٍ...

توقف رجلا الشرطة أمام بابٍ لا يحمل أي علاماتٍ، وفتحا قفله ودفعا هاري إلى الداخل. أغلق الباب خلفه، وسمع صوت مفتاحٍ يدور في القفل، ونظر في أرجاء الغرفة.

طاولةٌ صغيرةٌ ولا وجود للنوافذ، ولا شيء على الجدران سوى صورة كبيرة بالأبيض والأسود للرفيق بريجنيف رئيس الحزب.

سمع بعد لحظاتٍ المفتاح يدور في القفل مرةً أخرى.

كان هاري قد أعد بالفعل نصف قصةٍ حول قدومه إلى سانت بطرسبرغ لزيارة متحف الأرميتاج. فتح

مكتبة ياسين

الباب ودخل رجلٌ. تسبب مشهد هذا الضابط الطويل الأنيق في شعور هاري بالقلق للمرة الأولى. كان يرتدي زياً أخضر داكناً مع ثلاث نجومٍ ذهبيةٍ على كتفيه والعديد من الميداليات على صدره. مما يشير إلى أنه لن يكون من الصعب عليه اتباع أساليب الترهيب. تبعه رجلان مختلفان تماماً مظهرهما يدحض نظرية التطور لدارون.

"سيد كليفتون. اسمي الكولونيل مارينكين وأنا الضابط المسؤول عن هذا التحقيق. افتح حقيبتك من فضلك".

فتح هاري سحاب الحقيبة وتراجع. "ضع كل المحتويات على الطاولة".

أخرج هاري حقيبة الغسيل وبنطالين وزوجاً من الجوارب وقميصاً كريمي اللون فقط في حال اضطراره للبقاء ليلةً، وثلاثة كتبٍ. بدا الكولونيل مهتماً فقط بالكتب حيث قرأها لبضع لحظاتٍ قبل أن يعيد اثنين منها إلى الطاولة.

"يمكنك حزم حقيبتك يا سيد كليفتون".

أطلق هاري تنهيدةً طويلةً وهو يعيد أمتعته إلى الحقيبة. على الأقل لم تكن الرحلة بأكملها مضيعةً للوقت فقد علم أن الكتاب لا يزال موجوداً حتى أنه قرأ سبعة فصولٍ كان سينسخها على متن الطائرة.

سأل الكولونيل وهو يمسك الكتاب: "هل تعرف ما هذا الكتاب؟".

قال هاري: "قصة بين مدينتين. من بين الأشياء المفضلة لديّ لكنه لا يعتبر تحفة ديكنز".

قال مارينكين: "لا تعبث معي. لسنا حمقى كما تطلقون علينا أيها الإنكليز المتغطرسون. كما تعلم جيداً هذا الكتاب هو العم جو من تأليف أناتولي

مكتبة ياسين

باباكوف والذي كنت تحاول الحصول عليه منذ سنوات، وكدت تنجح اليوم.

لقد خططت لكل شيءٍ بأدق التفاصيل. أولاً زرت السيدة باباكوف في بيتسبرغ لمعرفة أين خبأت الكتاب. عند عودتك إلى بريستول حسنت لغتك الروسية فأثرت إعجاب مدرسك بإلمامك بلغتنا.

بعد ذلك أتيت إلى لينينغراد قبل أيامٍ قليلةٍ من انتهاء تأشيرتك. دخلت البلد حاملاً فقط حقيبة أمتعتك التي تشير إلى أنك حتى لم تخطط لبقاء ليلةٍ واحدةٍ وحولت عشر جنيهاتٍ إلى روبلات.

طلبت من سائق سيارة الأجرةِ أن يأخذك إلى متجر كتبٍ أثري غامضٍ في مركز المدينة واشتريت ثلاثة كتبٍ اثنان منها يمكنك شراؤهما من أي متجرٍ في إنجلترا.

ثم طلبت من السائق أن يقلك إلى المطار وسجلت نفسك في رحلة العودة التالية إلى المنزل حتى في المقعد نفسه. من تظن أنك تخدع؟ لا يا سيد كليفتون لقد نفد حظك وأنا أوقفك".

سأل هاري: "بأي تهمةٍ؟ شراء كتاب؟".

"احتفظ بهذا للمحاكمة يا سيد كليفتون".

"يمكن للركاب المسافرين إلى رحلة لندن رقم...".

***

قالت ريتشيل: "السيد بشارة على الخط الثالث هل أحوله؟".

قال سيب: "أجل". ثم وضع يده على السماعة وطلب من زميليه أن يتركاه بمفرده لدقائق.

"أعتقد أنه حان الوقت للعب مباراةٍ أخرى من طاولة الزهر يا سيد كليفتون".

"لست متأكداً أني أستطيع تحمل ذلك".

مكتبة ياسين

"مقابل درسٍ. لا أطلب أكثر من المعلومات".

"ما الذي تريد معرفته؟".

"هل سبق لك أن صادفت شخصاً يدعى ديزموند ميلور".

"أجل أعرفه".

"وما رأيك به؟".

"على مقياس واحدٍ إلى عشرة؟ واحد".

"هكذا إذاً، وماذا عن النائب ألكس فيشر؟".

"واحدٌ تحت الصفر".

"هل ما زلت تمتلك ستةً في المئة من بنك فارزينغز؟".

"سبعةٌ في المئة وتلك الأسهم ما زالت غير معروضةٍ للبيع".

"هذا ليس سبب سؤالي. هل نلتقِ عند الساعة العاشرة الليلة في كليرمونت؟".

"هل يمكننا تأخير الموعد قليلاً؟ سآخذ خالتي غريس لمشاهدة مسرحية *موت بائعٍ متجولٍ* في مسرح ألدويش، ولكنها دائماً تفضل اللحاق بآخر قطارٍ عائدٍ إلى كامبريدج. لذا سأوافيك قرابة الساعة الحادية عشر في كليرمونت".

"يسعدني أن أنتظر لأجل خالتك يا سيد كليفتون. أتطلع إلى رؤيتك عند الحادية عشرة في كليرمونت.. حيث يمكننا مناقشة موت بائعٍ متجولٍ".

مكتبة ياسين

35

تفوه ديزموند ميلر غاضباً: "الغطرسة والطمع هما الجواب على سؤالك. كان لديك حوالة بنكية في اليد، لكنك لم تقبل بذلك. أردت المزيد وبسبب غبائك ربما سأفلس".

"أنا متأكدٌ أنه ليس بهذا السوء يا ديزموند. بعد كل شيءٍ ما زلت تمتلك واحداً وخمسون في المئة من فارذينغز. ناهيك عن أملاكك الضخمة".

"دعني أوضح لك ذلك يا سلون. حتى لا تتوهم في ما أواجهه، والأهم من ذلك ما أتوقع منك فعله حيال ذلك. اشتريت بناءً على نصيحتك واحداً وخمسين بالمئة من أسهم البنك من أرنولد هاردكاسل بسعر ثلاث جنيهاتٍ وتسعة شلنات للسهم وهذا كلفني أكثر من عشرين مليون جنيهٍ. اضطررت لاقتراض أحد عشر مليوناً من بنكي لتسديد هذا المبلغ مستخدماً الأسهم وجميع ممتلكاتي بما في ذلك منزلين، وبالإضافة إلى التوقيع على ضمانٍ شخصي. أسهم فارذينغز معروضةٌ في السوق هذا الصباح بسعر جنيهين وأحد عشر شلناً وهذا يعني أنني على وشك خسارة أكثر من خمسة ملايين جنيهٍ لصفقةٍ قلت إنه من المستحيل أن نخسرها. ربما أتجنب الإفلاس لكنني بالتأكيد سأخسر إذا اضطررت إلى طرح أسهمي في السوق الآن، وأكرر أن كل هذا بسبب غطرستك وطمعك".

قال سلون: "هذا ليس عادلاً أبداً. في اجتماع مجلس الإدارة الاثنين الماضي اتفقنا جميعاً وأنت أيضاً على وضع السعر المطلوب ستة جنيهاتٍ".

"هذا صحيحٌ، ولكن ابن تاجر السجاد تمكن من خداعك. كان يريد المضي قدماً بخمس جنيهاتٍ للسهم كان ذلك سيخرجني من المأزق ويزودنا

مكتبة ياسين

جميعاً بربحٍ جيدٍ. لذا أقل ما يمكنك فعله هو شراء أسهمي مقابل ثلاث جنيهاتٍ وتسعة شلن واخراجي من الورطة التي ورطتني بها".

"ولكن كما شرحت لك يا ديزموند بقدر ما أود المساعدة فإن ما تقترحه سيكون خرقاً للقانون".

"لم يبذ هذا مقلقاً لك عندما أخبرت بشارة أن لديك عرضاً نقدياً بقيمة ست جنيهاتٍ من مؤسسةٍ راسخةٍ في المدينة في حين لم يكن هذا الطرف الثالث موجوداً. أعتقد أنك ستجد هذا أيضاً مخالفاً للقانون".

"أكرر لك أننا اتفقنا جميعاً..." بدأ الهاتف على مكتب سلون بالرنين ضغط على زر الرد وصرخ: "قلت لك لا تقاطعني".

"إنها الليدي فيرجينيا فينويك وتقول إن الأمر عاجلٌ".

قال ميلور: "لا أطيق الانتظار لسماع ما ستقوله".

قال سلون محاولاً إبعاد نبرة الغضب من صوته: "صباح الخير أيتها الليدي فيرجينيا. كم هو لطيفٌ أن تكلميني".

قالت فيرجينيا: "قد لا تشعر بالسعادة عندما تعرف سبب اتصالي. لقد تلقيت للتو فاتورة ما قبل المحاكمة من المحامين مقابل عشرين ألف جنيهٍ يجب تسويتها قبل اليوم الأول من الإجراءات. ستعيد الاتصال بأدريان، وتعطيني كلمتك بأنك ستغطي تكاليف محاكمتي. الأموال لا تساوي شيئاً أمام المخطط الكبير... هذه كلماتك إن كنت أتذكرها بالشكل الصحيح".

"لقد قلت ذلك بالفعل أيتها الليدي، ولكن عليك التذكر أيضاً أن العرض اعتمد على النتيجة الناجحة

مكتبة ياسين

لمفاوضاتنا مع السيد بشارة لذلك أخشى...".

"لكن الرائد فيشر أخبرني بأنك الملام الوحيد على ذلك النقص الملحوظ في الحكم. يمكنك أن تفهم كلامي كما يحلو لك يا سيد سلون، ولكن إذا لم تلتزم بكلمتك وتغطي تكاليفي القانونية دعني أنذرك بأنني لست بلا نفوذٍ في المدينة...".

"هل تهدديني أيتها الليدي؟".

"كما قلت يا سيد سلون يمكنك أن تفهم هذا كما يحلو لك".

***

أنهت فيرجينيا المكالمة واستدارت إلى فيشر قائلةً: "سأعطيه يومين ليسدد العشرين ألفاً وإلا...".

"هذا الرجل لن يقدم فلساً واحداً ما لم يكن لديك اتفاقٌ مكتوبٌ، وربما لن يفعل بالرغم من ذلك. إنه يعامل الجميع بهذه الطريقة. لقد وعدني بمكانٍ في مجلس إدارة فارذينغز ومنذ فشل صفقته مع بشارة لم أسمع كلمةً منه".

"حسناً يمكنني أن أعدك بأنه لن يعمل في المدينة لفترةٍ طويلةٍ إذا فعل شيئاً من هذا معي. لكنني أعتذر يا ألكس بالتأكيد هذا لم يكن السبب وراء رغبتك في رؤيتي".

"لا لم يكن كذلك. اعتقدت بضرورة معرفتك أن محاميي السيدة كليفتون أصدروا أمر استدعاءٍ لي هذا الصباح وأعلموني أنهم يعتزمون استدعائي كشاهدٍ في الدعوى.

***

قال سيب وهو يجلس على كرسي البار: "أعتذر عن التأخير. عندما خرجنا من المسرح كانت تمطر ولم أتمكن من العثور على سيارة أجرةٍ لذا كان

مكتبة ياسين

عليّ أن أقل خالتي إلى بادينغتون للتأكد من أنه لن يفوتها القطار الأخير".

قال بشارة: "هذا يليق بفتى الكشافة".

قال النادل: "مساء الخير يا سيدي. كامباري وصودا؟".

دهش سيب لأنه لم يزر النادي سوى مرة واحدة من قبل".

وأجابه: "أجل شكراً لك".

سأل بشارة: "وماذا تفعل خالتك في كامبريدج؟".

"إنها دون الإنكليزية في نيونهام. المرأة المثقفة في عائلتنا. إننا فخورون جداً بها".

"أنت حقاً لا تشبه أقرانك الإنكليز".

سأل سيب عندما وضعت الكامباري والصودا أمامه: "ما الذي يجعلك تقول هذا؟".

"أنت تعامل الجميع سواسية من الساقي إلى خالتك ولا تتكبر على الأجانب مثلي. كان الكثير من الأجانب سيقولون خالتي تدرس اللغة الإنكليزية في جامعة كامبريدج، ولكنك اعتبرت أنني أعرف ما هو الدون، ونيونهام هي واحدةٌ من خمس كلياتٍ نسائيةٍ في كامبريدج، وأن المرأة المثقفة النافذة هي الفتاة التي تطمح إلى التعلم. على عكس ذلك الأحمق المتكبر أدريان سلون، والذي يظن نفسه متعلمَ جيدٌ بسبب ذهابه إلى هارو".

"لدي انطباعٌ بأنك تكره سلون بقدر ما أكرهه".

"ربما أكثر بعد خدعته الأخيرة عندما حاول أن يبيعني بنكه".

"لكنه ليس بنكه ليبيعه. على الأقل طالما لا تزال أرملة سيدريك هاردكاسل تمتلك واحداً وخمسين في المئة من الأسهم".

مكتبة ياسين

قال بشارة: "ليس بعد الآن فقد اشترى ديزموند ميلور مؤخراً جميع أسهمها".

قال سيب: "هذا غير ممكنٍ. ميلور رجلٌ ثري، لكن ليس لهذه الدرجة. إنه بحاجة إلى عشرين مليوناً قبل أن يتمكن من الحصول على واحدٍ وخمسين في المئة من أسهم فارذينغز، ولا أعتقد أنه يمتلك هذا القدر من المال".

قال بشارة كأنه يحدث نفسه: "ألهذا السبب كان يتصبب عرقاً عندما كنت في غرفة اجتماعات فارذينغز وطلب التحدث إليّ؟! لقد استنفد ميلور نفسه والآن لم يعد عرضي متاحاً هل يحتاج إلى بيع أسهمه؟".

قال سيب من دون أن يلمس شرابه: "ما العرض؟".

"وافقت على دفع خمسة جنيهاتٍ للسهم مقابل أسهم أرنولد هاردكاسل السابقة، ولأكون أكثر دقةً أسهم والدته.

كنت على وشك توقيع العقد عندما قرر سلون رفع السعر إلى ستة جنيهاتٍ. لذا سحبت عرضي وحزمت خيمتي وجمعت جمالي عائداً إلى الصحراء".

ضحك سيب: "ولكن بخمس جنيهاتٍ هو وميلور كانا سيجنيان مبلغاً لا بأس به".

"هذه وجهة نظري يا سيد كليفتون. عليك احترام الصفقة وليس محاولة تغيير السعر في اللحظة الأخيرة. لكن سلون فكّر أنني تاجر سجادٍ يمكنه أن يستغله، ولكن إذا أمكنني الحصول على إجابةٍ على سؤالين قبل رؤيتي لميلور غداً فلا يزال بإمكاني تولي إدارة فارذينغز وعلى عكس سلون سأرحب بك في المجلس".

مكتبة ياسين

"ما الذي تحتاج إلى معرفته؟".

"هل ميلور من اشترى أسهم السيدة هاردكاسل وإذا كان هو فكم دفع ثمنها؟".

"سأتصل بأرنولد هاردكاسل مباشرةً في الصباح. لكن يجب أن أحذرك أنه محامٍ ملتزم وبالرغم من أنه يكره سلون بقدر ما أكرهه إلا أنه لن يخل بسرية الزبون أبداً. لكن هذا لن يمنعني من المحاولة. ما هو موعد لقائك مع ميلور؟".

"الساعة الثانية عشرة في مكتبي".

"سأتصل بك بمجرد تحدثي إلى أرنولد هاردكاسل".

قال بشارة: "شكراً لك. الآن لننتقل إلى الأمور الأكثر أهمية.

درسك الأول في فن لعبة الطاولة. إحدى الألعاب القليلة التي لم تخترعوها أنتم الإنكليز. الشيء الأهم الذي يجب أن تتذكره حول لعبة الطاولة هو أن الأمر كله يتعلق بالنسب طالما يمكنك حساب الاحتمالات بعد كل رمية نردٍ فلن تهزم أبداً من قبل خصمٍ أدنى. لا دور للحظ إلا عندما تتعادل قوة اللاعبين".

قال سيب عندما أخذ رجلان مقعديهما على جانبين متقابلين من الطاولة: "الأمر عينه في الأعمال المصرفية".

***

عندما فتح هاري عينيه كان يعاني من صداعٍ شديدٍ حيث استغرق وقتاً قبل أن يتمكن من التركيز. حاول رفع رأسه لكن لم تكن لديه القوة لذلك. بقي مستلقياً ساكناً وشعر أنه يستفيق من التخدير. فتح عينيه مرةً أخرى ونظر إلى السقف.

مكتبة ياسين

كتلةٌ خرسانيةٌ تتخللها عدة شقوقٍ. تنزل إحداها قطراتٍ بطيئة من الماء مثل صنبورٍ لم يتم إغلاقه بالكامل.

أدار رأسه ببطءٍ إلى يساره. كانت الرطوبة على الحائط قريبةً جداً يمكنه لمسها لو لم يكن مكبلاً إلى السرير. استدار إلى الجهة الأخرى ليجد باباً بداخله نافذةٌ مربعةٌ يمكنه الهرب من خلالها مثل أليس لو لم يكن هناك ثلاثة قضبانٍ حديديةٍ وحارسان يقفان على الجانب الآخر.

حاول تحريك قدميه لكنهما كانتا مثبتتين إلى السرير. لماذا هذه الاحتياطات لرجلٍ إنكليزي قبض عليه مع كتابٍ محظورٍ؟ على الرغم من أن الفصول السبعة الأولى كانت رائعةً، لكنه شعر بأنه لم يكتشف بعد السبب الحقيقي لإتلاف كل النسخ، ما جعله أكثر تصميماً على قراءة الفصول الأربعة عشرة المتبقية لأنها ربما تفسر سبب معاملته كما لو أنه عميل مزدوج أو سفاح.

لم يكن لدى هاري أي وسيلةٍ لمعرفة المدة التي قضاها في الزنزانة. فقد صودرت ساعته، ولا يمكنه حتى التأكد من قضائه ليلةً أم يوماً. بدأ ينشد *حفظ الله الملكة* ليس لإثبات حبه لوطنه بل لأنه أراد سماع صوته. في الواقع لو سألته لاعترف بأنه يفضل النشيد الوطني الروسي. نظر اثنان نحوه من خلال القضبان لكنه تجاهلهما واستمر في الغناء. ثم سمع أحدهم يصرخ بأمرٍ وبعد لحظاتٍ فتح الباب وظهر الكولونيل مارينكين ثانيةً ومعه كلبان من فصيلة روت ويللر.

"يجب أن أعتذر عن حالة إقامتك يا سيد كليفتون. كل ما في الأمر أننا لم نرغب في أن يعرف أحدٌ مكانك قبل إطلاق سراحك".

مكتبة ياسين

بدت جملة *إطلاق سراحك* لهاري مثل بوق جبريل.

تابع قائلاً: "دعني أؤكد لك أنه ليس لدينا رغبةٌ في إبقائك فترةً أطول من اللازم. فقط بعض الأوراق لإكمالها وتصريحٌ لك لتوقعه، وبعد ذلك يمكنك الذهاب في طريقك".

"تصريح؟ أي نوعٍ من التصريح؟".

اعترف الكولونيل: "نوع من الاعتراف وبمجرد توقيعك عليه سنعيدك إلى المطار وستعود إلى المنزل".

"وإذا رفضت التوقيع عليه؟".

"سيكون ذلك غباءً مطلقاً يا سيد كليفتون لأنك ستواجه حينها محاكمةً تكون فيها التهمة والحكم قد صدرا بالفعل. لقد صورت محاكمةً صورية في أحد كتبك ذات مرةٍ. ستكون قادراً على تقديم صورةٍ أكثر دقةً عندما تكتب روايتك التالية..." توقف قليلاً وأكمل: "بعد اثني عشر عاماً".

"ماذا عن هيئة المحلفين؟".

"اثنا عشر عاملاً في الحزب تم اختيارهم بعنايةٍ وكل ما يريدون الوصول إليه هو كلمة مذنب. ولإعلامك فقط فإن مكان إقامتك الحالي يعتبر شديد الرفاهية مقارنةً بالمكان الذي ستذهب إليه. لا سقوف تسرب الماء لأن الماء متجمدٌ ليلاً ونهاراً".

"لن تنجو بفعلتك أبداً".

"أنت ساذجٌ للغاية يا سيد كليفتون ليس لديك أصدقاءٌ ذوو نفوذٍ هنا للاعتناء بك. أنت كأي مجرمٍ عادي. لن يكون هناك محامٍ لينصحك ولن يكون هناك مجلس عمومٍ للدفاع عن قضيتك أمام هيئة محلفين غير منحازةٍ، وعلى عكس أمريكا لا يوجد اختيارٌ لهيئة المحلفين ولا يتعين علينا حتى الدفع

مكتبة ياسين

للقضاة للحصول على الحكم الذي نريده. سأتركك تفكر في خياراتك، ولكن في رأيي الاختيار بسيط. يمكنك العودة إلى لندن في الصف الأول على متن الطائرة أو تستقل قطار المواشي إلى نوفايا أودا التي لا تحتوي إلا على القش وأخشى أن تضطر لمشاركته مع العديد من الحيوانات الأخرى، وأحذرك بأنه سجنٌ لم يهرب منه أحدٌ قط".

هذا خاطئ. فكر هاري وهو يتذكر الفصل الثالث من رواية العم جو أنه كان السجن الذي أرسل إليه ستالين في عام 1902 وقد هرب منه.

مكتبة ياسين

36

"كيف حالك يا ولدي؟".

"بخيرٍ، شكراً لك أرنولد وأنت؟".

"بأفضل حالٍ، وأمك العزيزة؟"

"تستعد لمحاكمة الأسبوع المقبل".

"ليست تجربةً ممتعةً خاصةً إذا كان الكثير على المحك. لأنه لا يمكن توقع نتيجة المحاكمة فقد تكون بفارقٍ ضئيلٍ ولكن من المرجح فوز والدتك لأن أحداً لا يتوقع أن تكون الليدي فيرجينيا ودودةً مع هيئة المحلفين. إما أنها ستهينهم أو تتكبر عليهم".

"كنت لأتمنى أن يحدث كلاهما".

"حسناً، لماذا تتصل بي يا سيباستيان. لأنني عادةً ما أتقاضى على الساعة لكنني لم أضبطها بعد".

كان سيضحك سيب، ولكنه ارتاب من كون أرنولد لا يمزح: "المدينة تضج في أنك بعت أسهمك في بنك فارذينغز".

"أسهم أمي لكي أكون دقيقاً، وفقط بعد أن تلقيت عرضاً كان من الحماقة رفضه، وحتى بعد ذلك وافقت فقط عندما تأكدت من عزل أدريان سلون من منصب الرئيس وأن روس بوكنان سيحل مكانه".

قال سيب: "لكن هذا لن يحدث. إن ممثل سلون كذب عليك، ويمكنني إثبات ذلك إذا كنت تملك القدرة على الإجابة عن بضعة أسئلةٍ".

"فقط إن لم تتعلق بعميل أمثله".

قال سيب: "فهمت لكني أمل أن تتمكن من إخباري من اشترى أسهم والدتك وكم دفع مقابلها".

"لا يمكنني الإجابة لأن ذلك من شأنه أن يخرق

مكتبة ياسين

سرية العميل".

كان سيباستيان على وشك أن يشتم عندما أضاف أرنولد: "على أي حالٍ يمكنك أن تقترح اسم ممثل سلون وإذا التزمت الصمت فيمكنك استخلاص استنتاجاتك الخاصة. لكن دعني أوضح يا سيباستيان اسماً واحداً.. اسماً واحداً فقط. هذا ليس يانصيب".

"ديزموند ميلور" بقي سيب يترقب قلقاً لعدة ثوانٍ لكن لم يكن هناك رد وأضاف: "وهل هناك أي فرصةٍ لإخباري بالمبلغ الذي دفعه مقابل الأسهم؟".

قال أرنولد بحزمٍ: "ليس تحت أي ظرفٍ من الظروف، والآن يجب أن أهرع يا سيب سأسافر لرؤية والدتي في يوركشاير وإذا لم أغادر على الفور سأفوت رحلة 3.09 إلى هيدرسفيلد. انقل لأمك أطيب تحياتي، وتمن لها التوفيق في المحاكمة".

قال سيب: "ورجاءً انقل أطيب تحياتي للسيدة هاردكاسل". لكن أرنولد كان قد أنهى المكالمة.

تحقق من ساعته كانت بعد العاشرة بقليلٍ وهذا لم يكن منطقياً. التقط سيب سماعة الهاتف مرةً أخرى واتصل بخط حكيم بشارة الخاص.

"صباح الخير يا سيباستيان. هل كان لديك أي حظ لجعل الرجل الشهير يجيب عن سؤالي؟".

"أجل أعتقد ذلك".

"فضولي... فضولي".

"أكد أن ديزموند ميلور هو من اشترى الأسهم، وأعتقد أن السعر الذي دفعه كان ثلاثة جنيهاتٍ وتسعة شلناتٍ للسهم".

"لماذا لست متأكداً. إما أنه أخبرك بالسعر أو لم يفعل".

مكتبة ياسين

"هو لم يفعل أي منهما. ولكن ما قاله إنه اضطر إلى المغادرة على الفور وإلا ستفوته رحلة 3.09 إلى هيدرسفيلد ولا تزال الساعة بعد العاشرة بقليلٍ وتبعد يوستون عشرين دقيقةً فقط بالتاكسي...".

"رجلٌ ذكي السيد هاردكاسل. لأنني متأكدٌ من أننا لن نضطر إلى التحقق مما إذا كان هناك بالفعل رحلة 3.09 إلى هيدرسفيلد. تهانينا. أظن أنه لن يتمكن أحدٌ آخرٌ غيرك من الحصول على هذه المعلومة منه. لذا كما يقولون في بلدي سأبقى مديناً لك إلى الأبد حتى أتمكن من رد جميلك بالكامل".

"حسناً. الآن ذكرتها يا حكيم هناك شيءٌ يمكنك مساعدتي به".

استمع بشارة بحرصٍ إلى طلب سيب: "لا أعتقد أن قائد الكشافة الخاص بك سيوافق على طلبك. سأرى ما يمكنني فعله لكنني لا أعدك بذلك".

***

"صباح الخير يا سيد ميلور. أعتقد أنه سبق لك أن قابلت محامي جيسون مورلاند، وكبير المحاسبين نيك بيري".

صافح ميلور كلا الرجلين قبل الانضمام إليهما حول طاولةٍ بيضاويةٍ.

قال بشارة: "بما أنك عضوٌ في مجلس فارذينغز. أفترض أنك أتيت إلى هنا ممثلاً عن السيد سلون".

قال ميلور: "حسناً، افتراضك خاطئٌ. إنه آخر رجلٍ سأكون على استعدادٍ لتمثيله في أي مفاوضات. كان سلون في غاية الحمق عندما رفض عرضك".

"لكنه أخبرني أن لديه عرضاً بقيمة ستة جنيهاتٍ نقداً من مؤسسةٍ راسخةٍ في المدينة".

"وكنت تعلم أنه غير صحيحٍ ولهذا السبب

مكتبة ياسين

ابتعدت".

"وأنت على استعدادٍ للتراجع لأنها لم تكن أبداً أسهمه ليبيعها في المقام الأول".

قال ميلور: "في الحقيقة كان يغامر بأموالي. على أي حال أنا مستعد لأبيعك واحد وخمسين في المئة من أسهم فارذينغز مقابل عرضك السابق بخمسة جنيهاتٍ للسهم".

"العرض الأصلي صحيح يا سيد ميلور. لكن هذا العرض لم يعد مطروحاً. بعد كل هذا يمكنني شراء أسهم فارذينغز حسب السوق المفتوح مقابل جنيهين وأحد عشر شلناً للسهم وهذا ما كنت أقوم به على مدى أسابيع".

"ليست نسبة الواحد والخمسين في المئة التي تريدها والتي من شأنها منحك السيطرة الكاملة على البنك. على أي حالٍ لا يمكنني بيعها بهذا السعر".

قال بشارة: "لا. بالتأكيد لا يمكنك ذلك، ولكن يمكنك بيعها بثلاث جنيهاتٍ وتسع شلناتٍ للسهم".

أصيب ميلور بالدهشة لبعض الوقت.

"هل يمكنك جعلها أربع جنيهاتٍ؟".

"لا. لا يمكنني ذلك يا سيد ميلور. ثلاث جنيهاتٍ وتسع شلناتٍ هو عرضي النهائي". التفت بشارة إلى محاسبه الخاص الذي سلمه الحوالة المصرفية بمبلغ 20,562,000 جنيه إسترليني ووضعها على الطاولة.

"ربما أكون مخطئاً يا سيد ميلور، ولكن لدي شعورٌ بأنه لا يمكنك ارتكاب الخطأ نفسه مرتين".

"أين أوقع؟".

فتح السيد مورلاند ملفاً ووضع ثلاث نسخ متطابقة من العقد أمام ميلور. بمجرد توقيعه مد

مكتبة ياسين

يده بقوةٍ وانتظر تمرير الحوالة المصرفية إليه.

قال بشارة وهو يزيل الغطاء عن قلمه: "ومثل السيد سلون قبل أن أضيف توقيعي إلى العقد أطالب بتعديلٍ صغيرٍ واحدٍ قد وعدت به صديقي".

حدق إليه ميلور سائلاً: "ما هو؟".

فتح المحامي ملفاً ثانياً أخرج خطاباً ووضعه أمام ميلور. قرأه ببطءٍ.

"يستحيل أن أوقع على هذا أبداً".

قال بشارة وهو يجمع الحوالة المصرفية ويعيدها إلى كبير محاسبيه: "يؤسفني سماع ذلك".

لم يتحرك ميلور، ولكن عندما بدأ بالتعرق أدرك بشارة أنها مسألة وقتٍ فقط.

قال ميلور: "حسناً، حسناً سأوقع الخطاب اللعين".

تحقق المحامي من التوقيع مرةً أخرى قبل أن يعيد الخطاب إلى ملفه، ثم وقع بشارة العقود الثلاثة، وسلم كبير المحاسبين نسخةً واحدةً لميلور والحوالة المصرفية بمبلغ 20,562,000 جنيهٍ إسترليني. غادر ميلور من دون أن ينطق حرفاً حتى أنه لم يشكر بشارة ولم يصافحه.

قال بشارة لمحاميه بمجرد أن أغلق الباب: "لو ثبت على موقفه كنت سأقبل من دون أن يوقع على الخطاب".

***

قرأ هاري التصريح الذي توقعوا منه قراءته في المحكمة. كان عليه الاعتراف بأنه عميلٌ بريطاني يعمل لصالح MI5. إذا فعل ذلك فسيطلق سراحه على الفور وسيرحل إلى وطنه ولن يسمح له أبداً بالعودة إلى الاتحاد السوفييتي.

بالطبع إن عائلته وأصدقاءه سيرفضون التصريح

مكتبة ياسين

لما ورد فيه، وقد يشعر آخرون أنه لم يترك أمامه سوى القليل من الخيارات، ولكن بعد ذلك ستكون هناك الغالبية التي لا تعرفه سيفترضون أن ذلك كان صحيحاً وأن معركته من أجل باباكوف لم تكن أكثر من قنبلة دخانية لتغطية تجسسه. توقيعٌ واحدٌ ويصبح حراً لكن سمعته ستتحطم والأهم من ذلك أن قضية باباكوف ستضيع إلى الأبد. لم يكن مستعداً للتضحية بسمعته وسمعة باباكوف بهذه السهولة.

مزق التصريح، وألقى بقطع الورق الصغيرة عالياً في الهواء مثل قصاصات ورقٍ ملونٍ تنتظر العروس.

عندما عاد الكولونيل بعد ساعةٍ مسلحاً بالقلم فقط. حدق غير مصدقٍ بقصاصات الورق المتناثرة على الأرض.

علق قبل أن يستدير ويخرج من الزنزانة مغلقاً الباب خلفه بقوةٍ: "فقط رجلٌ إنكليزي يمكنه أن يكون بهذا الغباء".

فكّر هاري أنه بذلك حافظ على مبادئه ثم أغمض عينيه. عرف بالضبط كيف سيمضي ساعاته التالية.

سيحاول تذكر أكبر عددٍ ممكنٍ من الفصول السبعة الأولى من العم جو. بدأ بالتركيز. الفصل الأول...

ولد جوزيف ستالين في يوسيف فيساريونوفيتش دجوغاشفيلي في جورجيا في الثامن عشر من ديسمبر 1878. عندما كان طفلاً كان معروفاً باللامبالي، ولكن عندما أصبح شاباً ثورياً تبنى الاسم المستعار كوبا، وبعد الشخصية الخيالية لروبن هود أراد أن يقارن بها. على الرغم من أنه في الواقع كان أشبه بالشريف نوتنغهام. مع ارتقائه في صفوف الحزب، وتزايد نفوذه غير اسمه إلى ستالين (الرجل الفولاذي). ولكن...

مكتبة ياسين

***

قالت إيما: "أخيراً بعض الأخبار الجيدة، وأردتك أن تكون أول من يعلم".

اقترح سيب: "سقطت الليدي فيرجينيا في خلاط الخرسانة وهي الآن جزء من مبنى شاهقٍ في لامبيث؟".

"ليست جيدةً إلى هذا الحد ولكن تقريباً".

"هل عاد أبي إلى المنزل ومعه نسخةٌ من العم جو؟".

"لا لم يعد بعد. على الرغم من أنه وعدني بعدم بقائه أكثر من يومين".

"أخبرني أنه قد يزور الأرميتاج، ويرى بعض المعالم الأخرى أثناء وجوده هناك. لذا لا داعي للقلق. لكن هيا يا أمي ما هي أخبارك؟".

"استقال ديزموند ميلور من مجلس إدارة بارينغتون".

"هل أعطى سبباً؟".

"كان غامضاً جداً. قال فقط أن ذلك لأسبابٍ شخصيةٍ وأنه يتمنى للشركة النجاح في المستقبل. حتى أنه أرسل أطيب تمنياته بشأن المحاكمة".

"كم هذا جيد".

قالت إيما: "لماذا لدي انطباعٌ بأن أخباري ليست مفاجئةً لك؟".

***

"سيدي الرئيس. لقد وصل السيد كليفتون. هل أدخله؟".

"نعم افعل". اتكأ سلون إلى الخلف على كرسيه مسروراً لأن كليفتون عاد إلى رشده أخيراً لكنه لا يزال ينوي منحه وقتاً عصيباً.

مكتبة ياسين

فتحت سكرتيرته الباب بعد بضع ثوانٍ وتنحت جانباً للسماح لسيباستيان بدخول مكتب الرئيس.

"دعني أقل في البداية يا كليفتون أن عرضي بخمسة جنيهاتٍ للسهم مقابل ستةٍ في المئة لم يعد قائماً، ولكن كدليلٍ على حسن نيتي أنا على استعدادٍ لأعرض عليك ثلاثة جنيهاتٍ للسهم والتي لا تزال أعلى بكثيرٍ من سعر السوق هذا الصباح".

"هذا صحيح. لكن أسهمي لا تزال غير معروضةٍ للبيع".

"إذاً لماذا تضيع وقتي؟".

"آمل أنني لا أضيع وقتك. لأنه وبصفتي نائب رئيس مجلس إدارة بنك فارذينغز فأنا هنا للقيام بأول عملٍ فعلي لي".

قال سلون قافزاً من مكانه: "ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم".

"في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد ظهر اليوم باع السيد ديزموند ميلور حصته البالغة واحداً وخمسين بالمئة من أسهم فارذينغز إلى السيد حكيم بشارة".

"لكن يا سيباستيان...".

"ما جعل السيد ميلور أيضاً يفي بكلمته في النهاية".

"ما الذي ترمي إليه؟".

"وعد ميلور أرنولد هاردكاسل بأنه سيتم إخراجك من المجلس وسيكون روس بوكنان الرئيس التالي لفارذينغز".

مكتبة ياسين

هاري وإيما
1970
37

صرخ أحد الصحفيين بينما توقفت سيارة أجرةٍ أمام محاكم العدل الملكية: "أين هاري؟". عندما خرجت إيما وجايلز وسيباستيان.

الشيء الوحيد الذي لم تكن إيما مستعدةً له هو عشرون أو ثلاثون مصوراً اصطفوا خلف حاجزين مؤقتين على جانبي المدخل وأخذت كاميراتهم تومض. طرح الصحفيون الأسئلة رغم أنهم لم يتوقعوا الإجابة عنها، والسؤال الأكثر إلحاحاً كان: "أين هاري؟".

قال جايلز بحزمٍ: "لا تردي".

أرادت إيما أن تخبرهم أثناء سيرها وسط الصحفيين "لو كنت أعرف فقط!". لأنها لم تفكر في شيءٍ آخرٍ خلال الثماني والأربعين ساعةً الماضية.

ركض سيب أمام والدته وفتح لها باب المحكمة حتى لا يعيق الصحفيون تقدمها، كان السيد تريلفورد بثوبه الأسود الطويل وشعره المستعار الباهت ينتظرها على الجانب الآخر من الباب المزدوج. قدمت إيما أخاها وابنها إلى المحامي المتميز. وفوجئ السيد تريلفورد بأن السيد كليفتون لم يكن حاضراً لكنه لم يظهر ذلك.

قادهم المحامي إلى الدرج الرخامي الواسع محدثاً إيما عما سيجري في صباح اليوم الأول من المحاكمة.

"بمجرد أن تؤدي هيئة المحلفين القسم فإن القاضية السيدة لين ستخاطبهم في مسؤولياتهم

مكتبة ياسين

وعند انتهائها ستدعوني لتقديم بيانِ افتتاحي عنك وعندما أنتهي سأستدعي شهودي. سأبدأ معك لأن الانطباعات الأولى مهمةٌ للغاية. غالباً ما يتخذ المحلفون قراراتهم أول يومين من المحاكمة. الأمر مشابه لرمي الكرة الافتتاحية في الكريكيت فإن أحرزت الدرجة القصوى سيكون الشيء الوحيد الذي سيتذكرونه".

عندما فتح تريلفورد باب القاعة الرابعة عشرة. أول شخصٍ رأته إيما وهي تدخل قاعة المحكمة كانت الليدي فيرجينيا مع مستشارها الرئيسي السيد إدوارد ميكبيس. كانا مجتمعين في زاويةٍ في حديثٍ عميقٍ.

رافق تريلفورد إيما إلى الطرف الآخر من المحكمة حيث أخذا مكانيهما على المقعد الأمامي، وجلس جايلز وسيب في الصف الثاني خلفهما مباشرةً.

سألت فيرجينيا: "لماذا زوجها ليس معها؟".

قال السيد إدوارد: "ليس لديّ أدنى فكرة، ولكن يمكنني أن أؤكد لك أنه لن يكون ذا تأثيرٍ في القضية".

قالت فيرجينيا والساعة خلفهما تدق العاشرة: "لكنني لست متأكدةً لهذه الدرجة".

فتح بابٌ على يسار الشعار الملكي، وظهرت امرأةٌ طويلةٌ وأنيقةٌ مرتديةً رداءً أحمر طويلاً وشعراً مستعاراً كثيفاً وهي مستعدةٌ للسيطرة على ميدانها. نهض جميع من في قاعة المحكمة وانحنوا على الفور. سمحت لهم القاضية بالجلوس قبل أن تأخذ مكانها على الكرسي المرتفع أمام مكتبٍ مغطى بوثائق قانونيةٍ ومجلداتٍ مغلفةٍ حول قوانين التشهير. بمجرد أن استقر الجميع حولت السيدة إليزابيث لين انتباهها إلى هيئة المحلفين.

مكتبة ياسمين

قالت لهم بابتسامةٍ دافئةٍ: "اسمحوا لي أن أبدأ لأوضح الأمر منذ البداية أنكم أكثر الأشخاص أهميةً في قاعة المحكمة. أنتم دليل ديمقراطيتنا والحكم الوحيد للعدالة. لأنكم أنتم.. وأنتم وحدكم من سيقرر نتيجة هذه القضية، ولكن دعوني أقدم نصيحةً. لا بد أنكم لاحظتم الاهتمام الصحفي الكبير بهذه القضية، لذا يرجى تجنب روايات وسائل الإعلام عنها. فقط رأيكم يهمنا، قد يكون لديهم الملايين من القراء والمشاهدين والمستمعين ولكن ليس لديهم صوتٌ واحدٌ في قاعة المحكمة هذه، والأمر ينطبق على عائلتكم وأصدقائكم أيضاً فقد لا يكون لديهم آراء حول القضية فحسب بل سيكونون جميعاً سعداءَ جداً في التحدث عنها". تابعت القاضية وعيناها لا تتحركان عن هيئة المحلفين: "ولكن خلافاً لكم. فهم لن يسمعوا الدليل وبالتالي لا يمكنهم تقديم رأيٍ مستنيرٍ وعادلٍ. الآن قبل أن أخبركم ما سيحدثُ سأذكركم بتعريف قاموس أكسفورد الإنكليزي للتشهير بكلمةٍ: كلمةٌ زائفة غير مستحقة مشوهةٌ إلى شخصٍ أو بلدٍ. في هذه الحالة سيكون عليكم أن تقرروا ما إذا كانت الليدي فيرجينيا فينويك معينةٌ بمثل هذا التشهير. سيبدأ السيد تريلفورد الإجراءات بإدلاء بيانٍ افتتاحي نيابةً عن موكلته السيدة كليفتون وسأبقيكم على اطلاعٍ كاملٍ مع تقدم المحاكمة وإذا ظهرت مسألةٌ قانونيةٌ سأوقف الإجراءات وأشرح لكم أهميتها".

وجّهت السيدة إليزابيث انتباهها إلى مقعد المحامي.

"يمكنك المضي قدماً في بيانك الافتتاحي سيد تريلفورد".

"أنا ممنونٌ يا سيدتي". نهض تريلفورد من مكانه

مكتبة ياسين

وانحنى لها بشكل طفيف، والتفت مثل القاضية إلى هيئة المحلفين قبل أن يبدأ تقديمه. فتح ملفاً أسود كبيراً أمامه متكئاً إلى الخلف ممسكاً ياقة سترته وقدم للرجال السبعة والنساء الخمس في هيئة المحلفين ابتسامةً أكثر دفئاً من ابتسامة القاضية قبل بضع دقائق.

بدأ خطابه: "أعضاء لجنة التحكيم.. اسمي دونالد تريلفود، وأنا أمثل المدعى عليها السيدة إيما كليفتون بينما زميلي السيد إدوارد ميكبيس يمثل المدعي الليدي فيرجينيا فينويك". أعطى إيماءةً خاطفةً نحوهم وأكمل قائلاً: "هذه حالةٌ من الافتراء والتشهير. الافتراء لأن الكلمة المتنازع عليها قيلت أثناء جدالٍ حاد عندما كانت المدعى عليها تتلقى الأسئلة في الجمعية العامة السنوية لشركة بارينغتون للملاحة والتي كانت تترأسها، والتشهير لأن هذه الكلمات تم تسجيلها في وقتٍ لاحقٍ من الاجتماع.

كانت الليدي فيرجينيا إحدى حملة الأسهم في الشركة جالسةً بين الجمهور ذلك الصباح وعندما فتح باب الأسئلة طرحت سؤالاً على السيدة كليفتون: "هل صحيحٌ أن أحد مديريك باع حصته الكبيرة من الأسهم خلال عطلة نهاية الأسبوع في محاولةٍ لإسقاط الشركة؟"، وبعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ ألحقته بسؤالٍ آخر: "إذا كان أحد مديريك مشاركاً في عملٍ كهذا ألا يجب أن يستقيل من مجلس الإدارة؟"، وأجابت السيدة كيلفتون: "إذا كنت تشيرين إلى الرائد فيشر فقد طلبت منه الاستقالة يوم الجمعة الماضي عندما أتى لزيارتي في مكتبي وأنا متأكدةٌ أنك تعلمين ذلك أيتها الليدي"، بعدها سألت الليدي فرجينيا: "ما الذي تلمحين إليه؟"، ردت

السيدة كليفتون: "ذلك في محادثتين منفصلتين عندما قام الرائد فيشر بتمثيلك في مجلس الإدارة سمحت له ببيع جميع أسهمك خلال نهاية الأسبوع، عندها وبعد أن حققت ربحاً جيداً أعدت شراءها بعد ثلاثة أسابيع، وعندما تحسن سعر السهم ووصل إلى مستوى مرتفع جديدٍ أجريت كررت الأمر مجدداً، وحققت ربحاً أكبر. إذا كان هدفك إسقاط الشركة أيتها الليدي فيرجينيا إذاً... لقد فشلت فشلاً ذريعاً، لأنك هزمت على يد ناسٍ عاديين شرفاء يريدون نجاح هذه الشركة". تابع تريلفورد وهو لا يزال ينظر مباشرةً إلى هيئة المحلفين: "الآن، أعضاء هيئة المحلفين، إن رد السيدة كليفتون هذا هو سبب المحاكمة الحالية، والأمر متروك لكم لتقرروا ما إذا كانت الليدي فيرجينيا هي التي تقوم بالتشهير أو إذا كانت كلمات موكلتي. كما أؤكد.. لا شيء سوى التعليق المنصف. على سبيل المثال إذا قال أحدكم لجاك السفاح: "أنت قاتلٌ" فهذا بلا شك التعليق المناسب، ولكن إذا قال جاك السفاح لأي أحدٍ من أعضاء هيئة المحلفين: "أنت قاتلٌ"، وثم طبع الادعاء في إحدى الصحف فهذا سيكون بلا شك افتراءً وتشهيراً. هذه الحالة تتطلب أدق الأحكام. لذا دعونا نتمعن في الكلمات ذات الصلة مرةً أخرى: "إذا كان هدفك إسقاط الشركة أيتها الليدي فيرجينيا إذاً... لقد فشلت فشلاً ذريعاً لأنك هزمت على يد ناسٍ عاديين شرفاء يريدون نجاح هذه الشركة". الآن ماذا قصدت السيدة كليفتون عندما قالت هذه الكلمات؟ وهل من الممكن أن السيدة فيرجينيا بالغت في رد فعلها اتجاه ذلك؟ أظن أنه بعد سماع هذه الكلمات التي ألقيتها لن تستطيعوا الوصول إلى نتيجةٍ دون سماع جميع أدلة القضية ورؤية كل من المدّعي والمدّعى عليه في منبر الشهود. مع

مكتبة ياسين

أخذ ذلك في الاعتبار يا سيدتي سأستدعي شاهدتي الأولى السيدة إيما كليفتون".

***

اعتاد هاري على الوجود المستمر للحارسين في زيهما الأخضر الفاتح متمركزين أمام باب زنزانته. لم يكن يعرف كم من الوقت قد مضى منذ أن فتح هذا الباب آخر مرةٍ، ولكنه وصل إلى منتصف الفصل الثالث تقريباً، وقصةُ لا تزال تضحكه.

"واجه باكوف بولجوكوف عمدة رومانوفسكايا مشكلةً خطيرةً محتملةً عندما قرر بناء تمثالٍ ضخمٍ تكريماً لستالين...".

كان الجو بارداً جداً لم يستطع هاري منع نفسه من الارتعاش. حاول أن يختلس لحظاتٍ قليلةٍ من النوم المجيد، ولكن بمجرد دخوله في حالة إغماءٍ فتح باب الزنزانة فجأةً. لم يكن متأكداً للحظةٍ أن ذلك حقيقياً أم مجرد جزءٍ من حلمه، ولكن الحارسين أزالا الأغلال عن ذراعيه وساقيه وسحباه عن الفراش وأخرجاه من الزنزانة.

عندما وصلا إلى نهاية رحلةٍ طويلةٍ من الدرجات الحجرية التي بذل هاري جهده لصعودها كانت ساقاه ضعيفتين جداً لدرجة أنهما استسلمتا قبل أن يصلوا ثلاثتهم إلى أعلى الدرج، استمر الحارسان في دفعه إلى الأمام على طول ممر مظلمٍ حتى أراد أن يصرخ من ألمه، لكنه رفض منحهما هذه الهدية.

كان يمر كل بضع خطواتٍ بجنودٍ مسلحين. فكر هاري مراراً وتكراراً، ألم يكن لديهم أي شيءٍ أفضل لفعله في وقتهم من حراسة رجلٍ في الخمسين من عمره يكاد يفارق الحياة؟ أخيراً، وصلوا إلى بابٍ مفتوحٍ. دفع إلى الداخل وهبط بقسوةٍ على ركبتيه.

بمجرد أن التقط أنفاسه حاول هاري جر نفسه

مكتبة ياسين

على قدميه. مثل حيوانٍ محاصرٍ نظر إلى أرجاء غرفةٍ تبدو أنها كانت في أوقاتٍ أفضل عبارةً عن صف دراسي: مقاعد خشبية وكراسٍ صغيرة ومنصةٌ مرتفعةٌ مع طاولةٍ كبيرةٍ وثلاثة مقاعدٍ مرتفعةٍ خلفها. أكدت السبورة السوداء الموجودة على الحائط الخلفي الغرض الأصلي من الغرفة.

استجمع كل قوته وتمكن من رفع نفسه إلى أحد المقاعد. لم يكن يريدهم أن يعرفوا أنه محطمٌ، وبدأ في دراسة تخطيط الغرفة بعنايةٍ أكبر. كان هناك اثنا عشر كرسياً على يمين المنصة في صفين مستقيمين مؤلفين من ستة مقاعد. بدأ رجلٌ لا يرتدي زياً رسمياً لكنه يرتدي بذلةً رماديةً غير مناسبةٍ يرفضها أي مشردٍ يحترم نفسه بوضع ورقةٍ واحدةٍ على كل مقعدٍ، وبمجرد تأديته هذه المهمة جلس على كرسي مقابل افترضه هاري منبر هيئة المحلفين. ألقى هاري نظرةً فاحصةً على الرجل متسائلاً عما إذا كان كاتب المحكمة، ولكنه جلس هناك فقط ومن الواضح أنه ينتظر ظهور شخصٍ ما.

استدار هاري ليرى الكثير من البذلات العسكرية الخضراء فوقها معاطف ثقيلةٌ كبيرةٌ تقف في نهاية الغرفة كما لو كانت تنتظر السجين ليحاول الهرب.

بينما كان جالساً ينتظر هناك ولا يعلم ماذا ينتظر. تحولت أفكار هاري إلى إيما كما كانوا يفعلون عادةً في لحظات النوم المسروقة. هل ستفهم سبب عدم قدرته على توقيع الاعتراف والسماح لهم بدق مسمارٍ آخرٍ في نعش باباكوف؟ تساءل كيف كانت تجري محاكمتها، وشعر بالذنب لعدم وقوفه إلى جانبها.

توقفت أفكاره عندما فتح بابٌ في الجانب الآخر من الغرفة، ودخلت سبع نساءٍ وخمسة رجال

مكتبة ياسين

وجلسوا في الأماكن المخصصة لهم الأمر الذي أعطى انطباعاً واضحاً أنها لم تكن المرة الأولى التي يؤدون فيها هذه المهمة.

لم يحدق أحدٌ منهم إليه، ولكن هذا لم يمنع هاري من التحديق إليهم. تشير وجوههم الفارغة إلى أن لديهم ششيئاً واحداً مشتركاً: لقد صادرت الدولة عقولهم، ولم يعد متوقعاً أن يكون لديهم آراءٌ خاصةٌ بهم. حتى في تلك اللحظة من الظلام فكر هاري في الحياة المميزة التي عاشها. هل يكون من بين هذه النسخ من الوجوه الفارغة مغنٍ وفنانٌ وممثلٌ وموسيقي وحتى مؤلفٌ، لم تمنح الفرصة لهم للتعبير عن موهبتهم؟ هذا هو قدرهم في الحياة.

بعد لحظاتٍ، دخل الغرفة رجلان آخران وتوجها إلى المقعد الأمامي وجلسا في مواجهة المنصة وأولياه ظهريهما. كان أحدهما في الخمسينات من عمره وكان يرتدي ملابس أفضل بكثيرٍ من أي شخصٍ آخرٍ في الغرفة. كانت بذلته مناسبةً وكان لديه جو من الثقة يشير إلى أنه من النوع الاحترافي الذي تحتاجه حتى الدكتاتورية ليسير نظامها بسلاسةٍ. كان الرجل الآخر أصغر بكثيرٍ منه وجال بعينيه في أرجاء غرفة المحكمة كأنه يحاول العثور على اتجاهاته. إذا كان هذان الشخصان مستشارين للدولة والدفاع فلم يكن من الصعب على هاري أن يحدد من سيمثله.

أخيراً، فتح الباب خلف المنصة حتى يتمكن الممثلون الرئيسيون من الدخول: ثلاثةٌ منهم... امرأةٌ واحدةٌ ورجلان جلسوا على مقاعدهم خلف الطاولة الطويلة على المنصة.

المرأة التي تبدو في الستين من عمرها بشعرها الرمادي المرفوع المثبت بإحكامٍ لا بد أنها كانت

مكتبة ياسين

المديرة المتقاعدة. تساءل هاري حتى عما إذا كان هذا هو صفها الدراسي سابقاً. من الواضح أنها كانت أكبر شخصيةٍ من الحاضرين لأن كل من في الغرفة كان ينظر إليها.

فتحت الملف أمامها وبدأت القراءة بصوتٍ عالٍ.

شكر هاري بصمتٍ مدرسة الروسي على الساعات التي قضتها في جعله يقرأ الأساسيات الروسية قبل أن يقوم بترجمة كافة الفصول إلى الإنكليزية.

كان على هاري أن يفترض أنها تشير إليه عندما قالت: "السجين"، على الرغم من أنها لم تعترف بوجوده وأكملت: "دخل الاتحاد السوفييتي مؤخراً بشكلٍ غير قانوني"، وكان هاري يرغب في تدوين الملاحظات، ولكن لم يتم تزويده بقلمٍ أو ورقةٍ لذا كان عليه الاعتماد على ذاكرته على افتراض أنه سيحصل على فرصةٍ للدفاع عن نفسه.

التفتت إلى هيئة المحلفين دون ابتسامةٍ قائلةً: "ولغرضٍ وحيدٍ هو خرق القانون. تم اختياركم أيها الرفاق لتحكموا فيما إذا كان السجين مذنباً أم لا، وسيأتي الشهود لمساعدتكم في إصدار هذا الحكم".

قالت متوجهةً إلى المحامي: "يمكنك الآن عرض القضية الدولية يا سيد كوسانوف".

نهض أكبر الرجلين الجالسين في المقعد الأمامي ببطءٍ على قدميه.

"أيها الرفاق المفوضون. هذه قضيةٌ مباشرةٌ لا ينبغي أن تزعج هيئة المحلفين لأية فترةٍ زمنيةٍ. السجين عدو معروفٌ للدولة وهذه ليست جريمته الأولى".

تطلع هاري لمعرفة أول جريمةٍ له.

سرعان ما اكتشف ذلك.

مكتبة ياسين

"زار السجين موسكو منذ خمس سنواتٍ كضيفٍ على بلدنا، واستغل مكانته المتميزة. كما أنه استغل الكلمة الافتتاحية في مؤتمرٍ دولي لشن حملةٍ للإفراج عن مجرمٍ معترفٍ به وسبق أن أقر بارتكابه سبع جرائمٍ ضد الدولة. سيكون أناتولي باباكوف معروفاً جداً بالنسبة إليك أيها الرفيق المفوض باعتباره مؤلفاً لكتابٍ عن قائدنا الموقر الرفيق الرئيس ستالين، والذي اتهم بسببه بالتشهير والتحريض على الفتنة وحكم عليه بالأعمال الشاقة لمدة عشرين عاماً. كرر السجين هذه الافتراءات على الرغم من حقيقة أنه أشير إليه في أكثر من حادثةٍ لمخالفته القانون...". لم يستطع هاري تذكر شيء من ذلك باستثناء الشابة التي كانت ترتدي ملابس ضيقةً والتي زارته في غرفته في الفندق في منتصف الليل وكان يفترض بها أن تنقل الرسالة مع زجاجةٍ من الشمبانيا... "ولكن من أجل العلاقات الدولية، ولإثبات رحابة صدرنا سمحنا له بالعودة إلى الغرب حيث اعتبرنا هذا النوع من التشهير والافتراء نوعاً من الحياة اليومية. نتساءل أحياناً عما إذا كان البريطانيون يتذكرون أننا كنا حلفاءهم في الحرب الأخيرة وكان قائدنا حينها الرفيق ستالين. سافر السجين في وقتٍ سابقٍ من هذا العام إلى الولايات المتحدة لغرضٍ وحيدٍ هو التواصل مع زوجة باباكوف التي هربت إلى الغرب قبل أيامٍ من اعتقال زوجها. كانت الخائنة يلينا باباكوف هي من أخبرت السجين بالمكان الذي أخفت فيه نسخة كتاب زوجها. عاد السجين مزوداً بهذه المعلومة إلى الاتحاد السوفييتي لإكمال مهمته: تحديد مكان الكتاب وتهريبه إلى الغرب لنشره. قد تسأل أيها الرفيق المفوض لماذا كان السجين على استعدادٍ للتورط في مثل هذا المشروع المحفوف بالمخاطر،

مكتبة ياسين

والجواب بسيطٌ جداً، الجشع. كان يأمل في تحقيق ثروةٍ طائلةٍ لنفسه وللسيدة باباكوف من خلال تسريب هذا التشهير لمن ينشرها على الرغم من معرفته أن الكتاب تلفيق خالصٌ من البداية إلى النهاية وكتبه رجلُ التقى بقائدنا الموقر السابق في حادثةٍ واحدةٍ فقط عندما كان طالباً.

لكن بفضل بعض الأعمال البوليسية الرائعة التي قام بها الكولونيل مارينكين قبض على السجين أثناء محاولته الهروب من لينينغراد مع نسخةٍ من كتاب باباكوف في حقيبة أمتعته. من أجل أن تفهم المحكمة تماماً المدى الذي كان هذا المجرم على استعدادٍ لبذله لتقويض الدولة سأستدعي شاهدي الأول الرفيق الكولونيل فيتالي مارينكين".

مكتبة ياسين

38

اعتقدت إيما أن ساقيها ستنهاران عند سيرها المسافة القصيرة إلى منبر الشهود، وعندما سلمها كاتب المحكمة الكتاب المقدس رأى الجميع أن يديها ترتعشان ثم سمعت صوتها:

"أقسم بالله العظيم أن الدليل الذي سأقدمه سيكون الحق، والحقيقة الكاملة، ولا شيء غير الحق فساعدني يا الله".

قال السيد تريلفورد: "هلّا ذكرت اسمك".

"إيما غريس كليفتون".

"ومهنتك؟".

"أنا رئيسة مجلس إدارة شركة بارينغتون للملاحة".

"ومنذ متى وأنت رئيسة هذه الشركة الشهيرة؟".

"طوال السنوات الإحدى عشرة الماضية".

رأت إيما رأس السيد تريلفورد يشير من جهة اليمين إلى اليسار ثم تذكرت كلماته: "استمعي إلى أسئلتي بعنايةٍ ولكن وجهي إجاباتك دائماً إلى هيئة المحلفين".

"هل أنت متزوجةٌ يا سيدة كليفتون؟".

قالت إيما وهي تتوجه إلى هيئة المحلفين: "أجل منذ ما يقارب خمسة وعشرين عاماً".

كان السيد تريلفورد يود منها أن تضيف: "زوجي هاري وابننا سيباستيان وأخي جايلز جميعهم حاضرون في المحكمة"، ويمكنها بعد ذلك أن تلتفت لمواجهتهم وستدرك حينها هيئة المحلفين أنهم أسرةٌ سعيدةٌ وموحدةٌ. لكن هاري لم يكن هناك. وفي الواقع، لم تكن إيما تعرف حتى مكان وجوده لذلك

مكتبة ياسين

استمرت بالنظر إلى هيئة المحلفين. تابع السيد تريلفورد بسرعةٍ.

"هل يمكنك إخبار المحكمة عن لقائك الأول مع الليدي فيرجينيا فينويك من فضلك؟".

قالت إيما عائدةً إلى نصها: "نعم أخي جايلز..."، وهذه المرة نظرت إليه فابتسم الأخ الأكبر لأخته ثم إلى هيئة المحلفين، وكررت: "أخي جايلز دعاني وزوجي إلى العشاء لمقابلة المرأة التي كان مخطوباً لها".

"وماذا كان انطباعك الأول عن الليدي فيرجينيا؟".

"مذهلةٌ. هذا النوع من الجمال الذي تربطه عادةً بنجوم السينما أو عارضات الأزياء الفاتنات فقط، وسرعان ما أصبح واضحاً بالنسبة إليّ أن جايلز كان مفتوناً بها تماماً".

"وهل أصبحتم أصدقاء حينها؟".

"لا، بصراحةٍ لم يكن من المحتمل أبداً أن نصبح أصدقاء مقربين".

"لماذا تقولين ذلك يا سيدة كليفتون؟".

"لم نتشارك الاهتمامات نفسها. لم أكن أبداً من محبي الصيد والرماية وصيد الأسماك. بصراحةٍ نحن نأتي من خلفيتين مختلفتين، واختلطت الليدي فيرجينيا في دائرةٍ لم أكن لأدخل فيها أبداً".

"هل شعرت بالغيرة منها؟".

قالت إيما بابتسامةٍ عريضةٍ: "فقط من مظهرها الجميل". رافق هذا ابتساماتٍ عديدةٍ من قبل هيئة المحلفين.

"ولكن للأسف انتهى زواج أخيك والليدي فيرجينيا بالطلاق".

قالت إيما: "والذي لم يكن مفاجأةً. على الأقل ليس

مكتبة ياسمين

لأي شخصٍ في عائلتنا".

"ولماذا كان ذلك يا سيدة كليفتون؟".

"لم أشعر أبداً بكونها الشخص المناسب لجايلز".

"إذاً أنت والليدي فيرجينيا لم تستطيعا أن تكونا صديقتين؟".

"لم نكن صديقتين أبداً في المقام الأول يا سيد تريلفورد".

"ومع ذلك عادت إلى حياتك بعد بضع سنواتٍ؟".

"أجل، ولكن ذلك لم يكن خياري. بدأت فيرجينيا في شراء عددٍ كبيرٍ من أسهم بارينغتون، الأمر الذي فاجأني لأنها لم تبدِ أبداً اهتماماً بالشركة من قبل. لم أفكر كثيراً في الأمر حتى أبلغتني سكرتيرة الشركة أنها تملك سبعةً ونصف في المئة من الأسهم".

"لماذا كانت نسبة سبعةٍ ونصف في المئة مهمةً جداً؟".

"لأن ذلك منحها مكاناً في مجلس الإدارة".

"وهل تحملت هذه المسؤولية؟".

"لا. لقد عينت الرائد ألكس فيشر لتمثيلها".

"هل قبلت بهذا الوضع؟".

"لا لم أفعل. منذ اليوم الأول أوضح الرائد فيشر أنه موجودٌ فقط لتلبية رغبات الليدي فيرجينيا".

"هل يمكنك أن تكوني أكثر تحديداً؟".

"من المؤكد. سيصوت الرائد فيشر ضد أي اقتراحٍ أوصي به لمجلس الإدارة، وغالباً ما كان يخرج بأفكاره الخاصة والتي لا بد أنه كان يعرف أنها تضر بالشركة".

"ولكن في النهاية استقال الرائد فيشر".

"لو لم يفعل كنت سأطرده".

مكتبة ياسين

عبس السيد تريلفورد غير مسرورٍ لأن موكلته استرسلت في كلامها، وابتسم السيد إدوارد وكتب ملاحظةً على اللوحة الموجودة أمامه.

"أود الآن الانتقال إلى اجتماع الجمعية العمومية الذي عقد في قاعة كولستون في بريستول صباح الرابع والعشرين من آب عام 1964. كنت الرئيسة في ذلك الوقت و...". قاطعته القاضية مقترحةً: "ربما تستطيع السيدة كليفتون إخبارنا بنفسها وليس عن طريقك باستمرارٍ يا سيد تريلفورد".

"كما تريدين يا سيدتي".

قالت إيما: "لقد قدمت التقرير السنوي، وشعرت أنه سار على ما يرام لأسبابٍ ليس أقلها أنني تمكنت من الإعلان عن تاريخ إطلاق أول سفينةٍ لدينا، سفينة باكينغهام".

قال تريلفورد: "وإذا كنت أتذكر فإن حفل التسمية كان من المقرر أن تشارك فيه صاحبة الجلالة الملكة الأم...".

"ذكي يا سيد تريلفورد، ولكن لا تختبر صبري".

"أعتذر يا سيدتي لقد فكرت...".

"أنا أعرف بالضبط ما كنت تفكر فيه يا سيد تريلفورد. من فضلك دع السيدة كليفتون تتحدث بنفسها".

قال تريلفورد بالرجوع إلى موكلته: "في نهاية حديثك هل تلقيت أسئلةً من الحضور؟".

"أجل فعلت".

"وكانت الليدي فيرجينيا فينويك من بين أولئك الذين طرحوا سؤالاً. نظراً لأن نتيجة هذه المحاكمة تستند إلى هذا التبادل. سأقوم بإذنٍ منك يا سيدتي بقراءة الكلمات التي تحدثت بها السيدة كليفتون

مكتبة ياسين

والتي كانت سبب هذه المحاكمة.

ورداً على سؤالٍ من الليدي فيرجينيا أجابتها: "إذا كان هدفك إسقاط الشركة يا سيدة فيرجينيا إذاً... لقد فشلت فشلاً ذريعاً لأنك هزمت على يد ناسٍ عاديين شرفاء يريدون نجاح هذه الشركة"، والآن بعد أن سمعت هذه الكلمات مرةً أخرى في ضوء النهار يا سيدة كليفتون، هل أنت نادمةٌ على قولها".

"بالتأكيد لا، لم تكن أكثر من عبارةٍ صادقةٍ".

"إذاً لم تكن نيتك التشهير بالليدي فيرجينيا؟".

"إطلاقاً. أردت ببساطةٍ أن يعلم حملة الأسهم أن ممثلها في مجلس الإدارة الرائد فيشر كان يبيع ويشتري أسهم الشركة دون إبلاغي أو إبلاغ أي أحدٍ من زملائه".

"حسناً، إذاً شكراً لك يا سيدة كليفتون. لا مزيد من الأسئلة يا سيدتي".

سألت القاضية لين مدركةً جيداً ما سيكون جوابه: "هل ترغب في استجواب هذا الشاهد يا سيد إدوارد؟".

قال السيد إدوارد وهو ينهض ببطءٍ من مكانه ويسرح شعره المستعار: "أريد ذلك بالتأكيد يا سيدتي". تحقق من سؤاله الأول قبل أن يتراجع ويبتسم ابتسامةً كبيرةً أمام هيئة المحلفين على أمل أن ينظروا إليه على أنه صديق العائلة المحترم الذي يطلب الجميع نصيحته.

قال مستديراً لمواجهة منبر الشهود: "دعينا لا نفرط في الكلمات يا سيدة كليفتون. الحقيقة هي أنك كنت رافضةً لزواج أخيك من الليدي فيرجينيا منذ اللحظة التي التقيت بها. في الواقع أليس الأمر هو أنك قررت عدم الإعجاب بها قبل أن تلتقيها؟".

مكتبة ياسين

فوجئ تريلفورد ولم يكن يتوقع أن إدي سوف يغرز الخنجر بسرعةٍ كبيرةٍ. على الرغم من أنه حذر إيما من أن استجوابها لن يكون تجربةً ممتعةً.

"كما قلت يا سيد إدوارد لم نكن صديقتين بالفطرة".

"ولكن أليس حقيقياً أنك قررت جعلها عدوةً لك منذ البداية؟".

"لم أكن لأفعل ذلك".

"هل حضرت حفل زفاف أخيك والليدي فيرجينيا؟".

"لم أدع".

"هل فوجئت بذلك بعد الطريقة التي عاملتها بها؟".

"خائبة الأمل ولست متفاجئةً".

قال السيد إدوارد وهو ينظر حول قاعة المحكمة كما لو أنه يحاول العثور عليه: "وزوجك... هل كان مدعواً؟".

"لم يتلق أي فردٍ من العائلة دعوةً".

"وما سبب ذلك في رأيك؟".

"عليك أن تسأل موكلتك يا سيد إدوارد".

"أعتزم القيام بذلك أيتها السيدة كليفتون. هل لي أن أنتقل الآن إلى وفاة والدتك وأفهم أنه كان هناك خلافٌ حول وصيتها".

"سويّ في المحكمة العليا يا سيد إدوارد".

"نعم بالفعل، ولكن صححي كلامي إن كنت مخطئاً وأنا متأكدٌ أنك ستفعلين أيتها السيدة كليفتون. ورثت أنت وأختك غريس الوصية بأكملها تقريباً بينما انتهى الأمر بأخيك زوج الليدي فيرجينيا بلا شيءٍ".

مكتبة ياسين

"لم يكن خياري يا سيد إدوارد. في الواقع حاولت التحدث إلى والدتي عن ذلك".

"ليس لدينا دليلٌ سوى كلمتك يا سيدة كليفتون".

نهض السيد تريلفورد سريعاً وقال: "أنا أعترض يا سيدتي".

"أجل أجل يا سيد تريلفورد أوافقك الرأي. هذا لا مبرر له يا سيد إدوارد".

"أعتذر يا سيدتي. هل لي أن أسألك يا سيدة كليفتون ما إذا كان السيد جايلز مصدوماً بوصية والدتك؟".

قالت القاضية قبل أن ينهض السيد تريلفورد مرةً أخرى: "سيد إدوارد!".

"أعتذر يا سيدتي. أنا مجرد باحثٍ قديمٍ وراء الحقيقة".

قالت إيما: "كانت صدمةً مروعةً لنا جميعاً. كانت والدتي تحب جايلز كثيراً".

أضاف السيد إدوارد: "لكن من الواضح أنها لم تحب الليدي فيرجينيا مثلك تماماً وإلا لقدمت له إرثاً في وصيتها. لكن دعينا نمضِ قدماً. انتهى زواج أخيك والليدي فيرجينيا في الحقيقة بسبب خيانته".

قالت إيما محاولةً ضبط نفسها: "كما تعلم جيداً يا سيد إدوارد. كانت تلك الأيام التي اضطر فيها الرجل لقضاء ليلةٍ في فندق برايتون مع امرأةٍ مستأجرة قبل أن تمنحه المحاكم الطلاق، فعل جايلز ذلك بناءً على طلب فيرجينيا".

"أنا أعتذر جداً أيتها السيدة كليفتون ولكن في عريضة الطلاق فإن هذا يسمى خيانةً. على الأقل جميعنا يعرف الآن كيف يتصرف عندما يشعر بقوةٍ

مكتبة ياسين

اتجاه شيءٍ ما".

نظرةً واحدةً إلى هيئة المحلفين وكان من الواضح أن السيد إدوارد قد أوضح وجهة نظره.

"سؤالٌ أخيرٌ يتعلق بالطلاق أيتها السيدة كليفتون. هل كان سبب احتفالٍ لك ولعائلتك؟".

قال تريلفورد وهو يقفز من مكانه: "سيدتي!!".

"سيد إدوارد! لقد تجاوزت مرةً أخرى نطاق القضية".

"سأحاول جاهداً عدم التجاوز لاحقاً يا سيدتي".

لكن عندما نظر تريلفورد إلى هيئة المحلفين كان يعلم أن السيد إدوارد سيشعر بالقمع وقد خدم غرضه.

"دعينا ننتقل إلى الأمور الأكثر أهميةً أيتها السيدة كليفتون أي ما قلته وما قصدته عندما طرحت موكلتي سؤالاً مشروعاً تماماً عليك في الاجتماع العام السنوي لشركة بارينغتون للملاحة. من أجل الدقة سأكرر سؤال الليدي فيرجينيا: "هل صحيحٌ أن أحد مديريك باع حصته الضخمة في نهاية عطلة الأسبوع في محاولةٍ لإسقاط الشركة؟"، إن جاز لي أن أقول ذلك أيتها السيدة كليفتون أنت تجنبت بالتأكيد وببراعةٍ فائقةٍ الإجابة عن ذلك السؤال. ربما تهتمين بفعل ذلك الآن؟".

نظرت إيما إلى تريلفورد والذي نصحها بعدم الإجابة عن ذلك السؤال وبقيت صامتةً.

"ربما يمكنني اقتراح أن السبب وراء عدم رغبتك في الإجابة عن هذا السؤال بالتحديد هو أن الليدي فيرجينيا انتقلت إلى سؤالٍ آخر: "إذا كان أحد مديريك متورطاً في مثل هذا الفعل ألا يجب أن يستقيل من مجلس الإدارة؟"، وكان ردك: "إذا كنت

مكتبة ياسين

تشيرين إلى الرائد فيشر..."، على الرغم من أنها لم تكن تقصده وكنت تعلمين ذلك جيداً. كانت تتحدث عن زميلك وصديقك المقرب السيد سيدريك هاردكاسل. ألم تكن كذلك؟".

قالت إيما: "أحد أفضل السادة الذين عرفتهم في حياتي".

سأل السيد إدوارد: "هل كان بالفعل كذلك؟ حسناً إذاً دعونا نفحص هذا البيان عن كثبٍ. لأنه يبدو لي ما تقترحينه أنه عندما باع صديقك المقرب وأحد أفضل السادة الذين عرفتهم على الإطلاق أسهمه في ليلةِ فهو فعل ذلك لمصلحة الشركة أما عندما باعت الليدي فيرجينيا أسهمها فكانت تفعل ذلك لإلحاق الضرر في الشركة. ربما تشعر هيئة المحلفين بأنه لا يمكنك التمييز بين الطريقتين أيتها السيدة كليفتون، ما لم تجدي نقطة ضعفٍ في نقاشي وتشرحي للمحكمة الفرق الواضح بين ما فعله السيد هاردكاسل لمصلحة الشركة وما فعله الرائد فيشر لصالح موكلتي؟".

عرفت إيما أنها لن تستطيع تبرير ما فعله سيدريك بحسن نيةٍ، وأنه من الصعب للغاية أن تشرح إلى هيئة المحلفين سبب بيع أسهمه. نصحها تريلفورد بألا ترد ببساطةٍ عندما تكون في شك وخاصةً إذا كان الجواب سيدمرها.

انتظر السيد إدوارد بعض الوقت قبل أن يقول: "حسناً نظراً لعدم رغبتك في الإجابة عن هذا السؤال ربما ينبغي علينا الانتقال إلى ما قلته بعد ذلك: "إذا كان هدفك إسقاط الشركة أيتها الليدي فيرجينيا إذاً... لقد فشلت فشلاً ذريعاً لأنك هزمت على يد ناسٍ عاديين شرفاء يريدون نجاح هذه الشركة"، إذاً هل يمكنك يا سيدة كليفتون إنكار

مكتبة ياسين

أن ما كنت تقترحينه على جمهورٍ حاشدٍ في قاعة كولستون في بريستول ذلك الصباح هو أن الليدي فيرجينيا ليست شخصاً عادياً لائقاً؟"، وشدد على الكلمات الثلاث الأخيرة.

"بالتأكيد إنها ليست عادية".

"أتفق معك أيها السيدة كليفتون إنها استثنائية، ولكنني طرحت أمام هيئة المحلفين أن الإيحاء بأن موكلتي ليست لائقةً وأن هدفها إسقاط شركتك هو تشهيرٌ يا سيدة كليفتون. أم برأيك أيضاً أنه لا شيء سوى الحقيقة؟".

أجابت إيما: "قصدت ما قلته".

"وكنت مقتنعةً جداً بأنك على صوابٍ لدرجة إصرارك على تسجيل كلماتك في محضر اجتماع الجمعية العمومية للشركة".

"أجل بالتأكيد".

"هل نصح أمين سر الشركة بعدم اتخاذ هذا الإجراء في ذلك الوقت؟".

ترددت إيما.

قال السيد إدوارد: "يمكنني الاتصال بالسيد ويبستر للإدلاء بشهادته".

"أعتقد أنه ربما فعل ذلك".

قال السيد إدوارد بصوتٍ مثقلٍ بالسخرية: "الآن أتساءل لماذا فعل ذلك؟". استمرت إيما في التحديق إليه مدركةً جيداً أنه لم يكن يتوقع منها الرد.

"هل من الممكن أنه لم يردك أن تضيفي تشهيراً إلى الافتراء الذي ارتكبته بالفعل؟".

قالت إيما: "أردت أن تسجل كلماتي".

أحنى السيد تريلفورد رأسه بينما قال السيد إدوارد: "هل فعلت ذلك حقاً؟ لذا فقد أثبتنا أنك

مكتبة ياسمين

اتخذت ضد موكلتي في اليوم الذي قابلتها فيه هذه الكراهية الشديدة التي تفاقمت عندما لم تتم دعوتك لحضور حفل زفاف أخيك، وسعيت بعد ذلك بسنواتٍ في اجتماع الجمعية العمومية لشركتك أمام جمهورٍ حاشدٍ من حملة الأسهم إلى إذلال الليدي فيرجينيا من خلال اقتراح أنها لم تكن شخصاً عادياً ومحترماً ولكنها أرادت إسقاط الشركة. أليس كذلك يا سيدة كليفتون؟ بعد ذلك رفضت طلب أمين سر الشركة لضمان تكرار كلمات الافتراء في محضر اجتماع الجمعية العمومية للشركة. أليس حقيقياً أيتها السيدة كليفتون أنك كنت تبحثين ببساطةٍ عن الانتقام من إنسانٍ عادي ومحترمٍ والذي لا يطلب الآن أكثر من رد الاعتبار تجاه افترائك؟ أعتقد أن الشاعر لخص ذلك بشكلٍ أفضل بقوله: من يسرق مني اسمي الطيب يسرق ما لا يثريه ولكنه يجعلني فقيراً حقاً".

استمر السيد إدوارد في التحديق إلى إيما وهو يمسك ياقة ثوبه القديم البالي، وعندما شعر أنه خلق التأثير المطلوب التفت إلى القاضية وقال: "لا مزيد من الأسئلة يا سيدتي".

عندما نظر تريلفورد إلى هيئة المحلفين اعتقد أنهم سينفجرون بالتصفيق. قرر أنه سيتعين عليه المجازفة التي لم يكن متأكداً أن القاضية ستسمح له في خوضها.

سألت السيدة لين: "هل لديك أية أسئلة أخرى لموكلتك يا سيد تريلفورد؟".

قال تريلفورد: "واحدٌ فقط يا سيدتي. أثار السيد إدوارد مسألة وصية والدتك أيتها السيدة كليفتون. هل أعربت يوماً عن مشاعرها تجاه الليدي فيرجينيا؟".

مكتبة ياسين

قاطعته القاضية قبل أن تتمكن إيما من الرد: "كما تعلم جيداً يا سيد تريلفورد. سيكون ذلك شائعات وغير مقبولٍ".

قالت إيما وهي تنظر إلى مقعد القاضي: "لكن والدتي سجلت رأيها في الليدي فيرجينيا في وصيتها".

قالت القاضية: "لست متأكدةً أنني أفهمك تماماً يا سيدة كليفتون".

"في وصيتها... لقد أوضحت أسبابها لعدم ترك شيءٍ لأخي".

التقط تريلفورد الوصية وقال محاولاً إظهار نفسه بريئاً: "يمكنني قراءة المقطع ذي الصلة يا سيدتي إذا شعرت أنه قد يساعد".

نهض السيد إدوارد بسرعةٍ وقال وهو يعلم جيداً ما كان يشير إليه تريلفورد: "هذا بلا شك تشهيرٍ آخر حضرة القاضية".

قال تريلفورد وهو يلوح بالوصية أمام الصحفيين الجالسين في منبر الصحافة: "لكن هذه وثيقةٌ عامةٌ وموثقةٌ".

قالت القاضية لين: "ربما ينبغي أن أقرأ الكلمات المعنية قبل إصدار الحكم".

قال تريلفورد: "بالطبع يا سيدتي". وسلم الوصية إلى كاتب المحكمة الذي سلمها بدوره إلى القاضية.

بالنظر إلى أن السيد تريلفورد قد أبرز سطرين فقط يجب أن تكون القاضية لين قد قرأتها عدة مراتٍ قبل أن تقول أخيراً: "أعتقد أن هذا الدليل غير مقبولٍ لأنه يمكن إزالته من السياق، ومع ذلك إذا كنت ترغب في تأجيل الإجراءات حتى تتمكن من مناقشة نقطةٍ قانونيةٍ يا سيد تريلفورد فسأكون

مكتبة ياسين

سعيدةً بتأجيل المحاكمة حتى تتمكن من القيام بذلك".

قال تريلفورد مدركاً جيداً أن الصحفيين الذين كانوا بالفعل يغادرون القاعة سيكون لديهم المقطع ذو الصلة على صفحاتهم الأولى في الصباح: "لا شكراً لك يا سيدتي أنا سعيدٌ لقبول حكمك".

قالت القاضية: "حسناً دعونا نمض قدماً. ربما ترغب في استدعاء شاهدك التالي يا سيد تريلفورد".

"لست قادراً على فعل ذلك أيتها السيدة لأنه يحضر حالياً جلسة في مجلس العموم. على أي حالٍ سيكون الرائد فيشر قادراً على الحضور عند الساعة العاشرة صباح الغد".

مكتبة ياسين

39

شاهد هاري من مقعده الخشبي في الصف الثالث دخول الكولونيل مارينكن إلى غرفة المحكمة المؤقتة. وقف أمام المدعي العام ليلفت انتباهه، حياه وظل واقفاً باستعداد.

كان مارينكن يرتدي زياً أكثر أناقةً من الزي الذي يتذكره هاري حين كان معتقلاً، ولا بد أن هذا الزي للمناسبات الخاصة. كانت الأزرار الستة على سترته تتلألأ، وثنية سرواله مطويةً، وحذاؤه ملمعٌ بعنايةٍ فلو نظر إلى الأسفل كان سيرى انعكاسه عليه. إن صفوف ميدالياته الخمسة لا تترك أحداً يشك أنه تحدى العدو وجهاً لوجهٍ.

"هل يمكنك أيها الكولونيل إخبار المحكمة كيف تعرفت إلى المتهم للمرة الأولى".

"أجل أيها الرفيق المدعي العام. جاء إلى موسكو منذ قرابة خمس سنواتٍ بصفته ممثلاً لبريطانيا في مؤتمر الكتاب الدولي، وألقى الكلمة الرئيسية يوم الافتتاح".

"هل سمعت ذلك الخطاب؟".

"أجل فعلت، واتضح لي أنه يعتقد أن الخائن باباكوف عمل لسنواتٍ عديدةٍ داخل الكرملين وكان مقرباً من الرفيق الراحل ستالين. في الواقع كانت حجته مقنعةً جداً لدرجة أنه بحلول الوقت الذي جلس فيه كان كل شخصٍ تقريباً في القاعة قد صدقها أيضاً".

"هل حاولت التواصل مع المدعى عليه أثناء وجوده في موسكو؟".

"لا، لأنه سافر إلى إنكلترا في اليوم التالي، وأعترف أنني افترضتها مثل العديد من الحملات

مكتبة ياسين

التي ينشغل بها الغرب ستكون مسألة وقتٍ فقط قبل أن تأتي حملةٌ أخرى لتشغل عقولهم الهائجة".

"لكن هذا السبب بالذات لم يختف؟".

"لا، فقد أقنع المدعى عليه نفسه بقوةٍ أن باباكوف كان صادقاً وأنه لو نشر كتابه فإن العالم بأكمله سيصدقه. سافر المتهم في وقتٍ سابقٍ من هذا العام إلى الولايات المتحدة على متن سفينةٍ فاخرةٍ تملكها عائلة زوجته، ولدى وصوله إلى نيويورك زار ناشراً معروفاً لمناقشة نشر كتاب باباكوف بلا شك لأنه استقل قطاراً متجهاً إلى بيتسبرغ في اليوم التالي لغرضٍ وحيدٍ هو مقابلة المنشقة زوجة الخائن يلينا باباكوف، ولديّ في هذا الملف عدة صورٍ التقطت خلال هذه الزيارة إلى بيتسبرغ بواسطة أحد عملائنا".

سلم مارينكين الملف إلى كاتب القاضي الذي أحاله إلى رئيسة المحكمة. درس القضاة الثلاثة الصور لبعض الوقت قبل أن تسأل الرئيسة: "كم من الوقت قضى السجين مع السيدة باباكوف؟".

"أكثر من أربع ساعات بقليل ثم عاد إلى نيويورك. في صباح اليوم التالي، زار ناشره مجدداً، ثم صعد على متن السفينة التي تملكها عائلة زوجته وعاد إلى إنكلترا في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم".

"وهل واصلت في الحفاظ على مستوى عالٍ من المراقبة بمجرد عودته؟".

"أجل. استمر أحد كبار عملائنا في مراقبة أنشطته اليومية، وذكر أن المتهم التحق بدورة اللغة الروسية في جامعة بريستول قرب المكان الذي يعيش فيه، وسجل أحد عملائي في نفس الدورة التدريبية وذكر أن المتهم كان طالباً مجتهداً، ودرس بجد أكثر من أي من زملائه في الفصل. سافر إلى

مكتبة ياسين

لينينغراد بعد فترةٍ وجيزةٍ من الانتهاء من الدورة، قبل أسابيع فقط من انتهاء صلاحية تأشيرته".

"لماذا لم تعتقله وتضعه على متن الطائرة التالية للعودة إلى لندن فور وصوله إلى لينينغراد؟".

"لأنني أردت اكتشاف ما إذا كان لديه أي شركاءٍ في روسيا".

"وهل كان لديه؟".

"لا".

"وهل كان ناجحاً؟".

"أجل لقد كان. من الواضح أن زوجة باباكوف أخبرته أين يمكن أن يجد نسخةً من كتاب زوجها لأنه ما إن وصل لينينغراد حتى استقل سيارة أجرةٍ إلى مكتبة بوشكين للكتب الأثرية في ضواحي المدينة. استغرق الأمر منه بضع دقائقٍ فقط لتحديد مكان الكتاب الذي كان يبحث عنه والذي أخفي داخل غلاف كتابٍ بعنوانٍ آخر، ولا بد أنه المكان الذي أخبرته به السيدة باباكوف بالضبط. ثم دفع ثمن الكتاب واثنين آخرين، وأمر سيارة الأجرة المنتظرة بإعادته إلى المطار".

"حيث اعتقلته؟".

"أجل ولكن ليس على الفور لأنني أردت أن أتأكد ما إذا كان لديه شريك في المطار سيحاول تمرير الكتاب إليه. لكنه اشترى ببساطةٍ تذكرةً على متن نفس الطائرة التي أتى على متنها، واعتقلناه قبل أن يصعد إليها".

سألته رئيسة المحكمة: "أين الكتاب الآن؟".

"لقد أتلف أيتها الرفيق الرئيس، ولكني احتفظت بصفحة العنوان للسجلات فقد يكون من مصلحة المحكمة أن تعرف بكونه دليلاً مطبوعاً لذلك فمن

مكتبة ياسين

المحتمل أنها كانت أخر نسخةٍ موجودةٍ".

سأل المدعي العام: "عندما ألقيت القبض على المتهم كيف كان ردّ فعله؟".

"من الواضح أنه لم يدرك خطورة جريمته لأنه ظل يسأل عن التهمة التي كان موقوفاً بها".

سأل المدعي العام: "هل استجوبت السائق والمرأة المسنة التي كانت تعمل في المكتبة لمعرفة ما إذا كانا متعاونين مع المتهم؟".

"أجل فعلت، واتضح أن كليهما يحملان بطاقة عضوية في الحزب وسرعان ما أصبح واضحاً أنه لا ارتباط سابق لهما مع المتهم. لقد أطلقت سراحهما بعد مقابلةٍ قصيرةٍ. لأني افترضت أنه كلما قلت معرفتهم عن استفساراتي كان ذلك أفضل".

قال المدعي العام: "شكراً لك أيها الكولونيل. لا مزيد من الأسئلة"، وأضاف قبل جلوسه: "ولكن قد يكون لدى زميلتي".

كانت الرئيسة تحدق إلى الشاب الجالس في الطرف الآخر من المقعد. نهضت ونظرت إلى كبير القضاة لكنها لم تقل شيئاً. وسألت بعدها: "هل ترغب في استجواب الشاهد؟".

"لن يكون ذلك ضرورياً أيتها الرئيسة. أنا راضٍ تماماً عن الأدلة التي قدمها الكولونيل"، وجلس في مكانه.

أعادت الرئيسة انتباهها إلى الكولونيل وقالت: "أهنئك أيها الرفيق الكولونيل على عملك التحقيقي الشامل. هل تود إضافة أي شيءٍ قد يساعدنا في إصدار حكمنا؟".

"أجل أيتها الرفيقة. أنا مقتنعٌ أن السجين هو مجرد شخصٍ مثالي سادجٍ يعتقد أن باباكوف

مكتبة ياسين

عمل بالفعل في الكرملين. وفي رأيي يجب أن يمنح فرصةً أخرى لتوقيع اعترافٍ. إذا فعل ذلك فسأشرف شخصياً على ترحيله".

"شكراً لك أيها الكولونيل. سأضع ذلك في الاعتبار، والآن يمكنك العودة إلى واجباتك المهمة".

حياهم الكولونيل وعندما استدار لمغادرة الغرفة ألقى نظرةً خاطفةً إلى هاري، وذهب بعد لحظاتٍ.

في تلك اللحظة، أدرك هاري أنها كانت محاكمةً صورية بغيضةً هدفها الوحيد هو إقناعه بأن أناتولي باباكوف محتالٌ وعندها سيعود إلى إنكلترا ويخبر الجميع بالحقيقة التي كانت تجري في قاعة المحكمة. لكن التمثيلية التي تم تنظيمها بعنايةٍ لا تزال تتطلب منه التوقيع على اعترافٍ وتساءل كم سيتمادون حتى يحققوا هدفهم.

قالت رئيسة المحكمة: "أيها الرفيق المدعي العام. يمكنك الآن استدعاء شاهدك التالي".

قال قبل النهوض مرةً أخرى: "شكراً لك أيتها الرفيقة. سأستدعي أناتولي باباكوف".

مكتبة ياسين

40

جلس جايلز لتناول الفطور وبدأ قراءة الصحف الصباحية. كان يحتسي فنجان قهوته الثاني في الوقت الذي انضم إليه سيباستيان.

"ماذا تقول الصحف؟".

"أعتقد أن ناقداً مسرحياً سيصف يوم الافتتاح بأنه يحتوي على أقوالٍ متضاربةٍ".

قال سيب: "إذاً ربما من الجيد أن القاضي أمر هيئة المحلفين بعدم قراءتها".

قال جايلز: "سيقرؤونها صدقني، وخاصةً بعد أن رفض القاضي السماح لتريلفورد بإخبارهم عما قالته والدتي عن فيرجينيا في وصيتها. اسكب لنفسك القهوة وسوف أقرأها لك". التقط جايلز البريد اليومي وانتظر عودة سيب إلى المائدة قبل أن يضع نظارته مرةً أخرى ويبدأ القراءة: "سيتم ترك ما تبقى من ممتلكاتي لابنتيّ المحبوبتين إيما وغريس لتتصرفا بها بالطريقة المناسبة باستثناء قطتي السيامية كليوباترا التي أتركها لليدي فيرجينيا فينويك لأن لديهما الكثير من الأشياء المشتركة، فكلاهما جميلان ومعتنى بهما جيداً، مغروران، ماكران، متلاعبان ومتحكمان، يفترضان أن الجميع قد وجدوا على الأرض لخدمتهما بما في ذلك ابني المحبوب الذي لا أستطيع إلا أن أصلي له ليتخلص من التعويذة التي ألقتها عليه قبل فوات الأوان". قال سيب عندما وضع خاله الأوراق جانباً: "برافو. يا لها من سيدةٍ رائعةٍ كانت لتحسم القضية في منبر الشهود، ولكن ماذا عن الصحف العريضة كيف يعلنون عنها؟".

قال جايلز وهو يرمي صحيفة التايمز على الطاولة:

مكتبة ياسين

"صحيفة التلغراف تحوط رهاناتها على الرغم من أنها تمدح ميكبيس لفحصه القضائي والتحليلي لإيما. يتساءلون في صحيفة التايمز حول استدعاء السيد فيشر من قبل الدفاع وليس المدعي. ستشاهدون ذلك تحت عنوان: شاهدٌ معادٍ".

"لديَ شعورٌ بأن فيشر لن يحصل على آراءٍ متباينةٍ".

"فقط تأكد من الاستمرار في التحديق إليه أثناء وجوده في منبر الشهود. لن يعجبه ذلك".

قال سيب: "مضحك بما يكفي أن إحدى أعضاء هيئة المحلفين تحدق إليّ باستمرار".

قال جايلز: "هذا جيد"، وأضاف بينما كانت إيما تدخل الغرفة: "تأكد من أن تبتسم لها من حينٍ إلى آخر، ولكن ليس كثيراً لدرجة تنتبه لها القاضية".

سألت وهي تنظر إلى الصحف: "كيف هي الأوضاع؟".

قال جايلز: "جيدةٌ كما كنا نتوقع. حولت الديلي ميل وصية أمي إلى فولكلور ويريد الصحفيون الجادون معرفة سبب استدعاء فيشر من قبلنا وليس من قبلهم".

قالت إيما وهي تجلس: "سيكتشفون ذلك قريباً جداً. إذاً بأية واحدةٍ يجب أن أبدأ؟".

قال جايلز: "ربما التايمز، ولا تقلقي بشأن التلغراف".

قالت إيما وهي تلتقط صحيفة التلغراف: "ليست المرة الأولى. أتمنى لو أستطيع اليوم قراءة صحف الغد".

***

قالت السيدة القاضية لين بمجرد أن استقرت

مكتبة ياسين

هيئة المحلفين: "صباح الخير. ستبدأ الإجراءات اليوم بحادثةٍ غير عاديةٍ إلى حد ما. إن الرائد النائب ألكس فيشر الشاهد التالي للسيد تريلفورد لم يقدم شهادته باختياره، ولكنه استدعي من قبل الدفاع. عندما تقدم السيد تريلفورد بطلب الاستدعاء كان عليّ أن أقرر ما إذا كانت شهادته مقبولةً. بشكلٍ عام توصلت إلى أنه يحق للسيد تريلفورد استدعاء الرائد فيشر حيث تم ذكر اسمه أثناء المشاحنة بين السيدة كليفتون والليدي فيرجينيا والذي هو جوهر القضية، وبالتالي قد يكون قادراً على تسليط بعض الضوء على القضية، ومع ذلك يجب ألا تقرؤوا أي شيء عن حقيقة أن الرائد فيشر لم يكن مدرجاً في قائمة شهود السيد إدوارد ميكبيس".

همس جايلز إلى إيما: "لكنهم سيفعلون".

نظرت القاضية إلى كاتب المحكمة: "هل وصل الرائد فيشر؟".

"وصل يا سيدتي".

"حسناً، استدعه من فضلك".

صرخ الكاتب: "استدعوا الرائد النائب ألكس فيشر".

فُتحت الأبواب المزدوجة في الجزء الخلفي من قاعة المحكمة ودخل فيشر متباهياً وهذا ما فاجأ حتى جايلز. من الواضح أن حصوله على عضوية البرلمان قد أضافت إلى تقديره الذاتي الكبير.

أخذ الكتاب المقدس في يده اليمنى وأدى القسم من دون أن ينظر مرةً واحدةً إلى البطاقة التي حملها له الكاتب.

عندما نهض السيد تريلفورد من مكانه حدق إليه فيشر كما لو كان عدوه.

مكتبة ياسين

قال السيد تريلفورد: "صباح الخير أيها الرائد فيشر"، ولكنه لم يتلق أي رد، وأكمل قائلاً: "هلّا ذكرت اسمك ومهنتك لسجلات المحكمة؟".

قال وهو ينظر مباشرةً إلى جايلز: "اسمي الرائد ألكسندر فيشر، وأنا عضو البرلمان عن بريستول دوكلاندز".

"حين انعقدت الجمعية العامة لشركة بارينغتون للملاحة. هل كنت عضو مجلس إدارة الشركة؟".

"لقد كنت".

"وهل السيدة كليفتون هي من دعتك للانضمام إلى مجلس الإدارة؟".

"لا، لم تكن هي".

"إذاً من طلب منك تمثيله؟".

"الليدي فيرجينيا فينويك".

"وهل لي أن أسأل لماذا؟ هل كنتما صديقين أم مجرد علاقةٍ مهنيةٍ؟".

قال السيد فيشر وهو يلقي نظرةً خاطفةً على الليدي فيرجينيا التي أومأت برأسها مبتسمةً: "أظن كليهما".

"وما هي مهارتك الخاصة التي قدمتها إلى الليدي فيرجينيا؟".

"لقد كنت سمساراً للبورصة قبل أن أصبح عضواً في البرلمان".

قال تريلفورد: "حسناً. لذلك كنت قادراً على تقديم النصيحة إلى الليدي فيرجينيا بشأن أسهمها، وبسبب مشورتك الحكيمة دعتك لتمثيلها في مجلس إدارة بارينغتون".

قال فيشر بابتسامةٍ متعجرفةٍ ظهرت على وجهه: "أنا أتفق معك تماماً يا سيد تريلفورد".

مكتبة ياسمين

"لكن هل أنت متأكدٌ أن هذا هو السبب الوحيد الذي جعل الليدي فيرجينيا تختارك أيها الرائد؟".

زمجر فيشر واختفت ابتسامته: "أجل أنا متأكدٌ".

"أنا فقط في حيرةٍ كبيرةٍ. كيف يمكن لسمسار بورصةٍ في بريستول أن يصبح مستشاراً محترفاً لسيدةٍ تعيش في لندن، والتي تستطيع الوصول إلى أي عددٍ من سماسرة البورصة البارزين في المدينة. لذا ربما ينبغي أن أسأل كيف التقيتما في البداية؟".

"دعمتني الليدي فيرجينيا عندما ترشحت لأول مرةٍ إلى البرلمان كمرشحٍ محافظٍ عن بريستول دوكلاندز".

"ومن كان مرشح الحزب في تلك الانتخابات؟".

"السيد جايلز بارينغتون".

"طليق الليدي وشقيق السيدة كليفتون؟".

"أجل".

"حسناً، الآن عرفنا لماذا وقع اختيار الليدي فيرجينيا عليك لتمثلها في مجلس الإدارة؟".

صدم فيشر: "ماذا تقصد؟".

"بكل بساطةٍ إذا كنت قد ترشحت للبرلمان في أي دائرةٍ انتخابيةٍ أخرى فلن تصادف الليدي فيرجينيا أبداً"، ونظر السيد تريلفورد إلى هيئة المحلفين أثناء انتظار رد فيشر لأنه كان واثقاً من عدم قدرته على الإجابة، وأكمل: "الآن وقد علمنا علاقتك الشخصية مع المدعي فلنقيم أهمية مشورتك المهنية. ستتذكر أيها الرائد أنني سألتك سابقاً عما إذا نصحت السيدة فيرجينيا بشأن سندات أسهمها وأكدت أنك فعلت ذلك".

"هذا صحيحٌ".

"حسناً، ربما يمكنك إخبار هيئة المحلفين أي

مكتبة ياسين

أسهمٍ غير بارينغتون للملاحة نصحت بها الليدي؟".

انتظر السيد تريلفورد بهدوءٍ قبل أن يتكلم مرةً أخرى: "أظن أن الإجابة هي لا شيء، وأن اهتمامها بك كعميلٍ داخلي لإعلامها بما يحدث داخل شركة بارينغتون. لذا سيتمكن كلاكما من الاستفادة من أي معلومةٍ سريةٍ بصفتك عضواً في مجلس الإدارة".

قال فيشر وهو ينظر إلى القاضية التي بقيت مكتوفة اليدين: "هذا اقتراحٌ شائنٌ".

"إن كان هذا هو الحال أيها الرائد فهل يمكنك إنكار أنك نصحت الليدي فيرجينيا ببيع أسهمها في بارينغتون في ثلاث مرات منفصلةٍ. لدي التواريخ والأوقات والمبالغ أمامي، وفي كل مرة وبعد يومين فقط أعلنت الشركة بعض الأخبار السيئة".

"وهذه مهمة المستشارين يا سيد تريلفورد".

"بعد قرابة ثلاثة أسابيعٍ من إعادة شرائك الأسهم والذي أقترح حدوثه لسببين رئيسين، أولاً لتحقيق ربحٍ سريعٍ، وثانياً لتتأكد من أنها احتفظت بنسبة سبعةٍ ونصف في المئة من أسهم الشركة حتى لا تفقد مكانك في مجلس الإدارة، وإلا لما كنت لتتطلع على أي معلوماتٍ سريةٍ. أليس كذلك؟".

صرخ فيشر: "هذا افتراءٌ مخزٍ على سمعتي المهنية".

قال تريلفورد: "حقاً؟، وأمسك ورقةً ليراها الجميع قبل قراءة الأرقام التي أمامه: "ومن خلال الاستعلام عن الصفقات الثلاث فقد حققت الليدي فيرجينيا أرباحاً قدرها 17,400 جنيه إسترليني و29,320 جنيه إسترليني و70,100 جنيهٍ إسترليني على التوالي".

"ليست جريمةً أن تحقق ربحاً لعميلك يا سيد تريلفورد".

مكتبة ياسين

"لا ليس بالتحديد أيها الرائد، ولكن لم احتجت إلى استخدام وسيطٍ في هونغ كونغ لتنفيذ هذه الصفقات؟ وهو السيد بيني دريسكول".

"بيني صديقٌ قديمٌ اعتاد العمل في المدينة، وأنا مخلصٌ لأصدقائي يا سيد تريلفورد".

"أنا متأكدٌ من ذلك أيها الرائد، ولكن هل كنت تعلم أنه كان لدى الشرطة الإيرلندية مذكرة توقيفٍ لاعتقال السيد دريسكول بتهمة الاحتيال والتلاعب أثناء إنجاز معاملاتك؟".

نهض السيد إدوارد مسرعاً.

قالت القاضية لين: "أجل أجل يا سيد إدوارد. آمل حقاً يا سيد تريلفورد أنك لا تشير إلى معرفة الرائد فيشر بهذه المذكرة واستمراره في التعامل مع السيد دريسكول؟".

قال تريلفورد وهو يفتعل النظرات البريئة: "هذا ما كنت سأسأله تالياً يا سيدتي".

احتج فيشر: "لا لم أكن أعرف، وما كنت لأستمر في التعامل معه لو علمت".

قال تريلفورد: "هذا مطمئنٌ"، وفتح ملفاً أسود كبيراً أمامه وأخرج منه ورقةً واحدةً مليئةً بالأرقام وأكمل: "عندما اشتريت الأسهم نيابةً عن الليدي فيرجينيا. كيف دفع لك؟".

"بعمولة المبيعات. واحدٌ في المئة لسعر البيع أو الشراء وهو إجراءٌ معتادٌ".

قال تريلفورد وهو يعيد الورقة إلى ملفه بطريقةٍ ملفتةٍ: "هذا صحيحٌ ومناسبٌ". ثم أخرج الورقة الثانية التي أعارها الاهتمام نفسه: "أخبرني أيها الرائد. هل كنت مدركاً أنه بعد كل عملية سألت فيها صديقك العزيز السيد دريسكول إتمام معاملات

مكتبة ياسين

السيدة فيرجينيا كان يبيع ويشتري لنفسه أسهماً من بارينغون وهو يعلم تماماً أن ذلك غير شرعي".

"لم أملك أدنى فكرةٍ بفعله ذلك، وكنت سأبلغ عنه البورصة لو كنت على علمٍ به".

"أحقاً؟! حسناً لم تكن على علمٍ أنه جنى عدة آلافٍ من الجنيهات لدعمه معاملاتك؟".

"لا، لم أكن أعلم".

"وأنه أوقف مؤخراً من قبل بورصة هونغ كونغ لسلوكه غير المهني؟".

"لم أكن أعلم بذلك. لكني لم أتعامل معه منذ سنواتٍ".

قال تريلفورد وهو يعيد الورقة الثانية إلى ملفه ويخرج ورقة ثالثة: "حقاً؟"، وعدّل نظارته متمعناً بصفوفٍ من الأرقام على الصفحة الموضوعة أمامه قبل أن يقول: "هل قمت أيضاً في ثلاث عمليات منفصلةٍ ببيع وشراء أسهمٍ لصالحك لتحقق منها ربحاً جيداً في كل مرةٍ؟".

استمر تريلفورد في التحديق إلى الورقة الموضوعة بين يديه مدركاً بشكلٍ مؤلمٍ أن كل ما سيقوله فيشر هو: "أنا لا أعلم"، وبذلك يستطيع إتمام خدعته. تردد الرائد للحظةٍ وهذا ما سمح لتريلفورد أن يضيف خلال فترة الصمت القصيرة هذه: "ليس عليّ تذكيرك أيها الرائد فيشر وأنت عضوٌ في البرلمان أنك تحت القسم وبعواقب الحنث في اليمين"، واستمر تريلفورد بتفحص صفوف القوائم الموضوعة أمامه.

زل لسان فيشر قائلاً: "لكنني لم أحقق ربحاً في العملية الثالثة، في الواقع لقد خسرت".

سمعت شهقة الصدمة في المحكمة تلاها ثرثرةٍ.

مكتبة ياسمين

انتظر تريلفورد أن يعم الصمت ليكمل: "حسناً، تعترف بربحك في العملية الأولى والثانية أيها الرائد ولكنك خسرت في الثالثة؟".

تحرك فيشر بشكلٍ مضطربٍ في المنبر، ولكنه لم يقم بأي محاولةٍ للرد.

قال تريلفورد وهو ينظر إلى ملاحظةٍ مكتوبةٍ بخط اليد ليتحقق من كلمات الرائد الدقيقة: "لقد ذكرت سابقاً في المحكمة أيها الرائد فيشر أن تحقيق ربحٍ للعميل ليس جريمةً".

قال فيشر محاولاً أن يبدو طبيعياً: "أجل فعلت".

تابع تريلفورد وهو يلتقط مجلداً أحمر من الجلد السميك من أمامه وفتحه على صفحةٍ مميزةٍ بقصاصة ورقٍ: "ولكن بصفتك وسيطاً مؤهلاً في البورصة كنت لتعرف أنها جريمةٌ أن تتداول أسهم شركة أنت عضو في مجلس إدارتها". قرأ تريلفورد الكلمات المكتوبة بدقةٍ: "إلا إذا أبلغت رئيس مجلس إدارة الشركة وأخذت الموافقة القانونية". ترك كلماته ليتمعنوا فيها بدقةٍ قبل أن يغلق الكتاب، وسأل بهدوءٍ: "هل أخبرت السيدة كليفتون أو طلبت الموافقة القانونية؟".

قبض فيشر على حواف منبر الشهود ليمنع ارتعاش يديه.

سأل تريلفورد وهو يحدق إلى فاتورة الفندق الذي نزل فيه فيشر في رحلته الأخيرة إلى هونغ كونغ: "هل يمكنك إخبار المحكمة كم حققت من الربح ببيعك وشرائك الأسهم في بارينغتون؟". انتظر قليلاً قبل أن يعيد الإيصال إلى ملفه ونظر إلى القاضية قائلاً: "سيدتي، بما أن الرائد فيشر يبدو غير راغبٍ في الإجابة عن أي من أسئلتي، فلا أجد جدوى من المتابعة". جلس ونظر نحو إيما مبتسماً.

مكتبة ياسين

قالت السيدة لين: "هل ترغب في استجواب هذا الشاهد يا سيد إدوارد؟".

قال السيد إدوارد بصوتٍ خافتٍ على غير عادته: "فقط بضعة أسئلةٍ من فضلك".

"هل تشير إلى أن الليدي فيرجينيا فينويك كانت على علمٍ بأنك تتاجر في أسهم بارينغتون لصالحك الشخصي أيها الرائد فيشر؟".

"لا يا سيدي".

"صحح كلامي إن كنت مخطئاً، ولكنك كنت ببساطةٍ مستشارها، وجميع الصفقات التي تمت باسمها كانت تجري كاملةً في ظل أحكام القانون".

"بالفعل يا سيد إدوارد".

"أنا ممتن لوضوحك. لا مزيد من الأسئلة يا سيدتي".

كانت القاضية تكتب بحماسة بينما ظل فيشر ساكناً في منبر الشهود كأرنبٍ جامدٍ من الفزع. أخيراً، وضعت قلمها وقالت: "قبل أن تغادر المحكمة أيها الرائد فيشر يجب أن أخبرك أنني أعتزم إرسال نسخةٍ من أقوالك إلى النيابة العامة ليحددوا ما إذا كان هناك المزيد من الإجراءات القانونية التي يجب اتخاذها".

أثناء نزول الرائد من منبر الشهود، وشق طريقه خارج قاعة المحكمة انتفض الصحفيون من مقاعدهم وتبعوه إلى الممر مثل مجموعةٍ من كلاب الصيد تطارد ثعلباً جريحاً.

انحنى جايلز إلى الأمام، وربت على ظهر تريلفورد: "أحسنت يا سيدي، لقد صلبته".

"هو أجل، وليس هي. بفضل هذين السؤالين المصاغين بعنايةٍ من السيد إدوارد فالليدي

مكتبة ياسين

فيرجينيا ستعيش لتحارب يوماً آخر".

مكتبة ياسين

41

هناك شيءٌ خاطئ، بالتأكيد لا يمكن أن يكون أناتولي باباكوف. حدق هاري إلى رجل نحيل يدخل غرفة المحكمة وينهار على الكرسي مقابل المدعي العام.

كان يرتدي بذلةً وقميصاً مرمياً عليه كما لو أنه حمالة معاطفٍ. كان قياسهما واسعاً جداً بالنسبة إليه، وأول ما فكّر فيه هاري أنه استعارهما من غريبٍ ذاك الصباح. لكنه أدرك بعدها أنها بذلة باباكوف التي لم يلبسها منذ يومه الأول في السجن. كان شعره خفيفاً والخصل المتبقية رماديةً. عيناه الرماديتان تغوصان في محجريهما، وجلده المجعد الجاف، ليس من حرارة الشمس ولكن من الساعات الطويلة بسبب التعرض للرياح السيبيرية المتجمدة. بدا باباكوف كأنه في السبعين حتى بل في الثمانين، مع أن هاري يعلم أنهما من العمر نفسه أي أنه لا يتجاوز الخمسين.

نهض المدعي العام من مكانه؛ استبدل المتملق بالمتنمر. نظر مباشرةً إلى باباكوف ورمقه بنظراتٍ باردةٍ متغطرسةٍ مختلفةٍ تماماً عن تلك التي منحت إلى الرفيق الكولونيل أثناء وجوده في منبر الشهود. أمر قائلاً: "أخبر المحكمة باسمك ورقمك".

"باباكوف. سبعة- أربعة- واحد- ستة- اثنان، أيها المدعي العام".

"لا تخاطبني بهذه الطريقة".

أحنى السجين رأسه: "أعتذر يا سيدي".

"ماذا كانت مهنتك قبل إدانتك يا باباكوف؟".

"كنت مدرساً في المقاطعة السابعة في موسكو".

"كم سنةً درست في تلك المدرسة؟".

مكتبة ياسين

"ثلاثة عشر عاماً يا سيدي".

"والمادة التي درستها؟".

"الإنكليزية".

"وما هي مؤهلاتك؟".

"تخرجت من معهد اللغات الأجنبية في موسكو عام 1941".

"إذاً وبعد تخرجك كانت مهنتك الأولى مدرساً ولم تعمل في أي مكانٍ آخرٍ؟".

"لا، لم أفعل يا سيدي".

"هل سبق لك أن زرت الكرملين خلال تلك السنوات الثلاث عشرة التي عملت فيها مدرساً؟".

"لا، لم أفعل يا سيدي. أبداً".

كان الاندفاع الذي قال به باباكوف "أبداً" إشارةً واضحةً إلى هاري ليعتبر هذه المحاكمة الصورية محض سخريةٍ. فلا بد أن كل طالبٍ سوفييتي قد زار الكرملين في وقتٍ ما لتكريم قبر لينين. وباعتبار باباكوف مدرساً فحتماً أشرف على مثل هذه الزيارات. لم يكن لدى هاري أي وسيلةٍ لإعلامه أنه قد فهم الرسالة دون كشف الغطاء عن الخدعة.

تابع المدعي العام: "وهل حظيت يوماً ما بشرف مقابلة قائدنا الموقر رئيس المجلس، الرفيق ستالين؟".

"أجل في مناسبةٍ واحدةٍ، عندما كنت طالباً زار معهد اللغات الأجنبية لتقديم جوائز الدولة السنوية".

"هل تحدث إليك؟".

"أجل، هنأني على درجتي العلمية".

كان هاري يعلم أن باباكوف فاز بميدالية لينين وكان الأول على صفه. لكن لماذا لم يذكر ذلك؟

مكتبة ياسين

لأنه لم يكن جزءاً من النص الذي أعطي له لتقديمه والذي كان ملتزماً به. ربما كانت الإجابات مكتوبةً من قبل الشخص الذي يطرح الأسئلة.

"بخلاف ذلك اللقاء القصير. هل قابلت الرفيق ستالين مرةً أخرى؟".

"لا يا سيدي. أبداً". مشدداً ثانيةً على كلمة "أبداً".

بدأ هاري نسج خطةٍ في ذهنه. إذا كان هذا هو الحال فعليه إقناع هؤلاء الرفاق الثلاثة ذوي الملامح الجامدة الجالسين في غرفة المحكمة أنه صدق كل كلمةٍ نطقها باباكوف خائفاً من سجنه مثل الرجل.

"أود الآن الانتقال إلى عام 1954 عندما حاولت نشر كتابٍ زعمت فيه أنك عملت في طاقم الرئيس الخاص لمدة ثلاثة عشر عاماً بصفتك مترجماً شخصياً له بينما في الواقع لم تدخل الكرملين من قبل. ما الذي جعلك تعتقد أنك ستفلت بمثل هذه الخدعة؟".

"لأنه لم يدخل الكرملين أي شخصٍ يعمل في مطبعة ساركوسكي مثلي. لقد رأوا الرفيق ستالين من مسافةٍ بعيدةٍ فقط عندما استعرض قواتنا في موكب عيد العمال. لذا لم يكن من الصعب إقناعهم أنني كنت عضواً داخل دائرته".

هزّ هاري رأسه باشمئزازٍ، وعبس في باباكوف أملاً ألا يبالغ في ذلك. رأى الرئيسة تكتب ملاحظةً على الأوراق أمامها. هل يُسمح حتى بابتسامةٍ؟!. "وهل صحيحٌ أنك خططت للانشقاق على أمل نشر كتابك في الغرب لهدفٍ وحيدٍ هو جني مبلغٍ كبيرٍ من المال؟".

"أجل. اعتقدت أنه إذا تمكنت من خداع الناس في مطبعة ساركوسكي فكم سيكون من السهل

مكتبة ياسين

إقناع الأميركيين والبريطانيين أنني كنت مسؤولاً في الحزب وأعمل إلى جانب الرئيس. على كل حالٍ كم عدد الأشخاص من الغرب الذين زاروا الاتحاد السوفييتي من قبل، وناهيك عن التحدث إلى الرفيق الرئيس الذي يعلم الجميع أنه لا يتكلم كلمةً واحدةً باللغة الإنكليزية؟".

وضع هاري رأسه بين يديه، وعندما نظر إلى الأعلى حدق إلى باباكوف بازدراءٍ. كتبت الرئيسة ملاحظةً أخرى على أوراقها.

"وبمجرد انتهائك من الكتاب. لماذا لم تنشق في أول فرصةٍ؟".

"لم أكن أملك ما يكفي من المال. لقد وعدت بنيل سلفةٍ يوم النشر، ولكني اعتقلت قبل أن أتمكن من الحصول عليها".

"لكن زوجتك انشقت".

"أجل، لقد أرسلتها قبلي مع مدخرات حياتنا على أمل أن أتمكن من الانضمام إليها لاحقاً".

ذهل هاري من الطريقة التي كان يخلط فيها المدعي العام بين الحقيقة والأكاذيب، وتساءل كيف يمكنهم أن يفكروا ولو للحظةٍ أنه قد يُخدع بهذه التمثيلية.

لكن هذه كانت نقطة ضعفهم. من الواضح أنهم جميعاً انساقوا وراء قصتهم الكاذبة، لذلك قرر المشاركة في لعبتهم هذه.

أومأ برأسه كلما بدا المدعي العام يسجل نقطةً. لكنه تذكر بعد ذلك مدرس التمثيل في المدرسة وهو يوبخه في أكثر من مناسبةٍ لإفراطه في التمثيل ولذلك كبح نفسه.

سأل المدعي العام: "هل أخذت زوجتك نسخةً من

مكتبة ياسين

الكتاب معها؟".

"لا. بحلول الوقت الذي غادرت فيه لم يكن قد نشر بعد، وأياً يكن الأمر كان سيتم تفتيشها أثناء محاولتها عبور الحدود، ولو كان الكتاب بحوزتها لقبض عليها وأعيدت مباشرةً إلى موسكو".

"ولكن وبفضل الأعمال البوليسية الرائعة أوقفت واتهمت وخكم عليك قبل أن تصل نسخةٌ واحدةٌ من كتابك إلى المتاجر".

قال باباكوف وهو يحني رأسه مرةً أخرى: "أجل".

"وكيف وجدتك المحكمة عندما اتهمت بارتكاب جرائم ضد الدولة؟".

"مذنبٌ في جميع التهم".

"وحكمت عليك محكمة الشعب بالسجن مع أعمالٍ شاقةٍ عشرين عاماً".

"أجل يا سيدي. لقد كنت محظوظاً لتلقي مثل هذا الحكم المخفف على الجريمة الشنيعة التي ارتكبتها ضد الدولة".

أدرك هاري مرةً أخرى أن باباكوف كان يعلمه أن المحاكمة بأكملها وهميةٌ. ولكنه لا يزال مهماً بالنسبة إلى هاري أن يبدو كما لو أنه مخدوعٌ في هذه المسرحية.

قال المدعي العام الذي انحنى بعد ذلك وجلس: "هكذا أنهي استجوابي لهذا الشاهد أيتها الرفيقة الرئيسة".

نظرت الرئيسة إلى الشاب الجالس في الطرف الآخر من المقعد.

"هل لديك أي أسئلةٍ لهذا الشاهد؟".

نهض الشاب بغير ثباتٍ. "لا ليس لديّ أيتها الرفيقة الرئيسة. من الواضح أن السجين باباكوف عدو

مكتبة ياسين

للدولة".

شعر هاري بالأسف على الشاب الذي ربما صدق كل كلمةٍ سمعها في غرفة المحكمة ذلك الصباح. أعطى هاري إيماءةً طفيفةً لإظهار موافقته أيضاً. على الرغم من أن قلة خبرة الشاب فضحت التمثيلية. لو أنه قرأ المزيد عن تشيخوف لأدرك أن الصمت أقوى من الكلمة المنطوقة أحياناً.

قالت رئيسة المحكمة: "خذوه بعيداً".

عندما أخذ باباكوف من غرفة المحكمة، أحنى هاري رأسه كما لو أنه لم يعد يريد شيئاً له علاقةً بهذا الرجل.

قالت الرئيسة متوجهةً إلى هيئة المحلفين: "لقد كان يوماً طويلاً أيها الرفاق. بما أن يوم الاثنين هو عطلةٌ وطنيةٌ حيث سنتذكر جميعاً الرجال والنساء الشجعان الذين ضحوا بأرواحهم في حصار لينينغراد، فلن تعقد هذه المحكمة حتى صباح الثلاثاء وسألخص حينها موقف الدولة لتتمكنوا من اتخاذ قرار ما إذا كان السجين مذنباً".

أراد هاري أن يضحك. ما كان سيسمح له حتى الإدلاء بشهادته، ولكنه أدرك جيداً الآن أنها مأساةٌ وليس كوميديا، وما زال لديه دورٌ ليؤديه.

نهضت الرئيسة، وأخرجت زملاءها من غرفة المحكمة. ما إن أغلق الباب خلفهم حتى أمسك اثنان من حراس السجن هاري من ذراعيه وسحباه خارج الغرفة.

بينما كان أمامه ما يقارب أربعة أيامٍ من العزلة. كان يتطلع متحدياً لرؤية مقدار ما يمكنه أن يتذكر عن العم جو.

الفصل الثالث. بدأ يتلفظ الكلمات وهو يطردونه

مكتبة ياسين

خارج غرفة المحكمة.

"لم يصنع ستالين التاريخ فحسب، بل كان سعيداً أيضاً بإعادة كتابته، ولا يوجد مثال أفضل من الطريقة التي عامل بها عائلته. انتحرت زوجته الثانية ناديا لأنها فضلت الموت على أن تظل متزوجةً من مثل هذا الطاغية الشرير. عند سماعه بوفاتها، أمر ستالين على الفور أن يبقى انتحارها سراً من أسرار الدولة، فقد كان يخشى أن تجلب له الحقيقة العار في نظر رفاقه وأعدائه...".

فتح أحد الحراس باب الزنزانة الثقيل، ودفع زميله السجين إلى الداخل.

وعندما سقط على الأرض، أدرك هاري أنه لم يكن وحيداً في الزنزانة. نظر إلى الأعلى ورآه منحنياً في الزاوية، ويضغط بإصبعه بقوةٍ على شفتيه.

كانت أولى كلمات باباكوف: "تحدث بالإنكليزية فقط".

أومأ هاري برأسه ونظر إلى الوراء ليرى أحد الحراس يحدق عبر القضبان. كانت التمثيلية لا تزال مستمرةً.

جثم على بعد خطواتٍ قليلةٍ من باباكوف.

همس باباكوف: "يجب أن يصدقوا أنك مقتنعٌ بكل شيءٍ شاهدته للتو. إذا صدقوا فسيسمحون لك بالعودة إلى المنزل".

سأل هاري: "ولكن كيف سيساعدك ذلك؟ وخاصةً إذا اضطررت إلى التوقيع على اعترافٍ يقول بموافقتي على أنك اختلقت كل شيءٍ".

"لأنني أستطيع إخبارك كيف تحصل على نسخةٍ من العم جو من دون أن يُقبض عليك".

"هل هذا لا يزال ممكناً؟".

مكتبة ياسين

أجاب باباكوف: "أجل".

بعد الاستماع بعنايةٍ إلى الشرح الهامس لزميله الجديد في الزنزانة، ابتسم هاري وقال: "لماذا لم أفكر في هذا؟".

***

قال جريف: "أقدر أنك وجدت الوقت لرؤيتي، خاصةً وأنت في منتصف محاكمة أختك".

قال جايلز: "مستعجلةٌ ليست كلمةً تستخدمها عادةً، وبما أنك استقللت أول قطارٍ متجهٍ إلى لندن فقد افترضت أن الأمر جاد".

قال جريف: "لن يكون متاحاً للعامة لبضعة أيامٍ، ولكن أخبرني جاسوسي الخاص في مكتب حزب المحافظة المحلي أنه سيعقد اجتماعٌ للجنتهم التنفيذية هذا المساء، وهناك بندٌ واحدٌ فقط على جدول الأعمال للمطالبة باستقالة العضو".

قال جايلز بتمعنٍ: "وهذا سيعني إجراء انتخاباتٍ".

"ولهذا السبب استقللت أول قطارٍ متجهٍ إلى لندن".

"لكن الحزب لن يسمح لفيشر أبداً بالاستقالة في حين أن الحكومة متأخرةٌ جداً في استطلاع الرأي العام".

"لن يكون لديهم كثير من الخيارات إذا استمرت الصحافة في تسمية فيشر بالرائد العداء، وأنت تعلم جيداً ما ستكون عليه الحال عندما سيلمحون علائم هزيمته. بصراحةٍ لا أتوقع بقاء فيشر أكثر من بضعة أيامٍ. لذا كلما أسرعت في الرجوع إلى الدائرة الانتخابية كان ذلك أفضل".

"سأفعل، عندما تنتهي المحاكمة".

"متى يُحتمل انتهاؤها؟".

مكتبة ياسين

"عدة أيامٍ أخرى. أسبوعٌ على الأكثر".

"إن كان بإمكانك النزول في عطلة نهاية الأسبوع، ورؤيتك تتسوق في برود ميد صباح يوم السبت. اذهب وشاهد فريق روفرز وهو يلعب في فترة ما بعد الظهر، ثم احضر ماتينز في كنيسة سانت ماري في ريد كليفتون يوم الأحد، فهذا سيذكر الناس بأنك لا تزال حياً".

"إذا كان هناك انتخابات. فكيف تقيم فرصتي؟".

"في إعادة اختيارك كمرشحٍ أم في فوزك بالمقعد؟".

"كلاهما".

"لا تزال أفضل مرشحٍ على الرغم من أن عدة نساءٍ في السلطة التنفيذية يواصلن إثارة حقيقة أنك فشلت في زواجين. لكنني أعمل على ذلك، ومن المفيد أنك رفضت مكاناً في مجلس اللوردات لأنك أردت المحاربة على المقعد مرةً أخرى".

قال جايلز: "أخبرتك ذلك في منتهى الثقة".

أجاب جريف: "وأنا أخبرت جميع أعضاء اللجنة التنفيذية الستة عشر بمنتهى الثقة".

ابتسم جايلز: "وفرصتي في استعادة المقعد؟".

"إذا كان كل ما يستطيع تيد هيث الإتيان به في كل مرةٍ يحدث فيها إضراب، هو إعلان حالة الطوارئ، فإن كلب بودل يرتدي ياقةً حمراء يمكنه الفوز في الانتخابات".

"حسناً، ربما حان الوقت لأحدثك عن أخباري الأخرى".

رفع جريف حاجبيه.

"سأطلب من كارين أن تتزوجني".

توسل جريف: "أيمكن أن يحدث هذا بعد

مكتبة ياسين

الانتخابات".

مكتبة ياسين

42

اتضح أنها كانت عطلة نهاية أسبوعٍ طويلة بالنسبة إلى كل المشاركين في محاكمة التشهير.

بعد مشاوراتٍ قصيرةٍ مع السيد تريلفورد وفور تأجيل المحكمة لهذا اليوم أقل جايلز إيما إلى غلوسترشير.

"هل تفضلين البقاء في البيت الريفي خلال عطلة نهاية الأسبوع؟ سوف تعتني بك مارسدن".

قالت إيما: "إنه لطفٌ منك أن تعرض هذا، ولكن يجب أن أكون في المنزل في حال اتصل هاري".

قال جايلز بهدوءٍ: "لا أعتقد ذلك".

سألت إيما: "لماذا؟".

"زرت السيد آلان في تمام العاشرة قبل استئناف المحكمة صباح أمس، وأخبرني أن هاري حجز على رحلة مساء الجمعة الماضية لكنه لم يستقل الطائرة".

"لا بد أنهم اعتقلوه".

"أخشى ذلك".

"لماذا لم تخبرني على الفور؟".

"قبل لحظاتٍ من دخولك منبر الشهود؟ لم أعتقد أن ذلك سيكون مفيداً".

"هل لدى السيد آلان أي أخبارٍ أخرى؟".

"أخبرني أنه إن لم نسمع خبراً عن هاري بحلول صباح الاثنين فإن وزير الخارجية سيتصل بالسفير الروسي ويطلب تفسيراً".

"ما الشيء الجيد الذي سيقدمه ذلك؟".

"سيدرك أن هاري سيكون على الصفحة الأولى من كل صحيفةٍ حول العالم في اليوم التالي إن لم

مكتبة ياسين

يفرجوا عنه، وهذا اخر ما يريده الروس".

سألت إيما: "ما دام الأمر على هذا النحو، لماذا اعتقلوه في المقام الأول؟".

"إنهم يخططون لشيء ما، ولكن حتى السيد آلان لم يستطع معرفته".

لم يخبر جايلز إيما عن تجربته الأخيرة عندما حاول دخول برلين الشرقية لافتراضه أنه من غير المرجح لهاري أن يتجاوز تفتيش جوازات السفر، وأنه كان سيطرد على متن الطائرة التالية إلى هيثرو.

لم يكن منطقياً أن يحتجزوا رئيس رابطة القلم الإنكليزي من دون سببٍ وجيهٍ. حتى السوفيت لا يحبون الدعاية السيئة إن كانوا يستطيعون تجنبها. مثل السيد آلان لم يستطع فهم ما كانوا بصدد القيام به.

***

خلال عطلة نهاية الأسبوع الخالية من النوم، شغلت إيما نفسها في الرد على الرسائل والقراءة، وحتى في تلميع بعض فضيات العائلة، ولكنها لم تكن على بعد أكثر من خطواتٍ قليلةٍ عن الهاتف.

اتصل سيباستيان صباح السبت، وعندما سمعت صوته ظنت للحظةٍ، مجرد لحظةٍ، أنه كان هاري.

***

"من الممكن أن نخسر" هذا هو التعبير الذي استخدمه السيد إدوارد أثناء تشاوره مع الليدي فيرجينيا في مكتبه مساء الجمعة. نصحها في قضاء عطلة نهاية أسبوعٍ هادئةٍ بلا سهراتٍ متأخرةٍ ومن دون الإفراط في الشرب. كان عليها أن تشعر بالراحة والهدوء والاستعداد لخوض معركةٍ مع

مكتبة ياسين

تريلفورد عند صعودها إلى منبر الشهود صباح يوم الاثنين.

"فقط أكدي أنك سمحت طوال الوقت للرائد فيشر... مستشارك المحترف... بالتعامل مع أي شيءٍ له علاقةٌ بباراينغتون".

"اتركي مسافة أمانٍ دائماً" كانت هذه هي العبارة التي ظل يرددها. "لم تسمعي أبداً عن السيد دريسكول، وكانت الصدمة كبيرة عندما اكتشفت أن هاردكاسل كان يتخلص من جميع أسهمه في عطلة نهاية الأسبوع قبل اجتماع الجمعية العمومية. لقد شعرت ببساطةٍ وبصفتك مالكة أسهمٍ، أنه كان يتوجب على السيدة كليفتون أن تخبرك بالحقيقة وألا تخدعك بابتسامة مجاملةٍ.

ومهما فعلت، لا تصعدي إلى طعم تريلفورد لأنه سيحاول اصطيادك مثل سمك السلمون المرقط. اسبحي في المياه العميقة ولا تنجذبي إلى السطح لأنك إن فعلت ذلك فسيعلقك ويسحبك ببطء. أخيراً، هذا لا يعني أنه عليك الوثوق بإفراطٍ لمجرد أن الأمور سارت على ما يرامٍ بالنسبة إلينا حتى الآن. لقد رأيت كثيراً من القضايا لتي تُخسر في اليوم الأخير من المحاكمة من قبل عميلٍ اعتقد أنه كسب قضيته بالفعل. تذكري ذلك"، وكرر: "من الممكن أن نخسر".

***

أمضى سيباستيان معظم عطلة نهاية الأسبوع في البنك، محاولاً اللحاق بالمراسلات المتراكمة التي لم يرد عليها والعشرات من الاستفسارات "العاجلة" التي تركتها ريتشيل في صندوق بريده. استغرق الأمر منه العمل طوال نهار السبت فقط لينهي الرزمة الأولى.

مكتبة ياسين

رحب بالاختيار الملهم للسيد بشارة كرئيس جديد لشركة فارزينغز في المدينة بالتزكية، وهذا جعل حياة سيب أسهل بكثير. أغلق عدد قليل من الزبائن حساباتهم عندما غادر سلون، ولكن عاد عدد أكبر عندما اكتشفوا نجاحه أو أنه سيكون روس بوكانان القادم: عاملٌ ذو خبرةٍ ودهاءٍ، مرنٌ، وقد تحدثت عنه صحيفة صنداي تايمز.

اتصل سيباستيان بوالدته يوم السبت قبل الغداء مباشرةً، وحاول طمأنتها بأنه ليس هنالك ما يدعو للقلق.

"ربما لا يستطيع تجاوز الأمر. أيمكنك أن تتخيلي كيف لخدمة الهاتف الروسية أن تكون؟".

لكنه شخصياً لم يكن مقتنعاً بما قاله. كان والده قد أخبره صراحةً أنه سيعود في الوقت المناسب للمحاكمة، ولم يستطع تذكر أحد أقوال أبيه المفضلة: "هنالك عذرٌ واحدٌ فقط للتأخر عن سيدةٍ؛ وهو الموت".

تناول سيب وجبة غداءٍ سريعة مع فيك كوفمان والذي كان قلقاً على والده، ولكن لسببٍ مختلفٍ، كانت هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها مرض الزهايمر.

"لقد أصبحت أدرك بشكلٍ مؤلمٍ أن أبي أصبح رجل الفرقة الوحيد. يقرع الطبلة الكبيرة بينما يسمح لبقيتنا أحياناً بقرع الصنج. ربما حان الوقت للنظر في دمج فارزينغز وكوفمان".

لم يستطع سيب التظاهر بأن الفكرة لم تخطر في باله منذ أن أصبح نائب رئيس مجلس الإدارة، ولكن اقتراح فيك لم يكن ليأتي في وقتٍ أسوأ من هذا، فقد كانت كثيرة هي الأمور التي تشغل باله.

"لنتحدث عن ذلك بمجرد انتهاء المحاكمة". أضاف

مكتبة ياسمين

سيب: "وبالمناسبة تأكد من مراقبة سلون عن كثبٍ لأن الشائعات في المدينة تقول إنه يظهر اهتماماً شديداً بصحة والدك أيضاً".

عاد سيب إلى مكتبه بعد الساعة الثانية بقليلٍ، وواصل بقية يومه في الرد على أكداس البريد غير المقروء، لم يعد إلى المنزل إلا بعد منتصف الليل. أدخله أحد رجال الأمن إلى البنك صباح الأحد، ولكنه لم يلاحظ قبل ظهر ذلك اليوم مغلفاً قشدي اللون بعلامةٍ خاصةٍ وسرية، مع ستة طوابع جورج واشنطن ملصقة عند الزاوية اليمنى العليا. فتح المغلف وقرأ رسالةً من روزماري وولف. كيف يمكنه أن يأخذ إجازةً ويذهب إلى أميركا الآن؟ بل كيف يمكنه ألا يفعل؟!.

***

فعل جايلز ما قيل له. أمضى صباح السبت يمشي صعوداً وهبوطاً في برودميد حاملاً حقيبة تسوق ماركس أند سبنسر كبيرةً فارغةً. لقد صافح أي شخصٍ توقف للتحدث إليه عن حكومة المحافظين المروعة وعن تيد هيث الفظيع، وإن أثار أي شخصٍ موضوع الرائد فيشر، أجابه بدبلوماسية.

"أتمنى لو كنت لا تزال نائبنا".

"لو علمت، ما كنت لأصوت له".

"إنها فضيحةٌ. يجب عليه أن يستقيل". ردَ عليه جايلز بردَ جيد: "هذا قرارٌ يتخذه الرائد فيشر وحزبه، لذلك علينا فقط الانتظار والترقب".

في وقتٍ لاحقٍ، جلس في حانةٍ مزدحمةٍ وصاخبةٍ يتناول غداءه مع جريف، مع نصف لترٍ من عصير تفاح سومرست.

قال جريف: "إن استقال فيشر، وحصلت انتخابات

مكتبة ياسين

فرعية، أخبرت صحيفة بريستول إيفنينغ أن حزب العمال لن يجري مقابلاتٍ مع أي شخصٍ آخر غير العضو السابق".

قال جايلز وهو يرفع كأسه: "نخبك. كيف تمكنت من ذلك؟".

"لويت بعض الأذرع".

"لا جديد إذاً؟"

"باستثناء أنني ذكرت اللجنة أنه إذا كان المحافظون سيحصلون على اسمٍ جديدٍ على ورقة الاقتراع، فربما علينا الالتزام باسمٍ يألفه الناخبون".

"ما الذي تفعله حيال ازدياد ضوضاء الطائرات الجوية القادمة إلى فليتون؟ إنه عارٌ".

ذكر جايلز الرجل بأدبٍ وهو يتجه نحو الباب: "أنا لم أعد نائبك".

"لم أكن أعرف. متى حدث ذلك؟".

حتى جريف كان لديه رغبةٌ في الضحك. ارتدى كلاهما الأوشحة الزرقاء والبيضاء بعد أن غادرا الحانة، وشاهدا مع ستة آلافٍ من المشجعين الآخرين فريق بريستول روفرز يهزم تشيسترفيلد بفارق 3-2.

جاءت إيما إلى صالة بارينغتون لتناول العشاء مساءً، لكنها لم تكن صحبة جيدةً. فقد غادرت قبل فترةٍ طويلةٍ من تقديم مارسدن القهوة.

جلس جايلز على الكرسي المفضل لجده في قاعة الاستقبال ممسكاً كأس براندي في يدٍ وسيجاراً في اليد الأخرى. كان يفكر في كارين عندما رن الهاتف. تناول الهاتف أملاً أن يسمع صوت هاري على الطرف الآخر، ولكنه كان جريف. من غيره سيتصل به في ذلك الوقت من الليل؟ وعندما أخبره جريف بأخبار

مكتبة ياسين

فيشر شعر جايلز للمرة الأولى في حياته بالأسف تجاهه.

***

قضى السيد تريلفورد عطلة نهاية الأسبوع في التحضير لاستجواب الليدي فيرجينيا، ولم يكن أمره سهلاً. لا بد أنها تعلمت من خطأ فيشر، وأمكنه سماع إدوارد ميكبيس وهو ينصحها بالتزام الهدوء وعدم السماح له بإثارة غضبها. مهما حاول جاهداً لم يستطع أن يأتي بحيلةٍ لاختراق دفاعها.

كانت سلة المهملات ممتلئةً، والورقة أمامه فارغة. كيف يمكنه أن يبرهن أمام هيئة المحلفين أن والدة إيما كانت على حق بتشبيهها فيرجينيا بقطتها السيامية كليوباترا؟ "فكلتاهما جميلتان ومعتنى بهما جيداً، مغرورتان، ماكرتان، متلاعبتان ومتحكمتان تفترضان أن الجميع وجدوا على الأرض لخدمتهما".

أشارت الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل، وكان يتفقد الملفات التي تتضمن بعض دقائق اجتماعات مجلس إدارة بارينغتون القديم، عندما خطر له خط جديد من الاستجواب.

***

كان الرائد فيشر قد خرج من موقف سيارات كومنز بعد فترةٍ وجيزةٍ من مغادرته مجلس النواب بعد ظهر يوم الجمعة. تمنى له واحدٌ أو اثنان من زملائه التوفيق، ولكنهما لم يبدوا مقتنعين.

بينما كان يقود سيارته إلى الجزء الغربي كان يفكر في الرسالة التي سيتعين عليه كتابتها إن لم تدعمه اللجنة التنفيذية المحلية.

مكث في شقته طوال اليوم التالي لم يقلب

مكتبة ياسين

الصفحة الأولى من صحيفة الصباح، ولم يكلف نفسه عناء تناول الإفطار أو الغداء مع مرور ساعات العزلة. بدأ بفتح الزجاجات وشربها قبل أن تغمر الشمس ساحة الفناء بوقتٍ طويلٍ.

جلس أثناء المساء إلى جانب الهاتف منتظراً بفارغ الصبر سماع كيف صوتت اللجنة على اقتراح حجب الثقة. عاد إلى المطبخ، وفتح علبةً من السمك المعلب لكنه تركها على الطاولة دون لمسها. جلس في قاعة الاستقبال لمشاهدة حلقةٍ من حلقات "جيش أبي"، ولكنه لم يضحك.

التقط أخيراً نسخةً من صحيفة "فاريدي افنينغ بريستول بوست"، ونظر مرةً أخرى إلى عنوان الصفحة الأولى: **"المحافظون المحليون يقررون مصير النائب".**

الشاهد الرئيس، الصفحة الحادية عشرة.

قلب إلى الصفحة الحادية عشرة. كان هو والمحرر على علاقةٍ جيدةٍ دائماً لذا كان يأمل... لكنه لم يتجاوز العنوان: افعل الشيء الشريف أيها الرئيس. رمى الصحيفة جانباً ولم يشعل الضوء بينما اختفت الشمس خلف المبنى العالي.

رن الهاتف في العاشرة واثنتي عشرة دقيقةً. أمسك السماعة وتعرف على الفور إلى صوت الرئيس الإقليمي للحزب. "مساء الخير يا بيتر".

"مساء الخير أيها الرائد. سأقول لك الحقيقة. يؤسفني أن أخبرك أن اللجنة لم تدعمك".

"هل كانت قريبةً؟".

قال ماينارد: "لا للأسف. لقد كان بالإجماع. لذا من الحكمة أن تكتب رسالة استقالتك بدلاً من انتظار إلغاء اختيارك رسمياً من قبل اللجنة التنفيذية. إنها

مكتبة ياسين

أكثر تحضراً بهذه الطريقة ألا تعتقد ذلك؟ أنا آسف يا ألكس".

ما إن أغلق الهاتف حتى رن مرةً أخرى. لقد كان مراسلاً من صحيفة "واشنطن بوست" يسأله عما إذا أراد التعليق على القرار الذي اتخذ بالإجماع لطلب استقالته. لم يكلف نفسه عناء قول "لا تعليق" قبل أن يغلق الهاتف.

مشى ثملاً إلى مكتبه، وجلس واضعاً رأسه بين يديه يفكر حول صياغة الرسالة. أخذ ورقةً من أوراق مجلس العموم وبدأ الكتابة. عندما انتهى، انتظر حتى يجف الحبر قبل أن يطويها ويغلقها في ظرفٍ ويضعها على مكتبه. انحنى وفتح الدرج السفلي من مكتبه، وأخرج مسدس خدمته وضع فوهته في فمه وضغط على الزناد.

مكتبة ياسين

43

كانت قاعة المحكمة مزدحمةً والخصمان جاهزان. كل ما كان مطلوباً هو أن يرن الجرس لتهبط اللكمة الأولى.

جلس على جانبٍ من الحلبة السيد تريلفورد الذي كان يراجع ترتيب أسئلته للمرة الأخيرة. جلس جايلز وإيما وسيب خلفه يتحدثون بهدوءٍ للتأكد من عدم إزعاجه.

نظر جايلز عندما دخل شرطي إلى قاعة المحكمة ومشى إلى مقعد المحامي وسلم السيد تريلفورد مغلفاً. تمت كتابة كلمة "عاجل" أسفل اسمه. فتحه تريلفورد وأخرج رسالةً قرأها ببطءٍ. لم يفهم جايلز شيئاً من تعابير وجه المحامي، ولكنه تعرف إلى شعار البورتكوليس الأخضر المألوف في أعلى الورقة.

جلس السيد إدوارد مع موكلته في الجانب الآخر من الحلبة يعطي تعليماته النهائية. همس: "ابقي هادئةً وخذي وقتك قبل الإجابة عن كل سؤالٍ. لست على عجلةٍ من أمرك. واجهي هيئة المحلفين، ولا تنسي أبداً أنهم الأشخاص الوحيدون المهمون في القاعة".

صمت الحشد، ونهض الجميع عندما رن جرس الجولة الأولى ودخل الحكم الحلبة. إذا كانت السيدة لين متفاجئةً لوجود الصحافة في قاعة المحكمة صباح يوم الاثنين، فهي لم تظهر ذلك. انحنت ورد كل من في قاعة المحكمة المجاملة. بمجرد أن استقروا جميعاً في مقاعدهم مع بقاء السيد إدوارد فقط واقفاً، دعت المحامي البارز لاستدعاء شاهده الأول.

مكتبة ياسين

سارت فيرجينيا ببطءٍ نحو منبر الشهود، وبالكاد أمكن سماعها عندما أقسمت اليمين. كانت ترتدي بذلةً سوداء مفصلةً لتبرز جسدها النحيل، وتعتمر قبعةً مستديرةً سوداء بلا مجوهراتٍ والقليل من مستحضرات التجميل، ومن الواضح أنها تريد تذكير جميع الحاضرين بوفاة الرائد فيشر قبل أوانه.

لو اجتمعت هيئة المحلفين بعد ذلك وأصدروا حكمهم لكانت النتيجة بالإجماع، ولكان السيد إدوارد أسعده ذلك.

سأل السيد إدوارد وهو يسرح شعره المستعار: "هلا أخبرت المحكمة باسمك ومكان إقامتك من أجل التسجيل".

"فيرجينيا فينويك. أعيش وحدي في شقةٍ متواضعةٍ في حدائق كادوغان أس دابليو ثري".

ابتسم جايلز. اسمي الليدي فيرجينيا أليس سارة لوسيندا فينويك، الابنة الوحيدة لإيرل فينويك التاسع، لدي منازلُ في اسكتلندا وتوسكانا، وشقةٌ كبيرةٌ من ثلاثة طوابقٍ في نايتسبريدج، مع كبير خدمٍ وخادمةٍ وسائقٍ خاص، إن أردت الدقة.

"هل يمكنني تأكيد أنك كنت متزوجةً فيما مضى من السيد جايلز بارينغتون، والذي أنت مطلقةٌ منه الآن؟".

قالت فيرجينيا متوجهةً إلى هيئة المحلفين: "أجل للأسف فقد كان جايلز حب حياتي لكن لم تعتبرني عائلته جيدةً بما يكفي بالنسبة إليه".

أراد جايلز أن يخنق المرأة بسعادةٍ بينما أرادت إيما أن تقفز عالياً وتحتج. شطب السيد تريلفورد أربعةً من أسئلته المعدة جيداً.

"ولكن على الرغم من ذلك ومن كل ما مررت به ما

مكتبة ياسمين

زلت لا تحملين ضغينةً ضد السيدة كليفتون؟".

"لا، لا أفعل. في الحقيقة لقد كنت حزينة عندما تقدمت بالدعوى لأن السيدة كليفتون تتمتع بالعديد من الصفات الرائعة، وكانت بلا شك رئيسةً مرموقةً لشركةٍ عامةٍ مما يجعلها نموذجاً يحتذى به للنساء المحترفات الطموحات".

بدأ السيد تريلفورد كتابة بعض الأسئلة الجديدة.

"إذاً لم تقدمت بالدعوى؟".

"لأنها اتهمتني بمحاولة إسقاط شركة عائلتها عن عمدٍ. لا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة من هذا الادعاء. أردت ببساطةٍ أن أعرف باسم حملة الأسهم العاديين مثلي ما إذا كان أحد مديريها تخلص من كل أسهمه في عطلة نهاية الأسبوع قبل انعقاد اجتماع الجمعية العمومية لأن هذا برأيي كان ليضر الشركة بشكلٍ كبيرٍ، ولكن بدلاً من الإجابة عن سؤالي اختارت أن تستخف بي معطيةً كل شخصٍ في تلك القاعة انطباعاً بأنني لا أعرف عما أتحدث".

قال جايلز بصوتٍ خافتٍ: "كلماتٌ مثاليةٌ". وهذا جعل السيد تريلفورد يبتسم واستدار وهمس: "أتفق معك، ولكن بعد أن يقف السيد إدوارد ستعرف ما هي الأسئلة التي يجب أن تتوقعها. لن يكون لديها ورقة إجاباتٍ جاهزةٍ عندما أقوم باستجوابها".

تابع السيد إدوارد: "أنت تشيرين بالتحديد إلى رد السيدة كليفتون على السؤال الصحيح تماماً الذي أثرته في اجتماع الجمعية العمومية".

"أجل، وبدلاً من الإجابة عن هذا السؤال فقد قررت إذلالي وإفساد سمعتي أمام جمهورٍ حاشدٍ الكثير منهم أصدقائي. لم يبق لي أي خيارٍ سوى اللجوء إلى القانون".

مكتبة ياسين

"ولم تشيري في سؤالك إلى الرائد فيشر كما اقترحت السيدة كليفتون بشكلٍ خاطئٍ، وإنما إلى السيد سيدريك هاردكاسل الذي أشرت أنه باع أسهمه بالكامل خلال عطلة نهاية الأسبوع قبل اجتماع الجمعية العمومية، وبالتالي عرض الشركة إلى الخطر".

"هذا صحيحٌ يا سيد إدوارد".

همس جايلز: "هل حقاً رفرفت رموشها؟".

"وكان الراحل الرائد فيشر أحد مستشاريك الماليين؟".

"أجل، وكنت اتبع نصيحته كلما أوصاني بضرورة شراء أو بيع الأسهم. لطالما وجدته صادقاً وجديراً بالثقة ومحترفاً تماماً".

لم تستطع إيما النظر إلى هيئة المحلفين. لكن جايلز فعل ذلك ليجد ما إذا كانوا متعلقين بكل كلمةٍ تقولها فيرجينيا.

أخفض السيد إدوارد صوته مثل ممثلٍ عظيمٍ يطلب الصمت قبل إلقاء خطابه الختامي: "دعيني أسألك أخيراً أيتها الليدي فيرجينيا إن كنت نادمةً بشأن رفع دعوى التشهير هذه ضد السيدة كليفتون؟".

"أجل أنا كذلك يا سيد إدوارد. لأن الموت المأساوي وفي غير أوانه لصديقي العزيز الرائد ألكس فيشر جعل نتيجة هذه المحاكمة غير مهمةٍ. لو كنت لأنقذ حياته بسحب هذه الدعوى لكنت فعلت ذلك من دون ترددٍ".

التفتت إلى هيئة المحلفين، وأخرجت منديلاً من جيبها ومسحت دمعةً مصطنعةً.

"أنا آسفٌ لتعرضك لهذه المحنة أيتها الليدي

مكتبة ياسمين

فيرجينيا بعد وقتٍ قصيرٍ من وفاة صديقك ومستشارك الرائد فيشر. لا مزيد من الأسئلة يا سيدتي".

لو كانا لوحدهما في القاعة لهنأ تريلفورد زميله على الاستجواب الشامل الرائع. فتح ملفه ليرى الكلمات التي نصح جايلز بها مكتوبةً في أعلى الصفحة الأولى. "اجعلها تفقد أعصابها". ثم نظر في الأسفل إلى سؤاله الأول الجديد.

قال مشدداً على كلمة "ليدي": "أيتها الليدي فيرجينيا. لقد أخبرت المحكمة بإعجابك بالسيدة كليفتون، وتفانيك لأخيها السيد جايلز بارينغتون، ولكن على الرغم من ذلك لم تقومي بدعوة فردٍ واحد من عائلة بارينغتون أو عائلة كليفتون لحضور حفل زفافك من السيد جايلز".

"كان هذا قراراً مشتركاً يا سيد تريلفورد. شعر جايلز حيال ذلك كما شعرت بالضبط".

"إذا كان هذا هو الحال يا سيدة فيرجينيا فربما يمكنك شرح كلمات والدك في وقت الزفاف المسجلة في ديلي إكسبريس بواسطة ويليام هيكي: "كانت ابنتي مستعدةً لإلغاء الأمر بأكمله لو لم يوافق جايلز على مطالبها"".

"إنها النميمة والثرثرة المكتوبة لبيع الصحف يا سيد تريلفورد. بصراحةٍ أنا مندهشةٌ لحاجتك للجوء إلى مثل هذه التكتيكات".

لم يستطع السيد إدوارد مقاومة الابتسامة. رأت موكلته ذلك بوضوح.

قال تريلفورد وهو يتقدم بسرعةٍ: "وبعد ذلك في شهادتك ألقيت اللوم على السيدة كليفتون لطلاقك".

مكتبة ياسمين

قالت فيرجينيا: "يمكنها أن تكون امرأةً حازمةً للغاية، وأنا متأكدةٌ أنك اكتشفت ذلك بنفسك".

"لكن من المؤكد أن طلاقك لم يكن له علاقةٌ بالسيدة كليفتون، بل كان بسبب الخلافات بينك وبين زوجك حول حرمانه من وصية والدته؟".

"هذا ليس صحيحاً يا سيد تريلفورد لم يثر ميراث جايلز اهتمامي أبداً. لقد تزوجت منه في الغنى والفقر، وبصراحةٍ، وأنت من ذكر، أنني كنت أغنى منه".

تسبب هذا في موجة من الضحك في المحكمة مما دفع القاضية إلى التجهم بهم من مقعدها.

"إذاً لست أنت من أصر على إصدار السيد جايلز أمراً قضائياً ضد أخته مشككاً في صحة وصية والدته؟ أم كان ذلك قراراً مشتركاً آخر؟".

"لا، كان هذا قرار جايلز. أعتقد أنني نصحته بعدم القيام بذلك حينها".

"ربما ترغبين في إعادة النظر في هذه الإجابة أيتها الليدي فيرجينيا، إذ يمكنني استدعاء السيد جايلز كشاهدٍ وأطلب منه تصحيح السجل".

"حسناً أعترف أنني شعرت أن جايلز قد عومل بشكلٍ رديءٍ من قبل عائلته، وأنه كان له الحق على الأقل في التشكيك في صحة وصية والدته، التي أعيدت كتابتها عندما كانت السيدة المسكينة في المستشفى، قبل أيامٍ فقط من وفاتها".

"وماذا كان قرار المحكمة في تلك المناسبة؟".

"لصالح السيدة كليفتون".

"لا، لم يفعل ذلك أيتها الليدي فيرجينيا. لدي حكم السيد القاضي كاميرون في يدي، وقد حكم أن الوصية صحيحةً، وأن والدة السيدة كليفتون كانت

مكتبة ياسمين

بكامل وعيها عندما أنجزتها. وهو أمرٌ مهم بشكلٍ خاص، ومع الأخذ بعين الاعتبار ما قالته عنك في ذلك الوقت".

نهض السيد إدوارد مسرعاً.

قالت القاضية بحدةٍ قبل أن يتمكن السيد إدوارد من إبداء رأيه: "لقد سلكنا بالفعل هذا الطريق ووصلنا إلى طريقٍ مسدودٍ. هل أوضحت فكرتي يا سيد تريلفورد؟".

"أعتذر يا سيدتي. هل لديك أي اعتراضٍ على سؤالي لليدي فيرجينيا ما إذا كان بإمكاني قراءة...".

قالت بحدةٍ: "أجل لديّ يا سيد تريلفورد. تخطَ ذلك".

نظر تريلفورد إلى هيئة المحلفين. كما اتضح من نظرات وجوههم أنهم تجاهلوا تعليمات القاضية بعدم قراءة أي تقاريرٍ صحفيةٍ عن القضية ولا بد أنهم على درايةٍ برأي والدة السيدة كليفتون عن الليدي فيرجينيا، وكان سعيداً بتلبية رغبات القاضية والمضي قدماً.

"هل تعلمين أيتها الليدي فيرجينيا أنه على الرغم من حكم القاضي المستنير لصالح السيدة كليفتون وشقيقتها الدكتورة غريس بارينغتون فقد وافقا على أن شقيقهما يمكنه الاستمرار في العيش في منزل عائلته في جلوسيسترشاير، وكذلك في منزل لندن في سميث سكوير بينما استمرت السيدة كليفتون وزوجها في الإقامة في منزلهما الأكثر تواضعاً؟".

"ليس لديّ أي فكرةٍ عما كانت ترتيبات جايلز السكنية بعد أن طلقته بتهمة الخيانة. ناهيك عما كانت السيدة كليفتون تنوي فعله".

مكتبة ياسين

كرر السيد تريلفورد: "لم يكن لديك فكرة عما كانت السيدة كليفتون تنوي فعله، على أي حال، أيتها الليدي فيرجينيا. يبدو أنك تملكين إما ذاكرةً ضعيفةً أو ذاكرةً انتقائيةً للغاية لأنك أخبرت هيئة المحلفين منذ لحظاتٍ قليلةٍ عن شدة إعجابك بالسيدة كليفتون. اسمحي لي أن أذكرك بكلماتك بدقةٍ". عاد ببطءٍ إلى صفحةٍ من ملفه. "تتمتع إيما بالعديد من الصفات الرائعة، وكانت بلا شك رئيسةً مرموقةً لشركةٍ عامةٍ ما يجعلها نموذجاً يُحتذى به للنساء المحترفات الطموحات". لم يكن هذا رأيك دائماً أليس كذلك أيتها الليدي؟".

"لم يتغير رأيي في السيدة كليفتون، وأنا متمسكةٌ بما قلته".

"هل اشتريت سبعةً ونصف في المئة من أسهم بارينغتون؟".

"فعل الرائد فيشر ذلك نيابةً عني".

"لأي غرضٍ؟".

"كاستثمارٍ طويل الأمد".

"وليس لأنك أردت شغل مقعدٍ في مجلس إدارة الشركة؟".

"لا. كما تعلم جيداً فقد مثل الرائد فيشر أسهمي في مجلس الإدارة".

"لم يفعل ذلك في عام 1958 لأنك حضرت وقتها اجتماعاً عاماً غير عادي لبارينغتون في بريستول للمطالبة بحقك في الجلوس في مجلس الإدارة والتصويت على من يجب أن يكون رئيس مجلس الإدارة التالي للشركة. ومن أجل التوثيق أيتها الليدي، لمن صوتت؟".

"صوتت للرائد فيشر".

مكتبة ياسين

"أتقصدين أنك صوتت ضد السيدة كليفتون؟".

"بالتأكيد لا. استمعت إلى كل من عرضيهما بعنايةٍ شديدةٍ وصوتت لصالح الرائد فيشر بدلاً من السيدة كليفتون".

"حسناً إذاً من الواضح أنك نسيت ما قلته في تلك المناسبة، ولكن كما تم تسجيله في محضر الاجتماع اسمحي لي بتذكيرك. "لا أعتقد أن النساء وضعت على الأرض لرئاسة المجالس وتولي قيادة النقابات العمالية أو بناء سفنٍ فاخرةٍ أو لتجمع مبالغ طائلة من المصارف في مدينة لندن. إنه بالكاد تأييدٌ ضئيلٌ لامرأةٍ محترفةٍ".

"ربما عليك أن تستمر في القراءة يا سيد تريلفورد، وألا تكون انتقائياً في اقتباساتك".

نظر تريلفورد أسفل الفقرة التي شدد عليها، وتردد.

أومأت له القاضية لين: "أود أن أسمع ما قالته الليدي فيرجينيا أيضاً في تلك المناسبة".

قال السيد إدوارد بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليسمعه كل من في المحكمة: "وأنا أود ذلك".

قرأ تريلفورد على مضضٍ السطور التالية. "سأدعم الرائد فيشر، وآمل فقط أن تقبل السيدة كليفتون العرض السخي من الرائد لكي تكون نائبته". نظر السيد تريلفورد إلى الأعلى.

أصرت الليدي فيرجينيا: "استمر من فضلك يا سيد تريلفورد".

"أتيت بعقلٍ متفتحٍ على استعدادٍ لقبولها رغم شكوكي لكنها للأسف لم ترق إلى مستوى توقعاتي".

قالت فيرجينيا: "أعتقد أنك ستجد نفسك يا سيد تريلفورد من يمتلك ذاكرةً ضعيفةً أو انتقائيةً للغاية وليس أنا".

مكتبة ياسين

صفق السيد إدوارد رغم أن يديه لم تتلامسا في الواقع.

غيّر السيد تريلفورد الموضوع بسرعةٍ. "هل ننتقل إلى كلمات السيدة كليفتون التي تدعين أنها تشهيريةٌ وتقلل من شأنك؟".

"أنا سعيدةٌ جداً للقيام بذلك".

تابع تريلفورد كما لو أنه لم يقاطع: "إذا كان هدفك إسقاط الشركة أيتها الليدي فيرجينيا إذاً... لقد فشلت فشلاً ذريعاً لأنك هزمت على يد ناسٍ عاديين شرفاء يريدون نجاح هذه الشركة". الآن لقد اعترف الرائد فيشر أنه أجرى صفقاته في أسهم بارينغتون لمجرد كسب المال، والذي يعتبر أمراً غير قانوني في قضيته...". قالت الليدي فيرجينيا: "في قضيته وليس في قضيتي. في قضيتي كان يتصرف ببساطةٍ نيابةً عني، وكل ما أعرفه أنه كان يعطي النصيحة ذاتها للعديد من العملاء الآخرين".

"إذاً لم يكن الرائد فيشر صديقاً مقرباً يعلمك بما يحدث في مجلس إدارة بارينغتون، وكان مجرد مستشارٍ محترفٍ؟".

"حتى لو كنا صديقين يا سيد تريلفورد، ولكن عندما تعلق الأمر بشؤون العمل فإن كل ما فعله نيابةً عني أجري عن بعد".

"أود أن أقترح أيتها الليدي فيرجينيا أنه عندما تعلق الأمر بشؤون العمل ورغم إجرائها عن بعد فقد كان عملياً إلى حد كبيرٍ، وكما اقترحت السيدة كليفتون فقد خططتما لثلاث مناسباتٍ منفصلةٍ في محاولة إسقاط الشركة".

"أعتقد يا سيد تريلفورد أنك تخلط بيني وبين السيد سيدريك هاردكاسل مدير الشركة، والذي باع كل أسهمه خلال عطلة نهاية الأسبوع قبل انعقاد

مكتبة ياسين

اجتماع الجمعية العمومية. عندما سألت السيدة كليفتون سؤالاً مشروعاً تماماً حول من كان هذا المدير بدت وكأنها تناست اسمه بسهولةٍ. شخص أخرَ يمتلك ذاكرةً ضعيفةً أو انتقائيةً للغاية".

كانت ابتسامة السيد إدوارد تزداد مع مرور الوقت بينما كانت تقل ثقة تريلفورد شيئاً فشيئاً. قلب بسرعةٍ صفحةً أخرى.

"نحن جميعاً نأسف للموت المأساوي للرائد فيشر...".

قالت فيرجينيا: "أنا أف بالتأكيد. كما قلت سابقاً، وأنا واثقةٌ أنك سجلت كلماتي بدقةٍ يا سيد تريلفورد، إنني لم أكن لأفكر أبداً في التقدم بدعوى لو علمت للحظةٍ أنه قد يتسبب في الوفاة المأساوية والسابقة لأوانها لصديقي العزيز".

"بالفعل أنا أتذكر كلماتك أيتها الليدي فيرجينيا، ولكني أتساءل ما إذا لاحظت قبل بدء المحاكمة هذا الصباح دخول رجل شرطةٍ إلى هذه المحكمة وتسليمي رسالةً؟".

تقدم السيد إدوارد إلى الأمام في مقعده مستعداً للهجوم.

"هل ستدهشين لمعرفة أنها موجهةٌ إليّ وأنها من صديقك العزيز الرائد فيشر؟".

إذا أراد السيد تريلفورد الاستمرار في الحديث فإن كلماته ستتلاشى بسبب نشاز الضجيج الذي انتشر في قاعة المحكمة. فقط القاضي وهيئة المحلفين ظلوا هادئين. انتظر أن يعم الصمت تماماً قبل أن يتابع.

"ليدي فيرجينيا، هل تريدين أن أقرأ للمحكمة آخر الكلمات التي كتبها صديقك العزيز الرائد فيشر قبل

مكتبة ياسين

لحظاتٍ من وفاته؟".

انتفض السيد إدوارد. "لم أر هذه الرسالة في حزمة الأدلة يا سيدتي، وبالتالي ليس لديّ أدنى فكرة عما إذا كانت مقبولةً أو حتى جديرةً بالثقة".

قال تريلفورد ملوحاً بالظرف أمام هيئة المحلفين: "بقعة الدم على المغلف تشير إلى مصداقيته يا سيدتي".

قالت القاضية: "لم أر الرسالة أيضاً يا سيد إدوارد. لذا فهي بالتأكيد غير مقبولة كدليل حتى أصرح بذلك".

كان تريلفورد سعيداً جداً لاستمرارهم في مناقشة التفاصيل القانونية الدقيقة فيما يتعلق بما إذا كانت الرسالة مقبولةً أم لا، مدركاً أنه أوضح وجهة نظره دون الحاجة إلى تقديم أي دليلٍ.

درس جايلز التعبير الغامض على وجه تريلفورد، ولم يكن متأكداً إذا كان محامي إيما يريد أن يقرأ الخطاب في المحكمة، ولكن بعد ما بدأ كصباحٍ منتصرٍ لليدي فيرجينيا عاد مرةً أخرى لزرع بذرة الشك في أذهان هيئة المحلفين. كانت نظرات جميع من في المحكمة تجاهه.

وضع السيد تريلفورد المغلف في الجيب الداخلي لسترته. ابتسم للقاضية وقال: "لا مزيد من الأسئلة يا سيدتي".

مكتبة ياسين

44

عندما فتح باب الزنزانة صباح الثلاثاء تقدم حارسان ليجدا هاري وباباكوف جالسين على الأرض في زاويتين متقابلتين من الزنزانة لا يتحدثان.

أمسكا باباكوف وأثناء سحبه خارج الزنزانة أحنى هاري رأسه كما لو أنه لم يرد فعل شيءٍ مع الرجل. بعد لحظةِ ظهر حارسان آخران يسيران برويةٍ أكثر. رغم أنهما أخذا هاري بحزمٍ من ذراعيه إلا أنهما لم يصدماه أو يدفعاه أو يسحباه خارج الزنزانة ما جعله يتساءل عما إذا كانت خطة باباكوف قد نجحت. مع ذلك فإن الحارسان لم يتركا هاري وهما يصعدان الدرج وعلى طول الممر وفي غرفة المحكمة كما لو كانا يخشيان أن يحاول الهروب منهما. لكن إلى أين سيهرب، وإلى أي مدى تخيلا أنه سيصل؟ أصر هاري على أن ينام باباكوف على الفراش الوحيد الرقيق في زنزانتهما الضيقة، ولكن الروسي رفض موضحاً أنه لا يستطيع التعود على هذه الرفاهية عند عودته إلى أرضيةِ حجريةٍ في سيبيريا ليلة الثلاثاء. كان النوم على القش المبعثر على الأرض رفاهيةً كافيةً لقضاء عطلة نهاية أسبوعٍ واحدةٍ. في الحقيقة لم ينم أي منهما لأي مدةٍ من الوقت مما أعاد ذكريات هاري عن أيامه خلف خطوط العدو. بحلول الوقت الذي جاء فيه الحراس لأخذهما صباح الثلاثاء كانا مرهقين عقلياً وجسدياً، حيث أنهما استغلا كل ساعةٍ متاحةٍ للتحدي الذي وضعا نفسيهما فيه.

عندما رافق الحارسان هاري إلى المحكمة فوجئ لوجود المدعي العام وهيئة المحلفين في أماكنهم مسبقاً. لم يكن لديه الوقت الكافي لالتقاط أنفاسه قبل أن يفتح الباب الخلفي من الغرفة ودخل القضاة

مكتبة ياسين

الثلاثة وعادوا إلى مقاعدهم على المنصة المرتفعة.

مرةً أخرى، لم تلق رئيسة المحكمة حتى نظرةً واحدةً نحو هاري بل توجهت على الفور إلى هيئة المحلفين. فتحت ملفاً أمامها وبدأت ما افترضه هاري تلخيصها. تحدثت فقط لبضع دقائقٍ ونادراً ما رفعت رأسها عن النص. لم يستطع هاري إلا التساؤل عمن كتبه ومتى.

"أيها الرفاق لقد سمعتم كل الأدلة، وكان لديكم أكثر من الوقت الكافي للنظر في حكمكم. هل هناك أي شك في أن السجين مذنبٌ بالجرائم المنسوبة إليه، وأنه يستحق الحكم عليه بالسجن مدةً طويلةً؟ سيكون من المهم أن تعلم هيئة المحلفين أنها ليست تجربة السجين الأولى في السجن. لقد قضى بالفعل عقوبةً بتهمة القتل في الولايات المتحدة، ولكن لا تدعوا ذلك يؤثر عليكم لأنكم أنتم وحدكم يجب أن تقرروا إن كان مذنباً".

أعجب هاري بحقيقة أن القاضيين الآخرين كانا قادرين على الحفاظ على تعابير وجهيهما بينما استمرت في قراءة البيان المعد مسبقاً.

"أيها الرفاق اسمحوا لي أولاً أن أسألكم إذا كنتم بحاجةٍ إلى التوقف مؤقتاً للنظر في حكمكم؟".

وقف رجلٌ جالسٌ في الطرف الأيمن من الصف الأمامي، ويبدو كما لو أنه ممثلٌ بديلٌ ممسكاً بنصه: "لا أيتها الرفيقة الرئيسة".

"هل توصلتم إلى حكمٍ؟".

"أجل فعلنا أيتها الرفيقة الرئيسة".

"وهل هذا الحكم بالإجماع؟".

"أجل إنه كذلك أيتها الرفيقة الرئيسة".

"وما هو حكمكم؟".

مكتبة ياسين

التقط كل عضوٍ من أعضاء لجنة التحكيم الاثني عشر قطعةً من الورق من كرسيه ورفعها عالياً في الهواء كاشفاً عن كلمة "مذنب".

أراد هاري الإشارة إلى أنه كانت هناك قطعةٌ واحدةٌ فقط من الورق على كل كرسي، ولكنه وكما نصح أناتولي أظهر نفسه معذباً عندما استدارت الرفيقة الرئيسة لمواجهته المرة الأولى.

صرحت: "وجدت هيئة المحلفين بالإجماع أنك مذنبٌ بارتكابك جريمةً مع سبق الإصرار ضد الدولة، ولذلك لن أتردد في الحكم عليك لمدة اثني عشر عاماً في معسكر الأعمال الشاقة حيث يمكنك مشاركة الزنزانةِ مرةً أخرى مع صديقك المجرم باباكوف". أغلقت ملفها، وتوقفت مؤقتاً لبعض الوقت قبل أن تضيف: "ومع ذلك كما أوصى الكولونيل مارينكين سأعرض عليك فرصةً أخيرةً للتوقيع على تصريحٍ تعترف فيه بجريمتك والخطأ الفادح الذي ارتكبته. في حال قيامك بذلك سيتم تعليق عقوبتك وتسليمك ولن يسمح لك أبداً بزيارة الاتحاد السوفييتي. إذا حاولت القيام بذلك في أي وقتٍ فستنفذ عقوبتك فوراً".

قالت بعد وقفةٍ قصيرةٍ: "هل أنت مستعد لتوقيع تصريحٍ؟".

أحنى هاري رأسه وقال بهدوءٍ شديدٍ: "أجل أنا كذلك".

أظهر القضاة الثلاث لأول مرةٍ تعبير الانذهال.

لم تستطع الرئيسة إخفاء ارتياحها، وكشفت دون قصدٍ ما كان يريده أسيادها دائماً.

قالت: "حسناً يمكنك الاقتراب من المنصة".

وقف هاري وتوجه نحو القضاة الثلاثة. عرضت

مكتبة ياسين

عليه نسختان من التصريحات، نسخةٌ باللغة الروسية وأخرى باللغة الإنكليزية، وقرأ كلتيهما بعنايةٍ.

"سوف تقرأ الآن تصريحك أمام المحكمة".

قرأ هاري النسخة الروسية أولاً مما أظهر ابتسامةً على شفاه الرفيقة الرئيسة. ثم التقط النسخة الإنكليزية وبدأ تلاوتها. تساءل من النظرة الخالية من التعابير التي تلقتها عما إذا كان هناك أي شخصٍ في غرفة المحكمة فهم كلمةً من الإنكليزية. قرر المخاطرة وتغيير الكلمة المصيرية ورؤية ردّ فعلهم.

"أنا هاري كليفتون مواطنٌ من الولايات المتحدة، ورئيس رابطة القلم قد وقعت *قسراً وبإكراهٍ* هذا *الالتباس*. أمضيت *السنوات* الثلاث الماضية مع أناتولي باباكوف الذي أوضح لي *أنه عمل* في الكرملين والتقى بالرفيق الرئيس ستالين في عدة *مناسباتٍ بما في ذلك* عندما حصل على درجته العلمية. وقد اعترف باباكوف أن الكتاب الذي كتبه عن الرفيق الرئيس ستالين حقيقي وليس من نسج خياله.

سأستمر في المطالبة بإطلاق سراح باباكوف من السجن خاصةً بعد أن رأيت المدى الذي وصلت إليه *هذه المحكمة* لخداع الجمهور بهذا الاحتيال. إنني في غاية الامتنان للمحكمة على ما قدمته في هذه المحاكمة، وللسماح لي بالعودة إلى بلدي".

سلمته الرئيسة قلماً وكان على وشك التوقيع على النسختين عندما قرر المجازفة ثانيةً.

***

قالت السيدة لين: "أعضاء هيئة المحلفين... يقع على عاتقي الآن تلخيص ما كان حالةً معقدةً. بعض الحقائق غير قابلةٍ للنقاش. لا تنكر السيدة كليفتون

مكتبة ياسين

عندما ترأست الاجتماع العام السنوي لشركة عائلتها أنها قدمت الإجابة التالية على سؤال الليدي فيرجينيا فينويك والذي سجّل لاحقاً في محضر الاجتماع: إذا كان هدفك إسقاط الشركة يا سيدة فيرجينيا إذاً... لقد فشلت فشلاً ذريعاً لأنك هُزمت على أيدي ناس عاديين شرفاء يريدون نجاح هذه الشركة.

شهدت المدعى عليها السيدة كليفتون بأنها تعتقد أن كلماتها مبررةٌ بينما شهدت المدعية الليدي فيرجينيا فينويك أنها تشهيرٌ. ما إذا كان أم لم يكن، هو سبب هذه المحاكمة، والقرار النهائي يعود لكم.

يمكنني اقتراح أن أكبر تحد لكم هو إصدار حكمٍ بشأن المرأتين المرتبطتين في هذه القضية. لقد رأيتم كلاً منهما في منبر الشهود، وأظن أنكم كونتم رأيكم الخاص الذي تعتبرونه أكثر مصداقيةً. لا تسمحوا لأنفسكم بالتأثر في حقيقة أن السيدة كليفتون رئيسة مجلس إدارة شركةٍ عامةٍ، وبالتالي ينبغي منحها بعض الحرية عند الإجابة على سؤالٍ من شخصٍ تعتبره معادياً. ما يجب أن تقرروه هو ما إذا شهّرت بالليدي فيرجينيا أم لا.

وبالمقابل لا ينبغي أن تشعروا بالرهبة من حقيقة أن الليدي فيرجينيا هي ابنة إيرل. يجب ألا تعاملوها بطريقةٍ مختلفةٍ عما تعاملون به جاركم.

عندما تغادرون إلى غرفة المحلفين للنظر في حكمكم خذوا وقتكم. لست في عجلةٍ من أمري. ولا تنسوا أن القرار الذي توشكون على اتخاذه سيؤثر على هاتين المرأتين لبقية حياتهما.

لكن أولاً يجب عليكم اختيار متحدث رسمي يعمل كرئيس. وعندما تصلون إلى حكمكم يرجى إخبار محضر هيئة المحلفين عن رغبتكم في العودة إلى

مكتبة ياسمين

المحكمة حتى أتمكن من إبلاغ جميع المرتبطين بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشرٍ في هذه القضية للعودة والاستماع إلى قراركم. سأطلب الآن من حاجب المحكمة مرافقتكم إلى غرفة هيئة المحلفين لتتمكنوا من بدء مشاوراتكم".

تقدم إلى الأمام رجلٌ طويل القامة يرتدي ملابس أنيقةً مع هندامٍ عسكريٍ يبدو كثوب مدير مدرسةٍ، وقاد الرجال السبعة والنساء الخمس من هيئة المحلفين خارج قاعة المحكمة. بعد لحظاتٍ، نهضت القاضية من مكانها انحنت للمحكمة وعادت إلى غرفتها.

سألت إيما: "ما رأيك في التلخيص؟".

أكد لها السيد تريلفورد: "محسوبٌ وعادلٌ. ليس هناك ما يدعوك للقلق".

سأل جايلز: "وكم من الوقت تعتقد أنهم سيستغرقون للوصول إلى قرارٍ؟".

"يستحيل توقع ذلك. إذا كانوا جميعاً متفقين وهذا غير مرجحٍ أبداً... ليس أكثر من ساعتين، وإذا كانوا منقسمين فقد يستغرق الأمر يومين".

سأل سيباستيان ببراءةٍ: "هل يمكنني قراءة الرسالة التي أرسلها الرائد فيشر إليك؟".

قال تريلفورد دافعاً المغلف بعمقٍ في جيب سترته الداخلي: "لا، لا يمكنك يا سيد كليفتون، ولا يمكن لأي شخصٍ أخر حتى تسمح لي السيدة القاضية لين بالكشف عن مضمونه. لا أستطيع ولن أعارض الرغبات الصريحة للقاضية". وقال لسيب مبتسماً: "رغم أنها محاولةٌ جيدةٌ".

***

سألت فيرجينيا وهي جالسةٌ مع محاميها في

مكتبة ياسمين

الجانب الآخر من قاعة المحكمة: "كم من الوقت يجب أن نتوقع الانتظار؟".

قال السيد إدوارد: "ليس لدي أدنى فكرة، وإذا كنت لأخاطر بتخمينٍ فسأقول يوماً وربما يومين".

"ولماذا وجّه الرائد فيشر رسالته الأخيرة إلى تريلفورد وليس إليك؟".

"لم أتمكن من فهم ذلك. ولكنني أعترف بأنني في حيرةٍ لعدم إصرار تريلفورد على القاضية بقوةٍ أكبر للسماح له بقراءة الرسالة إلى هيئة المحلفين إذا كان من المحتمل جداً أن يفيد موكلته".

"ربما كان يخادع؟".

"وربما خداعٌ مزدوج".

سألت فيرجينيا: "هل أنا بمأمنٍ لأخذ إجازةٍ لبضع ساعاتٍ؟ هناك شيءٌ عليّ فعله".

"لماذا لا؟ لا أرى عودة هيئة المحلفين قبل ظهر هذا اليوم".

مكتبة ياسين

45

لم يتوقع هاري أن تقله سيارةُ يقودها سائقٌ إلى المطار بل وتفاجأ أكثر عندما رأى من هو السائق.

قال الكولونيل مارينكين: "أريد فقط التأكد من صعودك الطائرة".

قال هاري متناسياً الاستمرار في الشخصية التي يمثلها: "هذا لطف منك أيها الكولونيل".

"لا تتذاكى عليّ يا سيد كليفتون. محطة سكة الحديد أقرب من المطار، ولم يفت الأوان بعد للانضمام إلى باباكوف في رحلةٍ لن يكون لها تذكرة عودةٍ لمدة اثني عشر عاماً أخرى".

قال هاري محاولاً التصالح: "لكنني وقعت على التصريح".

"وأعلم أنك ستكون سعيداً لسماع أنه أصدر بالفعل لكل صحيفةٍ رائدةٍ في الغرب من صحيفة نيويورك تايمز إلى صحيفة الغاردين. سيكون قد وصل إلى معظم صفحاتهم الأولى قبل أن تحط في مطار هيثرو لذلك حتى لو حاولت إنكاره...".

"يمكنني أن أؤكد لك أيها الكولونيل أنه على عكس القديس بطرس فلن تكون هناك حاجةٌ لأنكر أي شيءٍ. لقد رأيت باباكوف على حقيقته، وأياً يكن الأمر فإن كلمة الرجل الإنكليزي هي كفالته".

قال الكولونيل وهو يقود بسرعة على الطريق السريع: "يسرني سماع ذلك". في غضون ثوانٍ كان المؤشر يلمس مئة ميل في الساعة. تمسك هاري بلوحة القيادة بينما كان الكولونيل يدخل ويخرج من حركة المرور، وكان هاري خائفاً حقاً للمرة الأولى منذ أن وطأت قدمه روسيا. أثناء عبورهما متحف الأرميتاج لم يستطع الكولونيل مقاومة السؤال:

مكتبة ياسين

"هل زرت متحف الأرميتاج قبلاً يا سيد كليفتون؟".

قال هاري: "لا، ولكني لطالما رغبت بذلك".

قال الكولونيل متجاوزاً شاحنتين: "مؤسفٌ. لأنه لن يتاح لك ذلك أبداً".

بدأ هاري في الاسترخاء فقط عندما ظهرت صالة المطار في الأفق وتباطأ الكولونيل إلى الستين. كان يأمل أن تقلع طائرته قبل أن تصل النسخ الأولى إلى الشوارع، وإلا فقد يستقل ذلك القطار المتجه إلى سيبيريا، وبما أنه لم يكن يأمل في اجتياز الجمارك لبضع ساعاتٍ على الأقل فقد يكون الأمر قريباً.

انحرفت السيارة عن الطريق فجأةً عبر بوابةٍ فتحت من قبل اثنين من الحراس وانطلقت نحو مدرج المطار. راوغ الكولونيل داخل وخارج المدرج بالطريقة نفسها التي تعامل بها مع السيارات على الطريق السريع.

صرخ متوقفاً عند أسفل درج الطائرة حيث استعد حارسان كان من الواضح أنهما ينتظرانه وألقيا التحية حتى قبل أن يخرج من السيارة.

خرج مارينكين مسرعاً، وتبعه هاري.

قال الكولونيل: "لا تدعني أؤخرك. فقط تأكد من عدم عودتك لأنك إن فعلت ذلك فسأكون أسفل الدرج في انتظارك". ولم يتصافحا.

صعد هاري السلم بأسرع ما يمكن مدركاً أنه لن يشعر بالأمان حتى تقلع الطائرة. عندما وصل إلى أعلى درجةٍ تقدم كبير المضيفين وقال: "مرحباً بك على متن الطائرة يا سيد كليفتون. دعني آخذك إلى مقعدك".

من الواضح أنه كان متوقعاً. قاده المضيف إلى الصف الخلفي في الدرجة الأولى، وشعر هاري

مكتبة ياسين

بالارتياح عندما وجد المقعد المجاور له فارغاً. لم يكد يجلس حتى أغلق باب الطائرة ووضع حزام الأمان. مازال غير مستعد تماماً لتنفس الصعداء.

سأل المضيف: "هل هناك أي شيءٍ يمكنني أن أجلبه لك بمجرد إقلاعنا يا سيد كليفتون؟".

"كم تستغرق رحلة الطيران؟".

"خمس ساعاتٍ ونصف بما في ذلك التوقف في ستوكهولم".

"قهوةٌ سوداءُ ثقيلةٌ بدون سكرٍ، وقلمان، وبقدر ما يمكنك توفيره من ورق الكتابة. وهل يمكنك إخباري في اللحظة التي لا نعود فيها في المجال الجوي الروسي؟".

قال المضيف كما لو أنه يتلقى هذا النوع من الطلبات كل يومٍ: "بالطبع يا سيدي".

أغمض هاري عينيه وحاول التركيز عندما بدأت الطائرة في التحرك إلى أقصى نهاية المدرج استعداداً للإقلاع. أوضح له أناتولي أنه حفظ الكتاب عن ظهر قلبٍ، وأمضى الستة عشر عاماً الماضية في إعادته مراراً وتكراراً على أمل أن يفرج عنه يوماً ما وعندها يمكنه نشره.

بمجرد أن أقفل حزام الأمان عاد المضيف وسلم هاري اثنتي عشرة ورقةً وقلم حبرٍ جاف.

قال هاري: "أخشى ألا يكون هذا كافياً للفصل الأول. هل يمكنك الاستمرار في تقديم الخدمة بشكلٍ منتظمٍ؟".

قال المضيف: "سأبذل قصارى جهدي. وهل تأمل في النوم بضع ساعاتٍ أثناء الرحلة؟".

"ليس إن أمكنني تجنب ذلك".

"حسناً، هل لي أن أقترح عليك ترك ضوء القراءة

مكتبة ياسين

الصغير مضاءً حيث يمكنك الاستمرار في العمل عندما تكون أضواء المقصورة خافتةً".

"شكراً لك".

"هل ترغب في رؤية قائمة طعام الدرجة الأولى يا سيدي؟".

"فقط إن أمكنني الكتابة على ظهرها".

"كوكتيل ربما؟".

"لا سأكتفي بالقهوة شكراً لك. ويمكنني أن أقول شيئاً سيبدو وقحاً بشكلٍ لا يصدق لكني أؤكد لك أنه بغير قصدٍ".

"تفضل يا سيدي".

"هل يمكنك ألا تتحدث معي مرةً أخرى حتى نحط في ستوكهولم".

"كما تريد يا سيدي".

"عدا عن إخباري عندما لا نعود في المجال الجوي الروسي". أومأ رئيس المضيفين برأسه. فقال هاري: "شكراً لك"، والتقط قلماً وبدأ الكتابة.

' قابلت جوزيف ستالين أول مرةٍ عندما تخرجت من معهد اللغات الأجنبية عام 1941. كنت على الحزام الذي يصطف عليه الخريجون للحصول على شهاداتهم، ولو أخبرتني حينها أنني سأقضي الثلاثة عشر عاماً القادمة في العمل مع وحشٍ جعل من هتلر يبدو كأنه من دعاة السلام لما كنت صدقت أن ذلك حقيقي. لكني لا ألوم سوى نفسي لأنه لم يكن ليعرض عليَ وظيفةً في الكرملين لولا تصدري المرتبة الأولى على صفي وحصولي على ميدالية لينين. لو جئت في المرتبة الثانية لالتحقت بزوجتي يلينا ودرست اللغة الإنكليزية في مدرسةِ حكوميةٍ، ولما كنت حتى هامشاً في التاريخ'.

مكتبة ياسين

توقف هاري مؤقتاً محاولاً تذكر فقرةٍ بدأت بـ 'خلال الأشهر الستة الأولى...'.

'خلال الأشهر الستة الأولى، عملت في مكتبٍ صغيرٍ في أحد المباني الخارجية العديدة داخل الجدار الأحمر الذي يحيط بحوالى 69 فداناً من الكرملين. كانت مهمتي ترجمة خطابات القائد من الروسية إلى الإنكليزية دون أدنى فكرةٍ عما إذا كان أي شخصٍ قد قرأها. لكن ذات يومٍ ظهر اثنان من أفراد الشرطة السرية بجانب مكتبي وأمراني بمرافقتهما. قاداني خارج المبنى عبر فناءٍ إلى مجلس الشيوخ، وهو مبنى لم يسبق لي أن دخلته. لا بد أنني تعرضت إلى التفتيش عشرات المرات قبل أن يسمح لي بدخول مكتبٍ كبيرٍ حيث وجدت نفسي في حضور الرفيق ستالين الأمين العام للحزب. كنت طويلاً مقارنةً به رغم أنني لا أبلغ سوى خمس أقدامٍ وتسعة إنشات، ولكن أكثر ما أتذكره هو تانك العينان الصفراوان تحدقان إلى عينيّ. كنت آمل ألا يلاحظ أنني أرتجف. علمت بعد سنواتٍ أنه أصبح يشك في أي موظفٍ حكومي لم يرتجف عندما ظهر أمامه للمرة الأولى. لماذا أراد رؤيتي؟ انتخب كليمنت أتلي للتو رئيساً لوزراء بريطانيا، وأراد ستالين أن يعرف كيف أمكن لرجلٍ ضئيلٍ تافهٍ (كان أتلي أطول من ستالين بإنشٍ) أن يحل محل ونستون تشرشل الذي كان يعجبه ويحترمه. بعد أن شرحت له تقلبات النظام الانتخابي البريطاني كل ما قاله هو: "هذا هو الدليل القاطع على أن الديمقراطية لا تعمل".'

قُدمت القهوة الساخنة الثانية إلى هاري، والمزيد من الأوراق ذات الأحجام والأشكال المختلفة من قبل كبير المضيفين الصامت.

مكتبة ياسين

***

استقل سيباستيان سيارة أجرةٍ إلى المحكمة العليا بعد الحادية عشرة بقليلٍ. عندما كان يوشك على مغادرة مكتبه تركت ريتشيل البريد الصباحي وثلاثة ملفاتٍ سميكةٍ أخرى على مكتبه. حاول إقناع نفسه أن الأمور ستعود إلى طبيعتها الأسبوع المقبل. لم يستطع تأجيل إخبار روس بوكنان لفترةٍ أطول أنه يعتزم الذهاب إلى أميركا ومعرفة ما إذا كانت لديه أدنى فرصة لاستعادة سامانثا رغم عدم تأكده من موافقتها على رؤيته. التقى روس بسامانثا في رحلة باكينغهام الأولى، ووصفها لاحقاً بأنها أفضل كنزٍ تركه على الإطلاق.

حاول سيب الشرح: "لم أتركها تذهب ولو أمكنني استعادتها فسأفعل مهما كلفني ذلك".

بينما كانت سيارة الأجرة تشق طريقها خلال حركة المرور الصباحية، ظل يتحقق من ساعته على أمل أن يصل إلى هناك قبل عودة هيئة المحلفين.

كان يدفع لسائق الأجرة عندما لمح فيرجينيا. تجمد على الفور. حتى مع أنه رأى ظهرها لا يمكن أن تكون شخصاً آخر. تلك الثقة الواضحة والأسلوب والرقي سيجعلها تبرز وسط أي حشدٍ.

ولكن ما الذي كانت تفعله مختبئةً في زقاقٍ خلفي تتحدث إلى ديزموند ميلور من بين كل الناس؟ لم يدرك سيب أنهما يعرفان بعضهما، ولكن لماذا لم يتفاجأ؟ كان ليخبر خاله جايلز على الفور ويترك الأمر له ليقرر ما إن كان عليهما إخبار إيما. ربما لن يحدث إلا بعد انتهاء المحاكمة.

انزلق وسط موجةٍ من المشاة للتأكد من أن أياً منهما لم يلاحظه. عندما دخل المحكمة، صعد الدرج الواسع متهرباً من المحامين ذوي الشعر المستعار

مكتبة ياسين

وكذلك الشهود والمدعى عليهم الذين تمنوا لو لم يكونوا موجودين هناك حتى وصل أخيراً إلى الردهة خارج المحكمة رقم 14.

نادى صوتٍ: "أنا هنا... سيب".

نظر سيب حوله ليرى جايلز ووالدته جالسين في زاوية الردهة، ويتحدثان مع السيد تريلفورد لتمضية الوقت. سار نحوهم للانضمام إليهم، فأخبره جايلز أنه لا إشارة على عودة هيئة المحلفين. انتظر والدته لاستئناف محادثتها مع السيد تريلفورد قبل أن يأخذ جايلز جانباً ويخبره بما شاهده للتو. واختتم قائلاً: "علمني السيد سيدريك هاردكاسل ألا أؤمن بالصدف".

"لا سيما عندما تشارك فيرجينيا. معها يتم التخطيط لكل شيءٍ بأدق التفاصيل. على أي حالٍ لا أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لإخبار والدتك".

"ولكن كيف يمكن لهذين الاثنين معرفة بعضهما؟".

قال جايلز: "يجب أن يكون أليكس فيشر هو العامل المشترك. ولكن ما يقلقني هو أن ديزموند ميلور رجلٌ أخطر وأذكى من فيشر بكثير. لم أفهم أبداً سبب استقالته من بارينغتون بعد وقتٍ قصيرٍ من توليه منصب نائب الرئيس".

قال سيب: "أنا مسؤولٌ عن ذلك"، وشرح الصفقة التي أبرمها مع حكيم بشارة.

"ذكي، ولكن احذر من ميلور فهو ليس من النوع الذي يغفر أو ينسى".

"يرجى من كل المرتبطين في قضية فينويك ضد كليفتون الذهاب إلى المحكمة رقم 14 فمن المتوقع عودة هيئة المحلفين في الدقائق القليلة القادمة".

نهضوا أربعتهم وعادوا بسرعةٍ إلى قاعة المحكمة

مكتبة ياسين

حيث وجدوا القاضية جالسةً مكانها. كان الجميع ينظرون نحو الباب الذي ستدخل هيئة المحلفين من خلاله مثل رواد المسرح الذين ينتظرون ارتفاع الستارة.

أخيراً، عندما فتح الباب توقفت الثرثرة، وقاد حاجب المحكمة الأعضاء الاثني عشر إلى المحكمة، ثم وقف جانباً للسماح لهم في العودة إلى منبر هيئة المحلفين.

بمجرد أن استقروا طلب من المتحدث الرسمي النهوض.

ما كان يبدو الشخص المختار للوهلة الأولى على أنه قائدٌ في هذه المجموعة المتباينة. يجب أن يكون قد بلغ الستين من عمره ولا يزيد عن خمس أقدامٍ وأربعة إنشٍ، أصلع ويرتدي بذلةً من ثلاث قطعٍ وقميصاً أبيض وربطة عنقٍ مخططةٍ اعتقد جايلز أنها تمثل ناديه أو مدرسته القديمة. إذا التقيته في الشارع فستتخطاه من دون إلقاء نظرةٍ واحدةٍ عليه.

ولكن في اللحظة التي فتح فيها فمه فهم الجميع سبب اختياره فقد تحدث بسلطةٍ هادئةٍ، وما كان جايلز ليتفاجأ إذا علم أنه كان محامياً، أو مدير مدرسةٍ أو حتى موظفاً حكومياً كبيراً.

قالت القاضية وهي تنحني إلى الأمام: "سيد فورمان، هل توصلتم إلى حكمٍ وافقتم عليه جميعاً؟".

أجاب بصوتٍ هادئٍ ومدروسٍ: "لا يا سيدتي. لكني شعرت أنه علينا إبلاغك بالمأزق الذي وقعنا فيه على أمل أن تنصحينا بما يجب فعله بعد ذلك".

قالت السيدة القاضية لين كما لو كانت تتعامل مع زميلها الموثوق: "سأحاول بالتأكيد".

مكتبة ياسين

"صوّتنا عدة مراتٍ وفي كل مرةٍ نصل إلى طريقٍ مسدودٍ، ثمانية إلى أربعة. نحن غير متأكدين إن كان هناك جدوى من استمرارنا".

قالت القاضية: "لا أريدك أن تستسلم في هذه المرحلة المبكرة. لقد تم استثمار الكثير من الوقت والجهد والنفقات في هذه المحاكمة وأقل ما يمكن لأي منا القيام به هو التأكد تماماً من أننا بذلنا قصارى جهدنا للتوصل إلى حكمٍ. إذا كنت تعتقد أنه قد يساعد فسأكون على استعدادٍ لقبول حكم الأغلبية حتى لو كان لاثنين، ولكن أقل من ذلك لن يكون مقبولاً".

قال رئيس المحلفين: "إذاً سنحاول مرةً أخرى يا سيدتي"، ودون أي كلمةٍ أخرى قاد فرقته الصغيرة للخروج من المحكمة مع قيام الحاجب بالطلب من الجزء الخلفي من الباقين ومن المعلوم أنه لن تتم دعوة أي شخصٍ آخرٍ للانضمام.

بمجرد أن أغلق الباب خلفهم اندلعت ثرثرةٌ حتى قبل خروج القاضية.

كان أول سؤالٍ لفيرجينيا: "من حصل على ثمانيةٍ ومن حصل على أربعةٍ؟".

أجاب السيد إدوارد: "لديك الثمانية، ويمكنني تحديد كل واحدٍ منهم تقريباً".

"كيف يمكنك أن تكون متأكداً لهذه الدرجة؟".

"لسببين، بينما كان رئيس المحلفين يتحدث إلى القاضية أبقيت نظري على هيئة المحلفين، وكان معظمهم ينظرون إليك. ومن واقع خبرتي فإن هيئة المحلفين لا ينظرون إلى الخاسر".

"والسبب الاخر؟".

"ألقي نظرةً على تريلفورد وسترين رجلاً غير

مكتبة ياسين

سعيدٍ لأنه أجرى التحليل نفسه".

سأل جايلز: "من حصل على الأغلبية؟".

قال تريلفورد وهو يلامس المغلف في جيبه الداخلي: "ليس من السهل أبداً محاولة تخمين قرار هيئة المحلفين"، رغم أنه كان متأكداً إلى حد ما أنه لم تكن موكلته من احتاجت إلى الصوتين الإضافيين للفوز في المحاكمة. إذاً ربما حان الوقت للسماح للسيدة كليفتون برؤية خطاب الرائد، وتحديد ما إذا كانت تريد قراءته في المحكمة.

كان سينصحها بفعل ذلك إذا كانت لا تزال تأمل في الفوز في القضية، ولكن بعد التعرف إلى السيدة خلال الأشهر القليلة الماضية لم يكن ليتفاجأ إذا فكرت خلاف ذلك.

***

'بينما كان ستالين يقضي عقوبته الأولى في السجن عام 1902 في سن الثالثة والعشرين مثل العديد من أعضاء الحزب الطموحين، قرر تعلم اللغة الألمانية حتى يتمكن من قراءة النسخة الأصلية من كارل ماركس، ولكن انتهى به الأمر بمعرفةٍ سريعةٍ باللغة فقط. خلال فترة وجوده في السجن قام بتشكيل لجنةٍ سياسيةٍ من القتلة وقطّاع الطرق الذين حكموا السجناء الآخرين، وكل من يعصيه يضرب حتى الخضوع. بعد ذلك بفترةٍ وجيزةٍ حتى الحراس ارتعبوا منه، وعلى الأرجح شعروا بالارتياح عند هروبه. أخبرني ذات مرةٍ أنه لم يقتل أي شخصٍ أبداً، ربما كان هذا صحيحاً لأنه كان عليه فقط أن يلمح ويطلق اسماً، ولن يسمع بهذا الشخص مرةً أخرى'.

'الشيء الأكثر إهانةً مما تعلمته عن ستالين خلال الفترة التي قضيتها في الكرملين، ولم أفشه أبداً

مكتبة ياسين

حتى لزوجتي خوفاً من تعريضها إلى الخطر، هو أنه عندما كان شاباً ونفي إلى كونيكا في سيبيريا، أنجب طفلين من قبل فتاةٍ تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً تدعى ليديا بيريبريجينا، وبمجرد مغادرته كونيكا لم يعد أبداً فحسب بل لم يتصل بهم ثانيةً'.

فك هاري حزام الأمان وسار ذهاباً وإياباً على طول المقصورة وهو يفكر في الفصل الثاني.

بدأ الكتابة مرةً أخرى في اللحظة التي عاد فيها إلى مقعده.

'حادثةٌ أخرى كان ستالين يمتعنا بها بانتظامٍ هي ادعاؤه بتنفيذ سلسلةٍ من عمليات السطو على البنوك في جميع أنحاء البلاد لجمع الأموال للينين لدعم الثورة. هذا بالتأكيد يفسر ترقيته السريعة على الرغم من أن ستالين كان يتوق لأن يكون سياسياً، ولم ينظر إليه ببساطةٍ على أنه قاطع طرقٍ قوقازي. عندما أخبر ستالين صديقه الرفيق ليونوف بطموحاته، ابتسم فقط قائلاً: "لا يمكنك القيام بثورةٍ مرتدياً القفازات الحريرية". أومأ ستالين برأسه إلى أحد سفاحيه الذي تبع ليونوف خارج الغرفة، ولم يشاهد ليونوف مرةً أخرى'.

قال المضيف: "لم نعد في المجال الجوي الروسي يا سيد كليفتون".

قال هاري: "شكراً لك".

'وصلت غطرسة ستالين وانعدام الأمن إلى وضعٍ هزلي عندما اختير مخرج الأفلام السينمائية العظيم سيرجي أينشتاين لإنتاج فيلمٍ بعنوان "أكتوبر" ليعرض في مسرح البولشوي بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة أكتوبر. ظهر ستالين في اليوم السابق من العرض الأول وبعد مشاهدة الفيلم أمر أينشتاين بإزالة أي إشارةٍ إلى تروتسكي الرجل الذي اعترف

مكتبة ياسين

الحزب البلشفي بأنه العبقري وراء انقلاب أكتوبر، ولكن ستالين يعتبره الآن أخطر منافسيه. عندما غرض الفيلم على الجمهور في اليوم التالي لم يكن هناك أي ذكرٍ لتروتسكي من البداية إلى النهاية. وصفت صحيفة برافدا الفيلم بأنه تحفةٌ فنيةٌ، ولم تذكر تروتسكي المفقود. كان المحرر السابق للصحيفة سيرجي بيرسكي من بين أولئك الذين اختفوا بين ليلةٍ وضحاها لانتقادهم ستالين'.

قال المضيف: "لقد نفد الورق لدينا".

سأل هاري: "كم نبعد عن ستوكهولم؟".

أجاب متردداً: "حوالى ساعة أخرى يا سيدي. لديّ مصدرٌ آخرٌ قد تفكر فيه".

"سأفكر في أي شيءٍ بدلاً من خسارة ساعةٍ".

قال المضيف: "لدينا نوعان. الدرجة الأولى أو الدرجة الاقتصادية، ولكني أعتقد أن الاقتصادية ستخدم غرضك بشكلٍ أفضل... نسيجٌ أثقل وامتصاص أقل".

ضحك كلاهما مثل تلميذي مدرسة حيث قدم المضيف لفةً في يدٍ وصندوقاً في اليد الأخرى. أخذ هاري بنصيحته واختار الاقتصادية.

"وبالمناسبة يا سيدي. أنا أحب كتبك".

قال هاري وهو يواصل الكتابة: "هذا ليس كتابي".

'هناك شائعةٌ أخرى مستمرةٌ نشرها أعداؤه وهي أن ستالين كان عميلاً مزدوجاً خلال شبابه حيث كان يعمل في الشرطة السرية للقيصر في الوقت نفسه الذي كان فيه أحد ملازمي لينين الأكثر ثقةً. عندما علم أعداء ستالين بلقاءاته المنتظمة مع الشرطة السرية للقيصر ادعى ببساطةٍ أنه كان يحولهم إلى عملاء مزدوجين حتى يتمكنوا من العمل مع الثوار،

وكلما كان يبلغ عنه أحدهم كان يختفي في ظروفٍ غامضةٍ بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ. لذلك لا أحد يستطيع أن يتأكد إلى صالح أي طرفٍ كان ستالين يعمل، واقترح أحد المتهكمين أنه لصالح أي فريقٍ يبدو كأنه سيفوز. شخصٌ آخرُ لم يشاهد أو يسمع عنه ثانيةً'.

توقف هاري مؤقتاً بينما كان يحاول تذكر السطر الافتتاحي للفصل التالي.

'الآن سوف تسأل نفسك ما إذا كنت أخشى على حياتي. لا لأنني كنت مثل ورق الحائط امتزجت ببساطةٍ في الخلفية، لذلك لم يلاحظني أحد. قليلٌ من دائرة ستالين الداخلية يعرفون اسمي. لم يطلب أحدٌ رأيي في أي شيءٍ ناهيك عن دعمي. كنت عضواً في هذا النظام، موظفاً حكومياً مبتدئاً لا أهمية له، ولو استبدلت بورق حائطٍ ملونٍ مختلفٍ لكنت نسيت في غضون ساعةٍ.

كنت أعمل في الكرملين منذ أكثر من عامٍ بقليلٍ عندما فكرت لأول مرةٍ في كتابة مذكراتٍ للرجل الذي لم يتحدث عنه أحدٌ إلا تبجيلاً... حتى خلف ظهره. لكن مر عامٌ آخرُ قبل أن أستجمع الشجاعة لكتابة الصفحة الأولى. بعد ثلاث سنواتٍ مع نمو ثقتي، كنت كلما عدت إلى شقتي الصغيرة كل مساءٍ أكتب صفحةً وربما اثنتين عما حدث في ذلك اليوم. وقبل أن أذهب إلى الفراش مثل الممثل كنت أتدرب على النص الجديد عن ظهر قلبٍ ثم أتلفه.

شعرت بالخوف الشديد من الإمساك بي، حتى يلينا كانت تجلس جانب النافذة كلما كنت أكتب فقط في حال قيام أي شخصٍ بزيارةٍ غير متوقعةٍ. لو حدث ذلك كنت على استعدادٍ لإلقاء الصفحة التي كنت أعمل عليها في النار. لكن لم يزرني أحدٌ

مكتبة ياسين

قط لأنه لم يعتبرني أحدَ تهديداً لأي شيءٍ أو لأي شخصٍ آخرٍ'.

"من فضلكم اربطوا أحزمة الأمان سنهبط في ستوكهولم في غضون دقائق قليلةٍ".

سأل هاري: "هل يمكنني البقاء على متن الطائرة؟".

"لا. أخشى ذلك يا سيدي، ولكن لدينا صالةٌ من الدرجة الأولى حيث يقدمون الفطور، وأنا متأكدٌ من أنك ستجد كماً لانهائياً من الورق".

كان هاري أول من نزل من الطائرة واستقر في غضون دقائق على طاولةٍ في صالة الدرجة الأولى مع قهوةٍ سوداء، والعديد من أنواع البسكويت ورزمٍ من ورق الكتابة. لا بد أنه كان المسافر الوحيد المسرور عندما علم أن الرحلة قد تأخرت بسبب عطلٍ ميكانيكي.

'واجه ياكوف بولجوكوف عمدة رومانوفسكايا موقفاً خطيراً عندما قرر بناء تمثالٍ ضخمٍ لستالين ضعف الحجم الطبيعي باستخدام مدانين من سجنٍ قريبٍ لبناء التمثال الذي سيتم نصبه على ضفاف قناة الفولغا دون. كان العمدة يصاب بالرعب عند حضوره إلى العمل كل صباحٍ من أن يجد رأس قائده مغطى بفضلات الطيور. توصل بولجوكوف إلى حل جذري. أمر بتمرير تيارٍ كهربائي ثابتٍ عبر رأس التمثال'.

' كلف مسؤولٌ صغيرٌ بمهمة إزالة الجثث الصغيرة كل صباحٍ قبل شروق الشمس'.

جمع هاري أفكاره قبل أن يبدأ الفصل الرابع.

'كان لدى ستالين كادرٌ مختارٌ بعنايةٍ من حراس الأمن بقيادة الجنرال نيكولاي سيدوروفيتش فلاسيك الذي أمنه على حياته. كان بحاجةٍ إلى ذلك

مكتبة ياسين

لأنه صنع الكثير من الأعداء أثناء عمليات التطهير عندما قضى على أي شخصٍ وعلى كل شخصٍ اعتبره منافساً محتملاً في ذلك الوقت أو في المستقبل'.

'فقد عدد الأشخاص الذين كانوا في صفوفنا يوماً ما واختفوا بعد ذلك. إذا لمّح أحد أعضاء دائرته الداخلية إلى أن شخصاً ما كان يخطط ضده فلن يُشاهد هذا الشخص أو يُسمع عنه مرةً أخرى. ولم يؤمن ستالين في التقاعد المبكر أو في خطة المعاشات التقاعدية. أخبرني ذات مرةٍ أنك لو قتلت شخصاً واحداً فأنت قاتلٌ؛ وإذا قتلت الآلاف فإنها تصبح مجرد إحصائيةٍ'.

'تفاخر ستالين بأن حمايته الأمنية الشخصية كانت في فئةٍ مختلفةٍ عن أي شيءٍ حصل عليه رئيس الولايات المتحدة من الخدمة السرية الأميركية، ولم يكن من الصعب تصديق ذلك. عندما غادر الكرملين متوجهاً إلى منزله الريفي كل مساءٍ، وعند عودته إلى الكرملين صباح اليوم التالي، كان فلاسيك دائماً إلى جانبه مستعداً لتلقي رصاصةٍ قاتلةٍ، ورغم الطريق الذي يبلغ طوله تسعة كيلومتراتٍ فقد كان يحرسه بشكلٍ دائمٍ ثلاثة آلاف عنصرٍ مسلحٍ، ونادراً ما سارت سيارة الليموزين المقاومة للرصاص بسرعةٍ تقل عن ثمانين ميلاً في الساعة'.

كان هاري في الصفحة التاسعة والسبعين من المخطوطة عندما ظلب من جميع الركاب على متن الرحلة المتجهة إلى لندن العودة للطائرة، ورأى ستالين نفسه في ذلك الوقت كأنه خليطٌ بين هنري الثامن وكاثرين العظيمة. ذهب هاري إلى مكتب تسجيل الوصول.

"هل يمكن تغيير رحلتي إلى رحلةٍ لاحقةٍ؟".

مكتبة ياسين

"أجل بالطبع يا سيدي. لدينا رحلةٌ تمر عبر أمستردام في غضون ساعتين، ولكني أخشى عدم وجود رحلة طيرانٍ متواصلةٍ إلى لندن حتى أربع ساعاتٍ أخرى".

"عظيمٌ".

مكتبة ياسين

46

قرأ جايلز تصريح ويليام وورويك الموقع على الصفحة الأولى من صحيفة التايمز في صباح اليوم التالي ولم يستطع التوقف عن الضحك.

كيف فشلوا في ملاحظة أنه لم يكن توقيع هاري؟ افترض فقط أن الروس كانوا على عجلةٍ من أمرهم لإيصال الاعتراف إلى أيدي الصحافة الدولية قبل عودته إلى إنجلترا حيث إنهم قد فعلوا شيئاً سيئاً. حدث ذلك في كثيرٍ من الأحيان في وزارة الخارجية عندما كان جايلز وزيراً لكنها نادراً ما بلغت دائرة الصحافة. ضع في اعتبارك أنه عندما كان تشرشل يزور أميركا بعد الحرب مباشرةً طلب من السفارة ترتيب لقاءٍ مع الفيلسوف البارز أشعيا برلين وانتهى به الأمر بتناول الشاي مع إيرفينغ برلين.

ظهرت صور هاري على معظم الصحف الصباحية في حين ملأت العديد من العناوين في الصفحات الداخلية آراء القادة ومقالات الرأي حول المؤلف الشهير ومعركته الطويلة من أجل إطلاق سراح أناتولي باباكوف من السجن.

وكان لرسامي الكاريكاتير يوم ميداني حيث صوروا هاري على أنه إما جورج يذبح التنين أو داوود يقطع جالوت. ولكن كانت المفضلة لدى جايلز واحدةً في صحيفة ديلي إكسبريس عن مبارزة هاري بقلم ضد دب بسيفٍ مكسورٍ، وكان عنوان النص: أقوى من السيف.

كان جايلز لا يزال يضحك عند قراءته تصريح ويليام ووروبك للمرة الثانية، وافترض أن القادة سيعاقبون وربما تقطع رؤوسهم فعلياً في روسيا.

سألت إيما عندما انضمت إليه لتناول الفطور،

مكتبة ياسين

وما زالت تبدو كما لو كانت تنعم بنومٍ هانئ: "ما المضحك؟".

"تمكن هاري من إحراج الروس في يومٍ واحدٍ أكثر مما فعلت وزارة الخارجية في عامٍ، وهناك أخبارٌ أفضل، فقط انظري إلى العناوين الرئيسية في صحيفة التيلغراف". رفع الصحيفة حتى تتمكن من قراءتها.

ويليام وورويك يعترف بكونه جاسوساً. قالت إيما وهي تدفع الصحيفة جانباً: "هذا ليس أمراً مضحكاً. إذا كان لا يزال في روسيا عندما صدرت الطبعات الأولى لكان عنواناً مختلفاً الآن".

"حسناً على الأقل انظري إلى الجانب المشرق".

"هناك جانبٌ مشرقٌ؟".

"بالتأكيد هناك. كان الجميع يتساءلون حتى الآن لماذا لم يكن هاري يدعمك في المحكمة. حسناً الآن يعلمون جميعاً، وهو أمرٌ لا بد أن يترك انطباعاً لدى هيئة المحلفين".

"باستثناء أن فيرجينيا كانت رائعةً في منبر الشهود. أكثر إقناعاً مما كنت عليه".

"لكني أظن أن هيئة المحلفين لن تنخدع بها".

"فقط في حال كنت قد نسيت، فقد استغرق منك وقتاً أطول".

بدا جايلز مؤدباً بشكلٍ لائق.

قالت إيما: "لقد أغلقت الهاتف معه للتو. لقد توقف في ستوكهولم. بدا مشغولاً ولم يقل الكثير. أخبرني أنه لا يتوقع أن يهبط في مطار هيثرو حتى حوالى الخامسة بعد ظهر اليوم".

"هل حصل على كتاب باباكوف؟".

قالت إيما وهي تسكب القهوة لنفسها: "نفد ماله

مكتبة ياسين

قبل أن أتمكن من سؤاله. على أي حالٍ كنت مهتمةً أكثر لمحاولة معرفة سبب استغراقه ما يقارب أسبوع للقيام برحلةٍ ينجزها معظم الأشخاص الاخرين في أقل من أربع ساعاتٍ".

"وماذا كان تفسيره؟".

"لم يكن لديه تفسيرٌ. قال إنه سيخبرني كل شيءٍ بمجرد وصوله إلى المنزل. ارتشفت إيما رشفةً من قهوتها قبل أن تضيف: "هناك شيءٌ لم يخبرني به، ولم يظهر في الصفحات الأولى".

"أراهن أن له علاقة بكتاب باباكوف".

قالت إيما: "اللعنة على هذا الكتاب. ما الذي دفعه للمخاطرة عندما هدد بالفعل بعقوبة السجن؟".

"لا تنسي أنه الرجل نفسه الذي تصدى لفرقة ألمانيةٍ مسلحاً فقط بمسدسٍ وسيارةٍ عسكريةٍ وعريفٍ إيرلندي".

"وكان محظوظاً لأنه نجا من ذلك أيضاً".

قال جايلز ممسكاً بيد أخته: "وكنت تعرفين ما كان نوع الرجل قبل فترةٍ طويلةٍ من زواجك منه في السراء والضراء...".

"ولكن هل بدأ في فهم وضع عائلته خلال الأسبوع الماضي، وكم هو محظوظٌ لوضعه على متن طائرةٍ عائدةٍ إلى إنكلترا بدلاً من ركوب قطارٍ متجهٍ إلى سيبيريا مع صديقه باباكوف؟".

قال جايلز بهدوءٍ: "أظن أن جزءاً منه يريد أن يكون في ذلك القطار مع باباكوف. لهذا السبب كلانا معجبٌ به كثيراً".

قالت إيما بمشاعر: "لن أدعه يسافر مرةً أخرى".

قال جايلز محاولاً تهدئتها: "حسناً طالما أنه يتجه غرباً فقط فلا بد أن يبقى على ما يرام".

مكتبة ياسين

أحنت إيما رأسها وأجهشت بالبكاء فجأةً: "أنت لا تدرك مدى حبك لشخصٍ ما حتى تعتقد أنك لن تراه مجدداً".

قال جايلز: "أعرف ما تشعرين به".

***

خلال الحرب بقي هاري مرةً مستيقظاً ستاً وثلاثين ساعةً، ولكن وقتها كان أصغر بكثيرٍ.

أحد الموضوعات العديدة التي لم يجرؤ أحدٌ على طرحها مع ستالين هو الدور الذي أداه أثناء حصار موسكو عندما كانت نتيجة الحرب العالمية الثانية لا تزال معلقةً. هل انسحب، مثل معظم وزراء الحكومة ومسؤوليهم إلى كويبيشيف في الفولغا، أم أنه كما زعم رفض مغادرة العاصمة وبقي في الكرملين ونظم الدفاع عن المدينة؟ أصبحت روايته أسطورةً وجزءاً من التاريخ السوفييتي الرسمي رغم أن العديد من الأشخاص رأوه على المنصة قبل لحظاتٍ من مغادرة القطار إلى كويبيشيف، ولا توجد تقاريرُ موثوقةٌ عن أحدٍ رآه مرة أخرى في موسكو حتى طرد الجيش الروسي العدو من أبواب المدينة. قلةٌ من أولئك الذين عبروا عن أي شكوكٍ حول رواية ستالين لم يعيشوا ليرووا الحكاية.

بقلمٍ جاف في يده، وشريحة جبن إيدام في اليد الأخرى واصل الكتابة، صفحة بعد صفحةٍ. كان يستطيع سماع جيسيكا تعترض عليه. كيف يمكنك الجلوس في ردهة مطارٍ تكتب كتاب شخصٍ آخرٍ عندما تكون على بعد رحلة سيارة الأجرة من أرقى مجموعةٍ مؤلفة من ريمبرانت، فيرميرز، ستينز وديٍ ويتس في العالم؟ لم يمر يومٌ لم يفكر فيه في جيسيكا. كان يأمل فقط أن تفهم سبب اضطراره إلى استبدال رامبرانت بباباكوف مؤقتاً.

مكتبة ياسين

توقف هاري مرةً أخرى لجمع أفكاره.

ادعى ستالين دائماً أنه كان يسير خلف النعش يوم جنازة ناديا. في الواقع لقد فعل ذلك لبضع دقائق فقط بسبب خوفه الدائم من الاغتيال. عندما وصل الموكب إلى أول المباني المأهولة في ميدان مدرسة الفروسية اختفى خلف سيارة، وحل محله صهره أليوشا سفانيدزي، وهو أيضاً رجلٌ قصيرٌ ممتلئ الجسد وله شاربٌ أسودُ كثيفٌ. ارتدى سفانيدزي معطف ستالين الرائع حيث افترض الحشد أنه لا بد أن يكون الأرمل الحزين.

"يرجى من كل المسافرين...".

***

أفرجت القاضية السيدة لين عن الجميع في المحكمة رقم 14 عند الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم، بعد أن اقتنعت أن هيئة المحلفين لن تتوصل إلى حكمٍ في ذلك المساء.

قالت إيما وهي تنظر إلى ساعتها: "سأسافر إلى مطار هيثرو. مع القليل من الحظ سأصل في الوقت المناسب لاستقبال هاري خارج الطائرة".

سأل جايلز: "هل تريدين منا القدوم معك".

"بالتأكيد لا. أريده كله لي وحدي في الساعات القليلة الأولى. لكني سأحضره إلى ساحة سميث هذا المساء، ويمكننا جميعاً تناول العشاء معاً".

دائماً ما يبتسم سائقو سيارات الأجرة عندما يقول الراكب بأنهُ ذاهبٌ إلى مطار هيثرو. صعدت إيما إلى مقعد سيارة الأجرة الخلفي واثقةً من أنها قد تكون في المطار قبل هبوط الطائرة.

أول شيءٍ فعلته عند دخولها مبنى المطار هو فحص لوحة الوصول. كانت الأرقام والحروف

مكتبة ياسين

تتبدل كل لحظة للتزويد بأحدث المعلومات عن كل رحلةٍ. وأشارت اللوحة إلى أن الركاب القادمين من أمستردام على متن الرحلة 786 هم الآن في صالة استرداد الأمتعة. لكنها تذكرت بعد ذلك أن هاري لم يأخذ سوى حقيبة أمتعةٍ صغيرةً لأنه لم يكن يخطط للبقاء في لينينغراد لأكثر من بضع ساعاتٍ، ليلة واحدة على الأكثر. على أي حالٍ كان دائماً من بين الأوائل الذين يخرجون من الطائرة لأنه كان يحب السير بسرعةٍ على الطريق السريع في طريق عودته إلى بريستول قبل أن يتم تخليص آخر الركاب من الجمارك. مما يجعله يشعر بأنه سيضيع وقته.

تساءلت إن كانت قد فقدته حيث تجاوزها العديد من الركاب مع حقائب عليها علامات أمتعة أمستردام. كانت على وشك البحث عن هاتفِ والاتصال بجايلزعندما ظهر هاري أخيراً.

قال وهو يلف ذراعيه حولها: "أنا آسفٌ جداً. لم يكن لدي أي فكرة بأنك ستنتظرينني. اعتقدت أنك لا تزالين في المحكمة".

"سمحت القاضية لنا في الذهاب عند الرابعة لأنه لم يبذ أن هيئة المحلفين ستتوصل إلى حكمِ اليوم".

أفلتها هاري وقال: "هل يمكنني أن أطلب أغرب طلبٍ؟".

"أي شيءٍ يا عزيزي".

"هل يمكننا الحجز في فندق المطار لبضع ساعاتٍ؟".

قالت إيما مبتسمةً: "لم نفعل ذلك منذ زمنٍ".

قال هاري: "سأشرح السبب لاحقاً". لم يتكلم ثانيةً حتى وقع في سجل الفندق ودخلا غرفتهما.

مكتبة ياسين

استلقت إيما على السرير تراقب بينما هاري جالساً على مكتبٍ صغيرٍ بجوار النافذة يكتب كما لو أن حياته متوقفةٌ على ذلك. لم يسمح لها بالتحدث أو تشغيل التلفاز أو حتى طلب خدمة الغرف، لذلك وفي حالة يأسٍ التقطت الفصل الأول مما افترضته أحدث روايات ويليام ووروريك.

أدمنت عليها من الجملة الأولى. أخيراً، عندما وضع هاري قلمه بعد ثلاث ساعاتٍ ونصفٍ، واستلقى على السرير جانبها، كل ما قالته هو: "لا تقل أي كلمةٍ. فقط أعطني الفصل التالي".

وكلما كنت مطلوباً في المنزل الريفي (وهذا لم يحصل كثيراً)، كنت أتناول الطعام دائماً في المطبخ. إنها متعةٌ حقيقيةٌ، لأن طاهي ستالين، سبيريدون إيفانوفيتش بوتين، كان يقدم لي وللمتذوقين الثلاثة الطعام نفسه الذي يقدمه إلى ستالين وضيوفه في غرفة الطعام. لا ينبغي أن يكون ذلك مفاجئاً. كان المتذوقون الثلاثة مجرد مثالٍ آخرٍ على جنون الشك لدى ستالين، واعتقاده أنه لا بد أن هناك من يحاول تسميمه. كانوا يجلسون بصمتٍ إلى طاولة المطبخ، ولا يفتحون أفواههم إلا لتناول الطعام. كان حديث الشيف بوتين محدوداً أيضاً حيث افترض أن أي شخصٍ دخل ميدانه... طاقم المطبخ، الندل، الحراس، والمتذوقون... كانوا بالتأكيد جواسيس، بمن فيهم أنا. وعندما كان يتحدث، وهذا لا يحدث أبداً قبل أن يتم التخلص من الوجبة ويغادر آخر ضيفٍ غرفة الطعام، كان الأمر يتعلق فقط بعائلته التي كان فخوراً بها عادةً، ولا سيما حفيده الأخير، فلاديمير'.

وبمجرد مغادرة جميع الضيوف، كان ستالين ينسحب إلى المطالعة ويقرأ حتى الساعات المبكرة.

صورة لينين معلقةً فوق مكتبه، ومصباح يضيء وجهه'.

أحب قراءة الروايات الروسية، وكتابة التعليقات على الهوامش في الكثير من الأحيان. إن لم يستطع النوم فسوف يخرج خلسةً إلى الحديقة، يقلم وروده، ويعجب بالطاووس الذي يتجول في الأرض'.

أخيراً، عندما يعود إلى المنزل، ما كان يقرر الغرفة التي سينام فيها حتى اللحظة الأخيرة، غير قادرٍ على التخلص من ذكريات الماضي عن كونه شاباً ثورياً، ودائماً في حالة تنقلٍ لا يعرف أبداً أين سيذهب ليرتاح. بعد ذلك كان ينام لبضع ساعاتٍ على الأريكة، والباب مغلقٌ، وحراسه في الخارج، ولن يفتحوا الباب أبداً حتى يستدعيهم. نادراً ما نهض ستالين قبل منتصف النهار، حيث وبعد غداءٍ خفيفٍ ودون شرابٍ ينتقل من المنزل الريفي إلى الكرملين في موكب، ولكن ليس في السيارة نفسها أبداً. وعندما يصل، يشرع على الفور في العمل مع مساعديه الستة. لم أره يتثاءب أبداً'.

قلبت إيما الصفحة، بينما غرق هاري في نومٍ عميقٍ.

عندما استيقظ بعد منتصف الليل بقليلٍ كانت قد وصلت إلى الفصل الثاني عشر (كانت الفقرة الافتتاحية على الوجه الخلفي من قائمة طعام الدرجة الأولى). جمعت عدة أوراقٍ ووضعتها بدقةٍ قدر الإمكان في حقيبة أمتعة هاري، ثم ساعدته على النزول من السرير، وأخذته خارج الغرفة إلى أقرب مصعدٍ. وبمجرد أن سددت إيما الفاتورة، طلبت من خادم الفندق أن يستدعي سيارة أجرةٍ لها. فتح الباب الخلفي وسمح للرجل الكبير المتعب

مكتبة ياسين

وحبيبته بالصعود إلى الداخل.

سأل سائق السيارة: "إلى أين يا سيدة؟".

"ساحة سميث الثالثة والعشرون".

***

خلال رحلة العودة إلى لندن، أطلعت إيما هاري على أخر المستجدات عما كان يحدث في المحاكمة، وفاة فيشر واستعدادات جايلز للانتخابات الفرعية، أداء فيرجينيا على منبر الشهود، والرسالة التي تلقاها السيد تريلفورد في ذلك الصباح من فيشر.

سأل هاري: "ماذا ذكر فيها؟".

"لا أعرف، ولست متأكدة من أنني أريد أن أعرف".

"لكنها قد تساعدك على الفوز بالقضية".

"لا يبدو هذا محتملاً إذا كان فيشر متورطاً".

قال هاري بينما توقفت سيارة الأجرة خارج منزل جايلز في ساحة سميث: "كل هذا حصل في غيابي الذي لم يدم أكثر من أسبوعٍ بقليل".

عندما قرع جرس الباب الأمامي، أجاب جايلز بسرعةٍ، ليجد أقرب صديقٍ له ممسكاً بيد أخته بيدٍ، وبالسياج باليد الأخرى، للتأكد من عدم سقوطه. قام حارساه الجديدان بالإمساك بذراعيه من كل جهةٍ وأخذاه إلى المنزل، مروراً بغرفة الطعام وصعدوا الدرج إلى غرفة نوم الضيوف في الطابق الأول. لم يرد عندما قال جايلز: "نم جيداً أيها الصديق القديم"، وأغلق الباب خلفه.

بحلول الوقت الذي خلعت فيه إيما ملابس زوجها وعلقت بذلته، أصبحت تدرك بشكلٍ مؤلمٍ ما قد تكون عليه رائحة زنزانة السجن الروسية، ولكنه كان نائماً بالفعل عندما أزالت جاربه.

تسللت إلى السرير بجانبه، ورغم أنها كانت تعلم

مكتبة ياسمين

أنه لا يستطيع سماعها إلا أنها همست بحزمٍ: "أقصى شرقٍ سأسمح لك في السفر إليه مستقبلاً سيكون كامبريدج". ثم أضاءت المصباح الجانبي للسرير وواصلت قراءة *العم جو*. مرت ساعةٌ أخرى قبل أن تكتشف أخيراً لماذا فعل الروس المستحيل للتأكد من عدم حصول أي شخصٍ على الكتاب.

تم الاحتفال بعيد ميلاد الرفيق ستالين السبعين في جميع أنحاء الإمبراطورية السوفييتية بطريقةٍ أثارت إعجاب القيصر. ولم يتحدث أي شخصٍ كان يأمل في العيش حتى يحين موعد تقاعده.

خشي الشباب من الترقية المبكرة لأنه غالباً ما ينذر بالتقاعد المبكر، وبما أن ستالين كان مصمماً على التمسك بالسلطة، فإن أي تلميحٍ بالموت يعني جنازتك، وليس جنازته.

بينما جلست في الجزء الخلفي من الاجتماعات اللانهائية للاحتفال بإنجازات ستالين، بدأت في وضع خططي الخاصة للحصول على شريحةٍ صغيرةٍ من الخلود. نشر سيرتي الذاتية غير المصرح بها. ولكن توجب علي الانتظار ربما لسنواتٍ بعد وفاة ستالين، للحظة المناسبة لتقديم نفسي، قبل أن أتواصل مع ناشرٍ، ناشرٍ شجاعٍ سيكون على استعدادٍ للنظر في تولي *العم جو*.

ما لم أتوقعه هو فقط المدة التي سيستمر فيها ستالين في التشبث، وبالتأكيد لم تكن لديه نيةٌ بالتخلي عن زمام السلطة قبل أن ينزله حاملو النعش في الثرى. وظل أكثر من واحدٍ أو اثنين من أعدائه صامتين لعدة أيامٍ بعد وفاته خشية أن ينهض من قبره مرة أخرى.

لقد كتب الكثير عن وفاة ستالين.

زعم البيان الرسمي الذي ترجمته للصحافة

مكتبة ياسين

العالمية أنه توفي على مكتبه في الكرملين بعد إصابته بسكتةٍ دماغيةٍ، وكانت هذه النسخة المقبولة لسنواتٍ عديدةٍ. بينما كان في الحقيقة يقيم في منزله الريفي، وبعد عشاءٍ وشراب مع دائرة أصدقائه الضيقة والتي تضمنت لافرينتي بيريا، نائبه، ورئيس الشرطة السرية السابق نيكيتا خروتشوف وجورجي مالينكوف، ولكن ليس قبل أن يغادر جميع ضيوفه المنزل الريفي'.

خاف كل من بيريا، مالينكوف، وخروتشوف على حياتهم لأنهم عرفوا أن ستالين يخطط لاستبدالهم بمساعدين أصغر سناً وأكثر ولاءً'.

في اليوم التالي، لم يكن ستالين قد استيقظ حتى وقتٍ متأخرٍ بعد الظهر، وقام أحد حراسه قلقاً من أنه قد يكون مريضاً باستدعاء بيريا، الذي تجاهل مخاوف الرجل، وأخبره أن ستالين ربما كان نائماً من صداع الكحول'.

مرت ساعةٌ أخرى قبل أن يستدعي الحارس بيريا مرةً أخرى. استدعى هذه المرة خروتشوف ومالينكوف وتوجها على الفور إلى المنزل الريفي'.

أعطى بيريا الأمر بفتح باب الغرفة التي قضى فيها ستالين الليل، ودخل ثلاثتهم ليجدوه ملقى على الأرض فاقداً للوعي لكنه ما يزال يتنفس. انحنى خروتشوف ليفحص نبضه، عندما ارتجفت عضلةٌ فجأةً'.

حدق ستالين إلى بيريا وأمسكه من ذراعه'.

جثى خروتشوف على ركبتيه، ووضع يديه حول حلق ستالين وخنقه. كافح ستالين لدقائق، بينما ثبته كل من بيريا ومالينكوف'.

بمجرد تأكدهم من موته، غادروا الغرفة وأقفلوا الباب خلفهم. أصدر بيريا على الفور أمراً بإطلاق

مكتبة ياسين

النار على جميع حراس ستالين الشخصيين، الستة عشر منهم، حتى لا يكون هناك شهودٌ على ما حدث'.

لم يتم إبلاغ أحدٍ بوفاة ستالين حتى أصدر الإعلان الرسمي بعد عدة ساعاتٍ، الذي قمت بترجمته وادعى أنه مات بسكتةٍ دماغيةٍ أثناء عمله في مكتبه في الكرملين. في الحقيقة خنقه خروتشوف وترك ملقى في بركةٍ من بوله لعدة ساعاتٍ قبل إخراج جسده من المنزل الريفي'.

خلال الأربعة عشر يوماً التالية، رقد جسد ستالين في صرحٍ في صالة الأعمدة، مرتدياً الزي العسكري الكامل، وزي بطل الاتحاد السوفييتي وميداليات بطل العمل الاشتراكي. وقف بيريا، مالينكوف، وخروتشوف منحنيي الرؤوس، في صمتٍ إلى جانب الجثة المحنطة لقائدهم السابق'.

هؤلاء الرجال الثلاثة سيصبحون الحلف الذي استولى على السلطة بدلاً منه، على الرغم من أن ستالين لم يعتبر أياً منهم جديراً لخلافته، وكانوا يعرفون ذلك. أصبح خروتشوف، الذي لم يكن يعتبر أكثر من مجرد فلاحٍ، أميناً عاماً للحزب. غين مالينكوف، الذي وصفه ستالين بالناسخ السمين ضعيف الشخصية، رئيساً للوزراء، في حين سيطر بيريا القاسي، والذي اعتبره ستالين مدمناً على الجنسعلى أجهزة الأمن في البلاد'.

بعد بضعة أشهرٍ في حزيران عام 1953، اعتقل خروتشوف بيريا وبعد ذلك، ليس بعدها بكثيرٍ، أعدم بتهمة الخيانة. في غضون عامٍ، أقال مالينكوف، وعين نفسه رئيساً للوزراء وقائداً أعلى للقوات المسلحة'.

أنقذ حياة مالينكوف فقط لمجرد موافقته على الإعلان للعامة أن بيريا هو من قتل ستالين'.

مكتبة ياسين

غرقت إيما في النوم.

مكتبة ياسمين

47

عندما استيقظت إيما صباح اليوم التالي وجدت هاري راكعاً على الأرض، محاولاً فرز الأجزاء مختلفة الأنواع من الأوراق وترتيبها في أكوامٍ مرتبةٍ: ورق كتابة من الاثرة، الأوجه الخلفية من عشرات قوائم الدرجة الأولى، وحتى أوراق المراحيض. انضمت إليه جامعةُ أوراق المراحيض. بعد أربعين دقيقةٍ، كان لديهم كتاب.

سأل هاري وهما يتجهان إلى أسفل الدرج للانضمام إلى جايلز وسيب لتناول الإفطار: "ما الوقت الذي يجب أن نكون فيه في المحكمة؟".

قالت إيما: "في العاشرة من الناحية النظرية، ولكن لا يعتقد السيد تريلفورد أن هيئة المحلفين ستعود قبل منتصف النهار بكثيرٍ".

كان الفطور أول وجبةٍ حقيقيةٍ يأكلها هاري في أفضل جزءٍ من الأسبوع، ولكن على الرغم من ذلك، فقد تفاجأ بمدى قلة الطعام الذي كان قادراً على تناوله. جلسوا في صمتٍ يستمعون إليه يخبرهم بكل شيءٍ مر به منذ أن رأوه آخر مرةٍ.

أخبرهم عن سائق سيارة الأجرة، المرأة العجوز في المكتبة، الكولونيل في الكي جي بي، رئيس المحكمة، المدعي العام، محامي الدفاع، هيئة المحلفين، وأخيراً أناتولي باباكوف الذي أحبه وأعجب به. أخبرهم كيف أمضى هذا الرجل الرائع حقاً كل ساعةٍ مستيقظاً يروي قصته لهاري.

اقترح جايلز: "ألن يكون في خطرٍ كبيرٍ إذا نشر الكتاب؟".

"يجب أن يكون الجواب أجل، ولكنه كان مصراً على أن ينشر *العم* جو قبل وفاته، لأن ذلك

مكتبة ياسين

سيسمح لزوجته في العيش في راحةٍ بقية حياتها. لذا بمجرد انتهاء المحاكمة، أخطط للعودة إلى الولايات المتحدة وتسليم المخطوطة إلى هارولد غوينزبورغ"، وأضاف عندما رنت ساعة بيغ بن أول دقة من أصل عشر: "سأسافر بعد ذلك إلى بيتسبرغ لرؤية يلينا باباكوف، وأسلمها عدة رسائلٍ من زوجها".

قالت إيما وهي تنهض عن الطاولة: "لا يمكنني التأخر أكثر من ذلك".

"سيب، اذهب وابحث عن سيارة أجرةٍ بينما أستعد أنا ووالدك".

ابتسم سيب. وتساءل متى تتوقف الأمهات عن معاملة أولادهن كما لو كانوا في الخامسة عشرة من العمر على الدوام.

بعد عشر دقائق، كانوا جميعاً متجهين إلى القاعة البيضاء باتجاه الساحل.

سأل هاري بينما كانوا يقودون سيارتهم متجاوزين شارع داوننغ: "هل تتطلع إلى العودة إلى المنزل؟".

قال جايلز: "حتى الآن لم أختر مرشحاً بعد".

"حسناً. على الأقل هذه المرة لن يسبب لك أليكس فيشر أي مشكلةٍ".

"لن أكون متأكداً من ذلك".

قالت إيما: "يجب أن تكون متأكداً".

أكد لها جايلز أثناء وقوفهم خارج المحكمة: "في السياسة لا يوجد تأكيدٌ".

بدأت الكاميرات تومض حتى قبل خروج إيما من سيارة الأجرة. مشت وهاري يداً بيدٍ عبر جموع الصحفيين والمصورين الذين بدا معظمهم مهتماً بزوجها أكثر من اهتمامهم بالمدعى عليها.

مكتبة ياسمين

صاح أحدهم: "هل أنت مرتاحٌ للعودة إلى المنزل يا سيدي؟".

سخر أحدهم: "هل لندن أبرد من سيبيريا؟".

صاح ثالثٌ: "هل من الجيد استعادته يا سيدة كليفتون؟".

كسرت إيما قاعدة جايلز الذهبية، وقالت وهي تضغط على يد هاري: "أجل بالتأكيد".

واصل آخرُ: "هل تعتقدين أنك ستفوزين اليوم؟"، فتظاهرت بعدم سماعه. كان سيب ينتظرهما، وفتح الباب الضخم للسماح لهما بالمرور.

"هل تأمل أن تكون مرشح حزب العمال في انتخابات بريستول يا سيد جايلز؟"، ولكن جايلز لوّح ببساطةٍ وابتسم، وأعطاهم صورةً دون كلماتٍ قبل أن يختفي داخل المبنى.

توجه الأربعة في طريقهم صعوداً على الدرج الرخامي العريض ليجدوا السيد تريلفورد يشغل ركنه المفضل في الطابق الأول. وقف تريلفورد في اللحظة التي رأى فيها إيما تقترب. عرّفته إلى هاري.

قال تريلفورد: "صباح الخير أيها المحقق المحقق وورويك".

"كنت أتطلع إلى مقابلتك".

صافح هاري المحامي بحرارةٍ. "يجب أن أعتذر لعدم وجودي هنا في وقتٍ أقرب، ولكني...". قال تريلفورد: "أعلم، ولا أطيق الانتظار لقراءته".

صوت طقطقة مكبر الصوت. "هل يمكن لكل المرتبطين في قضية الليدي فيرجينيا فينويك ضد...".

قال تريلفورد وهو يتحرك: "يجب أن تكون هيئة المحلفين قد توصلت إلى قرار". نظر خلفه للتأكد من

مكتبة ياسين

أنهم جميعاً يتبعونه، واصطدم بشخصٍ ما. اعتذر، ولكن الشاب لم ينظر إلى الوراء. فتح سيباستيان الذي سار في المقدمة، باب المحكمة رقم 14 حتى تتمكن والدته ومستشارها من الوصول إلى مكانهما في الصف الأمامي.

كانت إيما متوترةً جداً من الكلام، وخوفاً من الأسوأ، وظلت تنظر بقلقٍ من فوق كتفها إلى هاري، الذي جلس في الصف خلفها بينما كانوا ينتظرون ظهور هيئة المحلفين.

نهض الجميع عندما دخلت القاضية السيدة لين قاعة المحكمة. انحنت قبل أن تحتل مكانها. نقلت إيما انتباهها إلى الباب المغلق بجانب منبر المحلفين، لم تضطر إلى الانتظار طويلاً قبل أن يُفتح الباب، ويظهر الحاجب ويتبعه المحلفون الاثنا عشر. لقد أخذوا وقتهم في العثور على أماكنهم، والدوس على أصابع بعضهم البعض مثل رواد المسرح المتأخرين. انتظر الحاجب حتى يستقروا قبل أن يضرب بعصاه ثلاث مراتٍ على الأرض ويصرخ: "هلّا نهض رئيس المحلفين رجاءً".

نهض رئيس المحلفين بطوله البالغ خمس أقدامٍ وأربعة إنشات ونظر إلى القاضية. نظرت القاضية السيدة لين إلى الأمام وقالت: "هل توصلتم إلى حكمٍ متفقٍ عليه من قبلكم جميعاً؟".

اعتقدت إيما أن قلبها سيتوقف عن الخفقان وهي تنتظر رده.

"لا يا سيدتي".

"إذاً هل توصلتم إلى حكمٍ وافقت عليه أغلبيةُ لا تقل عن عشرةِ مقابل اثنين؟".

قال رئيس المحلفين: "لقد فعلنا يا سيدتي، ولكن لسوء الحظ، في اللحظة الأخيرة غير أحد الأعضاء

مكتبة ياسمين

رأيه، وقد علقنا على تسعة أصواتٍ مقابل ثلاثةٍ خلال الساعة الماضية. لست مقتنعاً أن ذلك سيغير الحال، لذا أطلب مرةً أخرى توجيهاتك فيما يجب علينا فعله بعد ذلك".

"هل تعتقد أنكم ستتوصلون إلى أغلبية عشرةٍ مقابل اثنين إذا أعطيتكم مزيداً من الوقت؟".

"أجل يا سيدتي. لأنه في مسألةٍ واحدةٍ بذاتها جميعنا الاثنا عشر متفقون. وهي أنه إذا سمح لنا بمعرفة محتوى الرسالة التي كتبها الرائد فيشر إلى السيد تريلفورد فربما سنكون قادرين على اتخاذ قرارٍ بسرعةٍ إلى حد ما".

ركّزت أعين الجميع على القاضية، باستثناء السيد إدوارد ميكبيس الذي كان ينظر عن كثبٍ إلى السيد تريلفورد. إما أنه كان لاعب بوكر ماهرٍ أو أنه لا يريد أن تعرف هيئة المحلفين ما كان في تلك الرسالة.

نهض تريلفورد من مقعده ومد يده إلى جيبه الداخلي ليجد أن الرسالة لم تعد موجودةً. نظر إلى الجانب الآخر من المحكمة ليرى أن الليدي فيرجينيا كانت تبتسم.

فبادلها الابتسامة.

مكتبة ياسين

Notes

[1I]

يقابل الحرف كاف بالعربي.

[2I]

صالة في البرلمان مخصصة لأفراد الجمهور الذين يرغبون في الاستماع إلى الجلسات.

[3I]

لعبة ورق.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook